

طُلُوعُ مَدِينَةِ مَسْجِدِ السَّجُودِ

"بَيْنَ أَهْبَارِ وَهْرَانِ وَالْمُرُورِ لِسَبَانِيَا وَفَرَنْسَا"
إِلَى أَوَّلِ الْقُرُونِ الْقَاسِعِ عَشَرَ

الْأَعْيُنِ عَوْدَةُ الْمَزَارِي

تَحْقِيقٌ وَدِرَاسَةٌ
الدُّكْتُورُ كَيْسِي بُوعَزْزِي

الْبَحْرُ الْأَوَّلُ



مَدِينَةُ مَسْجِدِ السَّجُودِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة شكر وتقدير

إن كتاب طلوع سعد السعود الذي نقدمه اليوم للقراء، عبارة عن موسوعة كبيرة تاريخية، وثقافية وجغرافية، واجتماعية، لعدد من بلدان العالم القديم على مستوى قاراته الأربعة: إفريقيا، وأوروبا، وآسيا، وأوقيانيا.

فقد توسّع مؤلفه الأغا إسماعيل بن عودة المزارى في التاريخ لمدينة وهران، والجزائر، والغرب الوهراني، وإسبانيا، وفرنسا، والأتراك العثمانيين، من غابر العصور إلى عهده عام 1890 م. فأرخ لسير أجيال من العلماء، والأولياء، والأمراء، والسلاطين، والملوك، والخلفاء. وأسهب في الحديث عن النظام الإداري للأتراك في بلادهم، وفي الجزائر، وبلدان المغرب، وعن قبائل المخزن في الغرب الوهراني، مع تتبع أصولها، وفروعها، وأدوارها السياسية والعسكرية خلال عهد الأتراك، وقبلهم، وبعدهم إلى عهده هو. وسلك طريق وأسلوب ابن خلدون في وضع شجرات الأنساب لها.

كما أسهب في التاريخ لأجناس أوروبا، وسكان إسبانيا، وفرنسا، وأقاليم الأرض الجغرافية، والجزر، والأودية، والأنهار، والخلجان، والمدن، والموانئ، وفي التاريخ لملوك إسبانيا الكاثوليكية الحديثة، وملوك فرنسا من غابر الأزمان إلى نهاية القرن التاسع عشر.

وتوسع في الحديث عن أصل جنس الأتراك في آسيا. ونزوحهم إلى آسيا الصغرى وتكوينهم لدولتهم، واستعرض ملوكهم وسلاطينهم جميعاً إلى عهده أواخر القرن 19 م. كما توسع في التاريخ لبابليك الغرب الوهراني، وبباياته،

وصراعهم ضد الوجود الإسباني في وهران والمرسى الكبير، واستعرض الحكام الأتراك في الجزائر. وتفرغ بعد ذلك لاستعراض مقاومة الأمير عبد القادر بتوسع، وقدم لنا قراءة جديدة لها سوف نسمح بأعادة النظر في فهم وتفسير الكثير من أحداثها. خاصة مواقف قبائل المخزن من الأمير عبد القادر، ومواقفه هو منها.

وأوجز في التاريخ للأندلس الإسلامية، وأورد قوائم للخلفاء الأمويين في الشرق، والأندلس، والخلفاء الفاطميين، وسلاطين المرابطين، والموحدين، والزيريانيين، والمرينيين، والسعديين، في الجزائر، والمغرب الأقصى، وتبع غارات الإسبان والفرنسيين، على الجزائر وتونس، في العصر الحديث، وتحدث عن الحروب الصليبية خلال حديثه عن ملوك فرنسا.

وخلال كل هذا، تحدث المؤلف على قضايا كثيرة، تاريخية، وفكرية وأدبية، وثقافية، واعتمد على مصادر كثيرة نثرية، وشعرية، مخطوطة، ومطبوعة. مما أضفى على المخطوط القيمة العلمية المطلوبة. وهذا بغض النظر على أسلوب السجع الممل الذي اتبعه، وركاكة اللغة في بعض الأحيان.

وإخراج هذا المخطوط إلى حيز الساحة الثقافية بعد مضي قرن كامل على تأليفه، يدخل في إطار إحياء التراث الفكري بمفهومه الواسع للبلدان المغاربية أساساً، والإسلامية بصفة عامة.

وهذا ما تقوم به مؤسسة: دار الغرب الإسلامي بقيادة رئيسها الفاضل السيد الحبيب اللامي، الحريص على أن يكون المثل والنموذج لعملية الإحياء هذه، التي بدأها منذ عدة سنوات، وأخرج إلى الساحة الثقافية تراثاً حضارياً هاماً ومتنوعاً: في العلوم، والآداب، والتاريخ، والسير، واللغة، والدين، وغيرها، وزود المكتبات العربية والعالمية بصيب وافر، من أمهات الكتب، ونفائس المخطوطات، وقدم للأجيال الصاعدة جهود الأجداد الضخم الذي شاركوا به في خدمة العلم، والفكر، والثقافة العربية الإسلامية، والإنسانية العالمية.

وما إقدام هذه الدار، ورئيسها الفاضل، على طبع هذا المخطوط، ونشره، إلا دليل آخر على مدى الجهد الذي يبذله في هذا الميدان.

هذا وقد أدخلنا تحويراً جزئياً على اسم المخطوط في ظهر الغلاف الخارجي فقط، ليكون أكثر دلالة على محتواه، وهو «طلوع سعد السعود، أو تاريخ وهران، والجزائر، وإسبانيا، وفرنسا، من غابر الأزمان إلى نهاية القرن 19 م».

فالإخ الفاضل السيد الحبيب اللامي، وإلى داره العامرة: دار الغرب الإسلامي، نقدم كل التحية، والشكر، والتقدير، والسلام.
والله الموفق

د. يحيى بوعزيز
(جامعة وهران)

وهران - حي جمال
الجمعة 25 رمضان 1410 هـ.
20 أبريل 1990 م.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم وتوضيح

إن مخطوط طلوع سعد السعود في تاريخ وهران ومخزنها الأسود. الذي نقدمه اليوم للقراء. قد استنفد منا عملاً شاقاً وطويلاً، بسبب كبر حجمه، وتعقد إجراءات الحصول على إذن لتصويره. والوقت الطويل الذي استغرق في نقله باليد، وضربه على الآلة الكاتبة، ومراجعته، والتعليق عليه.

فقد استغرق الحصول على إذن لتصويره من طرف وزارة الثقافة والسياحة، أكثر من ستة شهور، وكان السبب في ذلك المسؤول عن متحف زبانا بوهراڤ الذي تلكأ وراوغ في تنفيذ أمر الوزارة لأمر لا نعلمها، سامحه الله.

واستغرق نسخه باليد قرابة عام كامل، بسبب ضخامة حجمه، وصعوبة ضربه على الآلة الكاتبة مباشرة. وبذل الأخ الطالب صديقي سليمان القنادسي. جهوداً مشكورة في نسخه. وتحمل ذلك وتطوع رغم انشغاله بمتابعة دروسه. لتحضير شهادة الليسانس في التاريخ، ولولا جهوده هذه، لتأخر إعداد المخطوط للطبع سنوات أخرى. أو تعذر إطلاقاً.

وتطلبت قراءته وتصحيحه، والتعليق عليه، وتبويبه أوقاتاً طويلة. واستغرق ضربه على الآلة الراقنة قرابة عام كامل كذلك مع إعادة قراءته وتصحيحه وترتيبه، وفهرسته، كل ذلك وسط الأشغال والاهتمامات اليومية التربوية وغيرها. وهنا لا بد من التنبيه على عدة أمور:

أولاً: توحد بالمخطوط أخطاء كثيرة جداً. ولا تخلو منها أية صفحة في

اللغة وقواعد اللغة، والرسم، والإنشاء، والصياغة، فاكتفينا بالإشارة والتنبيه على البعض منها وتركنا الباقي على حالها، لأن الإشارة إليها كلها. سيؤدي إلى تضخيم حجم المخطوط. ثم إنها لا تؤدي إلى عدم فهم المعلومات والحوادث.

ثانياً: إن التعليقات والهوامش التي وضعناها للمقاصد الثلاثة الأولى، أثبتت أن المواصلة على ذلك النهج سيؤدي إلى مضاعفة حجم المخطوط مرة أو أكثر، ولذلك خففنا منها كثيراً في المقصدين الباقيين والطويلين: الرابع، والخامس. واكتفينا فقط بالضروري منها.

ثالثاً: أورد المؤلف قوائم كثيرة وطويلة لأسماء الأعلام الأجنبية الرومانية، واليونانية، والإسبانية، والفرنسية، وغيرها، فكتب البعض صحيحاً، وحرف أخرى، ولذلك حاولنا نحن تصحيح بعضها بكتابتها بالحروف اللاتينية أمامها. أو في الهامش. وتركنا الباقي إلى حين التعرف عليها.

رابعاً: ليس للمخطوط عناوين ولذلك وضعنا نحن له عناوين فرعية مستقلة ليسهل التعرف على موضوعاته، والعودة إليها بدون مشقة، وصعوبة، ووضعنا أرقام الصفحات بين قوسين داخل النص.

خامساً: نظراً لطول المخطوط وكبر حجمه، فقد قسمناه إلى جزئين: الجزء الأول: يشمل المقاصد الثلاثة الأولى. والقسم الأكبر من المقصد الرابع، وينتهي عند نهاية الدولة الثامنة أو دولة الأتراك العثمانيين عام 1830 م، ويحري 317 صفحة من المخطوط.

الجزء الثاني: يشمل القسم الأخير من المقصد الرابع، والمقصد الخامس والأخير ويحتل باقي صفحات المخطوط إلى صفحة 582.

سادساً: بذلنا جهوداً مكثفة للحصول على سيرة المؤلف الأغا بن عودة المازري. فلم نوفق، فقد راجعنا مجلة الجمعية الجغرافية والأثرية لمدينة وهران. ورجعنا إلى ما كتبه مارسيل بودان عن المخطوط، ولم نحصل على شيء، وزرنا أفراد عائلة المازري في سبدو، ومغنية، واستجوبناهم فلم يفيدونا بشيء ويجهلون أصلاً هذا الرجل.

وسألنا المسنين في مدينة وهران، الذين لهم صلة بالعائلات المخزنية فلم يفيدونا بشيء.

وقد سجل المؤلف حياته وسيرته في مخطوطه، خلال تأريخه لرجال المخزن، بعد أن سجل سيرة والده الحاج محمد المزاري، وعمه مصطفى ابن إسماعيل. في المقصد الخامس والأخير من مقاصد الكتاب من صفحة 538 إلى صفحة 545. ولكن هذه الصفحات بترت من المخطوط ويبدو أن ذلك تم عن عمد، وقصد. ولذلك بقيت حياة هذا الرجل ثغرة. ولم نجد حالياً ما يملؤها. فأرجأنا ذلك إلى حين العثور على معلومات جديدة عنه، أو العثور على الصفحات المبتورة من المخطوط. وقد قال في صفحة 546 التي بقيت لم تبتتر: «ولي في هذا الوقت ولدان بلامين أكبرهما إسماعيل، والآخر الحسين».

والشيء المعروف عنه حالياً هو أنه ابن الحاج محمد المزاري الذي هو ابن أخ مصطفى بن إسماعيل، وكلاهما تولى وظيفة للأمير عبد القادر، ثم للفرنسيين بعد أن انضموا إليهم في حدود عام 1835 م. ومن بعدهما تولى المؤلف ابن عودة المزاري وظيفة الأغا للفرنسيين، ولكن لا ندري متى تولى هذه الوظيفة، ومتى ولد، ومتى توفي كذلك، والمؤكد هو أنه توفي بعد عام 1897 م. وقد يكون عاش إلى مطلع القرن الحالي ولا ندري أيضاً أين توفي، وأين دفن، ولعلنا نكتشف في يوم ما الأجوبة على هذه الأسئلة والتساؤلات. فنضمها للطبعة التالية إن شاء الله تعالى.

سابعاً: وضعنا للمخطوط فهرس، للأعلام، والقبائل، والجماعات، والأماكن الجغرافية، وأسماء الكتب. كل جزء بفهارسه الخاصة.

ثامناً: أضفنا إلى المخطوط في الأخير قائمة المراجع ذات الصلة بالموضوع، ومنها المراجع التي اعتمد عليها المؤلف وأشار إليها داخل النص.

تاسعاً: إذا كان ما بد من شكر أحد فهو الناسخ للمخطوط الأخ الطالب والأستاذ صديقي سليمان، والمسؤولون عن مديرية التراث بوزارة الثقافة وعلى رأسهم الأخ عبدالله بالسرياني، ثم الأخ الضابط الصديق إيمخلاف رئيس القطاع العسكري بولاية النعامة والأخ قاسمي الهاشمي بالإذاعة الجهوية بوهران اللذان

ساعداًني في ضرب المخطوط على الآلة الراقنة، فإليهم وإلى غيرهم شكري وتقديري .

عاشراً: وقد زدنا هذه الدراسة في الأخير بقوائم لأسماء أباطرة الرومان والبيزنطيين، وملوك فرنسا، وإسبانيا، وحكام وهران الأوائيل، والسلاطين العثمانيين، وحكام الجزائر في العهد العثماني، وبثلاثة خرائط لوهران؛ والمنطقة الوهرانية التي شهدت أحداث الإسبان، والمرسى الكبير.

حادي عشر: لقد أدخلنا تحويراً جزئياً على عنوان المخطوط الأصلي ليكون أكثر دلالة على محتواه، وذلك على ظهر الغلاف الخارجي فقط، وأصبح هكذا: «طلوع سعد السعود أو تاريخ وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا». (من غابر العصور إلى نهاية القرن 219). أما في الداخل فقد أبقينا على العنوان الأصلي للأمانة التاريخية.

وأرجو أن يجد الطلاب والباحثون، والأساتذة في المعاهد والجامعات، ضالتهم في هذا المخطوط الذي لا شك أنه سيزودهم بمعلومات واسعة، عن تاريخ وهران، والغرب الوهراني والجزائر، وإسبانيا وفرنسا، وعبر التاريخ خاصة خلال عهد الأتراك العثمانيين وعهد الاحتلال الفرنسي إلى عام 1890 م.

والله الموفق:

د. يحيى بو عزيز

وهران - حي الصديقية

الخميس 29 شعبان 1409 هـ

06 أبريل 1989 م

المخطوطات

الحمد لله الذي جعل العلم نوراً وهدى وسليماً
 وسلم تسليماً
 اللهم أنت الله أنت الحليم
 ومن الله على من ياتك من العلم والهدى

يقول العبد المذنب المذنب
 وعسى ان يسامح الله
 ابن عودته الى الدنيا
 المبتدأه منه الله بعباده
 امين امين امين

الحمد لله الذي جعل العلم نوراً وهدى وسليماً
 المجهل ومنهم من لا يعلم
 العلم والتفكير في حق العلم
 ما يكون به التكليف ونزعة
 وسام الأول والآخر
 من التاريخ الذي تغفل
 أو حلاً وهو ما يشبه
 فيعلم في السجلات
 من علم البشر في
 وعلم الله ورازقه
 بالعلم

السلام على النبي محمد وآله

بالحمد إلى يوم يثبت فيه المقبول من العاقل والنفسي
التجديد والمشاينة من الأول **وقد** باليه لخصا
كذلك كتب التاريخ واجتمعت عنده منه فإني جليل
تألفت بنفسه إلى جمع تأليف جليل في أخبار ومخبرين
الغياور الذي بهم فاجتهد ما عداها من العلم وجمع أهل الخصال
الجليل **فجمع** الله تعالى في كتاب جليل العلم إلى نور الله
بإذنه الله تعالى على خمسة مقاصد **المقصد الأول** في معرفة أخبار
وأحوال من ثبت فيهم وورثها بالتقريب **المقصد الثاني** في
معرفة أحوالها سبب الاستطاعة والتعمق في التاريخ إلى ما هو ممتنع
يب **المقصد الثالث** في ذكر بعض علماء أهل البيت
حينئذ ثبت للدار **المقصد الرابع** في ذكر أخبار علي بن أبي طالب
التي تيسر من حيث ثبتت إلى هذا الزمان وما ذكره من غيرهم
فذلك رغبة للدار العايدة إلى زيادة الأبياد **المقصد الخامس**
في ذكر من نهوا وروعتهم المراد والتعمق في تاريخهم
فيما لا يتعداه **وقد** كلوع سعد السعدون في أخبار
قره مران ومخبرها الأسود بما قولهم ما رزقت من نصيب وما توفيقي
ألا بالله عليه توكلت وإليه انيب **المقصد السادس** في
مناوهران وأروفت ببيت فيه **وقد**

Title

المقصد الأول في
مناوهران

تمهيد في التعريف بمخطوط

طلوع سعد السعود في أخبار وهران ومخزنها الأسود
للأغا بن عودة المزاري

مؤلف هذا المخطوط هو أبو إسماعيل ابن عودة بن الحاج محمد المزاري البشناوي، كما جاء في مطلع الصفحة الأولى منه التي تحمل رقم 2. ويعرف عن الناس في الناحية الغربية بالأغا المزاري. وكان أبوه الحاج محمد المزاري، وعم أبيه مصطفى بن إسماعيل، قد توليا منصب: ووظيفة «الأغا» عند الأمير عبد القادر أولاً، ثم عند الفرنسيين بعد أن انضموا إليهم في حدود ديسمبر 1835 م الموافق لأواخر شعبان 1251 هـ. كما جاء في صفحات 431-434 من المخطوط نفسه.

ويقع هذا المخطوط في مجلد كبير يحتوي على 582 صفحة من مقاس 19 × 25، وتتراوح أسطرها بين 18 و30 سطراً، وكتب بخط مغربي واضح، وسهل القراءة على طريقة المصحف الكريم المغربي، بحيث تنقط الفاء من أسفل والقاف من أعلى بنقطة واحدة.

ليس للمخطوط عنوان على ظهره بالصفحة الأولى، ولكن ذكر داخل الصفحة الثالثة وفي آخرها. وقد بدئى بالصفحة الثانية، بينما أبقى الصفحة الأولى بيضاء، ولا توجد به صفحة رقم 505، وذلك لخطأ في الترقيم فقط، إذا انتقل المؤلف من رقم 504 إلى رقم 506 مباشرة. ولكن المخطوط تنقصه ثمانى صفحات من رقم 538 إلى رقم 545، إذ اقتلعت منه أربعة أوراق، وذلك في المقصد الأخير منه. ومن سوء الصدف أن الصفحات الناقصة هي التي تتصل

بحياة المؤلف نفسه، وموقفه من الأمير والمقاومة الوطنية. ويبدو لنا أن هذه الصفحات انتزعت عن قصد ولغرض معين كذلك، وكل صفحة من صفحات المخطوط يبدوها المؤلف بالعبارة التالية:

«اللهم صلّ على الحبيب محمد وآله وصحبه وسلم». وذلك على يمين صفحة اليمين، ويسار صفحة اليسار.

ويوجد هذا المخطوط في مكتبة متحف زيانا بمدينة وهران تحت رقم 466، وجلد بغلاف من الورق المقوى ذي اللون البني المائل إلى الخضورة، وكتب على ظهر حاشيته القاعدية الجلدية الحمراء بالحروف اللاتينية، المزري. تاريخ وهران. وليس له نظير على ما نعرف، بحيث تتفرد به مكتبة هذا المتحف دون غيرها⁽¹⁾.

ويضم هذا المجلد بين دفتيه ثلاثين كراساً، كل منها يتألف من عشرة أوراق ما عدا:

كراس رقم 26 الذي يحتوي على 12 ورقة من صفحة 480 إلى 504.
وكراس رقم 27 الذي يحتوي على 12 ورقة كذلك من صفحة 506 إلى 529.

وكراس رقم 28 الذي يحتوي فقط على 8 ورقات من صفحة 530 إلى 553، وهو الكراس الذي تنقص به الصفحات التي تخص حياة المؤلف وبعض أفراد أسرته.

وكراس رقم 30 الأخير الذي يحتوي فقط على 5 ورقات من 574 إلى 582.

(1) توجد لدى الأستاذ محمد بن عبد الكريم نسخة مصورة من النسخة الأصلية الموجودة بهذا المتحف. وهي مبتورة كذلك على ما ذكره لي الشيخ عبد الرحمن الجيلالي الذي اعتمد عليها. وقد راسلته فلم يجبني أصلاً، رغم إلحاح الدكتور سعد الله عليه في ذلك.

أقسام المخطوط وتاريخه

ويتألف هذه المخطوط من خمسة أقسام يحمل كل منها اسم المقصد:

- المقصد الأول: فيمن بنى وهران، وفيمن أمر بينائها وأي تاريخ بنيت فيه. وبه 8 صفحات من 4 إلى 11.
- المقصد الثاني: في ذكر بعض أوليائها والتعريف بهم، وبه 20 صفحة من 11 إلى 30.
- المقصد الثالث: في ذكر بعض علمائها والتعريف بهم، وبه 9 صفحات من 30 إلى 38.
- المقصد الرابع: في ذكر الدول التي حكمتها وهي تسعة وبه 486 صفحة من 38 إلى 523.
- المقصد الخامس: في ذكر مخزنها وهو عين المراد، وبه 59 صفحة من 523 إلى 582. وتنقص به ثماني صفحات من 538-545.

وليس لهذا المخطوط تاريخ محدد لتأليفه، ولكنه ألف في نهاية عقد الثمانينات ومطلع التسعينات من القرن التاسع عشر، وذلك استناداً إلى كلام المؤلف نفسه فيما أورده في صفحتي 520 و 521 حول تواريخ حكام الجزائر وهران. فقد قال عن الحاكم العام تيرمان بأنه «تولى يوم 16 نوفمبر 1881م وما يزال عليها حتى الآن سنة 1890م». وقال عن سعدية كارنو الذي يحكم وهران بأنه «تولى سنة التسليم (وهي 1888) وهذا الرايس هو الموجود الآن في عام التسعين والثمانمائة والألف الموافق للعام الثامن والثلاثمائة والألف».

واستناداً كذلك إلى التقريظ الذي وضعه للمخطوط في صفحته الأخيرة السيد عبد العالي شبكه وأثبت في نهايته التاريخين 1897 م و 1314 هـ وأذن له في طبعه. وإلى التقريظ الذي وضعه له كذلك بعد التقرظ الأول، السيد عبد الرحمن بن سليمان المصري المالكي، ولكنه لم يضع له تاريخاً على أي حال.

ليس للمخطوط عناوين مستقلة، ما عدا في المقاصد الثلاثة الأولى وجزء من المقصد الرابع صفحة 57 فإن له عناوين على هوامش الصفحات توضع دائماً

تحت كلمة: قف، غير أن المؤلف يبرز عناوينه داخل الصفحات بكتابتها بالخط الغليظ، ويستعمل المداد الأحمر في كتابة الكلمات الأولى أو الحروف الأولى للكلمات في بداية الجمل والفقرات التي من المفروض أن تكون في بداية السطر، لأنه لا يتوقف إطلاقاً قبل تمام السطر ليبدأ في الآخر، كما هو متعارف حالياً، غير أنه يستعمل النقط الغليظة للفصل بين الجمل والفقرات حتى ولو مع عدم تمام المعنى، ويستعمل المداد الأحمر كذلك لوضع سطور تحت الكلمات، والحروف، وكل عناوين الكتاب من وضعنا نحن.

ويختلف عدد أسطر الصفحات، وشكل الخط، حسب الكيفية التالية:

- فالصفحات الأولى لغاية صفحة 120 تقريباً، عدد أسطرها بين 18 و 19 وخطها واسع.

- الصفحات من 120 إلى 298 عدد أسطرها بين 19 و 20. وخطها مضغوط نوعاً ما.

- والصفحات الباقية من 299 إلى نهاية المخطوط عدد أسطرها بين 24 و 30 وكتابتها مضغوطة جداً ودقيقة.

أغلب الصفحات استعمل فيها المؤلف المداد الأحمر، والباقي لم يستعمل فيها، وهناك بعض الأوراق يقطعها، ويستبدلها بغيرها ويلصقها الصاقاً. وهذا واضح في عدة مواطن من المخطوط. وبما أن المخطوط يتألف من 30 كراساً فإن المؤلف رقمها كلها في بدايتها على اليسار بالتتابع من 1 إلى 30 وذلك بوضع الرقم فوق حرف الكاف هكذا: ك². ويعني كراس 2.

ومما تجدر ملاحظته هنا أن كل عناوين الكتاب من وضعنا نحن ولم نحاول أن نشير لكل أخطاء الكتاب اللغوية، والرسم، لأنها كثيرة جداً. وتتطلب الإشارة إليها زيادة لا أقل من ربع حجم الكتاب. كذلك تجنبنا التعقيب والتدخل كثيراً في المعلومات لأن ذلك يتطلب زيادة حجم الكتاب بالنصف على الأقل.

وقد كانت تجربة التعليقات في المقاصد: الأول، والثاني، والثالث، خير دليل على هذا. إذ زادت على حجم كل مقصد على حدة.

محتويات المقاصد الخمسة

ـ المقصد الأول: يقع في عشر صفحات، وموضوعه فيمن بنى وهران وأي وقت بنيت، ومن أمر بينائها، ومن أشرف على ذلك، وفي وصف الرحالة والمؤرخين لها. وقد ذكر المزري أنها بنيت في القرن الثالث الهجري، ولكن هناك خلاف في السنة. فالحافظ أبوراس له روايتان:

الأولى: في كتابه، عجائب الأسفار، مفادها أن مغراوة هي التي بنتها بأمر من الخليفة الأموي بالأندلس عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل، والذي أشرف على بنائها هو خزر بن حفص بن صولات بن وزمار ابن صقلاب، بن مغراو الزناتي المغراوي. وهذا يعني أنها بنيت في وسط القرن الثالث لأن عبد الرحمن بن الحكم تولى الخلافة عام 206 هـ، وتوفي في ربيع الآخر عام 288 هـ، كما في المختصر لأبي الفداء.

الثانية: في كتابه: عجائب الأخبار، والخبر المعرب، وتفيد أن الذي بناها هو خزر بن حفص حقيقة، ولكن الذي أمر بينائها هو الخليفة الأموي بالأندلس أبو محمد عبدالله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل، وذلك أما سنة 290 أو 291 أو 292. وقد رجح الزباني الذي نقل عليه، التاريخ الثالث والأخير لأن هذا الخليفة تولى الخلافة عام 275 وتوفي عام 300 هـ كما في مختصر أبي الفداء. وقد بناها قبل وفاته بعشر سنوات كما في دليل الحيران.

أما عبد الرحمن الجامعي فقد ذكر في شرحه على الحلفاوية أنها بنيت من طرف مغراوة وفي أيام أمرائها، ولكنه لم يحدد السنة وتجنب ذلك حتى لا يقع في حرج أو خطأ. بينما أكد كل من محمد بن يوسف القيرواني، وأبي عبيد الله البكري، وابن خلكان، والرشاطي، والصفدي، كل في تاريخه بأن الذين بنوها هم: محمد بن أبي عون، ومحمد بن عبدوس، ومحمد بن عبدون، وجماعة من البحارة الأندلسيين الذين كانوا يتجمعون مرسى وهران، مع نفزة وبني مسقن، وهم بنو مسرغين من أزديجة وكانوا أصحاب القرشي، وهو الخليفة الأموي بالأندلس، وذلك عام 290 هـ.

وقد استعرض أوصاف الرحالة والمؤرخين لها كالزباني، وابن خلكان، وأبي راس المعسكري، كل ذلك نقلاً حرفياً عن دليل الحيران لشيخه محمد ابن يوسف الزباني في ست صفحات كاملة.

- المقصد الثاني: في ذكر بعض أوليائها بحسب الاستطاعة والتعرض بالذكر لمن هو منهم شريف، وقد اعتمد فيه على دليل الحيران حرفياً ومما قاله بالحرف الواحد: «اعلم أيديني الله وإياك بأنواره ونفعني وإياك بأسراره أن أولياءها عددهم كثير، وحصرهم عسير ولكني أذكر منهم المشاهير كما ذكرهم شيخنا الزباني في الفصل الثالث من دليل الحيران وأنيس السهران.

وقد استعرض المؤلف في هذا المقصد سير ومناقب، وحياة عدد من أولياء وهران عددهم حوالي 53 ولياً صالحاً، وتوسع في ترجمة البعض مثل الشيخ محمد بن عمر الهواري، الذي خصه بثمانى صفحات وتلميذه إبراهيم التازي الذي خصه بأربع صفحات ونصف الصفحة. أما الباقي فقد اختصر تراجمهم في ما بين نصف الصفحة، وثلاثها وربعها وسطر، ونصف السطر، بل أن عدداً كبيراً منهم أوردتهم بأسمائهم فقط، وذلك لقلة المعلومات عنهم لديه على ما يبدو.

ومن ضمن من ترجم لهم إلى جانب من ذكر: سيدي هيدور، ودادة أيوب، ومحمد بن ييقي، وسيدي غانم، وعبدالله بن خطاب، وأحمد بن أبي جمعة الوهراني، وبلخير الجماعي، وسيدي الغريب، وسيدي البشير بن يحيى، وبدر الدين، وسيدي السنوسي، والخروطي، ومحمد بن يعزى، وسيدي قادة بالمختار، وعبدالله رحو التيجيني، وفرقان الفليتي، وسيدي أحمد الفيلاي الضرير. كل ذلك في 20 صفحة من المخطوط.

- المقصد الثالث: في ذكر بعض علمائها من حيث بنيت للآن. اعتمد فيه كذلك على دليل الحيران للزباني، وقال: «اعلم أيديني الله وإياك بنوره، ونفعني وإياك بسره، ووقانا من ضروره أن علماءها عددهم كثير وحصرهم شديد عسير، ولكني أذكر منهم إن شاء الله تعالى المشاهير كما ذكرهم شيخنا الحافظ المحقق سيدي ومولاي، وسمط محياي العالم الرباني الشريف الحسن أبو عبدالله محمد ابن يوسف الزباني في الفصل الثالث من كتابه دليل الحيران».

وقد ترجم لحوالي 63 عالماً، توسع في البعض منهم واختصر في الباقي كما فعل في مقصد الأولياء. وكرر في هذا المقصد ذكر عدد من أولياء وهران عدهم من العلماء كذلك، وهم: الشيخ الهواري، وإبراهيم التازي وسيدي يحيى البوعناني، وسيدي محمد بن يقي، وسيدي غانم، وأحمد بن أبي جمعة المغراوي.

ومن العلماء الذين ترجم لهم كذلك: أبو إسحاق إبراهيم الوهراني وأبوتميم الواعظ، وأبوزيد عبد الرحمن مقلش، وأبو عبدالله محمد بن أبي جمعة الوهراني المغراوي، والكاتب المستغامي محمد بن حسن، والسيد أحمد ابن الخوجة، ومصطفى بن عبدالله الدحاوي، والشيخ الطاهر بن الشيخ المشرفي، ومحمد بن عبدالله سقاط المشرفي، والحاج عبد القادر بن مصطفى المشرفي، والخوجة السيد مسلم بن عبد القادر الذي كان كاتباً لدى الباي الباهي حسن آخر بايات وهران. كل ذلك في تسع صفحات.

- المقصد الرابع: وهو أطول مقاصد الكتاب يحتل خمسة أسداس المخطوط تقريباً. ويشغل 486 صفحة كاملة. وقد تحدث فيه المزاري على الدول التي حكمت وهران والمغربين الأوسط والأقصى على سبيل الترتيب من يوم بنيت إلى زمن المؤلف وعددها تسعة كما في دليل الحيران دائماً، وهي:

- 1- دولة الأمويين بالأندلس القائمين بأمور زناتة وعمالهم مغراوة وأولهم خزر، وذلك في 4 صفحات من 38 إلى 41.
- 2- والعبيدون وهم الشيعة في 15 صفحة من 41 إلى 56.
- 3- والمرابطون وهم الملتزمون في 12 صفحة من 57 إلى 68.
- 4- والموحدون في 23 صفحة من 68 إلى 91.
- 5- والزيانيون وهم بنو عبد الواد في 13 صفحة من 91 إلى 104.
- 6- والمرينيون بنو أحمامة ثم الزيانيون في 33 صفحة من 104 إلى 137.
- 7- والإسبانيون في 39 صفحة من 137 إلى 176.
- 8- والأتراك وهم الترك في 141 صفحة من 176 إلى 317.
- 9- والفرنسيين في 208 صفحة من 317 إلى 523.

وقد أكثر المؤلف في هذا المقصد من الاستطرادات التي أخرجته تماماً عن موضوعه الأصلي، وأغرقت تاريخ وهران في محيط تاريخ العالم كله تقريباً وخاصة بلدان المغرب، والأندلس، وفرنسا، والبلاد العثمانية بالمشرق، وسنحاول أن نقدم فيما يلي موجزات ومختصرات، لما توسع فيه من تاريخ هذه الدول أو العهود التسعة، للتعريف بمحتوياتها، والتنبيه إلى ما هو مهم منها:

أولاً: الدولة الأولى بنو أمية وعمالهم مغراوة وأولهم خزر بن حفص الذي اختطها وبنائها في القرن الهجري الثالث، وكان جده الأعلى وزمار بن صقلاب ابن مغراو، قد أسلم على أيدي عبدالله بن سعد بن أبي سرح، فأرسله ضمن وفد إلى المدينة لمقابلة الخليفة الثالث لرسول الله، سيدنا عثمان بن عفان، فجدد إسلامه على يديه كذلك، ومن ثم بقيت مغراوة موالية لبني أمية، مثلما فعلت صنهاجة عندما بقيت موالية للعلويين العبيديين بإفريقيا.

وقد أورد المؤلف تفاصيل عدة عن أحداث وهران وولاتها المغراويين بعد خزر مثل ابنه محمد، والخير بن محمد، وتحدث عن إحراقها عام 297 هـ وتجهيدها في العام الموالي وعن حروب محمد بن خزر مع أزديجة وعجيسة، وصلات ابنه الخير بالمروانيين بالأندلس خاصة عبد الرحمن الناصر، واتساع ملكه على معظم المغربين الأوسط والأقصى إلى السوس الأدنى، والصحراء، وحروبه مع الشيعة، وغزوه لبسكرة والزاب والمسيلة وتدويخه للمغرب الأوسط تدويخاً كاملاً إلى أن حصل خلاف له مع أبيه، شديد، فأرسل الخليفة الناصر من الأندلس قاضي قرطبة الفقيه منذر بن سعيد الولهاسي البلوطي ليصلح بينهما، ويبقى الأمر هكذا حتى سيطر الشيعة العبيديون على وهران. وقد استغرق ذلك أربع صفحات نقلها من دليل الحيران.

ثانياً: دولة الشيعة الرافضة، والعبيديون، والعلويون، والفاطميون، وقد شرح فيها أسباب تسميتهم بهذه الأسماء والألقاب وسيطرتهم على وهران. وانتقال الحكم فيها إلى بني يفرن، وقيام يعلي بن محمد اليفريني ببناء مدينة إيفكان عام 338 هـ، في ضواحي بني راشد بسفح جبل أوسلاس، ونقله سكان وهران إليها بعد أن خربها، ونقل مقر حكمه إليها كذلك، ثم شرح بعد ذلك

كيف مال محمد بن الخير بن خزر المغراوي إلى الشيعة، والتحق بالمعز لدين الله الفاطمي في القيروان، وعاد مع جيش جوهر الصقلي إلى تيهرت وتم قتل اليفريني غدرًا، وخرب جوهر مدينة إيفكان وعاد محمد بن الخير إلى حكم وهران، فبث فيها وفي غيرها الدعوة الشيعية الفاطمية العبيدية، وقد استعرض أحداث الخزرين في هذا العهد الثاني وأشار إلى بناء مدينة وجدة عام 384 هـ من طرف زيري بن عطية، وإلى فساد العلاقة بين زيري بن عطية، والمنصور بن أبي عامر بالأندلس، وختم هذا العهد وهذه الدولة بذكر أسماء حكام وهران خلال العهدين: المغراوي الخزري، والشيعي الفاطمي، وذكر أنهم ستة عشر حاكمًا، عشرة مغراويون، واثنان من أزديجة وعجيسة، وواحد شيعي، وواحد يفريني، واثنان صنهاجيان. وأورد كذلك أسماء ملوك الأمويين المروانيين بالأندلس، وعددهم ستة عشر ملكًا وأسماء ملوك وخلفاء بني أمية بالمشرق وعددهم أربعة عشر، وأسماء ملوك الشيعة العبيديين، وعددهم أربعة عشر ملكًا، وملوك الأدارسة بالمغرب الأقصى وعددهم ثلاثة عشر. وملوك السليمانيين بالمغرب الأوسط وعددهم واحد وعشرون: أربعة بتلمسان، وأربعة برشقون وثلاثة بجراوة، وثلاثة بتاهرت، وسبعة بتنس. وقد استغرق الحديث عن هذه الدولة 15 صفحة من المخطوط.

ثالثًا: دولة المرابطين الملتهمين، ابتداء من يوسف بن تاشفين مؤسس مدينة مراكش، وقد استعرض فيها أحداث هذه الدولة في المغربين الأقصى، والأوسط، والفتوحات والتوسعات التي قامت بها، وبناء مدينة مراكش، وأحداث وهران ومشاكلها خلال ذلك، وذكر أن ملوك صنهاجة الملتهمين، الذين يبلغ عددهم اثنين وأربعين أميرًا ينتمون إلى ثلاثة فرق هي:

1- البولكانية: نسبة إلى بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي، وعددهم خمسة وعشرون ملكًا: عشرة بإفريقيا (تونس)، وعشرة ببجاية وواحد بالمغرب الأوسط، وأربعة بالأندلس.

2- المرابطون الملتهمون اللمتونيون: وعددهم اثنا عشر.

3- الغانية: أو بنو غانية أولاد المرأة التي يقال لها غانية وهي بنت عم يوسف ابن تاشفين. وعدد ملوكهم خمسة ما بين بجاية وتونس.

وقد استغرق الحديث على هذا العهد 12 صفحة من المخطوط.

رابعاً: دولة الموحدين، وقد تحدث فيها عن سبب تسميتهم بالموحدين وعن المهدي بن تومرت داعية هذه الدولة، ونسبه، ودعوته، وعن عبد المؤمن ونسبه، وأصله، وسيرته، وأوليات حياته، وبداية حكمه، وفتوحاته، وقيامه بمسح جغرافي لبلدان المغرب من برقة إلى واد نون بالسوس الأقصى، بالفراسخ، والأميال، طولاً وعرضاً، مع إسقاط الثلث بعد ذلك الذي يشغل الأودية، والجبال، والغابات، والشعاب، والسباخ، والطرق، والخرابات، وذلك من أجل تحديد الخراج بها. وتحدث عن قيام عبد المؤمن ببناء مدينة البطحاء بأرض هواره، ومدينة الفتح بجبل الفتح في الأندلس التي نقل إليها عدداً من سكان الحشم بإفريقيا للاستقرار بها.

وبعد ذلك استعرض تاريخ خلفائه من بعده، وأحداثهم وحروبهم أحياناً بإيجاز وأحياناً بالتفصيل، وختم ذلك بإيراد إحصاء لعدد ملوك وأمراء هذه الدولة الموحدية وعددهم 47 ملكاً: منهم 14 بالمغرب الأقصى، و 29 بإفريقيا (تونس)، و 3 ببجاية، وواحدة بالمهدية وطرابلس، وحدد الأقاليم والأوطان التي وصل إليها حكمهم، وخضعت لهم واستغرق ذلك 23 صفحة من المخطوط.

خامساً: الدولة الخامسة وهم الزيانيون وبنو زيان، والعبدلواديون، وبنو عبد الواد، وقد تحدث فيها عن سبب تسميتهم بذلك، وأصلهم ونسبهم، وكيفية وصولهم إلى الحكم ابتداء من جابر بن يوسف بن ياغمراسن واستقلالهم بتلمسان والمغرب الأوسط، واستعرض أحداث أمراء هذه الدولة وتاريخ وهران وأحداثها خلالها، وأورد بعض الصراعات والحروب التي كانت تحصل بين بني زيان وبني مرين حول السلطة والنفوذ على كل أقاليم المغرب العربي، وتدخل بني حفص في الصراع كذلك، وما انجز عن ذلك من التقلبات السياسية والتمردات، والانقلابات. وقد استغرق ذلك 13 صفحة من المخطوط.

سادساً: دولة المرينيين ويقال لهم بنو أحمامة، وقد تحدث عن تسميتهم، ونسبهم، ومواطنهم بالزاب، وفيقيق، وتافيلالت وملوية، وعن كيفية وصولهم إلى الحكم، وأول ملكهم بالمغرب الأقصى عبد الحق، ومن جاء بعده من الأمراء

والملوك، هذا وراء الآخر، مع اختصار أحداثهم إلى عهد أبي الحسن المريني، وابنه أبي عنان، وما حصل بينهما من الأحداث والمشاكل.

وخلال هذا شرح أحداث وهران وتعاقب الحكم فيها بين بني زيان وبني مرين حوالي خمس مرات مثلما حصل لتلمسان وباقي المغرب الأوسط، نظراً لحدة الخلافات والصراعات بين الفريقين، وقد استغرق ذلك 33 صفحة من المخطوط.

سابعاً: «الدولة السابعة وهم الإشبانيون، ويقال لهم السبنيول سمووا بذلك نسبة لمدينة إشبانيا بقطع الهزمة المكسورة وسكون السين المهملة، وفتح الباء الموحدة من أسفل بعدها ألف ساكن، ثم نون موحدة من أعلى مكسورة ثم ياء مثناة من تحت بعدها ألف مقصورة». وقد تحدث فيها عن عاصمة إشبانيا ماتريج (مجريط)، وموقعها، وموقع إشبانيا ومساحتها، والدول والملوك الذين تعاقبوا عليها، وسكانها، وعددهم وأصولهم، وأقسام إشبانيا السياسية الثلاثة عشرة، الثمانية الساحلية والخمسة الداخلية، وأشهر مدنها، وجبالها، وأنهارها، وأنهار العالم كلها، وجباله، وموقع إشبانيا في أوروبا، وباقي القارات الخمس، وسكانها ودول العالم جميعها، في القارات الخمس. وقد توسع في الحديث عن أصل السكان الإشباني إلى أن وصل إلى عهد فيردينند، وإزابلا، الكاثوليكين في القرن 15 م. واستعرض بعد ذلك أحداث الغزو الإشباني لوهران والمرسى الكبير، وضواحيهما وأحوازيهما بكثير من التفصيل وشرح سعي الإشباني لتركيز وجودهم بهما، وفرض سيطرتهم على المناطق المجاورة ومقاومة السكان لهم، وتحدث عن سكان هبرة، وأصلهم وفروعهم، واستعرض الغزوات الإشبانية، وتوسعاتهم خارج وهران على طول سواحل الجزائر، وتونس، وطرابلس، وتتبع تاريخ ملوك الإشباني أمثال فرديند الأول، وفيليب الأول والثاني، والثالث، وكارلوس الأول، والثاني، والثالث، والرابع، واستطرد للحديث عن قدوم الأتراك إلى مدينة الجزائر ابتداء من خير الدين وعروج وسعيهم لتحرير وهران ابتداء من حسن بن خير الدين إلى الباي شعبان الزناقي، واغتنم فرصة حديثه عن محاولة السلطان العلوي إسماعيل تحرير وهران، فأورد أسماء ملوك بني وطاس بفاس،

وملوك العلويين، وأشار إلى التحصينات الإسبانية بوهران، واستغرق ذلك 39 صفحة من المخطوط.

ثامناً: «دولة الأتراك وهي الدولة الثامنة التي حكمت وهران وقد تحدث عن أصل الأتراك، ومنبتهم، وبلادهم في أقصى المعمورة وما وراء النهر إلى الصين، والسد الذي بناه ذو القرنين، وعن انتشارهم في الأرض، وإسلامهم، وجدهم الأول عثمان، ونسبه، إلى آدم عليه السلام، وأخذ بعد ذلك يستعرض تاريخ ملوك وسلاطين العثمانيين إلى عهد السلطان عبد الحميد الثاني الذي كان يحكم في عهده أواخر القرن 19 م ثم تطرق للحديث عن وصول الأتراك إلى الجزائر، وأسباب ذلك وتاريخه، واستعرض حكاهم وأمرأهم بها، مع أحداثهم ابتداء من عروج وخير الدين إلى الداوي حسين باشا آخرهم بالجزائر.

وتوقف عند أحداث استعادة الإسبان لوهران عام 1732 بعد أن حررها بوشلاغم قبل ذلك عام 1708 لمدة ربع قرن، وأرخ للأحداث التي تلت ذلك، والغزوات الإسبانية المتكررة على الجزائر خلال عهد الداوي محمد عثمان باشا في أعوام 1775 و 1783، و 1784 م. أثناء حكم الملك الإسباني كارلوس الثالث، وعاد بعد ذلك للحديث عن فتح وهران، وتحريرها التحرير الثاني والنهائي على أيدي البطل الشجاع الباي محمد بن عثمان الكبير، وحشد من طلبة العلم، والفقهاء والعلماء، وحفاظ القرآن الكريم، وأورد حكايات وتفاصيل كثيرة حول الموضوع. ثم استطرد للحديث والتاريخ عن باقي ملوك إسبانيا قبل أن يعود للتأريخ عن نظام الحكم التركي بالجزائر الإداري والعسكري وأجهزة الحكم، وأقسام البايليكات، وأجهزة الحكم، والألقاب، والرتب، والتخصصات، وتحدث عن عواصم بايليك الغرب: مازونة مع باياتها، وتلمسان مع باياتها، ثم قلعة بني راشد، ومعسكر، ووهران ومستغانم أخيراً، وشرح أجهزة حكم البايات، وتنظيماتهم الإدارية والسياسية والعسكرية، والاقتصادية، واختصاصات الموظفين، ورتبهم، ونظام الدنوش.

وبعد كل هذا شرع في الحديث والتأريخ بالتفصيل، لبايات بايليك الغرب ابتداء من حسن بن خير الدين إلى مصطفى بوشلاغم المسراتي وأبنائه، والباي

محمد بن عثمان الكبير وابنه عثمان إلى أن وصل إلى الباهي حسن آخر بايات
وهران وبايليك الغرب وقد خصص حيزاً كبيراً للحديث عن البايات المسراتية،
وأعمالهم ومنشآتهم العمرانية في معسكر، ومستغانم، ووهران، وقلعة سيدي
راشد، كما خصص حيزاً كبيراً للحديث عن ثورة درقاوة، والتيجاني ضد بايات
بايليك الغرب، وما حصل خلالهما من الأحداث والتطورات، والحروب،
والقلاقل والاضطرابات وتحدث عن قبائل المخزن الخمسة ببيليك الغرب وهي:
الدوائر، والزماله، والغرابه، والبرجية، والمكاحلية، ولم ينس أن يتحدث عن مقتل
الرئيس حميدو خلال مواجهته للمراكب الأمريكية في البحر، وعن الصلح الذي
تم على أثر ذلك بين الجزائر، وأمريكا، وغارات الإنكليز على الجزائر، إلى أن
وصل إلى حملة الاحتلال الفرنسي على الجزائر عام 1830 م، وقد استغرق ذلك
141 صفحة من المخطوط. وقد استقى كل معلوماته ونقلها عن دليل الحيران.

تاسعاً: وثم ملك وهران الدولة التاسعة وهي الفرنسيين ويقال لهم أيضاً
الفرنج، فتسميتهم بالفرنج قديمة التأسيس ثم سميتهم العامة بعدها بالفرنسيين
نسبة إلى بلدة افرانسا بقطع الهمزة، وهي قاعدتهم القديمة، وملك دارهم
القويمة، وتقرأ بالجييم بدل السين أيضاً لا حرجاً كما قال ابن خلدون.

وقد تحدث عن نسب الفرنسيين، ومملكتهم، وموقعها، وحدودها
وعاصمتهم، وموقع فرنسا من أوربا، وسكانها، ونسلهم، وديانتهم، وعددهم
ومساحة فرنسا، وأشهر مدنها، وموانئها، وخليجاتها، وجبالها، وأوديتها وجزرها،
وبواغيزها، والشعوب، والدول، التي توالى عليها من الإغريق إلى اللاتين،
والفرنجة، والغالبين، وشرع بعد ذلك في الحديث والتأريخ لملوك فرنسا ابتداء
من فرامون الذي تولى سنة عشرين من القرن الخامس الميلادي إلى نابليون
الثالث، وعددهم ثلاثة وسبعون ملكاً فاستعرض أحداثهم أحياناً باختصار، وأحياناً
بتوسع، سواء في فرنسا أو خارجها، وذلك زيادة على رؤساء الجمهوريات الذين
جاؤوا بعدهم وقد قسمهم إلى أربع طبقات:

1 - الميروفينجيون، وعدد ملوكهم 22.

2 - الكارلوفينجيون وعدد ملوكهم 13.

3 - الكبيسان وينقسمون إلى ستة فروع:

- أ - الكابي وعددهم 14.
- ب - روميارد وقالوا وعددهم 7.
- ج - دورليان وعددهم واحد.
- د - سيفوائد ديفيلوا وعددهم 5.
- هـ - بوربون، وعددهم 5.
- و - أورليان وعددهم 2.
- 4 - النابوليونيون وعددهم 3.

وقد عدد المؤلف سلاطين فرنسا كما قلت واحداً وراء الآخر من فرامون أوائل القرن الخامس الميلادي إلى شارل العاشر الذي تم في عهده احتلال الجزائر، ولويس فيليب بعده الذي تمت في عهده مقاومة الأمير عبد القادر التي دامت سبعة عشر عاماً كاملة، ومن الأحداث التي تناولتها: الحروب الصليبية، ودور الأمراء الفرنسيين فيها، وغزو لويس التاسع لمصر، وقصة أسره في المنصورة، وغزوة تونس، وموته بها، وقد استغرق ذلك 124 صفحة من المخطوط.

ثم تفرغ للحديث بالتفصيل كشاهد عيان، عن أحداث مقاومة الأمير عبد القادر، وجهاده وأحداثه وحروبه الواسعة، والمكثفة، واستطرد للحديث عن أعمال أبيه الحاج محمد المزري ودوره مع الأمير عبد القادر أولاً ثم مع الفرنسيين ثانياً، وعن دور عم أبيه مصطفى بن إسماعيل كذلك مع الأمير أولاً ثم الفرنسيين ثانياً مثل أبيه، واستعرض قصة تخليهما عن الأمير والتحاقهما بالجيش الفرنسي، وتعرض للحديث بالتفصيل كذلك عن كيفية احتلال فرنسا لوهران، والتفاف زعماء المخزن حول الشيخ محي الدين الغريسي الراشدي، واتصالهم بسلطان المغرب عبد الرحمن بن هشام، وعرضهم عليه أن يبائعوه سلطاناً على المغرب الأوسط كذلك مقابل إمداده لهم بالدعم المادي للمقاومة، وقبوله لذلك وإرساله ابن أخيه علي إلى تلمسان، ثم تراجعهم، وقيامهم بالإلحاح على محي الدين لمبايعة ابنه عبد القادر أميراً للجهاد والمقاومة، ومما قاله عن هذه المبايعة بالغمز واللمز: «وكان أول من مد يده فبايعه من هؤلاء

السادة السيد الأعرج بن محمد بن فريجة من أولاد سيدي محمد بن يحيى . . . ولما عقدوا له البيعة . . . قال بعض علماء وأولياء الله بغريس سبحانه الله هذه البيعة لا يستقيم لصاحبها حال، ولا يهنا له قرار ومنال، ولا شفقة له ورحمة في الأعيان وغيرم من النساء والرجال وإنما هو سفاك للدماء، وليس من السادات الرحماء لكون أول من بايعه اسمه الأعرج، والمحل المبايع فيه اسمه الدردارة، فلا ريب أن أيامه وأحكامه وأحواله عرجاء ولا تستقيم وإنما تبقى مدردارة، وهلا كان اسم ومحل غير هذين من الأسماء التي يكون بها التعاون ولا تدل على الريب والبين، قلت وكأنه أخذ في فراسته من قضية المبايعه للإمام سيدنا علي ابن أبي طالب . . . لأن أول من بايعه سيدنا طلحة بن عبد الله أحد العشرة . . . وكانت يده قد شلت في قضية أحد فيما اشتهر فقال حبيب بن فؤيد . . . إنا لله وإنا إليه راجعون، وأول من بدأ بالمبايعه يد شلاء لا يتم هذا الأمر. ولما سمع الأمير الراشدي المقاتلة (كذا) أسرها في نفسه وأضمر الفتك بمن سيظفر به من علماء وأولياء غريس، فكان بعد ذلك بينه وبينهم من العداوة الواضحة التغريس» (ص 402).

وبعد هذا استطرد المؤلف للحديث عن المخزن، وإحداث الدواير والزماله واستسلامهم للفرنسيين وإمضائهم معهم معاهدة من 12 بنداً لتنظيم العلاقة بينهم. وقد تحدث بتوسع عن مقاومة الأمير عبد القادر ومعاركه كما قلنا، وذكر أحداث أسرى سيدي إبراهيم، وعين تيموشنت وبلعباس وتلمسان، ومعارك المقطع والهبرة، وآرزيو، ومستغانم ووهران، ومسرقين، وموقف سلطان المغرب الأقصى عبد الرحمن بن هشام منه، ومحاربته له، ومقتل بالأحمر، وبعثة البوحميدي إلى فاس، وأسره وقتله بالسم، وشرح بالتفصيل كذلك بعض خلفيات استسلام الأمير عبد القادر ومما قاله في هذا الصدد: «ولما رأى الأمير قلة جيشه صعد ليلاً لبني يزناسن، ومن الغد أخذ عياله وصار بمن معه في التردد هل يرجعون لناحية الدولة أو يذهبون على وجدة لناحية توات. وقد سدت عليه الدولة طرق المجاز وهو لا علم له بذلك، ثم أسرع السير بقصد أن يأخذ أسفل الجبل ويصعد على وجدة ويذهب لصحراء المغرب إلى أن يصل إلى توات، ويستريح من جميع المهالك، فبينما هو سائر إذا به وجد نفسه قد دخل بعسة الدولة وكان

في تلك العسة رجلان أحدهما يقال له محمد بن خوجة الزمالي والآخر يقال له أحمد بن خطاب الدايري، وهما من أهل السياسة في الفعلة والقولة، فاجتمعا به وعرفاه بأنفسهما وقالوا له أيها الأمير أين تريد الذهاب، فأخبرهما بالواقع، فقالا له نحن لا طاقة لنا على إهلاكك ولا تسريحك للجواز بغير ارتياب، ولكن الرأي عندنا الذي ندلك عليه هو أن تسلم نفسك للدولة وتكتب لهم بأنك رجعت لهم برضاك ونحن نضمن لك إن شاء الله تعالى أن لا يقع لك شيء وتريح نفسك من هذا التعب ونحن من تلامذتك فقد رأينا لأن لك مصلحة وتصير من أهل الراحة لا من أهل الوصب. فقال، فوافقهما على ذلك وكتب لهما كتاباً للجنرال لمنسيير (لامورسيير) يطلب فيه من الدولة الأمن والأمان، فأخذ محمد بن خوجة الزمالي تلك الرسالة وذهب مسرعاً لولد الرأي، وأبي هراوة (لامورسيير) «ص 508».

وقد ترجم المؤلف للأمير بعد استسلامه وتبع مراحل حياته باختصار في فرنسا، ودمشق الشام إلى أن توفي عام 1883 م، وأشاد به وبخصاله، وأعماله، وبعد ذلك ترجم لحياة نابوليون الثالث، الحاكم الثالث والسبعون. من ملوك فرنسا، وأشار إلى أحداث ثورة أولاد سيدي الشيخ باختصار، وإلى زيارة نابوليون الثالث للجزائر عام 1860 وعام 1865، وأورد خطابه الذي ألقاه على السكان الجزائريين.

وختم هذا المقصد الرابع، وهذه الدولة التاسعة، باستعراض أسماء الحكام الفرنسيين الذين حكموا الجزائر إلى عهده وعددهم 27 حاكماً، آخرهم ترمان الذي كان ما يزال يحكم تلك السنة عام 1890 وأسماء الضباط الذين حكموا وهران وعمالها وعددهم 14 حاكماً لغاية عام 1890 كذلك.

وذكر أن مساحة عمالة وهران 11,572,972 هكتاراً، منها:

- 2,979,972 هـ تخضع للحكم المدني.

- 8,572,800 هـ تخضع للحكم العسكري.

وأن فرنسيي الجزائر ينقسمون إلى ثلاثة طوائف:

1- الخاصة: وهم العسكريون ويتوزعون على سبعة أصناف أو

طبقات:

الكبلار: والمرسلوجي: والفسيان: (L'officier).
والقبطان: (Le capitaine) والكماندات: (Le commandant) والكولونيل:
(Le colonel). والجنرال (Le General)⁽¹⁾.

2- العامة: وهم المدنيون، وعبر عنهم بطبقة العمومي، ويتوزعون إلى
أربع طبقات:

المير: (Le Maire) والأدمنستراتور: (L'administrateur).
والسوبريفي: (Le sous - Préfet) والبريفي: (Le Préfet).

3- الشرعي: وعددهم أربعة:
الجوج: (Le Juge) ووكيل الدولة: (Procureur D'etat).
والبريزيدان: (Le Président) والبروكيرو جينيرال: (Procureur
General)⁽²⁾.

وقد استغرق هذا العهد التاسع أو هذه الدولة التاسعة 208 صفحة من
المخطوط، وهو ما يمثل ثلثي المخطوط كله: ويبدو أنه أراد أن يتقرب من
السلطات الفرنسية بتوسعه في عهدهم وفترتهم، وتاريخ بلادهم فرنسا، فأقحم
نفسه في موضوع ليس من تخصصه، ولا شك أن أحداً من المتخصصين هو
الذي زوده بالمعلومات التي صاغها في مخطوطه بأسلوبه هو، أو أسلوب من
كتب المخطوط كله.

- المقصد الخامس: في ذكر مخزنها وهو عين المراد، واستغرق 60 صفحة
من المخطوط رغم أنه عين المراد كما ذكر المؤلف نفسه. وقد استعرض فيه
المؤلف فرق المخزن والعائلات المخزنية بكثير من التفصيل وأورد شجرات

(1) الكلمة الأولى والثانية لم نفهم معناهما والباقي وضعنا أمام كل واحدة نصها الفرنسي
الأصلي وترجماتها الحرفية: الضابط، والقائد، والمقدم، والعقيد، واللواء.

(2) الكلمات الفرنسية من وضعنا ومعناها على التوالي: شيخ البلدية، والمحافظ، ونائب
الوالي، والوالي، والقاضي، ووكيل الدولة، والرئيس، ووكيل الدولة العام.

النسب لها ولفروعها، وفرقها في الغرب الوهراني، وذلك منذ عهد الأتراك حتى عهده هو أواخر القرن 19. وقد تتبع أصول هذه العائلات منذ القدم بالجزيرة العربية، وخلال هجرة عرب بني هلال إلى هذه البلاد المغربية، ووضع ذات الأصل العربي من غيره، وتبع تاريخ زعمائها من العهد التركي إلى عهده هو. وتأثر بابن خلدون في وضع شجرات نسب فرق وقبائل المخزن.

وقد عرف المزري المخزن بقوله: «إن المخزن هو الناصر للدولة كيفما كانت، وحيثما وجدت وتملكت وياتت، والنسبة إليه مخزني، ومخازني، مفرد المخازنية في تحقيق المباني وسمي بذلك لأنه يخزن بصدرة ما يولمه إلى وقت الظفر وحصول الانتقام فيفعله بصاحبه وبه يلزمه، وقد يطلق المخزن مجازاً على دار الحاكم نفسها في المستتب ومنه قولهم إني ذاهب إلى دار المخزن».

ثم ذكر أن مخزن وهران على قسمين وهما: المخزن الشرقي والمخزن الغربي، فالشرقي هو نجع المكاحلية، وأولاد سيدي عربي، وصبيح، وأولاد العباس، وغيرهم من أهل النواحي الشرقية من واد مينا إلى واد الشلف.

والغربي هو نجع الدواير، والزماله، والغرابه، والبرجية، لاغير. فالدواير والبرجية إخوة يتناوبون الخدمة بينهما ويتداولونها وأصل الرياسة في الدواير للبحايشية، وخلال عهد الأتراك صارت تدور بين ثلاثة فرق ومجموعات هي: البحايشية، والكراطة، والبناعدية. وصارت في عهد إيالة الدولة (الفرنسيين) للدوايرية ذات المحايشية. وهي نوبة بين هذه الفرق الأربعة بالترتيب، ولو أن البحايشية هي أكثر الفرق التي تتولى رياسة المخزن.

وأصل الرياسة في البرجية نوبة بين فريقين في إيالة الترك وهما: النقايبية والبلاغة والزبانين، وفي عهد الأمير (عبد القادر) انتقلت لغيرهما، ثم عادت لهما في عهد الفرنسيين مدة قبل أن تتمخض للنقايبية.

ويستمي البحايشية إلى أولاد المسعود من سويد، وينحدرون من عرب بني هلال: المحال، أو المطارف، على خلاف في ذلك بين المؤرخين. وكان جدهم المسعود صاحب الرياسة على سويد خلال عهد بني مرين وبني زيان، وتوارث أبناؤه الرياسة أباً عن جد خاصة في عهد الأتراك العثمانيين.

وينقسم البعثاويون أولاد البشير البعثاوي إلى أربع طبقات:

الطبقة الأولى: أولاد إسماعيل البعثاوي، وعددهم سبعة أخوة هم: قدور الكبير، وعثمان، وقدور الصغير، ومصطفى، وعدة، ومحمد، والحاج بلحضري. وقدور الكبير هو والد الحاج محمد المزري والد المؤلف بن عودة المزري.

الطبقة الثانية: أولا عدة بلبشير، وعددهم ستة أخوة ذكورهم: علي ومنصور، وقدور، وأعر، والحاج محمد، والبرادعي الكبير.

الطبقة الثالثة: أولاد يوسف بلبشير، الذي تولى قيادة الدواير على عهد الأتراك، وخلف ولدين هما: عدة، وعلي.

الطبقة الرابعة: أولاد الموفق بلبشير البعثاوي.

أما الكراطة: فهم أولاد الشريف الكرطي، واسمه عبدالله بن عبد الرزاق التلاوي القرطي من شرفاء الراشدية بمدينة الكرط إحدى مدن غريس الغربي.

أما البناعدية: فنسبة إلى جدهم بن عدة بن خدة المنحدر من ذرية الشيخ السنوسي، وأصلهم من أجواد واد الحمام، من أجواد الحشم.

وأما الدوايدية: فأصلهم من هبرة، وكان أبوهم داوود وكيلاً على آغا عثمان بن إسماعيل البعثاوي بهبرة، ومنهم الكولونيل بن داود.

وأما البرجية: فإن الرياسة فيهم انحصرت في النقايبية، والبلاغة.

فالنقايبية: ينحدر جدهم من قبيلة خلافة، وهم أبناء عم الأمير عبد القادر يجتمعون معه في الجد أحمد بن عبد القادر الشهير بابن خدة، وسموا بالنقايبية نسبة إلى محمد أبي نقاب.

وبلاغة: نسبة إلى جدهم أعرم البلغي الزباني.

وفيما يخص الزمالة والغرابية: فهم فريق صغير، وأخوة متناصرون. وقد اختصت الزمالة بتولية مناصب: الأغا، والقايد، على القسمة، والعرش، وانحصرت الرياسة في ثمانية أعراش منها وهي:

- 1 - المخاليف: نسبة إلى جدهم مخلوف، وأصلهم من بني زروال.
 - 2 - القدادرة: نسبة إلى جدهم قدور بن علي بن الحبوشي، وهم أخوة للعلايمية.
 - 3 - القرايدية: ويقال لهم المعايزية، نسبة إلى جدهم قرادة أو إلى أحمد أبي معزة بن الحبوشي والد قرادة، وهم أخوة للقدادرة والعلايمية.
 - 4 - الورادية: نسبة إلى جدهم وارد الذي ينحدرون منه.
 - 6 - المخاترة: ويقال لهم الزوابيرية، نسبة لجدهم القريب المختار، ولجدهم البعيد الزبير، ويقال لهم أيضاً أولاد يحيى بالزبير.
 - 6 - الونازرة: نسبة إلى جدهم ونزار الذي جاء على ما قيل من الساقية الحمراء.
 - 7 - اليساسفة: نسبة إلى جدهم يوسف.
 - 8 - الشوايلية: نسبة إلى جدهم أو جدتهم شائلة، وهم من الحشم بغريس.
- وأما الغرابة: فإنهم عرش ملتقط كالزماله والدواير. ويطلق لفظ العبيد على الدوار، وقد انقسم عرش الغرابة إلى عرشين: غربي، وشرقي، وانحصرت الرئاسة في عرش الغرابة في ثمانية فروع هي:
- 1 - الورادة: نسبة لجدهم موسى بن وارد.
 - 2 - العلايمية: نسبة لجدهم أبي علام بلحبوش، من منطقة تافيلالت.
 - 3 - الخدايمية: نسبة إلى جدهم أبي خادم.
 - 4 - الونانية: نسبة لجدهم ونان ابن العبد من أهل غريس.
 - 5 - السهايلية: نسبة لجدهم سهلية (أو محمد بن شاعة).
 - 6 - المحاميد: نسبة لجدهم محمود بالحشم الشراقة، وأصلهم من حميان.
 - 7 - الرفافسة: نسبة لجدهم الرفاس من أولاد عوف.
 - 8 - العوايلية: ويقال لهم أولاد بن عوالي نسبة لجدهم بن عوالي، أو جدتهم عوالي، وهم من جبال عمور بشمال الصحراء.

بعض الملاحظات حول محتوى المخطوط

ذلك هو ملخص شكل ومحتوى مخطوط: طلوع سعد السعود في أخبار وهران ومخزنها الأسود، لمؤلفه الأغا بن عودة المزارقي، ومن خلاله نخرج بالملاحظات والنتائج التالية:

أولاً: ليس هناك توازن بين مقاصده الخمسة التي هي أقسام له. فالأربعة مقاصد من ضمن الخمسة لا تحتل سوى سدس المخطوط، وبالضبط سبعة وتسعون صفحة، بينما المقصد الباقي يحتل خمسة أسداسه، وبالتفصيل: المقصد الأول يحتل ثماني صفحات، والثاني عشرين، والثالث تسعا، والرابع أربعمائة وستة وثمانين صفحة (486) والخامس تسعة وخمسين.

ومرد ذلك يعود إلى أن المؤلف اتبع وسلك أسلوب وطريقة الأقدمين في التأليف، فحاول أن يتحدث عن كل شيء، وأكثر من الحشو والاستطرادات، بشكل كبير وواسع، وأخرجه عن الموضوع الذي حددته لنفسه، وجعله يتيه في موضوعات بعيدة عن موضوعه، خاصة في المقصد الرابع الذي يمتد عبر فترة زمنية طويلة على مدى ثلاثة عشر قرناً والذي جعله يترك تاريخ وهران جانباً، ويؤرخ لمعظم الدول الإسلامية بالمغرب والأندلس والبلاد العثمانية بالشرق، ولبلادي فرنسا وإسبانيا.

ثانياً: ليست كل المعلومات التي جاء بها المؤلف في المخطوط صحيحة، خاصة عندما يؤرخ لبلدان أوربية كفرنسا، وإسبانيا، وبلدان شرقية كالدولة العثمانية، أو عندما يتحدث عن المعلومات الجغرافية، للقارات وبعض البلدان الأوربية، فرغم سعة المعلومات التي سردها في مخطوطه الضخم الذي يقع في 582 صفحة، إلا أنه اعتمد على السرد، والنقول الكثيرة من مصادر متعددة ومتنوعة نثرية، وشعرية، لكل ما هب ودب، ونادراً ما يدلي برأيه أو يعارض رأي غيره.

ثالثاً: لغة المخطوط سهلة، وبسيطة، ولكنها كثيرة الأخطاء والأغلاط اللغوية، وفي قواعد النحو، والصرف، والرسم، والبلاغة، ويطغى عليها السجع الممل غير البلاغي، وغير السليم من الأخطاء في اللغة والقواعد، والذي لا

يهدف إلا إلى الملائمة فقط بين خواتم الجمل والفقرات، والكلمات، ولو على حساب قواعد اللغة، والرسم والبلاغة. وقد استعمل هذا السجع حتى في اسمه في صدر الصفحة الأولى من المخطوط حيث قال: «يقول العبد الضعيف الراجي عفوره وغفران سائر المساوي، أبو إسماعيل ابن عودة الساري بن الحاج محمد المزري البعثاوي، آمنه الله بمنه وكرمه، ولطفه، آمين، آمين، آمين، آمين». وأشرنا إلى بعضها فقط بكلمة: كذا بين قوسين. وأهملنا الباقي لكثرتة.

رابعاً: اعتمد المؤلف على مصادر عديدة تفوق الخمسين، نثرية تاريخية، وشعرية أدبية، بعضها عامة، وأغلبها متخصصة، ولكنه لا يشير إلى الصفحات، أو الفصول، أو الأبواب، ما عدا في كتاب دليل الحيران. وأكثر نقوله من كتب أبي رأس المعسكري، ومن كتاب دليل الحيران لشيخه محمد بن يوسف الزياتي، واعتماده على هذه المصادر تم على ستة أشكال وطرق.

- الطريقة الأولى: يذكر فيها اسم المؤلف واسم كتابه بالكامل مثل:

- عبد الرحمن بن خلدون في كتاب العبر.
- يحيى بن خلدون في بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد.
- ابن رشيق في ميزان العقل.
- البكري في المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب.
- ابن أبي زرع في روض القرطاس.
- لسان الدين بن الخطيب في رقم الحلل.
- ابن رشيق في ميزان العقل.
- ابن أبي دينار في المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس.
- التنسي في نظم الدر العقيان في شرف بني زيان.
- أبو الفوز السويدي في مبانك الذهب.
- أبو محمد صالح في الأنيس المطرب بروض القرطاس.
- ابن هشام في التيجان.
- اليفريني في نزهة الحادي.
- ابن خلكان في وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان.

محمد بن يوسف الزباني في دليل الحيران وأنس السهران وفي أخبار مدينة
وهران.

أبو إسحاق الشاطبي في الجمان.

القسطلاني على شرح البخاري.

ابن بطوطة في تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار.

أحمد بن عبد الرحمن البوشيخي الشقراني في القول الأوسط في بعض
من حل بالمغرب الأوسط.

أبوراس المعسكري :

أ - عجائب الأسفار.

ب - عجائب الأخبار.

ج - الخبر المعرب.

د - الشماريخ.

هـ - الحلل السندسية أو نفيسة الجمان.

و - روضة السلوان.

- الطريقة الثانية: يذكر فيها اسم الكتاب فقط دون الإشارة إلى مؤلفه

مثل: صحيح الحكاية المؤذنة للنصاري بالنكاية.

در الأعيان في أخبار مدينة وهران.

بهجة الناظرين وآية المستدلين.

أنيس الغريب والمسافر.

المجسيطي.

- الطريق الثالثة: يذكر فيها اسم المؤلف مضاف إلى تاريخه هكذا:

الغازي بن قيس في تاريخه.

اليافعي في تاريخه.

أبو فارس في أرجوزته.

عبد الرزاق بن أحمدادوش الجزائري في تاريخه.

ابن سعيد المغربي في تاريخه.

أبو الفداء الحموي في مختصره.

عبد الرحمن الجامعي في رجز الحلقاوي.

- الطريقة الرابعة: يذكر فيها اسم الكتاب مسبقاً بكلمة صاحب هكذا:

صاحب أئمة الأبصار.

صاحب القرطاس.

صاحب الجغرافية.

صاحب الخميس.

صاحب الخريدة.

- الطريقة الخامسة: يذكر فيها اسم المؤلف فقط مثل:

الرشاطي - الصفدي - القلصادي - ابن رزقون - ابن مطروح - ابن نحيل

- الشيخ المشرفي - الشبراملسي.

- وهناك طريقة سادسة: لا يذكر فيها اسم المؤلف ولا كتابه وإنما يقول:

قال بعضهم، أو قال بعض مؤرخي النصارى. وهذا كله في القسم الأول من المخطوط لغاية صفحة 176 تقريباً. أما بعد ذلك ولغاية نهاية التأليف فإنه أهمل كل هذه الطرق والأشكال وأصبح يستعمل فقط الكلمات التالية: قيل، يقال، قال، يحكى.

أما عندما يستشهد بالأشعار فإنه يذكر أصحابها دائماً.

خامساً: ومع كل هذا فإن المخطوط يكتسي أهمية كبيرة من كذا وجه:

أ - في المخطوط تراجم وقوائم لعدد كبير من الشخصيات العلمية والدينية الصوفية، اشتهرت بهم وهران سواء ممن أنجبته، أو عاشوا وتوطنوا بها، حتى أصبحوا من أهلها، من القرن الثالث الهجري إلى زمن المؤلف في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، ومطلع القرن الرابع عشر الهجري، وجمع هذا الحشد من تراجم العلماء والأولياء في مخطوط واحد قلما توجد في غيره ما عدا في دليل الحيران، وذلك طبعاً بالنسبة لوهران، وليس لغيرها، ولو أن كل المعلومات نقلها عن شيخه الزباني في دليل الحيران كما اعترف هو بذلك.

ب- وفي المخطوط تفاصيل واسعة ومهمة عن مقاومة الأمير عبد القادر من أولها إلى نهايتها، أوردها المؤلف كشاهد عيان لها تدخل في إطار المذكرات والتقايد الشخصية له، وهذه التفاصيل تتيح لنا قراءة جديدة لجهاد الأمير، ومواقفه السياسية، ومعاركه العسكرية وسلوكه مع رفاقه، ومواقف رجال المخزن منه، ومنهم: المزارى نفسه وأبوه الحاج محمد المزرى، وعمه مصطفى بن إسماعيل، والدواير، والزمالة، والحشم، والعلماء، والتجار، واليهود. ومواقف الفرنسيين منه ومن العائلات المخزنية والقاعدة الشعبية. إن هذا القسم سيقدم أشياء جديدة للمكتبة التاريخية الجزائرية الحديثة، ويعطي تفاصيل جديدة، وتقيماً جديداً لكفاح وجهاد الأمير عبد القادر. وهذا مما يعطي الأهمية لهذا المخطوط، مع الملاحظة أنه ليس من اللازم أن تكون كل المعلومات التي يقدمها لنا المزارى صحيحة خاصة وأنه في النهاية أصبح خصماً للأمير، وصديقاً للفرنسيين إن لم يكن عميلاً لهم.

ج- يكتسي المقصد الخامس والأخير أهمية خاصة لأنه أرخ فيه لفرق وقبائل المخزن بالناحية الغربية من عهد الأتراك إلى زمانه وأورد تفاصيل واسعة عن أنسابها، وأصولها، ووظائفها، وسلطاتها، ونفوذها، وأدوارها سواء مع الأتراك، أو مع الأمير عبد القادر، أو مع فرنسا، وقد تأثر فيه بأسلوب ابن خلدون في وضع شجرات الأنساب.

إن هذا المقصد، بأحداثه وتفصيله الواسع، يمثل درة المخطوط ويسمح بالقيام بدراسات واستنتاجات هامة للحياة الاجتماعية، والسياسية والاقتصادية، والعسكرية، ويكشف في الوقت نفسه على مدى سعة اطلاع المؤلف، وحسن استيعابه للأحداث والتطورات السياسية والاجتماعية لهذه البلاد خاصة بإيليك الغرب الوهراني منه، هذا كله إن صح أن المخطوط من تأليفه هو.

د - كذلك يكتسي المخطوط أهمية خاصة بالنسبة للقسم الذي أرخ فيه لبإيليك الغرب وبآياته منذ أن ظهر البإيليك في مطلع القرن السادس عشر إلى سقوطه عام 1831م، وللأحداث التي تخللت ذلك مثل دور رجال وقبائل

المخزن، وسياسة البايات، وثورة درقاوة، وثورة التيجاني، وأجهزة البايليك، وتنظيماته الإدارية، والاقتصادية ومواقف السكان من الحكام.

وفوق هذا كله يعتبر هذا المخطوط موسوعة بحاله لأحداث كثيرة ومتنوعة: تاريخية، وجغرافية، واجتماعية، واقتصادية، وسياسية وعسكرية، ليس فقط بالنسبة لوهران والجزائر، وإنما لكل بلدان المغرب، والأندلس، والمشرق العربي الإسلامي، وأوروبا، وإفريقيا وآسيا، وأمريكا، والجزر الأوقيانية. وهذا بقطع النظر عن صحة المعلومات وجدتها، فهذا موضوع آخر متروك للباحثين والمحققين. ومرتبك كذلك بشخصية المؤلف نفسه ومستوى ثقافته، والفترة الزمنية التي أنجزه فيها. كل هذه الأمور والجوانب تتدخل في ذلك.

هـ- في المخطوط مجموعة كبيرة من القطع والقصائد الشعرية الطويلة والقصيرة، الفصيحة والملحونة. تتخله من أوله إلى آخره. أقصرها بيتان، وأطولها 118 بيتاً. ويوردها المؤلف للاستشهاد على حادث من الأحداث، أو تدعيم رأي أو توضيح مقولة، أو تنفيذها، طبعاً نقلاً من غيره خاصة دليل الحيران. وكتب أبي راس.

هل مخطوط طلوع سعد السعود من تأليف المزارى؟

هذا سؤال كبير، وتساول، كان مطروحاً منذ مطلع القرن الحالي ولربما كان مطروحاً في حياة بن عودة المزارى نفسه أواخر القرن التاسع عشر. وهناك خلفيات، وحديثات كثيرة فرضت إطلاق هذا السؤال، وذلك التساول، يمكن بعد التعرف عليها واستعراضها، التوصل إلى جواب قد يكون صحيحاً مائة في المائة.

وسنوجز هذه الخلفيات والحديثات في محورين اثنين:

المحور الأول: يتمثل في الإشاعات التي نقلها لنا مارسيل بودان عام 1924، ولخصها في الأمور التالية:

أولاً: شاع في أوساط المتعلمين الأهالي بمدينة وهران بأن كتاب طلوع سعد السعود في الحقيقة، والواقع، هو عمل سي محمد بن يوسف الزياتي الذي أرغم على التنازل عنه مقابل «وظيفة قاضي» لأسباب خارجة هنا عن الموضوع، واستقبل من طرف عائلة المزارى، وخدم الأخير كمعلم له.

ثانياً: ومن رأي هؤلاء المتعلمين أن ابن عودة المزارى، رجل السيف والبارود (أي الحرب)، وليس رجل القلم والسجادة، ولا يقدر بواسطة الدروس التي تلقاها عن شيخه محمد بن يوسف الزياتي، أن يؤلف كتاباً تاريخياً، وليس بإمكانه ذلك.

ثالثاً: إن مخطوط طلوع سعد السعود، مقتبس، ومنقول غالباً من مخطوط عن تاريخ وهران بعنوان: دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران. وهذا المخطوط مؤلفه معروف بالتحديد وهو محمد بن يوسف الزياتي ولكنه لم يكن قد رؤي إطلاقاً. وافترض البعض أن سي محمد بن يوسف الزياتي أعطى اسماً جديداً لمؤلفه التاريخي، وذلك مما منح الحق للمزارى، وسمح له أن يقول بأنه هو المؤلف لمخطوط: طلوع سعد السعود.

ومما ذكره مارسيل بودان في تقييمه لمخطوط طلوع سعد السعود قوله: «مهما يكن مؤلف طلوع سعد السعود، فمما لا شك فيه أنه تابع لعائلة أغوية من الدواير، أو كان يعيش في وسطها لأنه استطاع أن يقدم لنا فيه معلومات مهمة حول أحداث تخص حكومة الداى حسين، ثم إن طلوع سعد السعود يقدم معلومات مفصلة جديدة غير معروفة، أو يكمل، أو يصحح، معلومات كانت معروفة من قبل.

«وعلى العكس في بعض الأحيان يسكت إطلاقاً عن بعض الأحداث مثل قيام الباى حسن بقتل صهره المخاص مصطفى تشورمي: Tcheurmi وأحياناً يشرح بكيفية سيئة سكوته عن حدث كان بإمكانه أن يوضحه ويعدله، حتى في بلاد الإسلام، حيث حوادث عائلته حصلت بكيفية متواترة».

«وطريقة المؤلف في التأليف واضحة، وسريعة السرد، عن طريق السجع.

يتوسع أحياناً، ويفصل أحياناً، ويستعمل أحياناً ألفاظاً وجمللاً لا معنى لها إطلاقاً سوى كونها تتلاءم مع السجع⁽¹⁾.

المحور الثاني: يتمثل في المقارنة بين كتاب: دليل الحيران للزياني، وطلوع سعد السعود للمزاري فيما يخص: المخطط، والعناوين والأقسام، والترتيب، والمحتوى. وهذه المقارنة هي التي ستكشف لنا الحقيقة، وأكاد أجزم أنها ستقدم لنا الجواب الصحيح.

المقارنة بين دليل الحيران وطلوع سعد السعود

فيما يلي هذه المقارنة مع العلم بأن كتاب دليل الحيران الذي اعتمدناه في هذه المقارنة، هي النسخة التي حققها ونشرها الشيخ المهدي البوعبدللي البيطوي، وليس المخطوط نفسه. وهي نسخة مبتورة في الوسط، وفي الأخير، ولكنها مع ذلك صالحة للمقارنة كما سنرى:

- قسم محمد بن يوسف الزياني كتابه: دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران إلى أربعة فصول:

الأول: في التعريف بوهران.

الثاني: في ذكر من اختطها وأي وقت ولماذا سميت بوهران.

الثالث: في ذكر بعض علمائها وأوليائها ومن جلب لها الماء إلى أن صارت مورد ضمان.

الرابع: في ذكر من ملكها من حين اختطت إلى هذا الزمان.

- وقسم بن عودة المزاري كتابه: طلوع سعد السعود في أخبار وهران ومخزنها الأسود إلى خمسة مقاصد:

الأول: في من بنى وهران وأي وقت بنيت فيه ووصفها بالتعريف.

(1) MARCEL BODIN: La BRÈVE Chronique du bey hassan. EXTRAITE et TRADUITE de la Tal'AT - OS - SA'D - IS - SO'UD, de MAZARI, société de géographie et d'archéologie d'Oran. T.X LIV. 1924. P. 23 - 25.

الثاني: في ذكر بعض أوليائها بحسب الاستطاعة والتعرض بالذكر إلى من هو منهم شريف.

الثالث: في ذكر بعض علمائها من حيث بنيت إلى الآن.

الرابع: في ذكر دولها على سبيل الترتيب من حيث بنيت إلى هذا الزمان، وما أذكر من غيرهم فذلك رغبة لإتمام الفائدة.

الخامس: في ذكر مخزنها وهو عين المراد والتعرض إلى سيرته الجميلة التي لا يكون فيها الانتقاد.

ويتضح من هذا التقسيم أن المزارى قلد شيخه الزياتي في عناويه ونقلها عنه حرفياً وخالفه فقط في إطلاقه على الفصل اسم المقصد، ثم أن المزارى أدمج الفصلين: الأول والثاني من دليل الحيران، في مقصد واحد بكتابه، وعكسهما فقدم الثاني وآخر الأول. وأهمل الفقرة التي خصها الزياتي لاستعراض الأقوال السبعة التي تخص تسمية المدينة بوهرا.

وعلى العكس من ذلك قام المزارى بتقسيم الفصل الثالث من دليل الحيران إلى مقصدين اثنين في كتابه: واحد تحدث فيه عن أولياء وهران، والآخر عن علمائها. ونقل ذلك حرفياً عن الزياتي، وأهمل التفاصيل التي أوردها الزياتي عن ركن الدين ابن مبرز وهراني.

أما الفصل الرابع: فقد اتبع فيه المزارى نفس التقسيم الذي وضعه الزياتي في دليل الحيران، ونقله عنه حرفياً. وقد قال الزياتي: «اعلم أن الذين ملكوا وهران من حين اختطت إلى هذا الزمن تسع دول وأما الأدارسة، والسليمانيون فلم أذكرهم لأنهم لم يملكوا وهران».

ثم أخذ الزياتي يستعرض الدول التسعة على الشكل التالي:

الدولة الأولى: مغراوة عمال الأمويين أمراء الأندلس والكلام عليهم في خمسة مواضع:

الأول: في التعريف بهم وذكر نسبهم.

الثاني: في بطونهم.

الثالث: في ذكر علمائهم وأوليائهم.

الرابع: في ذكر سبب إسلامهم وصيرورتهم موالى لبني أمية.
الخامس: في ذكر من ملك منهم وهران.

وقد نقل المزارى نفس عنوان الزياتي، وأغفل الموضوعات الأربعة الأولى ونقل حرفياً الموضوع الخامس بحذافيره.

الدولة الثانية: العبيديون، وهم الشيعة ويقال لهم الرافضة والكلام عليهم في خمسة مواضع:

الأول: في ذكر أنسابهم.

الثانية: في ذكر أصحاب الإمامة المعدين للمهدي منهم.

الثالث: في سبب تسميتهم بالشيعة.

الرابع: في سبب مصير الملك إليهم.

الخامس: في ذكر ملوكهم ومن ملك منهم وهران.

وقد اختصر المزارى الموضوعات الأربعة الأولى في نصف صفحة، ونقل الموضوع الخامس بحذافيره مع بعض التصرفات الطفيفة، تحت نفس العنوان من الزياتي.

الدولة الثالثة: المرابطون، ويقال لهم لمتونة والملثمون وصنهاجة والكلام عليهم في خمسة مواضع:

الأول: في نسبهم.

الثاني: في وقت مسيرهم للمغرب.

الثالث: في ذكر قبائلهم وبعطونهم.

الرابع: في ذكر علمائهم.

الخامس: في ذكر فرقهم، ومن ملك منهم وهران.

وقد نقل المزارى نفس العنوان، واختصر الموضوعات الأربعة الأولى في نصف صفحة، ونقل الخامس على ما يبدو بحذافيره أو على الأقل ما بقي منه. لأن نسخة دليل الحيران مبتورة هنا ابتداء من قوله: الفرقة الثانية من صنهاجة لمتونة وهم الملثمون. كما ضاع منها موضوع: الدولة السادسة في أولها وهم بنو

مرين. فأما أن يكون المزارى قد انتزع هذه الأقسام من دليل الحيران وأدخلها وأدمجها بعينها في كتابه، وأما أن يكون قد نقلها من نسخة أخرى كاملة.

وقد اختصر المزارى موضوع تسمية المرابطين وأصل موطنهم وبلادهم في أربع صفحات، وتوسع في الحديث عن ملوكهم وأمرائهم على عادته وبنفس الأسلوب وختم حديثه عنهم باستعراض الفرق الثلاثة التي انحدروا منها.

الدولة السابعة: الاسبانيون نسبة لاسبانيا، والكلام عليهم في ستة

مواضيع:

الأول: في ذكر نسبهم.

الثاني: في بيان أرض الاسبانيين وحدودها.

الثالث: في بيان مساحتها، وعدد سكانها الآن، وأقسام ولاياتها، وأشهر مدنها، وجبالها، وأوديتها.

الرابع: في بيان محلها من أوروبا.

الخامس: في بيان من ملك تلك العدو سابقاً.

وقد نقل المزارى هذه الموضوعات نقلاً يكاد يكون حرفياً بنفس الترتيب مع إهمال ذلك التقسيم.

الدولة الثامنة: الترك ويقال لهم الأتراك والكلام عليهم في ستة مواضيع:

الأول: في ذكر نسبهم ويطونهم ومسكنهم.

الثاني: في سبب انتشارهم في الأرض.

الثالث: في سبب مجيئهم إلى الجزائر وأي وقت جاؤوا وكم مكثوا بالجزائر.

الرابع: في ذكر ملوكهم في الإسلام ومن ملك منهم وهران.

الخامس: في ذكر باشاتهم بالجزائر، ومنهم من يجمعهم على باشوات، ومن ملك منهم وهران.

السادس: في ذكر معنى الباى وكيفية تصرفه وعمله بالعوائد.

وقد نقل المزارى نفس عنوان الزباني: وتحدث عن هذه الموضوعات الستة بنفس الترتيب دون الإشارة إلى ذلك التقسيم. ويكاد يكون النقل حرفياً.

الدولة التاسعة: الفرنسيين، ويقال لهم الفرنج، والكلام عليهم في سبعة مواضع. الأول. ا. هـ. وقد توقف الزباني عند هذا العنوان وبهذين الحرفين ألف وهاء، دليلاً على انتهائه، وعدم اكماله للفصل الرابع كما وعد في بدايته. أما المزاري فبعد أن نقل هذا العنوان كما هو في دليل الحيران، أرخ لهذه الدولة حسب مخطط الزباني بالتتابع وبالترتيب، دون أن يشير إلى ذلك التقسيم كما هي عادته في الأقسام الماضية، وتوسع في هذه الدولة توسعاً كبيراً استغرق (208) مائتين وثمانين صفحات وهو ما يعادل أكثر من ثلث المخطوط. وحاول أن يؤرخ لتاريخ فرنسا، وأغرق نفسه في مواضيع ليست في متناوله. وذلك رغبة منه على ما يبدو في التقرب من الإدارة الفرنسية التي كان يعمل تحت إمرتها، ووفق أوامرها، وتعليماتها.

إن هذه المقارنة تثبت بما لا يدع مجالاً للشك، بأن مخطوط: طلوع سعد السعود، إما أن يكون للزباني نفسه ونسبه المزاري لنفسه لظرف من الظروف التي حكى منها شيئاً، مارسيل بودان، أو يكون المزاري نقله حرفياً من كتاب دليل الحيران للزباني، وتصرف فيه قليلاً بالحذف، والاختصار، والتقديم والتأخير، واستغل مركزه كأغا ليقنع شيخه الزباني، أو يرغمه على السكوت، وقبول الأمر الواقع، وليس هناك تفسيراً آخر غير هذين الافتراضين.

وللشيخ المهدي البوعبدلي البطيوي الذي حقق ونشر مخطوط دليل الحيران للزباني، رأي آخر فيما يخص القسم الأخير الذي عنون له المؤلف، ولم يكمله. فقد قال في المقدمة التي وضعها للكتاب: إن التأليف الذي يحمل اسم «أقوال التأسيس عما وقع وسيقع من الفرنسيين». ونسب إلى أبي راس المعسكري، ووضع ضمن قائمة مؤلفاته، ليس له «لأن المتأمل فيه يدرك من أول وهلة أنه كتب بعد الاحتلال الفرنسي، وأبوراس كما نعلم توفي حوالي سنة 1237⁽¹⁾ أي قبل الاحتلال الفرنسي بسنوات».

(1) الصحيح أن أبو راس توفي يوم 15 شعبان 1238 الموافق لشهر أبريل 1823 م. وقد حصلنا على قائمة تأليف الشيخ أبي راس التي وضعها بنفسه تحت عنوان: شمس معارف التكاليف في أسماء ما أنعم الله به علينا من التأليف. تحمل رقم 136، وتاريخها 22

ومن رأي الشيخ المهدي البوعبدللي أن مؤلف هذا الكتاب هو الشيخ محمد بن يوسف الزباني أو أحد سكان قرية البرج مقر أسرة المخفي .

ومما قاله : «وفي آخر الجزء الثاني عقد المؤلف عنواناً للعهد الفرنسي فقال : «الدولة التاسعة الفرنسيين ويقال لهم الفرنج والكلام عليهم في سبع مواضع» . لكنه أنهى تأليفه عند هذا العنوان . ولا شك أنه لم يرد أن يتورط ، فاختار طريقة أخرى سجل فيها الأحداث الهامة في العهد الأول من الاحتلال وحذر مواطنيه من عواقبها وأفرغ ذلك كله في قالب التنبؤات التي كان أفراد الشعب خصوصاً المتدين يؤمن بها ، إذ لم تفارق عقيدة المهدي المنتظر «الذي يملأ الدنيا عدلاً» الطبقات المؤمنة في بلاد المغرب العربي ، ومؤلفنا أمكنه أن يتخلص من الورطة فينسب تأليفه الذي هو عبارة عن صفحات للمؤرخ أبي راس العسكري الناصري ، كما أمكنه أن يسجل هذا التأليف أي عنوانه في آخر رحلة أبي راس التي ذكر فيها تأليفه وقد تناقل هذا التأليف معظم المثقفين ، وقد بلغ خبره للسلطات فبذلت جهوداً للحصول عليه خصوصاً في الحرب العالمية الأولى ، فقد فتشوا المنازل وسجنوا كثيراً من الطلبة الذين كانوا يشكون أنهم يملكونه ، كما أمكن لمؤلفه الحقيقي أن يحتفظ بسرّه حيث لم يعرف نسبته إليه إلا أقلية واسم الكتاب : «أقوال التأسيس عما وقع وسيقع من الفرنسيين» . وقال أيضاً «وهذا التأليف يختلف كثير من نسخه وإن كانت تتفق في جوهر الموضوع الذي هو شبه مذكرات لرجل عاش في الفترة الأولى من عهد الاحتلال الفرنسي واطلع على نوايا الاستعمار وأهدافه ، فسجلها بعد ما أفرغها في قالب التكهنات أو التنبؤات» ثم قال : «وهذه الرسالة هامة تحتاج إلى دراسة خاصة ، فالذي نتحققه أن نسبتها للمؤرخ أبي راس مستحيلة فقد كتبت بعد الاحتلال الفرنسي بمدة طويلة وبعد إنهاء الأمير عبد القادر المقاومة ، وقد ذكره صاحب الرسالة وفي نفسه منه شيء فخصه بسطور نسب فيها لأعوانه الظلم والفوضى ، ولا شك أن

= رجب 1232 هـ (4 أبريل 1823 م) . وبها ، 136 عنواناً آخرها هذه القائمة . ومن ضمنها عنوان : أقوال التأسيس عما وقع أو سيقع من الفرنسيين . . ويحمل رقم 85 . وقد استعملت الأرقام الغبارية في تعداد هذه القائمة مما يوحي بأنها منسوخة ، وليست الأصلية التي كتبها الشيخ أبو راس نفسه .

المؤلف الذي كان من سكان البرج وكان البرج مقر أسرة المخفي، حتى لا زالت تحمل اسمه الآن، الذين كانوا من أعوان الأتراك ثم انضموا إلى الفرنسيين وحاربوا الأمير، فانتقم منهم الأمير شرّاً انتقام. فقد أوقد فيها النيران وسجن جل سكانها، فلربما بقي في نفس القاضي البرجي شيء».

وقال كذلك: «وأقل ما نستفيدة من هذه الرسالة أو التأليف، بقطع النظر عن مقصد مؤلفه الحقيقي، هو الاطلاع على صفحات من تاريخ الجزائر، تصور انطباعات شاهد عيان، اطلع على أحداث أوائل الاحتلال، إذ المصادر العربية المسجلة لذلك العهد قليلة. ولنرجع إلى الحديث عن النسخة الثانية من: «قول التأسيس مما وقع وسيقع من الفرنسيين» وهي وإن كانت تتفق مع الأولى في جوهرها. يظهر أن صاحبها اختصرها وزاد فيها وتأخرت كتابتها إلى أوائل الحرب العالمية الأولى واعترف صاحبها بأنه لا يريد أن يطلق العنان لتنبؤه إذ أمر بذلك»⁽¹⁾.

وقد ذكر الشيخ المهدي البوعبدلي بأن مؤلف دليل الحيران الشيخ محمد ابن يوسف الزياتي البرجي، ينتمي إلى أسر علمية بنواحي مدينة برج عياش المشهور الآن ببرج ولد المخفي قرب معسكر. وأن جدّه أحمد بن يوسف الزياتي كان من العلماء المستشارين عند الباي إبراهيم الملياني (1170 هـ). وقد تولى مؤلف دليل الحيران القضاء بمدينة البرج سنة 1861 حسبما وجد ذلك في وثيقة رسمية كاتبه بها الحاكم العسكري الفرنسي للناحية، ثم انتقل عام 1883 إلى مدينة تليلات ليتولى نفس الوظيفة، قبل أن ينقل إلى مدينة سيق كذلك لنفس الوظيفة: قاضياً.

وكان ما يزال حياً في مطلع القرنين: الرابع عشر الهجري، والعشرين ميلادي. وذكر الشيخ المهدي أنه اطلع على كثير من فتاواه وتعاليقه على بعض الكتب، وعلى مراسلاته لبعض علماء البلد، ومنهم العالم علي بن عبد الرحمن الجزائري مفتي وهران الشهير الذي كاتبه عام 1320 هـ (1902 - 1903 م).

(1) محمد بن يوسف الزياتي: دليل الحيران وأنس السهران في أخبار مدينة وهران. تقديم وتعليق المهدي البوعبدلي (الجزائر - 1978) ص 13 - 17.

وقد خلف بعد وفاته ابناً فقيهاً تولى إمامة مسجد بناء له صهره بمدينة سيق وبقي به حتى توفي، كما خلف بنتاً ذات شهرة في مدينة وهران وولايتها، لأنها تمردت على عادات البلاد، وصارت تخرج سافرة، وتمارس أعمال الفلاحة لأسرتها وتشارك زوجها في أعماله وكان غنياً ويملك أراضي شاسعة. ويعمل موظفاً لدى الإدارة الفرنسية كذلك، لأن أسرته من أسر المخزن في عهد الأتراك، وأقرها الفرنسيون على ذلك في عهدهم.

وبما أنها كانت تركب الخيل وتشارك في ألعاب الفروسية، وتستقبل زوار زوجها وتشارك في الحفلات التي كان يقيمها الولاة العامون بالجزائر لأعيان البلاد، فإن الناس كانوا يدعونها: «القايدة حليلة». وعندما حجت أصبحت تدعى: «الحاجة حليلة»، وتوفيت أوائل الحرب العالمية الأولى.

إن النسخة التي حققها ونشرها الشيخ المهدي البوعبدلي لدليل الحيران، ناقصة ومبتورة في الوسط، ينقصها جزء من الدولة الثانية وهم المرابطون، وكل الدولة الرابعة وهم الموحدون، وكل الدولة الخامسة وهم بنوزيان.

وهذا القسم المبتور موجود كله في مخطوط: طلوع سعد السعود. وينقصها في الأخير، الدولة التاسعة ويقال لهم الفرنج والكلام عليهم في ستة مواضع. الأول. ا. هـ.

وهذا القسم طويل جداً في مخطوط طلوع سعد السعود. يقع في مائتين وثمانية من الصفحات. ألا يكون المزاري أخذ هذه الأقسام الناقصة والمبتورة من مخطوط: دليل الحيران لأستاذه الزباني، وضمها إلى مخطوطه بعنوانه الجديد، طلوع سعد السعود.

سؤال مطروح. وسيبقى كذلك مطروحاً إلى أن يتم العثور على النسخة الكاملة لدليل الحيران، وعلى بعض الوثائق التي تسمح بالمقارنة والاستنتاج، والخروج برأي صحيح ونهائي.

بقيت بعد هذا كلمة أخيرة حول المقصد الأخير من كتاب طلوع سعد السعود الذي خصصه المزاري للتأريخ لمخزن وهران، وهذا المقصد لم يشر

إليه الزياني وهو المقصد الوحيد الذي لربما يكون من تأليف المزارى باعتباره من رجال المخزن. أو أحد أقاربه المثقفين من رجال المخزن كذلك، إذا لم يكن الزياني نفسه، لأنه من بلد المزارى، ومن العائلات العلمية المشهورة بالمنطقة، له خبرة ودارية بتاريخ العائلات المخزنية.

د. يحيى بوعزيز

جامعة وهران

وهران - حي الصادقية

الأربعاء 6 شوال 1407 هـ

3 جوان 1987 م

طُلُوعُ نَيْعَةِ السَّحَابِ

”فِي أَخْبَارِ وَهْرَانَ وَالْجَزَائِرِ وَاسْبَانِيَا وَفَرَنْسَا“
”إِلَى أَوَّلِ الْقُرْنِ التَّاسِعِ عَشَرَ“

لِلأَغَابِنِ عَوْدَةِ الْمَزَارِيِّ

تَحْقِيقٌ وَدِرَاسَةٌ
الدُّكْتُورُ يَحْيَى بُوعَزْزِي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم صلّ على الحبيب محمد وآله وصحبه وسلم
وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً

يقول العبد الضعيف الراجي عفو ربه وغفران سائر
المساوي أبو إسماعيل بن عودة الساري بن الحاج محمد
المزري البعثاوي. آمين الله بيمينه وكرمه ولطفه آمين،
آمين، آمين، آمين.

الحمد لله الذي فضل العلماء على الجهلاء بتفضيل العلم على الجهل،
وصيرهم أمناء على خلقه يقومون بحفظ شريعته في كل الفرد والحفل وجعل
بالعلم تعرف الفرائض والسنن وسائر ما يكون به التكليف وتعرف به الملل، وكذا
الماضي والآتي وسائر الدول، والأنساب، وما قل منها وجل لا سيما علم التاريخ
الذي تكفل بأخبار القرون والأمم ودولها ومن مضى منها أو حل أو هو آت في
المستقبل. فحقه الاعتناء به بتدوينه كي لا يضيع فيهمل، والصلاة والسلام
التامان على سيدنا ومولانا محمد أشرف المخلوقات ومنبع الكون وخاتم الأنبياء
والرسل وعلى آله وأصحابه وأزواجه وزيّاته وأمه والتابعين ومن تبعهم بإحسان / (ص 3)
إلى يوم يتبين فيه المفضل من الفاضل والشقي من السعيد والثاني من الأول،
وبعد:

فلإني لما طالعت كتب التاريخ واجتمعت عندي منه رقائع جليّة.
تاقت نفسي إلى جمع تأليف جليل في أخبار وهران، ومخزنها القساور

(كذا) الذين بهم فاقت ما عداها من المدون (كذا) فهم أهل الخصائل الجميلة .
فجمعه بحمد الله تعالى في كتاب جليل الفرائد ورتبته بإذن الله تعالى على
خمس مقاصد :

- المقصد الأول : فيمن بنا (كذا) وهران وأي وقت بنيت فيه ، ووصفها
بالتعريف .

- المقصد الثاني : في ذكر بعض أوليائها بحسب الاستطاعة والتعرض
بالذكر إلى من هو منهم شريف .

- المقصد الثالث : في ذكر بعض علمائها من حين بنيت للآن (كذا) .

المقصد الرابع : في ذكر دولها على سبيل الترتيب من حين بنيت إلى هذا
الزمان . وما أذكره من غيرهم (كذا) فذلك (كذا) رغبة في إتمام الفائدة بزيادة
البيان .

- المقصد الخامس : في ذكر مخزنها وهو عين المراد . والتعرض إلى سيرته
الجميلة التي لا يكون فيها الانتقاد .

وسمّيته :

طلوع سعد السعود في أخبار وهران ومخزنها الأسود

فأقول : بحسب ما رزقت من نصيب ، وما توفيقني إلا بالله عليه توكلت وإليه
أنيب .

المقصد الأول
فيمن بنى وهران

/ اعلم أيديني الله وإياك بنوره. ورزقني وإياك خيره ووقاني وإياك من (ص 4) شروره. أنه لا خلاف في أن وهران بنيت في القرن الثالث من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم. وإنما الخلاف فيمن بناها والعام الذي بنيت فيه والخليفة الذي بنيت بأمره بالتلزم (كذا)⁽¹⁾.

فقال الحافظ أبو راس في عجائب الأسفار على السينية له، بتها مغراوة بإذن أمراء الأندلس الأمويين وأن الذي بناها من مغراوة هو خزر بن حفص ابن صولات بن وزمار بن صقلاب بن مغراو بن يصلين بن مسروق بن زاكين ابن ورسوخ بن جانا ابن زنات. وكان صقلاب في زمان النبي ﷺ وأن الخليفة الأموي الذي أمر ببنائها هو عبد الرحمان بن الحاكم (كذا) بن هشام بن عبد الرحمان الداخل الخليفة بالأندلس ١ هـ. بعضه باللفظ وبعضه بالمعنى⁽²⁾.

فيفهم من أنها بنيت في وسط القرن الثالث لأن عبد الرحمان بن الحاكم

(1) عن التاريخ الذي بنيت فيه مدينة وهران، والأقوال التي وردت في ذلك، انظر كتابنا: وهران، (الجزائر = 1985) ص 5 - 32.

(2) محمد بن أحمد بن عبد القادر الراشدي المعروف بأبي راس الناصر، ولد عام 1150 هـ (1737 م) بقلعة بني راشد قرب مدينة معسكر بالغرب الجزائري، وتنقل في صغره بين مسقط رأسه، ومتيجة، وتونس، والمغرب الأقصى. وحفظ القرآن الكريم، واستوعب العلوم العربية الإسلامية على علماء وفقهاء عصره، وعلى رأسهم الشيخ عبد القادر المشرفي. ثم تصدى للتدريس، والإفتاء في مدينة معسكر زهاء ست وثلاثين عاماً، وتولى مناصب القضاء، والإفتاء، وحج مرتين، واشتهر بالحافظ لغزارة علمه، وكتب وألف في مختلف الأغراض والفنون، شعراً ونثراً، وخلف مائة وستة وثلاثين مخطوطة، (136)، بين طويلة وقصيرة، بعضها موجود، والبعض مفقود، وتوفي يوم 15 شعبان 1238 هـ، (17 أبريل 1823 م). وترجم له عديدون، أمثال: د. أبو القاسم سعد الله: مؤرخ جزائري معاصر للجبرتي. أبو راس =

(كذا) تول سنة ست ومائتين وتوفي في ربيع الأخير سنة ثمان وثلاثين ومائتين كما في المختصر لأبي الفداء صاحب حماة⁽¹⁾ وهذا القول لا يوافق بوجه ولا حال. وذكر الحافظ أبوزيد عبد الرحمن الجامعي في شرحه لرجز الحلفاوي أنها بنتها مغراوة في أيامهم وأطلق⁽²⁾. وقال الحفّاظ الخمسة وهم: محمد بن يوسف القيرواني والبكري / وابن خلكان، والرشاطي، والصفدي⁽³⁾ كل في تاريخه أن الذي بناها محمد بن أبي عون، ومحمد بن عبدون، وجماعة من الأندلسيين البحرين الذين ينتجعون مرسى وهران مع نفزة وبني «مسقن» وهم بنو مسرقين من أزديجة، وكانوا أصحاب القرشي وهو الخليفة الأموي بالأندلس وذلك سنة تسعين ومائتين.

وقال الحافظ أبو راس في كتابيه: عجائب الأخبار، والخبر المغرب، على

= الناصري، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، عدد 12 (الجزائر - 1974) ص 22 وما بعدها. وكذلك في كتابه: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، وتاريخ الجزائر الثقافي ج 2. والشيخ عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام ج 4. ط 4. (الجزائر - 1982 م). ومحمد سي يوسف: دراسة مخطوط عجائب الأسفار ولطائف الأخبار لأبي راس الناصري. مجلة الدراسات التاريخية. عدد 2 (الجزائر - 1986) ص 134 - 155.

(1) سنة 206 هـ يوافقها مسيحياً: جوان 821 - ماي 822 م. وشهر ربيع الأخير لعام 238 هـ يوافقه: 20 سبتمبر - 18 أكتوبر - 852 م، وأبو الفؤاد عماد الدين إسماعيل المؤيد (1273 - 1331 م) صاحب حماة، من علمه الجغرافيا العرب، ألف كتاب: تقويم البلدان، وكتاب: المختصر في تاريخ البشر. وهو الكتاب الذي أشار له صاحب المخطوط.

(2) أبوزيد عبد الرحمن الجامعي الفاسي، رحالة مغربي تنقل في الجزائر وبلدان المغرب، وأعجب برجز شيخه أبي عبدالله محمد بن أحمد الحلفاوي مفتي تلمسان الذي نظم في أحداث الفتح الأول لمدينة وهران عام 1119 هـ (1707 - 1708 م) فطلب منه شيخه أن يشرحه نثراً وعدد أبياته 72 بيتاً شعرياً فشرحها وأضاف إليها معلومات عن السلطان العثماني أحمد الأول (1703 - 1733 م) الذي تم في عهده هذا الفتح، فأصبح هذا الشرح مع الرجز من أهم المصادر عن هذا الفتح، وما يزال مخطوطاً، وتوجد نسخة من هذا الرجز في مكتبة المتحف بمدينة وهران، وللجامعي هذا، رحلة سماها: التاريخ المشرق الجامع ليوافقت المغرب والمشرق.

(3) أبو عبدالله البكري جغرافي أندلسي توفي بقرطبة عام 490 هـ (1097 م) له كتاب: المسالك والممالك، وصف فيه البلدان التي يعرفها المسلمون في القرن 11 م. ومنه أخذ القسم الذي =

السينية أن الذي بناها هو خزر بن حفص المار، وأن الذي أمره ببنائها هو الخليفة الأموي بالأندلس أبو محمد عبدالله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحاكم (كذا) ابن هشام بن عبد الرحمن الداخل وذلك سنة تسعين ومائتين وقيل إحدى وتسعين وقيل اثنين وتسعين اهـ⁽¹⁾ والصحيح من هذه الأقوال التي ذكرها الحافظ في كتابيه، الأول، لكون الخليفة المذكور تولى سنة خمس وسبعين ومائتين وتوفي في ربيع الأول سنة ثلاثمائة⁽²⁾ كما في مختصر أبي الفداء صاحب حماة. وقد بناها قبل وفاته بعشرة أعوام كما في دليل الحيران وأنيس السهران، في أخبار مدينة وهران⁽³⁾ وإلى من بناها ووقت بنائها أشار الحافظ أبو راس في سنيته التي تسمى بالحلل السندسية ويقال لها إنها نفيسة الجمان بقوله:

/بنتها مغراوة بإذن مواليتهم الأمويين أمراء أندلس (ص 6)
ثالث قرن خزر منهم قد أسسها وملكهم في غاية العز والشمس

= أصبح يعرف باسم: والمغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب. طبعة دي سلان (باريس - 1911 م). وابن خلكان أحمد البرمكي الأربلي (1211 - 1281 م) مؤرخ كبير تعلم ودرس في حلب، ودمشق، والقاهرة، وتولى القضاء والتدريس. ومن مؤلفاته: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، في التراجم والأدب العربية. والصفدي صلاح الدين خليل (1262 - 1362 م) الذي يعرف بالصلاح الصفدي، ولد بصفد وتعلم بها، وتولى رئاسة ديوان الإنشاء في صفد، والقاهرة، وحلب، وقيل إنه ألف 500 مجلداً منها: الوافي بالوفيات، الذي هو قاموس تراجم من 30 جزءاً. أما محمد بن يوسف القيرواني فلم نعرف ترجمته والرشاطي هو أبو محمد عبدالله بن علي بن عبدالله الرشاطي. ولد عام 466 هـ (1073-1074 م) بقرية من أعمال مرسية الأندلسية يقال لها: أوريوالة. وتوفي شهيداً بالمرية عام 542 هـ (1147-1148 م) كما في وفيات الأعيان جـ 1. ص 337. وفي نفح الطيب جـ 4 ص 462.

- (1) سنة 290 هـ يوافقها: ديسمبر 902 - نوفمبر 903 م. وسنة 291 هـ يوافقها: نوفمبر 903 - نوفمبر 904 م. وسنة 292 هـ يوافقها: نوفمبر 904 - نوفمبر 905 م. والحقيقة أن هذا التاريخ يمثل المرحلة الثانية من تاريخ وهران، لأن المدينة قديمة جداً، تعود نواتها إلى عهد الفينيقيين، وتمثل قرية إيفري نواتها الأولى عند البعض، انظر كتابنا: وهران. ص 5 - 32.
- (2) سنة 275 هـ يوافقها: ماي 888 - ماي 889 م. وربييع الأول عام 300 هـ يوافقها: 16 أكتوبر - 14 نوفمبر 912 م.
- (3) للشيخ محمد بن يوسف الزباني. وقد حققه وطبعه الشيخ المهدي البوعبدلي عام 1978 م.

وقال في وصفها والتعريف لها الشريف الحسن بن الرباني، شيخنا العلامة الحافظ السيد محمد بن يوسف الزياتي، في تاريخه: دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران - في الفصل الأول منه ما نصه بطوله: اعلم أن وهران بفتح الواو، وكما لابن خلكان في كتابه: وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان، والحافظ أبي راس في كتبه: عجائب الأخبار، وعجائب الأسفار، والخبر المعرب، وروضة السلوان، لا بكسرهما وغلط من كسرهما. هي مدينة من مدن المغرب الأوسط بساحل البحر الرومي⁽¹⁾ عظيمة، ذات مساحة وفخامة جسيمة، وبساتين وأشجار، ومياه عذبة وأطيار، وحبوب عديدة، وفواكه وخضر جديدة، وبروج مشيدة وقصور معددة، من طبقتين فأعلا (كذا) بيناء التحكيم، وأرحية ماء ونار وريح وطحونات (كذا) وسور فخيم (كذا)، وفنادق وحمامات، وشوارع ورياضات، ومدافع وأبراج، ومنافذ، وسبل فجاج، وأتكية، وغنى لكل محتاج، (ص 7) متبحرة في العمران، وسارت بأخبارها لكل ناحية الركبان، معدودة/ من أمصار المغرب التي عن نفسها تدافع ولا تدافع، ومن أحسن معاقله التي تطاع ولا تنازع، مقصودة للعلماء والتجار وسائر أرباب البضائع، لها صيت بالمغرب والمشرق وسائر الآفاق، وقد ذكرها صاحب الدرر المكنونة المازونية في نوازل الطلاق⁽²⁾، وجاءت لها الملوك من أقاصي الأقطار، وتزاحمت عليها لنيل الأوطار ورحل لسكانها الأخيار والأشرار، والعبيد والأحرار، والمسلمون والكفار، فكانت مفتخمة (كذا) على غيرها من المدون (كذا). بمخزنها السادات الأسود، أهل العناية والشجاعة والعطاء الممدود والحياء، والرياسة، والبسالة والسياسة، مقصودة للنفات (كذا) والوجود، والعساكر والجيوش والحشود. مؤسسة في أسفل جبل

(1) يقصد بالبحر الرومي: البحر الأبيض المتوسط، وكانت تطلق عليه هذه التسمية في العهود القديمة خلال السيطرة الرومانية على بلدان الشمال الإفريقي، أما اليوم فلا.

(2) يقصد بذلك كتاب: الدرر المكنونة في نوازل مازونة. لمؤلفه: يحيى بن أبي عمران موسى ابن عيسى بن يحيى المغيلي المازوني، الذي تولى القضاء بمازونة، وكان فقيهاً علامة، اعتمد في كتابه على فتاوى المتأخرين من علماء تونس، وبجاية والجزائر، وتلمسان. وعليه اعتمد كل من أحمد الونشريسي في كتابه: المعيار، والبرزلي في نوازله. توفي يحيى المازوني بتلمسان عام 883 هـ (1478 - 1479 م).

هيدور الأشم⁽¹⁾، الذي اختط الإسبانون بقمته بالبناء الأحكم، برج مرجاج (كذا) الشامخ العتيد، وقطب رجا حربها الشديد، الصعب المسلك البعيد المدرك، الضيق الفجاج، المشرف على المدينة والمرسى والأبراج، الذي غص منه الجو في الصعود، وعاد يلمس يده الأفلاك بالقعود، ذهب في السماء بفروعه وكلاكه، وملأ الجو بقرونه وهياكله، ونظم النجوم في مفرقه واستوى كالملك في جلسته وترقية ومرتفعه، وترفع بمروط (كذا) السحاب، فضرب بينه وبين الناس بحجاب، رعد/ صوت المدافع، وبرقة شعلتها التي ليس لها مدافع، كأن (ص 8) الرياح آوت (كذا) إلى جوه بإذنه، وأصغا (كذا) لها ملاقياً إلى حيز السماء بأذنيه وأطل على البحر بشماريخه وجعله يحاكي معاني توار يخه، واستدبر البر بظهره، وأناخ سائر الجبال بمنيعه وحجره، حتى صارت جبال قيزة، وبنى مخوخ، وناسالة، تبايعة وله تنوخ، وتسمى باسم الرجل الذي كان به من غير مناكث، وهل هو الرجل الزناتي، أو الإسبنيولي، أو الحمياني؟ أقوال، أصحها الثالث⁽²⁾ وطال ما ارتفع للسماء جبل كهر، فانخفض له وبعلوه عليه أقر، تراه وأنت أسفله كأنه في الجو قلامة، في قنة غمامة أو باز أو عقاب، على ظهر سحاب، وقد قال في وصفه بعض الفصحاء في ملحون:

سلوا عليه مرجاج ليس أهيانا وامراقب البحر وأبراج تلمسان
شيخ الجبال عالي يا فطانا كل الجبال خرت له سجدان

ولما دخلها ابن خميس أحد العلماء الكبار، والفقهاء السادات الأنخيار، في آخر القرن الرابع، وقعت منه كل موقع بعدما دخل الجزائر في الخبر الشائع، وكانت الجزائر إذ ذاك قريبة عهد بالبناء والتمدين، فقال: أعجبني بالمغرب

(1) أسست مدينة وهران على السفح الشرقي للجبل الذي يحمل عدة أسماء منها: هيدور، وهو اسم لعالم لا نعرف عنه شيئاً حالياً، ومرجاجو، وهو اسم لشخص كذلك كما سيأتي. والمائدة وهي صفة لقمته المنبسطة على شكل مائدة. كما يحمل اسم: جبل سيدي عبد القادر.

(2) البرج الذي يتحدث عنه ما يزال قائماً وشامخاً حتى اليوم على القمة الشرقية الصغيرة المفصولة بمنخفض عن القمة الكبرى الغربية، ويسمى حالياً برج سانتاكروز وهو يتألف من ثلاثة أقسام كبرى، كان مزوداً في عهد الإسبان بثلاثمائة مدفع، وهناك خلاف حول اسم =

مدينتان بشغرين: وهران خزر وجزاير بلقين⁽¹⁾. وكيف لا تكون من ذخائر النفائش، وهي أول مدينة ملكها عبد المؤمن بن علي الكومي الموحد سنة تسع وثلاثين من القرن السادس⁽²⁾ ولو رءا (كذا) بناءها صاحب تاريخ مصر (ص 9) والقاهرة، / لعدده من أعجوبات البناء التي ذكرها في كتابه: حسن المحاضرة⁽³⁾، = مرجاجو: هل هو اسم لرجل زناتي، أو للرجل الاسباني الذي أشرف على بناء الحصن، أو للشيخ الحمياني الذي ساعد الاسبان على بنائه، وهو رأي صاحب المخطوط. وكان هذا الشيخ الحمياني قد أمر رجال قومه الحميانيين أن يتجندوا جميعاً ويحملوا الماء في قريهم وعلى أكتافهم إلى البنائين في قمة الجبل. ولذلك هجاهم أحد شعراء الملحون وقال:

لا تكب السماء من قسربة لمن يقول أنا حمياني
ادفع الكلب مع ربيبه وقل قلبه ما زال نصراني

وقال آخر:

- قيزة وشافع وحميان جارهم ما يتهنى وميتهم ما يدخل جنة
- وقد تم بناء هذا البرج وهذه القلعة الضخمة عام 1567 م، وزرته بنفسه عام 1981 مع وفد من صحافي جريدة الجمهورية، وقد وضعت له السلطات المحلية حالياً أضواء كاشفة في الليل بحيث يراه القريب والبعيد، انظر كتابنا: وهران. ص 155-156.
- (1) أبو عبدالله محمد بن عمر بن خميس التلمساني ولد عام 560 هـ (1252 م) ونبغ منذ صغره في الأدب، والحكمة، والتاريخ، وقول الشعر، حتى لقب بشيخ الأدباء، ولأه السلطان الزياني أبو سعيد بن يغمراسن رئاسة ديوان الإنشاء، وأمانة السر، وتجول في أقطار المغرب وعواصمها، وتراسل مع عدد من الشعراء، والعلماء، والقضاة والأمراء، ثم ذهب إلى غرناطة عام 703 هـ (1304 م) وضم إلى مجلس الوزير، واغتيل هناك ضحوة عيد الفطر لعام 708 هـ (14 مارس 1309 م) على يد علي بن نصر الأيكم إثر الانقلاب الذي حصل على الأمير، وقيل إن قتله كان خطأ.
- (2) سنة 539 هـ يوافقها: (جويلية 1144 - جوان 1145 م). وسيطر عبد المؤمن على مدينة وهران عام 1145 م. وسوف تأتي ترجمته عند الحديث عن دولته في المقصد الرابع.
- (3) يقصد به جلال الدين السيوطي (1445 - 1505 م) الذي ولد بالقاهرة ونبغ في التفسير، والحديث، والفقه، وعلوم اللغة، وتجول في الشام، والحجاز، واليمن، والهند، وبلدان المغرب، وإفريقيا ما وراء الصحراء، وألف على ما قيل أكثر من 500 كتاباً منها: طبقات الحفاظ. وطبقات المفسرين، وحسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، وتحاور شعراً مع العالم التلمساني محمد بن عبد الكريم المغيلي حول المنطق اليوناني، وذلك خلال تواجدهما في بلاد التكرور بنييجيريا أواخر القرن الخامس عشر الميلادي.

ولورهاها الغزالي صاحب الرحلة، لما اعتنا (كذا) بوصف نسبتة وطيلطلة⁽¹⁾، ولو أخبر بها صاحب كتاب اللباب الواصف لضخامة بنيان البلدان لما قال: الدار داران: إيوان، وغمدان⁽²⁾، ولورها (كذا) الغزالي مسجدها الجامع الأعظم، وما اشتمل عليه من السعة والأساطين واتقانه في الهواء بالبناء الأحكم، والتراويق المرونية، والاحتكامات المحققة، وخاصته الدافقة بالماء، وصومعته التي علت لجو السماء، تروم منه النزول لها بالهيكل، لما وصف الجامع الأعظم الذي بمدينة طيلطلة⁽³⁾. واجتمعت العجائب بالبرج الأحمر، فإنه يفوق حصون بني

(1) هكذا كتب المؤلف طيلطلة. أما الغزالي الذي يشير إليه فليس هو أبا حامد الغزالي لأنه لم يزر المغرب والأندلس، ولم يكتب في التاريخ، ولعله يقصد به أبا العباس أحمد ابن المهدي الغزال الفاسي الأندلسي الذي كان أمين سر المخزن بالمغرب الأقصى، وألف رحلة عام 1179 هـ (جوان 1765 - جوان 1766 م) سماها: نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد، وقام بسفارة إلى إسبانيا ثم إلى الجزائر صحبة خاليه: عمارة ابن موسى، ومحمد بن ناصر، في مهمة لاقتداء الأسرى الإسبان، والجزائريين، وذلك عام 1182 هـ (1768 - 1769 م). وقد توفي بفاس عام 1191 هـ (1777 م). وقام الأستاذ إسماعيل العربي بتحقيق رحلته ونشرها في دار الغرب الإسلامي، والجزائر.

(2) صاحب كتاب: اللباب في معرفة الأنساب، هو عز الدين أبو الحسن علي ابن الأثير (1160 - 1234 م). وقد اختصره من كتاب: الأنساب، للقاضي أبي سعيد محمد السمعاني (1114 - 1166 م)، الذي تجول في معظم أنحاء المعمورة وأخذ العلم على حوالي أربعة آلاف شيخ. وقد طبع كتاب اللباب: وستفلك عام 1835 بغوتا. أما إيوان كسرى فهو بناء عظيم في جنوب بغداد، كان على ما يظن قصراً لملوك الفرس. وبه عدد كبير من الصور والتماثيل. وأما غمدان فهو قصر في مدينة صنعاء باليمن، وكان من عجائب الدنيا. خربه الأحباش عندما غزوا بلاد اليمن عام 1252 م.

(3) المسجد الذي يشير إليه هو مسجد الباشا، الذي أسسه الباي محمد بن عثمان الكبير عام 1796 م بأمر من الداوي الباشا حسن بالجزائر، وذلك تخليداً لتحرير وهران من الاستعمار الإسباني، وهو مسجد كبير يقع على الضفة الشرقية لواد الرحي في مواجهة حي القصبة بوهران القديمة، وله منارة عالية ومثمنة الشكل وقد تحدثنا عنه في مخطوطتنا: في بيوت أذن الله أن ترفع. ويمكن العودة إلى كتابنا: وهران، ص 159 - 164 كذلك. وقد قمت بزيارة خاصة دامت ثلاثة أيام لكل قلاع وهران وأبراجها، ومساجدها ضمن وفد من صحافي الجمهورية ووضعت عنها دراسات موجزة أتبها في كتابنا: وهران، المشار إليه. أما المساجد العتيقة فقد وضعت عنها دراسات مطولة ما تزال مخطوطة.

الأحمر، ولوراءه المظمطي سليمان بن سابق لقال لا يقدر على مثله لاحق ولا سابق⁽¹⁾ وزادت له بالابتهاج والرونقة مقلته التي صعدت للجو مشرقة. ولوراء (كذا) يوسف بن قريون مؤرخ اليهود، برج اليهود، لما وصف قلاع أمصيا التي هي ملك بني يهود⁽²⁾.

وأين مرجاج المتقدم، وبرج المرسى، وبرج الحمامات، والإصبايحية، ومرية، والحرسي (كذا) والقصبة، والمرستانات، والمدرسة، وبرجا (كذا) رأس العين والمكنسة، وأبوابها التسعة المفترقة بحسب النواحي، والمدن، والقرى، والضواحي⁽³⁾ ولو وصفت لك مصانعها على التمام، وما تحت أراهمها (كذا) من

(1) البرج الأحمر الذي يشير إليه يطلق عليه كذلك اسم برج الأمحال ويقع على الضفة الشرقية لواد الرحي، على هضبة عالية تشرف على البحر شمالاً، وتقابل جبل المائدة أو مرجاجو، أو هيدور، غرباً وقد أسس هذا البرج عام 1331 م ويبدو أن نواته تعود إلى أيام الفينيقيين لأن موقعه استراتيجي، وعندما احتل الإسبان وهران بنوا داخله قلعة كبيرة للحراسة، وسلحوه بحوالي 300 مدفعاً كذلك للدفاع، وهو برج ضخم جداً وواسع به قصر البايات شرقاً، والقلاع الإسبانية غرباً، وللمزيد من المعلومات انظر كتابنا: وهران، ص 147 - 149. أما سليمان بن سابق المظمطي هذا فلم نجد من ترجم له حالياً.

(2) برج اليهود الذي يشير إليه ما يزال موجوداً حتى اليوم شيد على لسان بري داخل البحر عام 1509 في المكان الذي دخل منه الإسبان إلى مدينة وهران بواسطة مساعدة المكاس اليهودي شطورة الأشبيلي ولذلك سمي ببرج اليهودي، وقد زرنه عام 1981 صحبة وفد من صحافي جريدة الجمهورية، ووجدنا به مدافع منصوبة للدفاع البحري من أواخر القرن الماضي. أما المؤرخ اليهودي يوسف بن قريون فلم نجد من ترجم له. انظر كتابنا: وهران: ص 149 - 150.

(3) أبواب وهران المعروفة من الخرائط، والباقية حتى اليوم ثمانية هي، في الشرق: باب السوق وما يزال قائماً حتى اليوم وسماه الفرنسيون باب نابليون. ويطل شرقاً على مجرى عين واد رويئة، ويؤدي إلى خنق النطاح، وكاناستيل، وأرزبو. وتم بناؤه عام 1740 م. وباب الجيارة شمال برج الصبايحية وما يزال قائماً حتى اليوم.

وفي الجنوب: باب الليل، أو باب الواد، على حافة واد الرحي الغربية وفي الغرب: باب المرسى، وما يزال قائماً حتى اليوم، وباب القصبة في أعلى باب المرسى وقد اندثر. وفي الشمال: باب عمارة ولم نعرف مكانه وباب كاناستيل وما يزال قائماً. حتى اليوم، وباب الميناء ولم يبق له أثر. أما الباب التاسع فلم نتعرف عليه ولا على مكانه، =

الأبنية العظام، لقلت يعجز عنه «سور ديب» المفتخير ببناء الأهرام، ولعجز بالاشتهار، واصف قصر الجمّ والبديع والأجدار/ وسائر بنيانها المرصوص⁽¹⁾ (ص 10) ومياها العذبة المتدفقة التي تعلو للسماء ثم تنبسط على الأرض وتتفرق على الرخام الملون ثم تجتمع في سبخ تحت الأرض بالبناء المحكم فتذهب معه للبحر ففيه تنصب وتغوص. ولقد عظمت مساحتها في النفل والفرض. حتى صارت لا تحمي في الطول والعرض فأحاط بها سورها الجديد ببرود شتى فصارت عظيمة العدّ، والتعديد ومن أين يطيق عدّ ولبة العدس، أو غيره من الدخنة والعلس. وما خرج عن سورها من البنيان، فلا يضبطه لسان، وقول الحافظ الشيخ عبد الرحمان الجامعي في شرحه لرجز الحلقاوي: هي مدينة صغيرة غير ظاهر كما في شروح الحافظ أبي راس لسينيته. وما قيل في مدحها من الكلام ما بين النظم والسجع والنشر فإنه مما لا يضبط بعصر فمن ذلك قول بعض علماء الراشدية الأذكياء، السادات الكرام الأصفياء وهو العلامة الأجل والقودة الأجل، مؤلف كتاب: فتح وهران النقاد الراوي الخالي من سائر المساوي، أحد شرفاء غريس الشريف الحسني السيد مصطفى بن عبدالله الدحاوي⁽²⁾ في مدحها ومدح

= انظر كتابنا: وهران، ص 140 - 142.

- (1) قصر الجم من آثار الرومان بوسط بلاد تونس، والأجدار مدينة أثرية بالجزائر جنوب مدينة تيهرت المشهورة، وليس هناك اتفاق على تاريخ تأسيسها. أما قصر البديع فيبدو أنه قصر الرياض البديع الذي يقع غرب مدينة قلعة بني حماد وقال عنه ابن خلدون إنه كان من أنق الرياض وأحفلها. حطمه المرينيون عام 701 هـ (1301 م) انظر الجليلي. ج 1. ويمكن أيضاً أن يكون أراد به قصر البديع الذي أنشأه أحمد المنصور السعدي الذهبي بمراكش عام 1578، واستغرق بناؤه 14 عاماً لغاية 1594 م.
- (2) اسم المؤلف بالكامل هو: محمد المصطفى بن عبدالله بن زرفة الدحاوي. واسم مؤلفه بالكامل: فتح وهران وجامع الجوامع الحسان. وكان كاتباً لدى الباي محمد بن عثمان الكبير الكردي وعين مساعداً لرئيس رباط إيفري بوهران خلال الحصار الثاني عليها، عام 1206 هـ (1791 - 1792 م) وكلفه الباي بتسجيل حوادث الفتح كلها، فسجلها، وجمعها في كتاب سماه: الرحلة القمرية في السيرة المحمدية، أتمه في نفس العام، ونعتقد أنه هو نفسه كتاب: فتح وهران. لأن موضوعهما واحد على ما يبدو. وبعد فتح هذه المدينة وتحريرها، عين المؤلف قاضياً بها إلى أن توفي بالطاعون عام 1215 هـ (1800-1801 م)، =

أميرها السيد محمد بن عثمان، صاحب العدل والرفق والجهاد والإنصاف والإحسان، باي الإيالة الغربية وتلمسان في قصيدته القافية التي من بحر (ص 11) الطويل، فريدة القصائد ونفيسة الجواهر في غاية التكميل / ذات الصدر في وهران والعجوز، في الأمير الجليل، المشتعلة على ثلاث وعشرين بيتاً بالجملة والتفصيل:

عراي أحبتي سهاد مورك	ومن ذالك السهاد قلبي يخفق
ورق فؤادي من حلول ضباة	وعم دواخل الميزاج تعلق
أتاني هو نجد وطيب نسميها	وصرت كسيف البال إذ أتشوق
ورمت انضماماً نحوها برياضها	بها غرف وسلسيل مدقق
وأزهارها تفوح منها رياحين	ونور يلوح منه للعين رونق
وأشجارها ترن فيها بلابل	بمختلف الأصوات تربي التعشق
وأفنانها ملة لفواكه	ألا كل غصن منها غص مورك
فما شئت من ذوق لذيد ومنظر	تنعم فيه العين ثم موفق
وأعظم شيء في اشتياقي لكامل	يلوذ بأنسه المعنى المشوق
له في معالي المجد أرفع همة	وأوفر حظ وهو بالمدح أليق
وإثبات ذهن في العلوم بأسرها	وزان ارتفاع القدر منه تحقق
بطلعته وهران ثم نعيمها	وطاب بها النوى وسان التأنيق

انظر تمامها في دليل الحيران وأنيس السهران⁽¹⁾.

= ودرس أبو راس الناصر المعسكري الراشدي عليه.

وقد لخص هوداس هذه الرحلة وقدمها في بحث إلى مؤتمر المستشرقين بالجزائر عام 1905، ونشرها في وقائع المستشرقين هؤلاء، ولابن زرقه هذا كتاب آخر اسمه: كتاب الاكتفاء في حكم جواهر الأمراء والخلفاء لخصه إرنست ميرسي، ونشره في مجلة روكوي القسنطينة عام 1898 م.

(1) يوجد باقي القصيدة في صفحة 29 من النسخة التي حققها ونشرها الشيخ المهدي البوعبدلي.

المقصد الثاني
في ذكر بعض أوليائها

اعلم / أيديني الله وإياك بأنواره، ونفعني وإياك بأسراره أن أولياءها عددهم (ص 12) كثير، وحصرهم عسير ولا كُنِّي أذكر منهم المشاهير، كما ذكرها (كذا) شيخنا الزياتي في الفصل الثالث من دليل الحيران وأنيس السهران فنقول: إن من أولياء وهران: الولي المشهور، المتعبد بأسماء الشكور، القطب الواضح سيدي هيدور صاحب جبل وهران المشهور⁽¹⁾، كثير العظامة (كذا) والجلالة، دفن ببلاد أسلافه تأسالة، وكان من أهل متم القرن الثالث ونسب له جبل وهران لتعبده به وكان له وارث⁽²⁾.

ومنهم ذو النور الباهر، كثير الأسرار والجواهر، والإحسان والعوارف (كذا) والإكمال والمعارف، صاحب البرهان الساطع، سيدي داد أيوب المغراوي الذي كان من أهل القرن الرابع⁽³⁾ وهو بينها وبين المرسى الكبير، بمكان على البحر

(1) تأسالة قرية صغيرة في منطقة جبلية عالية تحمل نفس الاسم جنوب سهل ملاته، وسبخة وهران الكبيرة جنوب وهران كذلك. وتتوسط الطريق الرابط بين سيدي بالعباس شرقاً، وحمام بوحجر في الشمال الغربي، وعين تموشنت في الغرب.

(2) الشيخ هيدور عاش في أواخر القرنين: 3 هـ و 9 م، وأوائل القرنين الموليين، ولم نجد من ترجم له في كتب التراجم، وأطلق اسمه على الجبل الذي يشرف على وهران غرباً حتى القرن العاشر الهجري (16 م) ثم أطلق عليه اسم: مرجاجو كما مر ويطلق عليه حالياً اسم: جبل المائدة. وجبل سيدي عبد القادر. لأن قمته العالية مسطحة على شكل مائدة، وبنيت عليه قبة وضريح باسم سيدي عبد القادر، ولكن هذه القبة والضريح أزيلتا عام 1980 م.

(3) القرن الرابع الهجري يوافق العاشر الميلادي. والشيخ داد أيوب هذا لم نجد من ترجم =

في محلّ فيه متعبّدون وصالحون وحمّامه مقصود للتبرك فيه نفع كبير⁽¹⁾ ومعنى داد في لغة زنّانة هو الأب الكبير. وليس هو بهذا المحل مدفون وإنما المحل محل تعبّده فيما يعرفون.

ومنهم الشريف الحسني النقاد الراوي، المقطوع بولايته على الإطلاق سيدي محمد بن عمر الهواري ثم المغراوي⁽²⁾ فهو قطب الأولياء، ورايس الزهاد الأتقياء، صاحب الكرامة الظاهرة، والأحوال الباهرة كان كثير السياحة والنجابة (ص 13) والنجاحة. أخذ بفاس عن العبدوسي والقبّاب، / وبيجاية عن الشيخ أحمد ابن إدريس⁽³⁾، والوغيلسي، كثير الأتباع والأصحاب⁽⁴⁾ ويمصر عن العراف

= له، مثل الشيخ هيدور تماماً، وهو مغراوي على أي حال، وقد يكون من بلاد الشيخ الهواري، المغراوي بكلميتو شرق مدينة مستغانم.

(1) حمام الشيخ دادة أيوب كان ما يزال موجوداً بعد الحرب العالمية الثانية على شاطئ البحر بين مينائي وهران والمرسى الكبير غرباً، وله لافتة ترشد إليه وطريق يؤدي إليه كذلك. أما الآن فلا أثر له وقد يكون اندثر، إذ ذهبت صباح يوم الخميس 18 ذو الحجة 1407 هـ (13 أوت 1987 م) فلم أجد له ولا للافتة أثراً كما لم أجد من يرشدني ويدلني على مكانه.

(2) الشيخ محمد بن عمر الهواري المغراوي ولد بكلميتو على بعد عشرين كلم شرق مدينة مستغانم عام 751 هـ (1350 - 1351 م)، وتوفي بوهران صباح السبت 20 ربيع الثاني عام 843 هـ (12 سبتمبر 1439 م)، وهو رجل متصوف، ترجم له كثيرون أمثال: الغبريني في عنوان الدراية، وابن مريم في البستان، وابن سعد في روضة السرين، وأبي راس في رحلته، والحفناوي في تعريف الخلف، والزياني في دليل الحيران، ودليش في المجلة الإفريقية (1884)، وبارجيس في كومبليمانت: (تنمة)، وكازاناف في مجلة جمعية الجغرافية والآثار لمدينة وهران، وديستيق في المجلة الآسيوية وغيرهم. وقد وضعنا له ترجمة سوف تصدر ضمن الطبعة الثانية لكتابنا وهران بحول الله وقوته.

(3) أحمد بن إدريس البجائي من علماء القرن الثامن الهجري (843/14 م) توفي بعد عام 760 هـ. (1359 م) درس عليه ابن خلدون وأخوه يحيى، وعبد الرحمن الوغيلسي، وهو صاحب مدرسة صوفية مشهورة وزاوية بيجاية وأحوازاها. ألف عدة شروح نقل عنها ابن زاغو التلمساني، ومحمد المشدالي، ويحيى الرهوني، وابن عرفة وعيسى بن سلامة البسكري.

(4) أبوزيد عبد الرحمن بن أحمد الوغيلسي من علماء القرن الثامن الهجري (14 م) =

وغيره. وجاور بالحرمين الشريفين وسافر للقدس فجال بالشام لنيل خيره ومكث بدمشق بالجامع الأموي ما شاء الله. وكانت تأتيه الوحوش وعادية السباع في سياحته لقضاء أوطارها فتقضى لها بإذن الله، ومكث آخر عمره بوهران بلد أسلافه بالتحريير، مثابراً فيها على العلم والعمل إلى أن انتفع به الخلق الكثير. ولما قرب أجله كثر كلامه الذي يدل على سعة عفو الله بالتبشير. وألف كتاب: «السهو والتنبية، للفقراء أهل الفضل النبیه». وله تأليف عديدة في طريق القوم النجاية، وكان كثيراً الثناء على أهل بجاية. وقد نص على شرفه صاحب كتاب: جواهر الأسرار، في معرفة آل النبي المختار⁽¹⁾ وكذا الفاسي في أئمة الأبصار، وكانت له كرامات عديدة، وخوارق عادة مديدة منها أن بعض طغاة الأعراب أخذ مال بعض أصحابه لما أراد الله به النكال فبعث إليه الشيخ رسوله ليرد ذلك المال، فأخذ الظالم الرسول وقيدته ومقتته، فبلغ الشيخ أمره فقام من مجلسه مغاضباً وقد اسودَّ وجهه من شدة الغضب ودخل خلوته. قال تلميذه التازي فسمعتة جهاراً، يقول مفرطح، مفرطح، يكرره مراراً، وفي الوقت قام الظالم يلعب في عرس والناس ينظرون إليه تفرساً/ فإذا برجل أبيض الثياب نزعه من (ص 14) فوق فرسه وضرب به الأرض فإذا هو مفرطح دخل رأسه في جوفه من شدة ضربه منكساً. فأطلقت أمه رسول الشيخ وخاطبت ولدها الميت خطاب اليوم: يا ولدي حذرتك دعوة الشيخ فأبيت فلا حيلة فيك اليوم.

ومنها أن امرأة أسر ولدها فأتت إليه فقال لها إيتيني بقصعة من ثريد ولحم

= ولد وترى في بني وغليس على بعد حوالي ميل من قرية سيدي عيش جنوب بجاية، على الضفة اليسرى لواد الصومام. تضلع في العلوم والمعارف العربية الإسلامية خاصة الفقه، وتولى وظيفة الإفتاء، والإمامة ببجاية، ولقب بشيخ الجماعة، وتلمذ على الشيخ أحمد ابن إدريس. درس عليه الخلدونيان، وأبو القاسم المشدالي ومحمد بن عمر الهواري الوهراني، وعبد الرحمن الثعالبي. ومن تأليفه: منظومة «الوغيسية» في الفقه التي شرحها أحمد زروق البرنوسي، ومحمد السنوسي، ويحيى العيدلي، وعبد الرحمن الصباغ، وقد توفي الوغليسي عام 786 هـ (1384 م).

(1) صاحب أئمة الأبصار في آل النبي المختار، ومؤلفه، هو أبو عبد الله محمد الفاسي، وأما صاحب جواهر الأسرار في معرفة آل النبي المختار فلم نهتد لصاحبه.

فأنته بها فدفعها لسلوقية كانت عنده ترضع أولادها فلما فرغت قال لها اذهبي لموضع كذا من عدوة النصارى وايتيني بآبن هذه المرأة فذهبت وجازت البحر فوجدته فوجدته اشترى ديارة للنصرانية التي ملكته فخطفتها من يده وصار يتبعها خوفاً من النصرانية إلى أن عرضت له ساقية فقطعها وهي البحر ثم تبعها إلى أن دخلت به على أمه في وهران وهذا قليل في حق الأولياء.

ومنها أن السلطان أبا فارس عزوز بن السلطان أبي العباس أحمد الحفصي الملك العادل الذي قال فيه ابن عرفة إنه كعمر بن عبد العزيز بحسب الزمان قد زحف من تونس بعنود عظام لتلمسان لأمر له فيه حق فرغبه ملكها أحمد العاقل بواسطة الشيخ أبي علي الحسن أبركان بن مخلوف المزيلي الراشدي دفين تلمسان فبعث خديمه للشيخ الهواري في كفت أبي فارس فقال الهواري مالي وللملوك ولما اشتدت الرغبة والإلحاح دعا عليه وقد نزل آخر رمضان من سنة سبع وثلاثين (ص 15) وثمانمائة⁽¹⁾ بفج السدر حذو جبل ونسريس⁽²⁾ فمات / فجأة ضحوة عيد الفطر فانتظره الناس لصلاة العبد حتى خشوا خروج وقتها فذهب ابنه للسرادق والفساطيط فوجده ميتاً فجعله في محفة وانقلب إلى تونس وأخفى أمره، إلى غير ذلك من كراماته. وهو القائل لتلميذه لا تخف من النار فإن صاحبي أدخله في بطني كي لا تراه النار. ولما سمع هذا القول بعده سيدي أحمد بن يوسف

(1) آخر شهر رمضان من عام 837 هـ يوافق أوائل ماي 1434 م.

(2) جبال الونشريس تكتب بالشين المثلثة في الأول والسين المهملة في الأخير، ولكن المؤلف كتب بالسين المهملة في الوسط والأخير، وقد يكون سبق قلم منه أو من الناسخ. وتقع هذه الجبال (الونشريس) على الضفة الجنوبية لنهر الشلف، وتشرف على هضبة السرسو والهضاب العليا جنوباً، ويقابلها في الضفة الشمالية لنهر الشلف سلسلة جبال الظهرة، وزكار، المشرفة على ساحل البحر المتوسط. وتمتد من جبال الأطلس البليدي شرقاً إلى تيارت وفرندة وزمورة غرباً.

وتولى السلطان أبو فارس عزوز الحفصي السلطة بتونس من يوم 3 شعبان 796 هـ إلى 1 شوال 837 هـ (3 جوان 1394 م - 11 ماي 1434 م). وتولى السلطان أحمد العاقل السلطة بتلمسان من يوم 1 رجب 834 هـ إلى ذي الحجة 867 هـ (15 مارس 1431 - أوت 1463 م).

ابن عباد بن مصباح الوامودي الراشدي قال إن البطن تلقى ما دخلها وتطرحة وأنا أدخل صاحبي في قلبي كي لا تمسه النار. اهـ. فانظر ما بينهما من البون في المعنى. وتوفي رحمه الله في صبيحة يوم السبت ثاني عشر ربيع الثاني سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة⁽¹⁾ في وقت الملك أحمد العاقل بن أبي حمّ موسى ابن يوسف الزياتي ووقت القائم عليه وهو أخوه أبو يحيى زكرياء بن أبي حمّ⁽²⁾ موسى بن يوسف الزياتي وهذا القائم هو الذي اتخذ وهران دار ملكه وسكنه. وقول الحافظ أبي راس في عجائب الأسفار: أحمد العاقل الذي جعل وهران دار ملكه سبق قلم، ولما مات الشيخ الهواري دفن بوهران وضريحه بها مشهور مقصود للتبرك ويؤيده قول العلامة أبي عبدالله محمد بن عبد المؤمن قاضي المالكية بالجزائر يحرض أمير وقته حسن باشا رحمه الله على غزو وهران في قصيدته الهائية/.

(ص 16)

نادتك وهران فلبّ نداها وانزل بها لا تقصدن سواها
واحلل بتلك الأباطح والرّبي واستصرخن دفينها - الأواها

إلخ. وأراد به الشيخ الهواري نفعا الله به، ولا تلتفت لمن يقول أنه مدفون بسيدي المسعود بتارقة، وسيدي سعيد بشافع، فإن ذلك من خرافات العامة⁽³⁾

(1) يوم 12 ربيع الثاني عام 843 هـ يوافق 22 سبتمبر 1439 م. وهذا التاريخ خطأ على ما يبدو لأن الشيخ الهواري توفي يوم 2 ربيع الثاني وليس يوم 12 وذلك يوافق 12 وليس 22 سبتمبر.

(2) أبو حمّ يكتب هكذا بالميم المضمومة، والمشددة بعدها واو، ولكن المؤلف اكتفى بالشدة والضمّة، وحذف الواو، وهو خطأ في الرسم طبعاً. وفعل نفس الشيء بكلمة الشيخ معاشو. فاكتفى بالضمّة والشدة على الشين وحذف الواو.

(3) هناك عدة روايات متضاربة حول مدفن الشيخ الهواري، فزعم كازاناف في مجلة جمعية الجغرافية والآثار لمدينة وهران عام 1926 بأن حوش الشيخ الهواري المحاط بسور ما يزال موجوداً وقائماً في قرية بني تالة قرب مدينة وهران، ولكنه لم يحدد مكانه ومكان القرية بالضبط. وأورد المقدم ديدني في الجزء الرابع من كتابه: وهران عام 1931 م صوراً لأفراد أسرة زعم أنهم من أعقاب الشيخ الهواري، عددهم أربعة، أخذت لهم يوم 9 أوت =

= 1931 م، وهم: الهواري، وحامد، محمد، ويدرة، يحملون جميعاً لقب بن سني البشير بن الهواري، وروى عنهم بأن جدّهم الشيخ الهواري مدفون في ضريح صديقه الشيخ سيدي سعيد بقرية حاسي الغلة غرب مدينة وهران على الطريق المؤدي إلى عين تيموشنت وتلمسان، وأما الضريح والمسجد الحاليان اللذان يحملان اسمه بوهران فقد أسسهما حفيده: الحاج حاجي، وحمو بوعيزار عام 1793 م، أي بعد عام من تحرير المدينة من الإسبان.

ومن أجل الزيادة في التحري، والتحقيق قمنا بزيارة إلى ضريح سيدي المسعود قرب قرية تارقة شمال قرية المالح على بعد حوالي 65 كلم من وهران صباح الخميس 5 ذو الحجة 1407 هـ (30 جويلية 1978 م) ولم نجد في الضريح سوى قبر واحد، وبجواره مسجد صغير بدأ ينهار سقفه. ولكن هناك على بعد بضعة أمتار لقبر داخل حويطة محاطة بثلاث جدران، ولم يحدثنا أحد لمن. ثم قمنا بزيارة لضريح آخر غرب قرية تارقة بحوالي أربعة كلم يحمل اسم سيدي الهواري صباح الخميس 25 ذو الحجة 1407 هـ (20 أوت 1987) ووجدناه داخل ضريح تهدم سقفه بفعل السلطات الاستعمارية خلال الثورة على ما قال لنا أحد الرجال هناك. وأكد لنا رجل آخر في تارقة بأن هذا الولي ليس هو الشيخ الهواري الوهراني، وإنما هو رجل آخر كان صديقاً وتلميذاً للشيخ بختي بن عياد دفن في قرية سيدي بختي ببلاد غمرة شمال قرية حمو بوتليليس، كما أكد لنا بأن بني تالة يوجدون بين قرية زفيرف، وحمام بو حجر، قرب سيدي بلعباس، وأن سيدي شافع يوجد قرب قرية عين البيضاء بجوار حاسي الغلة على طريق حمام بو حجر. إن الحقيقة ضائعة بين هذه الأقوال والروايات، فالإسبان الذين احتلوا وهران ما يقرب من ثلاثة قرون حولوها إلى محتشد للجنود الإسبان ولم يبقوا فيها أي أثر للمعالم العربية الإسلامية. فكيف سلم قبر الشيخ الهواري ومسجده من التخريب، اللهم، إلا إذا بلغت دعوته عليها باحتلالهم لها، وعندما تحقق لهم ذلك كرموه بالإبقاء على قبره وضريحه ومسجده. ولو أن هذه الدعوة مشكوك في صحتها، لأنه مهما بلغ غضب الشيخ الهواري على سكانها فلا يعقل بأن يرضى بأن يحتلها النصارى الكفار المسيحيون، وهو رجل مربي، وعالم، وولي متصوف، وإلا فلا معنى لعلمه، وتدينه وتصوفه، وتزعمه لعلماء عصره.

والروايات العديدة المتواترة عن دفنه بوهران، يصعب تكذيبها خاصة وأنه عاش بها، وشهرت به، ونقل ذلك تلاميذه ومنهم الشيخ إبراهيم النازي وآخرون ومع ذلك فالرأي الذي أورده ديدني جدير بالدراسة، والبحث والتدقيق. والله أعلم في الأخير بحقيقة =

ولم يدخل النصاري الإسبانيون لوهـران في حياته وإنما دخلوها بعد وفاته باثنين وسبعين عاماً لأن دخولهم إياها كان سنة أربعة أو خمسة عشر من القرن العاشر⁽¹⁾ وسبب دخولهم لها وتملكهم بها دعاء الشيخ الهواري عليها وعلى أهلها وذلك أن أهل وهران بغوا على ولده سيدي أحمد الهايج وقتلوه ظلماً وعدواناً بالمحل المسمى به للآن (كذا) وهو الهايج وواديه يقال له واد الهايج⁽²⁾ وأدعوا أنه هايـج عليهم بغير حق وسمع بذلك الشيخ وسكت فحرّضته زوجته أم الولد على أخذ ثار ولده بالانتقام من أهل وهران فلم يلتفت لها فذهبت إلى دجاجة كانت عندها ذات فلّليس صغار وأخذت فلّوساً منهم والشيخ ينظر فجاءت الدجاجة وصارت تضاربها على ولدها لتخلّصه منها ولها صياح فقالت له يا هواري انظر لهذه الدجاجة كيف أخذتها الغيرة على ولدها وكيف بك لم تأخذك الغيرة على ولدك القتل ظلماً وعدواناً فعند ذلك غضب الشيخ / وقال لأهل وهران لأي شيء قتلتم (ص 17) ولدي فإنه قرت (كذا) عيني وثمرة فؤادي وبضعة مني فقالوا له لأنه ارتكب ذنباً وثبت عليه وقتلته الشريعة فقال لهم من حكم بقتله من ساداتها العلماء فقالوا له لا نحتاجوا (كذا) في ذلك إلى حكم وإنما رأينا الشريعة قتلتها فقتلناه فقال لهم أنتم قتلتم بزعمكم أن الشريعة قتلت ولدي الهواري وأن الهواري لا يجوز ولده لعدم تحقيق دعواكم وإن كان قولكم بزعمكم في الظاهر مقبول. ففي باطن الأمر الذي لا اطلاع لكم عليه ولدي ناج وكلامه محمول. فأسلمها رحمه الله للنصاري لأنه سلطان مصرها، ومتولي أمرها، وكان من الذين لو أقسموا على الله لأبر قسمهم. ونص دعائه «روحي يا وهران الفاسقة، يا كثيرة الجور والبغي والطارقة، يا ذات الأهل الباغية السارقة إني بعثك بالبيعة الموافقة، لنصاري مألقة والجالقة، إلى يوم البعث والتالقة، مهمي (كذا) ترجعي فأنت الطالقة». فلما

= الأمر. أما القاضي بن عبد المؤمن الذي حرض الباشا حسن على غزو وهران فقد توفي عام 1101 هـ (1690 م) والقصيدة موجودة في كتاب التحفة المرضية لابن ميمون ص 301 - 304، ويوجد قسم منها بدليل الخيران للزياني ص 43.

(1) تم احتلال الإسبان لمدينة وهران في شهر صفر عام 915 هـ (ماي 1909 م).
(2) الواد الهايج لم نجد له أثراً في الخرائط، ولم نجد من يعرفه من كبار السن، ولكنه على أي حال يوجد ما بين وهران وسيق لأن المزاري يتحدث عنه عند ذكره لحوادث المنطقة.

قال الشيخ ذلك قال له بعض تلامذته الحاضرين لدعوته: وأظنه الشيخ إبراهيم التازي «يا سيدي والفرج لاحقة»، فقال الشيخ «والفرج لاحقة». وحضر لدعوته على وهران الشيخ سيدي أبي الحسن علي الأصغر التلمساني وأندّر تلميذه الشيخ إبراهيم التازي أهل وهران بقصيدة تائية (كذا) مع ما انضم لتلك الدعوة من (ص 18) دعوة الشيخ / أبي العباس سيدي أحمد بن يوسف الراشدي أحد الأولياء الكبار، والأتقياء الأخيار الأبرار، الهواري وطنا الوامودي أصلاً نفعا الله بالجميع، آمين فإنه في وقته ذهب مرة لوهران فعظمه أهلها أشد التعظيم فكتب قائدها للأمير أبي عبدالله الزياني، «آه رجل بأرض هواره يخشى منه الملك فكتب الأمير، إلى القائد أبعثه إليّ أو اقتله لما أتى الشيخ أهله برأس الماء، بعث العامل للأمير هواره أحمد بن غانم في الشيخ فاطلع الشيخ على ذلك وارتحل من وطنه وقال شوشونا شوشهم الله من البحر والبر فلم يك إلا قليل حتى شوش الله بني زيان من البحر بالكفرة فأخذوا وهران ومن البر الأتراك فأخذوا تلمسان فذهب الشيخ قاصداً بني غدو فاعترضه محاربون من سويد⁽¹⁾ فقبض على ثلاثة أحجار من الصمّ وحكهم في يده فصاروا رماداً وقال لهم إن تعرضتم لنا يسحقكم الله مثل هذه الأحجار فاتوه تائبين مذعنين. وذكر الشيخ صالح القلعي أن له حينئذ ابنت (كذا) اسمها عائشة. وتوفي رحمه الله سنة، إحدى وثلاثين على ما للحافظين: أبي راس والصباغ، وأربعة وعشرين على ما للحافظ الغول في وافته، اللامية، من القرن العاشر⁽²⁾ وقبره بمليانة من أعظم المزارات، وله كرامات لا تحصى:

(1) بنو غدو قبيلة قرب قلعة هواره شرق مدينة معسكر التي تعرف اليوم بالقلعة، وعرفت قبل ذلك بقلعة سيدي راشد. وسويد قبيلة مشهورة تقطن بالمنطقة الممتدة بين مستغانم والأصنام، وتحدث عنها ابن خلدون كثيراً في تاريخه، كما تحدث عنها صاحب القول الأعم. ويطلق عليها حالياً اسم المحال.

(2) توفي أحمد بن يوسف الراشدي الملياني عام 927 هـ (1521 م) حسب رواية الحمناوي، وهي رواية تتوسط الروایتين اللتين أوردهما المؤلف عن الصباغ القلعي، والحافظ الغول، وهو صوفي شاذلي الطريقة، ساعد عروج وخير الدين على الاستقرار بمدينة الجزائر، وترجم له كثيرون. وألف عنه قاضي قلعة الاستقرار هواره محمد الصباغ القلعي كتاباً بعنوان: بستان الأزهار في مناقب زمزم الأبرار ومعدن الأنوار سيد أحمد بن يوسف =

منها أن شاباً قال له أطعمني مشماشاً وذلك في زمان الشتاء وبإزائه شجرة فهزها الشيخ فتساقط منها المشماش، فتاب الشاب وحسن حاله / ومنها قضيته مع (ص 19) المحاربين المتقدمين (كذا) الذكر، ومنها أن أمير تلمسان أبا حنم سجن الشيخ بتلمسان وفعل له دجاجة ميتة على الطعام وأخرى مذكاة فقال هذه حلال وهذه حرام، وبعث الأمير الذباح فدخل البيت الذي فيه الشيخ فلم يجد أحداً قال الشيخ وأنا أنظر إليه فرجع وقال لم أجد أحداً فردّه ثانياً وثالثاً ولم يجد أحداً ثم أتى الأمير بنفسه فلم ير شيئاً وأخذ الله بأبصارهم، ولما رجع الأمير لقصره بعث للشيخ بالتسريح. فقال الشيخ للرسول لا أخرج حتى نخرجنا (كذا) جميعاً. ثم بعد أيام قدم المسعودي حاركا على أخيه فهرب أبو حنم لوهرا ن وولي المسعودي فحينئذ خرج الشيخ بلا إذن لتوكله على مولاه. ومنها أن خديمه علي بن أحمد الكثيري كان أبوه خديم الشيخ عبد الرحمان الغلامي وتفاخرا فأرى الأب لابنه الكعبة تلعب بأستارها فذهب الولد للشيخ وأخبره فقال له اذهب قد أعطاك الله الدنيا والآخرة فكثر ماله. ومنها أن بعض أصحابه قالوا عن الشيخ الثعالبي أنه قال من رءا (كذا) من رأني لا تأكله النار إلى ثلاثة فقال الشيخ وأنا إلى عشرة. ومنها أنه أخبر بإمارة الأمير محمد علي تلمسان قبل أن يكون فكان كما قال. ومنها أن الشيخ علي الندرومي كان (كذا) له منزلة في الولاية وتأتيه الناس فاعترض على الشيخ فسلب. قال الشيخ يحيى بن علي المغراوي القاطن بمسراتة شاهدت الرجل تضحك منه العائمة. ومنها/ ما حدث به محمد (ص 20) ابن الهواري المسراتي أن الشيخ كان بكرشتل⁽¹⁾ قبل أخذ النصارى وهران فإذا

= الراشدي النسب والدار. وطبعه محمد بن عبدالله الهاشمي بالجزائر عام 1927 ضمن كتاب: جواهر الأسرار. والوامودي نسبة إلى قرية وامود بتوات.

(1) قرية كرىشتل تقع على بعد حوالي عشرين كلم من وهران شرقاً على ساحل بحري صخري في سفح جبل كيكسو، وتشتهر بحقولها وخضرواتها وثمارها خاصة، التين، والرمان، وبمياها العذبة المتدفقة من الصخر وسوقها الذي يتدفق عليه الناس بسياراتهم للتسوق، ومضيفها الجميل على الشاطئ، وبها ميناء صغير لصيد الأسماك. وقد ترددنا عليها مرات عديدة للفسحة والتسوق مع أفراد العائلة، ومع الأحباب والأصدقاء من الأساتذة.

بعروج التركي رسى سفينته بالقرب منه وكان مع عروج رجل مراكشي شجاع فقال لعروج سر بنا نتبرك بهذا الشيخ فقال عروج إن خرج على ما في ضميري فذهبا وسلمنا على الشيخ فقال لعروج أنت عزمت على الغدر بأصحابك فقبل رجل الشيخ فقال المراكشي قل لعروج يطلقني فسرحة ودعا له وقال إن أصابك هول في البحر فقل يا أحمد بن يوسف فأغيثك⁽¹⁾، ومنها أن شيخه زروق قال له لك ثلاثة أرباع الدنيا وشاركت الناس في الرابع إلى غير ذلك من كراماته وهو شريف حسني نص عليه صاحب كتاب الاعتبار، وصاحب كتاب أئمة الأبصار⁽²⁾.

ومنهم الشريف الحسني الذي علمه بمنزلة الرازي، تلميذ الهواري أبو إسحاق الشيخ إبراهيم بن علي بن مالك التازي. نص على شرفه بالإجماع صاحب جواهر الأسرار، وصاحب أئمة الأبصار، وصاحب كتاب: الاعتبار. وله ولشيخه نسل مبارك. كان رضي الله عنه ريعان الدين والأدب، وإكسير اللجين والذهب فقيهاً بارعاً علامة، جامعاً، مع حسب وفضل، وسخاء وعدل، ونزاهة وأمانة وعفة وديانة، فهو نبيل جليل، ذو معارف وتحصيل، محدث لغوي، بياني، أصولي، نحوي، صوفي، سني، بديعي معاني، خاشي خاشع حجة لا يدافع، إمام العباد، وملحق العوام، بالأفراد، والأحفاد بالأجداد من أكابر الفقهاء (ص 21) والمحدثين، وجهابذة العلماء الراسخين الوارثين الموروثين، / وكان جامعاً بين العلم والعمل، والزهد والورع، والفضل والكمال (كذا). ذا تصانيف صحيحة، وقصائد ظريفة مليحة، وخطب بديعة. ومنح صنيعة، عارفاً بالأولياء وأخبارهم،

(1) المعروف أن عروج وخير الدين استقرا بمدينة الجزائر عام 1516 م، والإسبان احتلوا وهران عام 1509. وحسب هذه الرواية فإن عروج كان يرتاد الشواطئ الغربية قبل سقوط المدينة في أيدي الإسبان ولا غرابة في ذلك لأن الأخوين استقرا في جربة وشواطئ تونس منذ عام 1502 تقريباً، ودخلا في صراع محموم ضد القراصنة الإسبان والأوربيين في كل حوض البحر المتوسط الغربي، وشاركوا في إنقاذ عشرات الآلاف من مسلمي الأندلس المطرودين والمطاردين.

(2) صاحب كتاب الاعتبار والتعريف بآل النبي المختار، هو الشيخ أحمد العشماوي، كما ورد في كتاب حاشية رياض التزهة للشيخ بلهاسمي بن بكار ص 147.

وأيام العرب وأشعارهم، والأدب والأدباء ونوادرهم، والبلغاء ومواردهم ومصادرهم، صاحب اللسان، حافظاً للحديث وفصوله، بصيراً في الفقه وأصوله، له خط رايق، وحفظ فايق، لا يعادله في فهمه وحفظه سابق ولا لاحق معروفاً بجودة النظر وثقوب (كذا) الفهم في جميع الحقائق، لا نظير له في التمكن والمعارف وبلوغ الدرجات العليا، والهمة التي نيطت هامتها بالثريا لا يقوم بمعرفة كلامه في التصرف ومعاني العرفان إلا من تمكنت معرفته، وذاق من طعم الحب ما توفرت به مادته. وكان له تصرف في الولاية وكرامات، وأمور باطنية وخوارق عادات. فله كرامة عجيبة، وأحوال غريبة، وكلام موشع بالحكمة في غاية الاقتباس، وقصائد جليلة مشهورة عند الناس. وكان شديداً على الملحدين، لين الجانب على المتقين والمرشدين. وصار يضرب به المثل، حتى إذا بالغ أحد في وصف غيره قال كأنه التازي الأكمل. وإذا امتلأ غيظاً، قال لو كنت في منزلة إبراهيم التازي ما صبرت لهذا ولو لحظاً. فهو ممن أظهره الله / لهداية الخلق، (ص 22) وألحقه برود المحبة والمهابة عند الخاصة والعامة بالأسبق.

وكان أحسن الناس صوتاً وتجويداً، حتى إنه إذا قرأ البخاري أيام مجاورته لمكة انحاش (كذا) الناس إليه ويستلون (كذا) منه مزيداً. وانتشر صيته إلى مشارق الأرض ومغاربها، ومباعدة ومقاربها، حتى حدث عنه من يوثق به أنه وجد بمكة المشرفة تأليفاً مشتملاً على قصائد تتعلق بطريق القوم من تأليف الشيخ المذكور، ومع ذلك أن بائعه عراقي مشهور⁽¹⁾ وكان الوازعي يقول للطلبة

(1) لقد أورد الحفناوي في تعريف الخلف حوالي سبع مقطوعات شعرية للشيخ إبراهيم التازي في الوصف، والمدح، والتصوف، بعضها طويلة، والبعض قصيرة، ولهذا ليس غريباً أن يوجد كناش له في قصائده الصوفية لدى أحد الباعة في مكة. وله قصيدة مشهورة في التصوف تعرف بالموردية بدأها بقوله:

مرادي من المولي وغاية آمالي دوام الرضى والعفو عن سوء أحوالي
شرحها ممد الصباغ القلمي في القرن العاشر الهجري (16 م) وسمى شرحه عليها: شفاء الغليل والفؤاد في شرح النظم الشهير بالمراد. وما يزال مخطوطاً، وقد ترجم للتازي معظم من ترجموا لشيخه الهواري. وهو من بني لنت في تازة بالمغرب الأقصى.

هذا عالمكم وصالحكم فهو ذو العزّ الشامخ، لبس الخرقة، عن المزاعي،
والشيخ صالح الزواوي بسنده إلى أبي مدين شعيب شيخ المشايخ. وأخذ بمكة
عن تقي الدين الفاسي الحدوسي، وبالمدينة عن أبي بكر القرشي، وبتونس عن
الحافظ العبدوسي، وبتلمسان عن ابن مرزوق الحفيد الساري، وبوهران عن
الشيخ محمد الهواري، فتلمّذه ولازمه فنال بركاته ومقامه وقاومه، إلى أن كان في
غالب أمره في طريقه يذهب، وعلى قلبه في جميع أحواله يضرب⁽¹⁾.

قال الحافظ أبو راس في عجائب الأسفار: لما حكى ما للتازي من المآثر
الكبار، وأني رأيت في تأليف منسوب له أنه بعث من وهران إلى أهله بالمغرب
مكتوباً بلفظ موجز موضوع (كذا) يقول فيه فقد ظهر فضل الشيخ عليّ والحمد لله
أني أدّرس في مختصر الشيخ خليل ولا أحتاج لنظر شروح.

(1) الوازعي هو أبو زكريا يحيى الوازعي من علماء وأولياء مدينة تازة أشرف على تربية وتعليم
إبراهيم التازي في صغره، ورعاه وحفظه القرآن الكريم وعدداً من المتون. والمزاعي هو
شرف الدين الداعي. والحدوسي هو تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي الذي
نبغ في الفقه، وتولى قضاء المالكية بمكة بعد أن هاجر إليها. والقرشي هو أبو الفتح ابن
أبي بكر إمام الأئمة. والحافظ العبدوسي هو أبو القاسم عبد العزيز العبدوسي الفاسي
الذي هاجر إلى تونس واستقر بها. أما ابن أخيه عبدالله العبدوسي فلم يهاجر إلى تونس
بل عاش بفاس. وتوفي بها. والزواوي هو أبو محمد الشيخ مجد الدين صالح بن محمد
الحسني الزواوي. ولد ليلة الأربعاء 12 رجب 760 هـ (9 جوان 1350 م) وتوفي يوم 16
رجب 839 هـ - (4 فيفري 1436 م). وأما أبو مدين شعيب بن الحسين دفين العباد بتلمسان
فهو أشهر من أن يعرف، وترجم له أغلب الكتاب والباحثين المسلمين والمستشرقين
قديماً وحديثاً. وتوفي عام 595 هـ (1199 م). وأما محمد بن مرزوق الحفيد العجيسي
التلمساني فهو أحد علماء المرازقة الستة، ولد بتلمسان ليلة الاثنين 14 ربيع الأول
عام 766 هـ (9 ديسمبر 1364 م) وتوفي بها يوم الخميس 14 شعبان 842 هـ (30 جانفي
1439 م). وهو عالم متضلع في العلوم والمعارف الإسلامية. تخرج عليه جيل من
العلماء، وألف في كثير من الأغراض، وترجم له كثيرون أمثال: ابن مريم في البستان،
والحفناوي في تعريف الخلف، والتبكتي في نيل الابتهاج، والمازوني في نوازل،
والقلاصوي في رحلته، والحافظ التنسي، والثعالبي، والسخاوي في الضوء اللامع، ودائرة
المعارف الإسلامية، عن أبي مدين وعلماء المرازقة انظر كتابنا: أعلام الفكر والثقافة
بمدينة تلمسان. (تحت الطبع).

قال القلصادي لقيت إبراهيم التازي خليفة الهواري بوهران، وله اعتناء/ (ص 23)
بكلام شيخه في السر والإعلان. اهـ. (1) وقد أخذ عنه جماعة ففازوا بنيل
خيرهم منهم التونسي، والحافظ التنسي (2) والتالوتي (3) وزروق (4)

(1) علي بن محمد بن علي القرشي، البسطي، الشهير بالقلصادي، رحالة أندلسي كبير، كثير
التجوال، ألف في كثير من الأغراض الدينية، والعلمية كالحساب والفرائض، انتقل من
بلدته بسطة إلى غرناطة، ثم إلى تلمسان حيث تتلمذ على عدد من علمائها ومنهم
ابن مرزوق الكفيف، وبعد ذلك رحل إلى المشرق عبر الجزائر وتونس، وطرابلس،
ومصر. وأدى فريضة الحج، ثم عاد إلى غرناطة ولم تسعده الظروف فرحل عنها إلى
تونس، وأدركته الوفاة في مدينة باجة التونسية في منتصف شهر ذي الحجة عام 891 هـ
(منتصف ديسمبر 1486 م). ومن أهم كتبه رحلته التي قام بتحقيقها الأستاذ التونسي
الفاضل أبو الأجفان الذي راسلني عدة مرات في شأن تحقيق بعض الأسماء والأماكن
بتلمسان ذات الصلة بها. وقد ترجم له ابن مريم، والسخاوي، والمقري، وأبوراس،
وغيرهم.

(2) لم ندر من هو التونسي الذي يعنيه، أما التنسي فهو محمد بن عبد الجليل التنسي الملقب
بالحافظ ولد بمدينة تنس بين شرشال ومستغانم، وانتقل إلى تلمسان وتعلم على
ابن مرزوق، وقاسم العقباني، وابن الإمام، والنجاري، وإبراهيم التازي. وتبحر في
العلوم والمعارف حتى قال فيه أحمد بن داود الأندلسي: العلم مع التنسي. والصالح مع
السنوسي، والرياسة مع ابن زكري، ومن أهم مؤلفاته: نظم الدر والعقيان في شرف بني
زيان وذكر ملوكهم الأعيان ومن ملك من أسلافهم فيما مضى من الزمان. وقد انتصر
للعالم المجاهد عبد الكريم المغيلي في قضية يهود توات وتمنطيط توفي في شهر جمادى
الأولى عام 1899 هـ (فيفري - مارس 1494 م) وترجم له أحمد بابا، وابن مريم، وغيرهما.
(3) علي بن محمد التالوتي هو أخ الشيخ محمد بن يوسف السنوسي من أمه، تتلمذ على
الحسن أبركان. ودرس عليه أخوه من أمه الشيخ السنوسي. توفي في صفر عام 895 هـ
(ديسمبر 1489 - جانفي 1490 م). وترجم له ابن مريم، والحفناوي، وغيرهما.

(4) أحمد بن محمد بن عيسى البرنوسي القاسي الشهير بزروق ولد صباح الخميس 28 محرم
عام 846 هـ (17 ماي 1444 م) وتنقل بين تلمسان، وبجاية وقسنطينة، للدراسة
والتحصيل، وتعلم على الشيخ عبد الرحمن الثعالبي، وألف عدة كتب في علم التصوف
وشرح عدة منظومات منها: منظومة الوغليسية للشيخ عبد الرحمن الوغليسي في الفقه
المالكي. وقد حاول أن يوفق بين التصوف والفلسفة وحج عدة مرات، وأدركته الوفاة في =

والسنوسي⁽¹⁾ إلى غير ذلك من غيرهم. ولما مات شيخه الهواري رضي الله عنهما قام بوهران مقامه، وتقلد حسامه، ونصب راية العلوم وشيّد بنيانها، ورفع قواعدها ودعّس أركانها، فابتهج به المحل والأوان، وحاز رئاسة الفضل بشعر وهران، فهو المطاع وليس بذي سلطان، والنافذ الكلمة من غير أعوان.

وهو الذي جلب الماء العظيم لوهران. قد جمعه لها من محاله بغاية الصيانة، فاخترعه بتدبير عجيب وابتدعه بتوفيق من الله والإعانة. وقد كان أهل وهران قبل ذلك في غاية الإهمال، بحيث تذهب المرأة بكرة لسقي الماء، فلا تروج لبيتها إلا بعد الزوال لكون الماء بيض قليلاً قليلاً وعليه نوبة وزحام. ويقال إنه لما وصله للموضع المعروف برأس العين من وهران طلسم عليه فلا يعرف من أين مجيئه (كذا) باحتكام، ويديع تدبيره لمائه، يدل على عظيم فراسته ودهائه. وكان يقترض الدراهم الكثيرة من التجار بتحقيق المسالك. ويصرفها في إصلاح هذا الماء فلا يدرى من أين يوفي ذلك. ولما أتم بنيانه، وصوّب ميزانه، وأرصد مكانه، وأفخم عرفانه، أخرج الأطعمة المختلفة الألوان، فشبع كل من

= قرية تكربن بضواحي مسراته قرب مدينة طرابلس الليبية في شهر صفر عام 399 هـ (نوفمبر - ديسمبر 1493 م). فدفن هناك وبني على قبره ضريح يحتفل به الناس كل سنة. وفي عام 1979 م احتفل المصريون بذكرى مرور خمسمائة عام على وفاته وكنت آنذاك بمدينة طرابلس أشارك في ملتقى دولي حول تجارة القوافل الصحراوية نظمه مركز جهاد الليبيّن ضد الغزو الإيطالي. ولاحظت نهج الإذاعة على فكرة الاحتفال بمثل تلك الشخصيات وذكرياتهم، وكذلك الصحافة.

(1) محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي التلمساني، ولد بتلمسان بعد عام 830 هـ (1426 م)، ونشأ بها واشتهر بتبحره وتضلعه، وتخصّصه في علم التوحيد، والتصوف، وألّف متون السنوسية: الكبرى، والصغرى، والوسطى، التي كانت تدرس في القرويين، والزيتونة، والأزهر، وقسنطينة، والجزائر، وفاس، وفي معظم المعاهد والزوايا العلمية لغاية نهاية عقد الستينات من هذا القرن العشرين الميلادي. واشتهر بتزعمه لمدرسة تلمسان الصوفية. وتوفي يوم الأحد 18 جمادى الثاني عام 895 هـ (18 أبريل 1490 م)، ودفن بمقبرة العباد، وما يزال قبره وضريحه قائمين. كما أن مسجده ما يزال أيضاً قائماً حتى اليوم في حي القيصرية بتلمسان. وقد ترجم له ابن مريم وأحمد بابا، والحفناوي، ودائرة المعارف الإسلامية.

كان بشعر وهران، وكان ذلك / اليوم مشهوداً ومن المواسم والأعياد معدوداً فقليل له (ص 24) من أين أخرجت هذا الطعام وما صرفت على الماء وأنت فقير بالعيان، فلست من الملوك ولا من الأغنياء الأعيان، فقال مساعدة الزمان ومساعدة الإخوان، فعل بهما كل ما كان. وكان جمعه له قبل موته بآمد في الشايح. لأنه توفي رحمه الله في تاسع شعبان سنة ست وستين من القرن التاسع⁽¹⁾ أيام السلطان مولانا أبي عبدالله المتوكل الزياتي رحمه الله وأسكنه دار التهاني، ودفن بالقصبة الخلاصة، كما دفن شيخه الهواري بالبلاصة، وبقي بضريحه خمسين عاماً، ولما ملكها الإسبان في المرة الأولى سكن بعضهم عند قبره فرأوا (كذا) ما يكرهه التزاماً. فأخبره بطريقهم بتلك القضية. وقد وافق قدوم أهل القلعة عليه بالضريبة، فأمرهم بأخذه فأخذوه بفرح وسرور، ودفنوه بمدينتهم بضريحه بها مزار مشهور، وعليه قبة عجيبة، وله مناقب كثيرة غريبة، ولا زال على محل ضريحه بوهران تحويط من الحجر⁽²⁾ مقصود للتبرك به عند الخميل، والأشهر، وفيه وفي شيخه الهواري قال الحافظ أبو راس في سنيته:

محمد ذي المقدار العادم الحجس	في رقتهم كان قطبها وعالمها
إبراهيم الذي كان يسمو عن برجيس	خلفه من بعد موته تلميذه
بل أقصا ذاك كأهل طوس مع قومس	وأنت لها لما حج أهل مشرقنا
لذلك الثغر بأبدع مقتبس	جلب ماء إليها فيه منفعة

(1) يوم 9 شعبان عام 866 هـ يوافق 9 ماي 1462 م، والسلطان الزياتي أبو ثابت أبو عبدالله محمد المتوكل حكم في الفترة من 10 جمادى الأولى 866 هـ إلى عام 890 هـ (1 فيفري 1462 - 1485 م).

(2) لا يوجد حالياً هذا التحويط، وذكرت لنا المقدمة التي تحرس ضريح الشيخ الهواري بأن هذه التحويطة كانت في ساحة المسجد على اليمين حيث بيوت الوضوء والأدواش التي أنشئت حديثاً بعد استعادة الاستقلال الوطني عام 1962، وأغلقت بجدار خلال الترميمات التي أجريت للمسجد، ولسنا ندري مدى صحة ذلك، والمفروض أن يكون مدفوناً داخل ضريح شيخه قبل أن ينقل. والبلاصة هي المدينة بالإسبانية ويقصد بها وسط المدينة وهو قلب القصبة، أما الخلاصة فيبدو أنها لا معنى لها وأتى بها لملاءمة فقرة السجع. وقد زار الرحالة المصري عبد الباسط خليل وهران عام 811 هـ (1408 - 1409 م) والتقى =

(ص 25) / ومنهم العلامة الشريف الذي أغنى عن التعريف به ماله من شهرة وخمرة، سيدي بختي بن عياد دفين بلاد غمرة⁽¹⁾ قد جمع الله له بين العمل والعلم، وجودة النظر وثقوبة بالفهم (كذا)، والنجابة وذكاء القريحة، والديانة وكثرة النصيحة، فانتفع به خلق كثير، فهو من الأولياء المشاهير، وكان رضي الله عنه من أهل القرن التاسع⁽²⁾ فهو القطب الرباني، في زمان الملك أحمد العاقل ابن الملك أبي حنم موسى بن يوسف الزياتي. فاجتمع بالشيخ محمد الهواري وتلمذه وأخذ عنه. فانتفع بعلوم دينية ولدنية منه. ونال بركاته في القول الحفي

= بالشيخ الهواري وإبراهيم التازي وترجم لهما.

(1) الشيخ بختي بن عياد معاصر للشيخ الهواري، وتلمذ عليه وعلى الشيخ الحسن أبركان التلمساني، وهو الذي حمل رسالة الأخير إلى الشيخ الهواري بوهراة في قضية الوساطة بين أمير تلمسان أحمد العاقل، والسلطان الحفصي أبي فارس عزوز الذي كان يقود جيشاً لغزو تلمسان، وكان الشيخ الهواري في البداية يرفض الوساطة، ولكن الشيخ بختي أكد له بأن الشيخ الحسن أبركان هو الذي أرسله إليه فسرّ وزالت عنه الحسرة والتقطيب وقال للشيخ بختي قل لشيخك ليؤكد للأمير عدم وصول السلطان إلى بلاده إلى آخر القصة.

وقد قدم أحمد العاقل الزياتي جائزة بعشرة دنانير إلى الشيخ بختي بعد أن نجاه الله من ذلك الغزو المتوقع عليه وعلى إمارته. وأورد القصة بتفاصيلها ابن مريم في البستان ص 231 - 232.

وعندما توفي الشيخ بختي في تاريخ لا نعلمه خلال القرن التاسع الهجري (15 م) دفن في قرية تحمل اسمه اليوم على بعد خمسة كيلومترات من قرية غمرة غرباً، واثنى عشر كيلومتراً من قرية حمو بوتليليس شمالاً. واثنين وأربعين كيلومتراً من وهران غرباً. وقد زرت هذه القرية صباح الخميس 25 ذو الحجة 407 هـ (20 أوت 1987 م) للتعرف على المكان، ووجدت هناك ضريحين اثنين واحد للشيخ بختي الصغير بجوار القرية داخل مقبرة صغيرة، والثاني للشيخ بختي الكبير على بعد حوالي ثلاث كيلومترات من شمال القرية. وهو الذي يحتفل به كل سنة.

ولكن أحد الرجال هناك قال لي خلال الزيارة بأن الناس كانوا يقيمون الاحتفال في الضريح الذي بجوار القرية ولكن المشاجرات التي تحصل باستمرار، وقتل البعض خلالها، جعل الناس ينقلون الاحتفال إلى الضريح البعيد عن القرية.

(2) القرن التاسع الهجري يقابله القرن الخامس عشر الميلادي.

فكان من المفتوح لهم في كل شيء. وكانت له صحبة جسيمة، ومحبة عظيمة، مع الولي الزاهد، القطب الغوث الماجد، شيخ الزهاد، وقدوة العباد، كثير المعاني، وصاحب أسرار الأسماء والحروف، أبي علي الحسن أبركان ابن مخلوف المزيلي الراشدي دفين تلمسان وأحد ساداتها الأعيان⁽¹⁾ لأخذهما معاً عن من اشتهر عن وصف الواصف، الشيخ محمد بن أعمر الهواري، العلوم وأسرار المعارف فتلمذه له وخدمه بالنية والتصديق، إلى أن نال منه سرّاً عظيماً بالتحقيق. وكان سيدي بختي من الشرفاء الحسينيين أولاد أبي عنان الأخيار. نصّ على ذلك صاحب جواهر الأسرار.

ومنهم القطب الكامل، العامل الواصل، العالم الفاضل، قانع أهل الضلالة واللصوص / أبو عبدالله سيدي محمد بن يقي دفين جبل أبي عروص. (ص 26) كان رحمه الله من أهل القرن التاسع⁽²⁾ وله جلالة وعظامة وسر نافع. وعلى

(1) الحسن بن مخلوف بن مسعود بن سعيد المزيلي الراشدي، أبو علي الشهير بأبركان، يعتبر من أكابر علماء تلمسان، عاصر الشيخ الهواري وإبراهيم التازي، وهو الذي توسط لسلطان تلمسان أحمد العاقل، لدى الشيخ الهواري، عندما زحف السلطان الحفصي أبو فارس على تلمسان عام 837 هـ (1434 م). وقد توفي بتلمسان ودفن بها في آخر شهر شوال عام 857 هـ (أول نوفمبر 1453 م). وترجم له ابن مريم، والحفناوي، والجيلالي وغيرهم.

(2) جبل عروص الذي يسميه الناس بوعروص، يقع شمال قرية قديل في سفح الكتلة الجبلية الضخمة التي تقع بين وهران وأرزيو، ويقع في سفحها الغربي جبل كسيكو وقرية كريشتل، ويقع في سفحها الشرقي جبل عروص وقرية سيدي محمد بن يقي، وقرية قصيبة، أما ضريح الشيخ وزاويته فتقع في عمق الجبل على بعد حوالي ثعاني كيلومتر غرباً وقد زرتهما صباح يوم الأحد 21 ذو الحجة 1407 هـ (16 أوت 1987) ووجدناها مغلقة ثم لما عدنا إلى القرية التي تحمل اسمه دلنا البعض على منزل المقدمة زينت حفيدة الشيخ التي ولدت وتربت هناك هي وأبوها وجدها، وتفتح الضريح والزواية للزوار، كل يومي الخميس والجمعة من كل أسبوع. وذكرت لنا أن خادمة الشيخ التي دفنت هناك بجوار الضريح خارج القبة جيء بها من السودان. وكان الشيخ محمد ابن يقي معاصراً للشيخ الهواري والشيخ بختي بن عباد، ولا يستبعد أن يكون قد تلمذ هو الآخر على الشيخ الهواري. وعاش في القرن التاسع الهجري (15 م) ولا ندري التاريخ الذي توفي فيه.

ضريحه مشهد عظيم مزار، مقصود للتبرك به وقضاء المأرب (كذا) في الليل (كذا) والنهار.

ومنهم العلامة الأكبر، والكبريت الأحمر، من جمع الله له بين العلم والعمل، ونار وقته وسعد به المكان والمحل، الشريف الحسيني الذي سره وعلمه كالماء الجاري، يجري، الشيخ غانم بن يوسف الملقب التركي الغمري، دفين جبل ماخوخ⁽¹⁾ من بلاد أولاد علي أحد بطون بني عامر، فظهر فضله وكثر سره فهو للكسير جابر. وكان من أهل القرن التاسع ومات بالعاشر واجتمع بالشيخ أبي العباس أحمد بن يوسف الراشدي الملياني ذي السر الناشر، نص على شرفه أبو عبدالله محمد الفاسي في كتابه - أئمة الأبصار - فهو من السادات الأولياء العلماء الأبرار. وكان معاصراً للذي له في العلم والشرف والولاية قدم رسوخ (كذا) سيدي معاش بن أحمد الكثيري، دفين ثنية ماخوخ⁽²⁾ واصل مسكن

(1) جبل ماخوخ يقع جنوب وهران على الحافة الجنوبية لسهل ملاتة، وسبخة وهران الكبيرة، وتقع قرية الطافراوي في سفحه الشمالي على بعد حوالي خمسة أو ستة كيلومترات. وقد أسست قرية وبلدية جديدة بعد استعادة الاستقلال الوطني عام 1962 أطلق عليها اسم: سيد غانم. ويحتفل سنوياً بذكره فيما يعرف بالوعدة، كما حصل هذا العام (أوت 1987). وقد أدرك القرن العاشر الهجري (16 م) ومات به. وله ذكرى في كثير من رحلات الرحالة المغاربة الذين كانوا يمرون بالمنطقة خلال ذهابهم وإيابهم من الحج حيث كانوا يزورونه، ويتحاورون معه. وهذا يدل على شرفه، وعلمه، وتقواه، وقد تحدث عنه أحمد العشماوي في كتابه السلسلة الوافية. والياقوتة الصافية، وأثبت صحة نسبه إلى الأشراف الأدارسة. وقد قمت شخصياً بزيارة ضريحه صباح يوم السبت 27 ذي الحجة 1407 م (22 أوت 1987 م) للتعرف على المكان والتثبت من بعض المعلومات، ولكن لا أحد يعرف شيئاً. وحتى اسم جبل ماخوخ لا يعرفه الناس حالياً إطلاقاً ولم يسمعوا به فمقدم الضريح الذي يبلغ عمره أربعاً وثمانين عاماً لم يسمع في حياته بهذا الاسم، علماً بأن صاحب المخطوط كان ما يزال حياً في نهاية القرن التاسع عشر وهو الذي أورد الاسم. أما أولاد علي فبعيدة عن موقع ضريح وقرية سيدي غانم إلى الشرق بحوالي عشر أو اثني عشر كيلومتراً وتقع على الطريق العام بين سيدي بلعباس جنوباً وزهانة ووادي تليلات شمالاً. وهذا يدل على عدم التدقيق في تحديد الأمكنة والأزمنة، وكان ذلك مصدراً للأخطاء التي يقع فيها الناقلون والناسخون والمحققون.

(2) ثنية ماخوخ التي دفن فيها الشيخ معاشو تعرف اليوم باسم: عين البرد، وكان الاستعمار =

سيدي غانم ببني وراغ فسمع به الأحلاف فرقة منهم بأنه عنده شاة من الضان مسمنة منذ ثلاث سنين، فقدموا إليه لطغيانهم وأمروه بذبحها لهم فسألهم غيرها فأبوا لما أراد الله بهم الانتقام المكين. فذبحها لهم واحتسب وبش في وجوههم وانطرب، ولما فرغوا من الأكل وأرادوا الانصراف، أنشأ يقول: حاف حاف طاح الكاف على الأحلاف، فلا ينجي منهم إلا الأعمى والزحاف، فذهبوا نحو كاف الوادي وناموا في ظلّه/ من شدة الحرّ فسقط عليهم ذلك الكاف وماتوا ولم ينج (ص 27) منهم إلا من كان أعمى أو زحافاً كما قال.

ثم ارتحل وجاء عند أبيه بمستغانيم فسكن بغربها بحشم داروغ إلى أن توفي أبوه سيدي يوسف الشريف فدفته بالمطمر من مدينة مستغانيم⁽¹⁾. وفي

= الفرنسي قد أطلق عليها اسم واد أمبير وتقع على الطريق العام الذي يتجه إلى سيدي بلعباس، البري، والحديدي، ولا تبعد عن قرية أولاد علي شمالاً إلا ببضع كيلومترات كما لا تبعد كثيراً عن مدينة سيد بلعباس. ويوجد ضريح الشيخ معاشو في ربوة عالية بأعلى القرية قرب سفح الجبل في منطقة فلاحية هامة وخصبة، وحسب مقدم ضريحه الحالي فإنه كان متزوجاً من بنت الشيخ محمد بن عمر الهواري الوهراني، فهو صهر ومعاصر له، ومن أهل القرن التاسع الهجري (15 م) ولربما عاش إلى العاشر (16 م). مثل الشيخ غانم، وحسب الشيخ عبد القادر الزبير أحد أحفاد الشيخ غانم فإن هناك صراعاً وتنافساً بين أتباع الشيخ معاشو، والشيخ غانم على النفوذ والسلطة الدينية، والمركز العلمي. وقد زرت ضريح الشيخ معاشو صباح السبت 27 ذو الحجة 1407 هـ (22 أوت 1997 م) للتعرف على المكان والتثبت من بعض المعلومات ولكن لا أحد يعرف شيئاً حتى مقدم الضريح الذي هو أُمّي كذلك. ومن غرائب ما لاحظناه قيام الناس بإحاطة قبور موتاهم بشبابيك حديدية، مما يصعب معها زيارة أي قبر، يضاف إلى هذا التبذير في الحديد المطلوب لصناعات أخرى، وفي الأحوال التي يتم بها صنع تلك الشبابيك الحديدية.

ورغم أن الشيخ معاشو هذا كان عالماً إلا أنه لا يتم تعليم الأطفال حتى القرآن الكريم في زاويته، وهو ما لاحظناه كذلك في زاوية الشيخ غانم، والشيخ بختي، والشيخ ابن يقي، والشيخ المسعود، وغيرهم من العلماء الذين زرنا مدافنهم وأماكن استقرارهم ومتواهم.

(1) المطمر حي من أحياء مدينة مستغانم. وهناك قرية المطمر التي تقع بين مستغانم =

التوسل بوالده، وسيدي عبدالله بن خطاب يقول الشيخ محمد بن حواء القذاري
ثم التجيني في غوثيته التي من بحر الرجز:

ويدفين المظمر الأواه الإمام الأعظم عبدالله
وبالإمام الختمة للشرف رفيقة بعد الممات يوسف

ثم انتقل وسكن وهران أمدأ، ثم انتقل لغمرة غربي وهران وسكن بها إلى
أن نسب لها. ثم انتقل منها وسكن بجبل ماخوخ إلى أن توفي به ودفن هناك
وعلى ضريحه قبة ومشهد عظيم مقصود للتبرك به وله نسل كثير أكثرهم بلهاء⁽¹⁾.

ومنهم العلامة الكبير الدراكة الشهير، الفهامة الأثير، كثير المعارف
والأنوار، والخوارق والأسرار، أبو العباس سيدي أحمد بن أبي جمعة المغراوي
النجار، مؤلف كتاب: «جواهر الاختصار والبيان، فيما يعرض بين المعلمين وآباء
الصبيان». كانت له اليد الطولا (كذا) في كل شيء، كثير التقارير. وكان من
أولياء الله الأكابر (كذا). اجتمع بالشيخ غانم بن يوسف الغمري وأخذ عند فوائده
جمّة، ومسائل مهمة. وتوفي بال عشرة الثالثة من العاشر رحمه الله ونفعنا به
وأمثاله. آمين⁽²⁾.

(ص 28) ومنهم الولي الأشهر، والكبريت الأحمر، المنتشر الصيت/ المراصد في
العبادة للأوقات، أبو عبدالله سيدي محمد بن الخير الجماعي دفين وادي تليلات

= غليزان، فلا بد من التفريق بينهما حتى لا يقع الخلط.

(1) لا ندري ماذا يقصد بكونهم بلهاء ولم نحاول أن نستنتج أحداً. لأنه من الصعب
الحصول على جواب صحيح في مثل هذا الوصف، ولنسا ندري هل المؤلف على علم
حقيقي بهذا أم أنه استقى معلوماته من الغير، وهنا تدخل النفرة، والنصرة، والصراعات
القبلية والجهوية.

(2) أي فيما بين 930 - 940 هـ (1524 - 1534 م) وهو حفيد الشيخ محمد بن عمر الهواري ابن
ابنه، وشقيق محمد بن أبي جمعة الوهراني الذي سيأتي ذكره فيما بعد في المقصد
الثالث، وحسب الأستاذ أبو القاسم سعد الله فإن الكتاب ألفه أخوه محمد بن أبي جمعة،
وعنوانه: جامع جوامع الاختصار والتبيين فيما بين المعلمين وآباء الصبيان. انظر تاريخ
الجزائر الثقافي ج 1 ص 343. وقد حققه ونشره الدكتور عبد الهادي التازي في المملكة
العربية السعودية.

وأصله من أولاد جماعة فرقة من العرب من بني زروال، وكان من أهل القرن الثاني عشر في صحيح الأقوال⁽¹⁾ ويقال إن الدعاء عند قبره مستجاب كأبي مدين أحد الإمامين والأقطاب. وله كرامات جليلة، وخوارق عادات جميلة خرج رحمه الله من وهران لما دخلها العدو في المرة الأولى⁽²⁾ وسكن برأس التافراوي ثم انتقل بزاويته إلى المحل الذي به ضريحه وسكنه إلى أن مات. وعلى ضريحه قبة وله مشهد للزيارة. ويقال إن له نسل وكانت زاويته في أمن من العدو وسائر الآفات.

ومنهم الشيخ النجيب، الأخذ من العلم والسر بأوفر النصيب الطائع للإله (كذا) الرقيب المجيب، أبو عبدالله سيدي محمد أغريب كان من أهل العطا والنفع الوافر. وهو من الأقدمين في المتواتر. وضريحه بصفح (كذا) جبل هيدور، غربي وهران خارج سورها مشهور ولدى ضريحه مقبرة جليلة، متممة إليه فضيلة⁽³⁾.

(1) وادي التليلات قرية فلاحية هامة جنوب شرق مدينة وهران على بعد 27 كلم منها. وأسست في سهل منبسط خصب على الطريق العام البري والحديدي إلى الجزائر العاصمة. الطافراوي قرية صغيرة تقع إلى جنوبها الغربي وقد زرت ضريح محمد ابن الخير الجماعي وزاويته صباح الأحد 21 ذو الحجة 1407 هـ (16 أوت 1987 م). وذلك في الجنوب الشرقي لوادي التليلات بجوار خط السكة الحديدية، والطريق البري المتجه إلى زاهانا، وسيدي بلعباس، ويرد عليهما الزوار من عدة جهات، وسط مقبرة صغيرة خاصة العنصر النسوي، ولا أثر للعمل الثقافي والتربوي للأسف بها.

(2) هناك تضارب في هذا التاريخ. فقد قال المؤلف قبل بأن الشيخ الجماعي من أهل القرن الثاني عشر (الهجري) في صحيح الأقوال وهو ما يوافق الثامن عشر الميلادي، وهنا يقول بأنه غادر وهران إلى الطافراوي عند احتلال الإسبان لها أول مرة. وهذا الاحتلال تم عام 915 هـ (1509 م) أي في مطلع القرنين: 10 هـ و 16 م.

(3) ما تزال هذه المقبرة إلى اليوم تحمل اسمه في سفح الجبل المطل على مدينة وهران، جنوب حي القصبة القديم، خارج السور القديم للمدينة، ويفصل بينهما واد وخانق كبير ينحدر من الجبل غرباً إلى واد الرحي أو رأس العين شرقاً. وقد زرت هذه المقبرة صباح السبت 20 ذو الحجة 1407 هـ (15 أوت 1987 م) ووقفت على قبر الشيخ الغريب، داخل حويطة محاطة بجدران أربعة إلى علو نصف متر. ويبدو أنها كانت في الأصل بيتاً =

ومنهم سيدي البشير بن يحيى من ذرية الشريف الحسني القطب الأكمل (ص 29) مُقرّ الجان على الإطلاق. سيدي محمد بن يحيى المغراوي دفين وادي فروحة بالاتفاق، الذي نصّ على شرفه أبو زيد عبد الرحمان في عقد الجمان النفيس، وشارحه الشيخ الجوزي المزيلي، والحافظ أبو راس في عجائب الأسفار. وكذا صاحب جواهر الأسرار، وأئمة الأبصار، وغيرهم من ذوي الأسرار. وكان سيدي البشير وقبره مشهور ومقصود للزيارة. وعليه قبة وعنده مقبرة منتمية إليه بالاشتھارة⁽¹⁾.

= مسقفة، ثم تهدم سقفها وأعلى جدرانها، ودفن معه حديثاً إنسان آخر في اتجاه شمالي معاكس تماماً لقبره، والمقبرة في حالة يرثى لها مليئة بالأزبال والقاذورات رغم أنها محاطة بجدار ولها بابان، ولكن الجدار في أعلى مهدم يسهل للناس تخطيه ورمي القاذورات، فأين مصالح البلدية، وأين الأخلاق الإسلامية التي تحت على النظافة، وتمنع إيذاء الموتى ومراقدهم، وتوسيعها. إنه أمر يسيء إلى الأخلاق والفضيلة والدين، ويؤذي الله والرسول.

(1) أوائل القرن الثالث عشر الهجري يوافق أواخر القرن الثامن عشر الميلادي. والشيخ البشير هذا ما يزال قبره وضريحه قائمين حتى اليوم في حي الهضبة من مدينة وهران بجوار ثانوية بن باديس، وخلف متوسطة ابن خلدون، وقرب المكتبة البلدية والمتحف البلدي، وحي المدينة الجديدة. ويتكاثر عليه العنصر النسوي دائماً. وزرته شخصياً صباح السبت 20 ذو الحجة 1407 هـ (15 أوت 1987 م) ووجدته مملوءاً بالعنصر النسوي. أما المقبرة فقد أزالها الفرنسيون ضمن ما أزالوا في إطار توسيع المدينة وأقاموا حياً كبيراً يدعى بحي الهضبة، وقد توفي الشيخ البشير في أوائل القرن الثالث عشر الهجري (أواخر القرن 18 م). ولا بد من التفريق بينه وبين عالم آخر بنفس الاسم دفن شرق قرية بئر الجير، شرق وهران على بعد حوالي عشرة كيلومتراً. وأقيمت حول ضريحه قرية تحمل اسمه، ويزوره العنصر النسوي بكثرة.

أما عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشرف غريس الذي أشار إليه فهو رجز نظمه عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد التيجاني في القرن الحادي عشر الهجري (17 م) وشرحه تلميذه محمد الجوزي المزيلي الراشدي وسمى شرحه عليه: فتح الرحمن في عقد الجمان. كما شرحه أيضاً أبو راس، وترجمه إلى الفرنسية السيد ل. فان: L. GUIN، ونشره في المجلة الإفريقية عام 1891.

ومنهم العلامة سيدي بدر الدين وضريحه بوهراڻ مشهور. وكان من العلماء الأكابر فهو من أهل الثالث عشر وله مسجد بها في المساجد المذكور⁽¹⁾.

ومنهم سيدي السنوسي مقامه خارج سور وهران بطريق تلمسان⁽²⁾.

وسيدي إبراهيم الخروطي الوهبي مقامه خارج سور وهران بطريق كدية الخيار يعان (كذا)⁽³⁾.

وسيدي محمد بن أبي يعزى من ذرية سيدي أبي يعزى الغربي الهسكوري مقامه بمقبرة سيدي البشير المارّ المبروري⁽⁴⁾.

= وأما مقرىء الجان ومعلمهم أمحمد بن يحيى، الذي يتنسب إليه الشيخ البشير، فقد تحدث عنه أحمد العشماوي في كتابه السلسلة الوافية، وقال بأنه من أهل غريس الشرقي وليس الغربي وخلف وراءه ثلاثة أبناء: محمد الكبير الذي استقر بواد زيان الذي يدعى وازيان بجوار قبائل بني كلال. ومحمد الكبير الذي استقر بالمنطقة الساحلية إزاء مديونة ومسيرة. وسليمان الذي استقر بوازيان كذلك، وأنجب ثمانية أبناء هم: رحمون، وموسى، وعلي، ومحمد، وعبدالله، وعبد القادر، وصالح، وعبد الحق، فإلى من يتنسب الشيخ البشير، من هؤلاء الأبناء والأحفاد، والفروع ص 277 - 278.

وقد ذكر الشيخ المهدي البوعبدلي في تعليق له بدليل الحيران بأن أمحمد بن يحيى مقرىء الجان تتلمذ على الشيخ السنوسي بتلمسان وهو الذي أذن له في الذهاب إلى الراشدية (قلعة بني راشد) لنشر علم التوحيد الذي تخصص فيه وألف عقائده الثلاثة: الكبرى، والوسطى والصغرى، فامتثل واستقر بها وأسس معهداً علمياً لا تزال آثاره، وما حبس عليه من الأملاك والأموال باقية إلى اليوم، وخلف ذرية كبيرة بالجزائر والمغرب الأقصى. ص 144 تعليق.

(1) الموافق للقرن التاسع عشر مسيحي. وهذا الولي غير معروف الآن، ولا ذكر لمسجده، وقد يكون اندثر ضمن ما اندثر مما خربت الإدارة الاستعمارية الفرنسية.

(2) ما يزال ضريحه قائماً حتى اليوم بجنوب المدينة في ساحة كبيرة وواسعة غير بعيد عن السوق المركزي لبيع الخضروالفواكه بالجملة ويتردد على زيارته العنصر النسوي بكثرة، وإقامت البلدية أخيراً ببناء حائط دائري على ساحته وأقامت لها باباً لحمايته.

(3) لا يوجد قبره حالياً، ولربما يكون قد اندثر كذلك. وكان هذا الولي معاصراً للباي حسن آخر بايات وهران، وكاد يقتله لولا لطف الله كما فعل بغيره.

(4) أزال الفرنسيون قبره عندما أزالوا المقبرة. ولا نعلم عنه شيئاً.

وهؤلاء الثلاثة كلهم من أهل القرن الثالث عشر⁽¹⁾.

والشريف سيدي قادة بن المختار مقامه بالمدينة الجديدة وهو في القرن الحادي عشر مشتهر⁽²⁾ غير أنني في حيرة من هذا المقام بالتعيين، لأنه إن كان المنسوب له جلس به فإن وهران بذلك الوقت مسكونة بالاسبانيين. ثم زالت حيرتي بكونه قدم مجاهداً وجلس به ليلاً فجعل له المقام. والحمد لله على زوال هذه الحيرة باتضاح المرام.

ومنهم العلامة الكبير، والقُدوة الشهير الجامع بين العلم والعمل الشيخ الرباني، أبو محمد عبدالله بن الطيب بن حواء القُدّاري التجاني، شيخ الطريقة الدرقاوية كثيرة النوالي، بعد شيخه مولاي العربي بن أحمد الدرقاوي البوبريحي الزروالي.

والسيد فرقان الفيليتي بالبيان.

(ص 30) وهما/ الذان (كذا) أمر الباي حسن بقطع رأسيهما فقطعا في شعبان سنة تسع وثلاثين من القرن الثالث عشر بالتحيري⁽³⁾ ودفنا بضريح واحد بلحدين أحدهما قبلة والآخر بحراً بمقبرة سيدي البشير. ويحكي أن السبب في قتلهما قاضي الحملة السيد محمود ابن حواء التجيني⁽⁴⁾ وشى بهما عند الباقي لينال سعه، بأنهما يريدان (كذا) القيام عليه كما قام ابن الشريف على من قبله من بايات الأتراك وهو الباي مصطفى بن عبدالله العجمي فمن بعده. ثم نقلوا معاً من وهران

(1) الموافق أواخر القرن 18 وأغلب القرن 19 م.

(2) الموافق للقرن 17 م وما يزال ضريحه قائماً حالياً على بعد بضعة أمتار من مسجد وساحة سيدي بلال بالمدينة الجديدة.

(3) شهر شعبان عام 1239 هـ يوافق شهر أبريل 1824 م، وقد تم إعدامهما خلال أحداث ثورة الشريف الدرقاوي التي سيأتي الحديث عنها في المقصد الرابع إن شاء الله.

(4) ذكر الشيخ المهدي البوعبدلي في تعليق له بدليل الحيران بأن محمود بن حواء هذا كان قاضياً عند الأتراك، وشغف بنسخ الكتب، وجمعها، ومن ضمنها: كتاب لمسلم بن عبد القادر بخط يده يوجد بالمكتبة الوطنية في الجزائر تحت رقم 893. ولا نعلم عنه حالياً غير هذا.

في عام أربعة وثمانين من الثالث عشر ودفنا بضواحي البطحا في المشتهر⁽¹⁾.
ومنهم الضرير السيد أحمد الفلالي المختاري كان يقرأ القرآن بالسبع⁽²⁾
ولقراءته قد حرر. توفي سنة خمس أو ست وستين من القرن الثالث عشر⁽³⁾
ودفن بقبة مقام سيدي عبد القادر الجيلالي بقرب مقبرة سيدي الغريب خارج سور
وهران. وقبره مقصود للتبرك به نفعا الله بالجميع في السر والإعلان⁽⁴⁾.

(1) عام 1284 هـ يوافق: (ماي 1867 - أبريل 1868 م)، والبطحاء هي قرية المطمر الحالية.
وكانت تسمى كلانشة في عهد الاحتلال الفرنسي، وتقع بين مستغانم وغليزان، وزرتها
في شهر مارس 1988.

(2) يقرأ القرآن ويتلو بالروايات السبعة المشهورة والمتواترة، وأولها رواية ورش المنتشرة في
كل بلدان المغرب الإسلامي والأندلس، ثم حفص، وقالون، وغيرهما.

(3) الموافق لعام 1849 أو 1850.

(4) ما يزال هذا الضريح قائماً حتى اليوم في سفح الجبل المطل على وهران غرباً بجوار الحي
الذي يدعى بالبلانتور، جنوب غرب المدينة على الضفة اليسرى للوادي الذي يشقها من
الجنوب، إلى الشمال، وقد أحيط بمقبرة صغيرة، مسيجة بحائط كبيرة، ووضع لها باب
كتبت عليه عبارة مقبرة سيدي الفيلالي. ولا يفصلها عن مقبرة سيدي الغريب شمالاً سوى
طريق عام للسيارات، وبعض المنازل والمساكن والدكاكين الشعبية، وقد زرتها مرتين
آخرهما صباح اليوم السبت 20 ذو الحجة 1407 هـ (15 أوت 1986 م). والضريح يتألف من
بيتين هذا داخل في الآخر، وبه لا أقل من سبعة قبور ويقع ضريح الشيخ على يسار البيت
الأولى وعليه تابوت وملحفة من الكتان، والضريح والمقبرة نظيفتان جداً، على عكس
مقبرة سيدي الغريب، ويبدو أنها تغلق في الليل ومحروسة بالنهار وإلا لما بقيت نظيفة
هكذا وسالمة من التخريب.

المقصد الثالث
في ذكر بعض علماءها

اعلم أيديني الله وإياك بنوره. ونفعني وإياك بسرّه ووقانا من ضروره، أن علماءها عددهم كثير. وحصرهم شديد عسير. ولكنني أذكر منهم إن شاء تعالى المشاهير، كما ذكرهم شيخنا الحافظ المحقق سيدي ومولاي، وسمط محياي، العالم الرباني، الشريف الحسني أبو عبدالله محمد بن يوسف الزياتي / في (ص 31) الفصل الثالث من كتاب - دليل الحيران فنقول:

إن من علماء وهران عالمها ومحدثها أبو إسحاق إبراهيم الوهراني أحد شيوخ ابن عبدالله النمري الأندلسي (كذا) كان من أهل القرن الرابع⁽¹⁾. ومنهم أبو تميم الواعظ نفعنا الله به⁽²⁾.

ومنهم أبو عبدالله محمد الوهراني الملقب بركن الدين صاحب الرسالة المشهورة على لسان بغلته للأمير بمصر عز الدين موسك المذكورة في دليل الحيران وعقد الأجياد وغيرهما، دخل مصر في حدود السبعين من القرن السادس⁽³⁾ واشتهر بالعلم والأدب، وحسن الفهم والنجب وحصل بها من العلوم لبابها. وكشف الحقائق حجابها.

(1) الموافق للعاشر الميلادي، ولم نجد من ترجم له.

(2) هكذا كتبه المؤلف نقلاً عن الزياتي، ولكن غيره يكتبه هكذا: أبا تمام بفتح الميم الأولى مع الشدة والمد، بعدها ألف. وقد سكن بجاية مدة من الزمن، ودرس بها، وهزفقيه، وعالم عاش في القرن السابع الهجري (13 م). وترجم له ابن أبي زرع، والخبريني، والجيلالي، وشربونو، وديدي.

(3) أبو عبدالله محمد بن محرز بن محمد الوهراني الذي يلقب بركن الدين، من علماء وأدباء القرن السادس الهجري (12 م) ولد وعاش بوهران معظم سني حياته التي لم يسجل عنها =

ومنهم أبو زيد عبد الرحمان مقلّاش وهو الذي أصلح في سهو الشيخ محمد الهواري أشياء وزناً وإعراباً وأتى به إلى الشيخ وقال له يا سيدي إنني أصلحت سهوك فلم يقبل منه وقال له هذا السهو يقال له سهو مقلّاش وأما سهوي فهو سهو الفقراء يبقى على ما هو عليه إنما ينظر فيه إلى المعنى ومن أين لمحمد الهواري بالعربية والوزن. وأنشد سبويه في هذا المعنى أبياتاً فقال:

لساني فصيح معرب في كلامه فيا ليتني من وقفة العرض يسلم
أراه فصيحاً في الحياة وإنما أخاف عليه في القيام يلجم
وما ينفع الإعراب إن لم تكن تقى وما ضرّ ذا تقوى لسان معجم
وكان من أهل القرن التاسع⁽¹⁾.

= شيء، ولم تحدد حتى سنة ميلاده. وقد تجول في بلدان المغرب العربي، وصقلية على عهد الموحدين، ثم انتقل إلى مصر عبر تونس، وصقلية، وحاول أن يلتحق بديوان الإنشاء. فلم يوفق بسبب شخصية القاضي الفاضل ولذلك غادر مصر إلى الشام، وزار بغداد ثم التحق بدمشق، عام 570 هـ (1174 م)، وعين إماماً في مسجد داريا بضواحيها وبقي بها حتى توفي في شهر رجب 575 هـ (1179 م) ودفن بها. وقد ألّف خلال حياته رسائل، ومنامات، ومقامات، على شكل وأسلوب أبي العلاء المعري في رسالة الغفران. وكان سليط اللسان مقذعاً، لا يتورع عن استعمال الكلمات والجمال القبيحة، والبذينة، وعن استعمال الأساليب الهزلية الهادفة. ومن أشهر مقاماته: المنام الكبير الذي سار فيه على غرار المعري، والمقامة البغدادية، والمقامة الصقلية، ومقامة مساجد الشام، ومقامة بغلته، وترجم له ابن خلكان في وفيات الأعيان، وابن فضل الله المعري في مسالك الأبصار، والصفدي في الوافي بالوفيات، وابن قاضي شعبة في الأعلام، والسيوطي في الكنز المدفون، ومحمد كرد علي في مجلة المقتبس (1906 - 1908 م)، وخير الدين الزركلي في الأعلام. وفريد وجدي في دائرة معارف القرن العشرين، وبروكلمان، والجيلالي، وعبدالله حمزة في دراسته عن الأدب المصري. وأخيراً الأستاذان: إبراهيم شعلان ومحمد نغش، اللذان جمعاً عدداً كبيراً من مقاماته ورسائله ومناماته، وإصدارها في كتاب تحت عنوان: منامات الوهراني ومقاماته ورسائله، بالقاهرة عام 1968 م ويحتوي على 308 صفحة. ولكن هذه الدراسة لم تقدم أي شيء عن حياته قبل هجرته إلى مصر والشام، وهي فترة طويلة وتعتبر ثغرة في حياته تتطلب البحث والدراسة.

(1) الموافق للقرن 13 م. وعبد الرحمن مقلّاش هذا، تلميذ للشيخ محمد بن عمر الهواري، =

ومنهم المشايخ الستة المتقدمون/ الذكر وهم: سيدي محمد الهواري، (ص 32) وتلميذاه سيدي إبراهيم التازي، وسيدي بختي البوعناني، وسيدي محمد بن يقي، وهؤلاء الأربعة كانوا في عصر واحد من أهل القرن التاسع. وسيدي غانم الغمري وتلميذه سيدي أحمد بن أبي جمعة المغراوي، وكانا ممن أهل التاسع أيضاً لكنهما ماتا بالعاشر كما مر⁽¹⁾.

ومنهم الشيخ أبو عبدالله سيدي محمد بن أبي جمعة الوهراني المغراوي شارح لامية كعب بن زهير التي اسمها: بانت سعاد. وله يد في علم النجم والحساب وكل علم لا سيما اللغة. واسم الشرح المذكور: «تسهيل الصعب، على لامية كعب». قال شيخنا الزباني وهو عندي في الملكية بخط مؤلفه رحمه الله تعالى وهو صنو السيد أحمد ابن أبي جمعة المار وكلاهما من ذرية سيدي محمد الهواري ابنا ابنه توفي سنة عشر من القرن العاشر⁽²⁾.

ومنهم بالقرن الثالث عشر:

الشريف السيد محمد بن حسن المعروف بالكاتب المستغامي لكونه كان كاتباً لإنشاء الباي المجاهد السيد محمد بن عثمان، فاتح مدينة وهران. وقد

= ولم يترجم له أحد ما عدا حكاية تصحيحه لأخطاء شيخه اللغوية، في ذلك التأليف، والتي لم يقبلها، ورفضها، أما سبويه فهو بشر بن عمر بن عثمان البصري، ولد بمدينة البصرة في العراق واشتهر بتضلعه في علم النحو والصرف وقواعد اللغة، وتصدر مدرسة البصرة كإمام لها، بينما تصدر الكسائي مدرسة الكوفية. وقد توفي قرب شيراز عام 770 هـ (1368 - 1369 م).

(1) لقد مر التعريف بكل هؤلاء في هوامش المقصد الثاني فليراجعوا هناك.

(2) الموافق لعامي 1504 - 1505 م. وهو حفيد الشيخ محمد بن عمر الهواري، ابن ابنه مباشرة، ومرت ترجمة أخيه أحمد في المقصد الثاني. وفي نفس السنة التي توفي وهي 910 هـ أصدر فتوى لمسلمي الأندلس، الراغبين في البقاء في بلادهم، رخص لهم فيها بإخفاء إسلامهم وإظهار التدين بالمسيحية، كوسيلة للمحافظة على أرزاقهم، وأملاتهم. مع العمل على تربية أبنائهم تربية إسلامية في منازلهم وتنشئتهم على الدين الإسلامي بصورة خفية. وقد أورد هذا الخبر الأستاذ محمد عبدالله عنان في كتابه: نهاية الأندلس، ونقلت عنه الأستاذة ليلى الصباغ في مقالها: ثورة مسلمي غرناطة والدولة العثمانية، المنشور في مجلة الأصالة الجزائرية. عدد 27 (1975).

وصفه الحافظ أبو راس في رحلته المسماة (كذا) بفتح الإلاء (كذا) ومنته، في التحدث بفضل ربي ونعمته، في الباب الثالث منه بما نصّه: فانجرّ الكلام إلى أن قلت الأمر الفلاني كلاً شيء بفتح الهمزة، فقال لي لسان الدولة، وفارس الجولة الذي عظم مكانه ورفع. وأفرد له متلو العزّ وجمعه، وأوتره وشفّعه وقربّه في بساط الملك تقريباً فتح له باب السعادة وشرّحه وأعطاه لواء القلم الأعلى (ص 33) فوجب على من دونه من أولي صنعته أن يتبعه. / وحسبك من ذمام لا يحتاج إلى شيء معه، العالم الفقيه، الحبر النزيه، الأمثل الأفاضل السيد محمد بن حسن، من بيت علم وصيانة، ونزاهة وأمانة، وبركة وخير وقرى ومير، ومنصب كريم، وحسب صميم. وكان رحمه الله ذا يد في النحو واللغة وسائر العلوم ولا سيما الأدب. فينسل إليه فيه من كل حدب، حتى أنه كان لهجته وريبع حواسيه ومهجته. قل كلا شيء بكسر الهمزة ألا ترى أنك تقول جئت بلا زاد وحرف لا، لا عمل له. فقلت له أن الكاف لا تعيق عن العمل كهمزة الاستفهام والباي رحمه الله ينظر إلينا ثم ذهبت وفي قلبي من كلامه شيء فعملت على ذلك تأليفاً فلما قرأه استحسنته وأراه للباي لأنه رحمه الله ممن طاب خيمه، وسلم من الحسد أديمه. وسميت هذا التأليف: «بغية المرتاد في كلا شيء وجئت بلا زاد». ولما علمت أنه لم ترتضه ذهبت وألّفت تأليفاً آخراً وبعثته له فأعجبه وسميته: «عمدة الزاد في إعراب كلا شيء»، وجئت بلا زاد» - ثم انتقل رحمه الله من خطة الكتابة إلى خطة القضاء إلى أن مات بها.

وابنه القاضي الشريف السيد أحمد بن الخوجة المستغانمي⁽¹⁾.

(1) عائلة ابن الخوجة المستغانمية من الأسر العلمية المشهورة، أنجبت عدداً من العلماء والأدباء منهم: حسين خوجة، وابنه محمد بن حسين خوجة، والشريف بن خوجة، وابنه أحمد بن الخوجة الذي درس عليه الأمير عبد القادر بوهراّن خلال إقامته بها مع والده محي الدين. وكان حسين خوجة مثل ابنه، كاتباً في ديوان الإنشاء للباي محمد بن عثمان الكبير، وألّف كتاباً أسماه: دُرّ الأعيان في أخبار مدينة وهران. ترجمه إلى الفرنسية السيد الفونس روسو: ALPHONSE Rousseau حسبما أشار إلى ذلك ليون في: Leon Fey في كتابه: وهران. ومارسيل بودان في مجلة جمعية الجغرافيا والآثار لمدينة وهران في ماي 1924 م. ولحسن خوجة أيضاً، على ما قيل، كتاب آخر سماه: بشائر أهل الإيمان في فتوحات آل عثمان. ما يزال مخطوطاً بالمكتبة الوطنية بالجزائر تحت رقم 2192.

وأهل الراشدية وهم: الشريف السيد مصطفى بن عبدالله الدحاوي مؤلف: «فتح وهران»⁽¹⁾. والشريف السيد الحاج محمد بن البشير الحريزي الزياتي⁽²⁾. والشريف السيد أحمد بن يوسف الزياتي عم شيخنا⁽³⁾ والشريف السيد عبدالله ابن محمد بن عبد الله الجيلالي الفريقي⁽⁵⁾.

(ص 34)

والشرفاء الثلاثة المشارف وهم: السيد الطاهر بن الشيخ المشرفي صاحب التأليف العديدة. وابن أخيه السيد محمد بن عبدالله سقاط بن مصطفى بن الشيخ المشرفي. وابن عمهما السيد الحاج عبد القادر بن مصطفى المشرفي الذي توفي بمصر سنة تسع وستين ومائتين وألف⁽⁶⁾.

(1) محمد المصطفى بن عبدالله بن زرفة بن دحو الدحاوي من شرفاء وعلماء غريس، مر التعريف به في هامش 23 من هوامش المقصد الأول فليراجع هناك.

(2) لم نتسكن من معرفة شيء عنه ويبدو أنه لم يترجم له أحد.

(3) يقصد به محمد بن يوسف الزياتي مؤلف كتاب دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران. وقد مرت ترجمته في المقصد الأول. أماعته أحمد بن يوسف فكان فقيهاً ومحدثاً، ودرس عليه أبو راس الناصر.

(4) ذكر الشيخ المهدي البوعبدلي في تعليق له بدليل الحيران صفحة 40 هامش بأن الشيخ محمد الطاهر المحفوظي من شرفاء غريس. عالم مشهور وجماعة كتب، جمع خزانة كبيرة وهامة معظمها نقله بخط يده، وتولى وظيفة القضاء بوهران، وتلمسان، خلال الاحتلال الفرنسي، وتعرف أسرته باسم أسرة خطيب، انتقل بعض أفرادها إلى المغرب الأقصى، والبعض إلى مدينة الشلف، وبقي أكثرهم بالراشدية، قلعة بني راشد، وقد لاحظنا نحن وجود شخصين من هذه العائلة في مجلس الشورى العالي الأميري للأمير عبد القادر وهما: الطاهر المحفوظي، ومحمد المحفوظي.

(5) لم نجد عنه معلومات تذكر. وقد لقبه الزياتي في دليل الحيران بالعفي في النسخة المحققة بينما لقبه صاحب طلوع سعد السعود بالفريقي ولنا ندري من الأصح.

(6) تنتسب عائلة المشارف إلى مشرف (بكسر الراء وفتحها) بن عبد الرحمن بن مسعود الذي قدم من بوصغون، وتولى القضاء بغريس لبعض أمراء بني زيان. ويتصل نسبهم بالشرفاء العرصيين أهل فيقيق بقصر واد غير. وجدها الأعلى مشرف ابن غريب الذي ينتهي نسبه إلى إدريس الأكبر. والسيدة فاطمة الزهراء. كما في شرح عقد الجمان النفيس. ولعبت هذه العائلة دوراً هاماً ورائداً في حياة المنطقة، علماً وثقافة، وجهاداً، مما جعل صاحب القول الأعم يقول: «ولم تتعد الرئاسة فيما علمناه دار الشيخ المشرفي =

= وأولاده، فإنهم الذين كانوا معتبرين عند الملوك الأتراك. وكانت لهم ولاية في خطة الشريعة (خطة القضاء) أيام الأتراك، وأيام ابن عمنا الأمير (عبد القادر) ص 334 - 335. ومن أشهر علماء هذه العائلة:

أ - الشيخ عبد القادر بن عبدالله المشرفي الذي كان يدعى: شيخ الجماعة وإمام الراشدية. ولد ونشأ في قرية الكرط قرب مدينة معسكر، وتثقف في المنطقة على علماء عصره، ثم عين مدرّساً بمعهد الشيخ مصطفى بن المختار، وابنه مكّي الدين بالقيطنة مدة من الزمن، وأخيراً أسس لنفسه زاوية دينية ومعهداً علمياً بالكرط، أصبح في مستوى زاوية ومعهد القيطنة وشارك بنفسه في مقاومة النصارى الإسبان بوهران، والتحرير الأول لها عام 1119 هـ (1708 م). وألف رسالة في التنديد والتشهير بالقبائل التي كانت تتعاون مع الإسبان المحتلين لوهران سماها: «بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الأسبانيين من الأعراب كني عامر» وعدد فيها القبائل المعنية وهي: كريشتل، وشافع، وحميان، وغمرة، وقيزة، وأولاد عبدالله، وأولاد علي، والونازرة. وأنهى رسالته هذه عام 1178 هـ (1764 - 1765 م). وتوفي بمسقط رأسه يوم الخميس 19 رمضان 1192 هـ (2 أكتوبر 1778 م). ولخص مارسيل بودان هذه الرسالة في المجلة الإفريقية عام 1924 م، وعرف بهذا التلخيص الضابط بيليكا: PELLECAT في مجلة جمعية الجغرافية والآثار لمدينة وهران في نفس العام، حققها ونشرها الأستاذ محمد بن عبد الكريم في دار الحياة ببيروت عام 1972.

ب - ابنه القاضي الطاهر المشرفي، الذي تولى القضاء للأتراك وله عدة تأليف، ولا نعرف عنه حالياً أكثر من هذا.

ج - ابنه أحمد بن الطاهر المشرفي الذي كان عضواً في مجلس الشورى العالي الأميري للأمير عبد القادر.

د - حفيد الشيخ عبد القادر، وهو محمد بن عبدالله مصطفى سقاط المشرفي. الذي كان إماماً في الفقه والحديث، وتولى القضاء للأتراك، وكان ضمن الموقعين على وثيقة المبايعة للأمير عبد القادر، أميراً للجهاد، فعينه قاضياً، وعضواً في مجلس الشورى العالي الأميري. وأرسله في مهمة دبلوماسية، وشرعية فقهية قضائية إلى سلطان فاس عبد الرحمن بن هشام وحمله سؤلاً إلى مفتي فاس وشيخ الإسلام بها أبي الحسن علي بن عبد السلام مديدش التسولي، حول موقف الشرع الإسلامي من المتعاونين مع الكفار والرافضين لدفع الزكاة والأعشار لتموين حركة =

والشريف السيد أحمد بن التهامي أحد أولاد سيدي أحمد بن علي

=
الجهاد. فسافر إلى المغرب يوم 19 ذو الحجة 1252 هـ (27 مارس 1837 م) وعاد بالجواب في ربيع الأول 1253 هـ (جوان جويلية 1837 م) واجتمع بالأمير في حصن تازة بين بوغار، وثنية الحد، جنوب شرق مليانة. حسب رواية صاحب تحفة الزائر (ج2 ص 206 - 208). وأبلغه رغبة السلطان المغربي إلغاء معاهدة تافنة، والعودة إلى الجهاد والمقاومة. أما الشيخ المهدي البوعبدلي فقد ذكر في تعليق له بدليل الحيران، بأن عبدالله سقاط مات مسموماً بمكناس ودفن بها، ولعله يكون ذلك في رحلة أخرى غير هذه.

هـ - الحاج عبد القادر بن مصطفى المشرفي ابن عم الأخيرين وقد توفي بمصر عام 1269 هـ (1832 - 1853 م) حسب رواية صاحب طلوع سعد السعود، ولانعرف عنه شيئاً آخر غير هذا حالياً. ولعله كان في طريقه إلى الحج، أو عاد منه، من يدري؟

و - أبو حامد العربي بن علي بن عبد القادر المشرفي، المعاصر للأمير عبد القادر ولد بغريس في قرية الكرط، وتثقف بها على علماء عصره حتى أصبح كاتباً، وشاعراً، وناقداً، وبعد الاحتلال الفرنسي للجزائر ووهران، هاجر إلى فاس، ووثق صلته بسلطين المغرب الأقصى خاصة: الحسن الأول الذي كان يصحبه معه في جولاته التفقدية والتأديبية. ولذلك خصه بديوان شعر في مدحه. وقد ألف عدة كتب ودواوين شعرية، ونقد بأسلوب جرح حتى سكان فاس الذين يعيش بينهم. وذلك مما يدل على اعتداده بنفسه، وزار الجزائر مرتين: الأولى عام 1848 - 1849 بعد استسلام الأمير عبد القادر، والثانية عام 1877 خلال ذهابه إلى الحج، وعودته من هناك. فكتب عن الجزائر وعلمائها والمحتلين الفرنسيين. وأحصى له الدكتور أبو القاسم سعد الله ما يقرب من 28 مخطوطة، شعراً ونثراً، بين طويلة وقصيرة، منها: كتاب: ياقوتة النسب الوهاجة في التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة. وكتاب: ذخيرة الأواخر والأول فيما يتظم من أخبار الدول، ويبدو أنه كان معارضاً لسياسة الأمير عبد القادر ورجاله ولذلك ألف كتاباً أو رسالة سماها: طرس الأخبار بما جرى آخر الأربعين من القرن الثالث عشر للمسلمين مع الكفار في عتو الحاج عبد القادر وأهل دائرته الفجار. وقد توفي بفاس عام 1311 هـ (1893 م) وقيل عام 1313 هـ (1895 م).

البوعمراني⁽¹⁾ وابنه السيد الحاج مصطفى بن التهامي خليفة الأمير السيد الحاج عبد القادر الحسني بالمعسكر⁽²⁾.

وشيخ الجماعة السيد محي الدين بن المصطفى بن المختار والد الأمير الحسني⁽³⁾.

(1) أحمد بن التهامي صهر الأمير عبد القادر، متزوج من عمته، وعينه الأمير عضواً في مجلس الشورى العالي الأميري، وكان على رأس الأحد عشر عضواً. ولقبه صاحب القول الأعم بشيخ الجماعة، نظراً لسعة ثقافته ورفعة مكانته العلمية والسياسية.

(2) الحاج مصطفى بن التهامي هو ابن أحمد بن التهامي وابن عمه الأمير عينة الأمير رئيساً لديوان الإنشاء، وخليفة له على مدينة معسكر بعد مقتل الخليفة محمد ابن فريحة المراحى، في البرجية أثناء التدريب على استعمال السلاح. وقد تولى قيادة جيش الأمير في عدة جهات من الوطن: بلمسان، والمدينة، والهضاب العليا، والجلفة، وبو سعادة، والمسيلة، وبرج بوعربريج، ومطيف، وعين تاغروط، وعين الترك، وخاض معه معظم المعارك وأشرف على تنصيب الحسن بن عزوز، ومحمد الصغير بن عبد الرحمن، خليفته للأمير عبد القادر في الزيبان. والشيخ بوزيان شيخاً على واحة الزعاطشة.

وبقي يكافح ويجهاد مع الأمير إلى أن استسلم، ونفي معه إلى فرنسا، وألف في قصر أمبواز، تاريخاً عن حياة الأمير عبد القادر العسكرية، والسياسية، والأدبية والتاريخية. ما يزال مخطوطاً. وهاجر معه إلى الشام بعد إطلاق سراحهما وتوفي هناك، ونظم قبل وفاته غوثية طويلة من ألف بيت جاء في أولها:

لما جرى القدر بالخلاف	وقع الخلف بالإثلاف
ووجب الوحش بقعر اليم	وألحق النقص ببدر التم
واقتنص الصقر عدو صائد	وللنعام في القرى وصائد
وابتعدت عن العقول حيل	واقتنعت بالاعتراف جيل
لم يبق إلا الابتهاال والسكن	للقاهر المالك كل ما سكن
سبحانه تعالى جده العالي	من قام بالقهر لكل معتل
ثم الضراعة والاستكانة	تحلية الدعا والاستمانة
قلت منادياً نداء الرب	مقترباً أن جاز وعد الرب

(3) الشيخ محي الدين بن مصطفى، والد الأمير عبد القادر، ولد بواد الحمام عام 1190 هـ (1776 - 1777 م) ودرس على أبيه، وعلى شيوخ معهد القبطنة، ومنهم الشيخ عبد القادر =

= المشرفي . وورث على والده مشيخة الزاوية، وأصبح من علماء الظاهر والباطن، وكثر عليه طلاب العلم، ومريدو الطريقة والتصوف، واشتهر بالصلاح وسداد الرأي، وغزارة العلم والمعرفة كما اشتهر بمقاومته لسياسة القسوة، والظلم، التي يتبعها بعض الحكام، ولذلك وشى به بعض خصومه إلى الباي حسن بن موسى بوهران، وأشاروا عليه بأن يرحله إلى هناك ليكون تحت رقابته الفعلية، فامتلل وانتقل بأسرته إلى هناك وصحب معه ابنه الشاب عبد القادر، وذلك عام 1236 هـ (1821 م). وبقي بوهران أربع سنوات كاملة حتى عام 1241 هـ (1825 م). وخلال إقامته هناك بعث إليه أحد تلاميذه المخلصين له وهو الشيخ السنوسي بن عبد القادر الراشدي الدحاوي قصيدة شعرية يسلي به، ويخفف عليه آلام الغربة، وفراق الأهل، ومما جاء فيها:

عول على الصبر لا تفزعك أشجان	ولا ترعك بما فاجتلك وهران
أما هي الدار لا تؤمن غوائلها	بلى هي الدار أغيار وأحزان
شبت على الغدر لم تغطف على أحد	إلا ومن غدرها صد وهجران
ما أنت أول من أدهت وآخرهم	ولا بأوسط من خانتها أزمان
انظر إلى يوسف الصديق كم لبثت	في السجن ذاته ما وافته خلان
وانظر إلى ابن رسول الله ثم إلى	هلم جراً وما لاقىء عثمان
تلك العوائد أجراها على قدر	مدبر الأمر مهما شاء ديان
لم يثقفوك أمحي الدين عن زلل	رأوا ولكن أغوى القوم شيطان
إلى أن يقول:	

بل لا عليك وإن ساءت ظنونهم	سيهزم الجمع أو ينفض ديوان
إن العواقب في القرآن ثابتة	للمتقين وصدق القول قرآن
وأنت ما زلت تهدينا إلى سنن	تهدي إلى الحق لم يشك طغيان
تقرى الضيوف وتسعى في حوائجهم	وتحمل الكل لا غش ولا ران

وعندما تأكد الباي حسن بو موسى، من بطلان الوشاية، وكذبها رفع عنه الإقامة الجبرية، وأذن له في الذهاب إلى الحج، فشد الرحال صحبة ابنه عبد القادر برأ إلى تونس، وبحراً إلى مصر، والحجاز، واستغرقت رحلتهما عامين وزيادة، وأديا مناسك الحج ثلاث مرات، وزارا معظم عواصم المشرق ومنها بغداد التي جدد فيها الشيخ محي الدين أخذ الطريقة القادرية الجيلانية، ولبس الخرقة، ثم قفلا راجعين إلى الوطن برأ عبر مصر، وبرة حيث زارا قبر والده الشيخ مصطفى بعين غزالة قرب درنة ثم واصلا =

والشريف السيد مصطفى بن الهاشمي. وصنواؤه: السيد أحمد ابن الهاشمي قاضي المعسكر والسيد الحبيب بن الهاشمي المراحين⁽¹⁾.
والشريف السيد أحمد بن أحمد بن الخضير المهاجي⁽²⁾.
والشريف السيد عبد القادر بن بروكش الورغي المفتي بوهران وابن عمه السيد الحبيب بن بروكش الورغي، فهؤلاء أهل المعسكر من الراشدية⁽³⁾.

= الرحلة إلى طرابلس، والقيروان، وتونس، وقسنطينة والجزائر ووهران وأخيراً القبطنة أوائل عام 1243 هـ (1828 م). وبعد أن احتل الفرنسيون مدينة وهران يوم 4 جانفي 1831 م تزعم الشيخ محي الدين حركة الجهاد والمقاومة ضدهم مع ابنه عبد القادر الذي رشحه للإمارة وحضر مبايعته بسهل غريس أميراً للجهاد والمقاومة وتوفي عام 1249 هـ (1833 - 1834 م) فخلفه ابنه محمد السعيد في رئاسة الزاوية، وابن عبد القادر في حركة الجهاد والمقاومة.

(1) لم نجد حالياً معلومات عن هؤلاء العلماء.

(2) لم نجد معلومات عن هذا العالم، ولكن صاحب القول الأعم ذكر أن عائلته تنتمي إلى قبيلة مهاجرة المنفرعة من أولاد ميمون. ومن رجالها الحاج الخضير المهاجي الذي لربما يكون جداً لأحمد بن عمر هذا. وقد توسط بين الباي محمد بن عثمان الملقب بالمقلش (1805 - 1807 م) وبين الحشم بمعسكر خلال ثورة درقاوة، وأشار على الباي أن يصاهر كبير الحشم الشيخ قدور بن الصحراوي، ويخطب بنته إلى ابنه فوافقه على ذلك، وأعطى له توكيلاً بخط يده يحمل تاريخ 1220 هـ (1805 - 1806 م) لينوبه في الخطبة، وهو ما حصل، وقد أنجب الحاج الخضير المهاجي هذا ابنين، هما: محمد، وابن فريجة الذي أصبح خليفة للأمير عبد القادر على ولاية معسكر.

(3) هذان العالمان يسميهما صاحب القول الأعم بن روكش، وليس بن بروكش، وذكر أنهما ينتميان إلى أولاد سيدي أحمد الورغي ويعرفون اليوم بورغبة أصلهم من المغرب الأقصى. وهم في غاية الشهرة والهمة والترفع، تولى الكثير منهم خطة القضاء للأتراك وللأمير عبد القادر، ومنهم الحاج عبد القادر بن بروكش الصغير، والحاج عبد القادر ابن بروكش الكبير. اللذان كانا عضوين في مجلس الشورى العالي الأميري للأمير عبد القادر. والكبير منهما تولى القضاء للأتراك قبل ذلك، وابنه الصغير تولى القضاء للأتراك ثم للأمير عبد القادر، وهاجر إلى فاس فيما بعد وتوفي هناك، وما يزال أعقابها بها إلى اليوم. انظر القول الأعم. ص 336 و 388. ومن هذه العائلة أيضاً محمد بن المختار الورغي الذي كان عضواً هو الآخر في مجلس الشورى العالي الأميري للأمير.

وحافظ البخاري السيد مصطفى بن جلول الخروبي، وصنوه السيد محمد ابن جلول الخروبي. والخوجة السيد الحاج محمد بن الخروبي، والشبيه بالحكيم اليوناني، القاضي السيد محمد بن الجيلاني، الخروبي الذي قال فيه الخوجة السيد مسلم بن عبد القادر الحميدي في أنيس الغريب والمسافر هذين البيتين:

ونديم لأبي محمد عثمان مصدر في كل شيء فقيه
عفيف ذو نجابة مهابة ظريف ذو رئاسة وجيه

/وهؤلاء أهل القلعة الراشدية⁽¹⁾. (ص 35)

والسيد الحاج محمد بن قجيل⁽²⁾

(1) يقصد بالقلعة الراشدية قلعة هواره التي تم تأسيسها في القرن الخامس الهجري (11 م) وعرفت فيما بعد بقلعة بني راشد. وأسرة الخروبي هذه من الأسر العلمية التي توارث علماؤها خطة القضاء للأتراك، ولأمير عبد القادر. وقد تولى الشيخ محمد ابن الخروبي القضاء للباي عثمان بن محمد الكبير بوهران (1800 - 1804 م) وكان من المؤسسين له، ووقف إلى جانب الشيخ الطيب بن الفريج حينما وشى به بعض خصومه فأعرض الباي عنهم ولم يصدقهم. ومن الذين توظفوا لدى الأمير عبد القادر: الشيخ محمد الجيلاني الخروبي الذي تولى خطة القضاء وهاجر معه إلى الشام وتوفي هناك. والمكي الخروبي الذي عين عضواً في مجلس الشورى العالي الأميري. ومحمد الخروبي القلعي الذي عين خليفة على ولاية مجانة ونواحيها في البليان وسطيف. أما الذين ذكرهم صاحب المخطوط فلم نجد من ترجم لهم.

(2) الشيخ محمد بن علي أقوجيل الكاتب، والشاعر، ينحدر من أسرة علمية عريقة بنواحي مدينة البرج شرق مدينة معسكر. توارث علماؤها وفقهاؤها خطة القضاء للأتراك، وللفرنسيين بعدهم، وقد ألف ابن أقوجيل هذا كتاباً في الحديث أسماء: عقد الجمان اللامع من قعر البحر الجامع، ونظم شعراً في المقاومة ضد الإسمان حث به الباشا حسين خوجة الشريف (1705 - 1707 م) على الجهاد ومحاربة الإسمان بوهران، وعلى احترام العلماء، ومشاورتهم في الأمور والقضايا، فقال عن الجهاد:

ولتلتفت نحو الجهاد بقوة والكفر أقطع أصله بذكور
جهاز جيوشك كالأسود ومرحن تلك الجوارى في عباب البحور
اضرم على الكفار نار الحرب لا تقلع ولا تمهلهم بفتور =

والسيد أحمد بن أفغول⁽¹⁾ وهذان برجيان من الراشدية أيضاً؛ والسيد محمد الصادق الحميسي ابن علي المازوني ثم المغيلي⁽²⁾ والسيد عبدالله بن حواء. والسيد فرقان والسيد بدر الدين المتقدمين (كذا) الذكر. والسيد محمود بن حواء التجيني. والسيد الحاج مفتاح البخاري الحنفي شيخ الجماعة بوهران. والسيد

= ويقرئنا وهران ضرس مؤلم سهل اقتلاع في اعتناء يسير
كم قد أذت من مسلمين وكم سبت منهم بقهر أسيرة وأسير
وقال عن مشاركة العلماء:

شاور ذوي علم ودين ناصح ودع الغواة وكل ذي تنوير
فالعلم ميراث النبوة ناله قوم لهم حظ من التنوير
إني نصحتك والنصيحة ديننا فاقبل ولم ينصحك دون خير

ولم ندر متى ولد ومتى مات، ولكن الأستاذ محمد بن عبد الكريم ذكر أنه توفي عام 1078 هـ (1667 م) وذلك لا يتناسب مع تاريخ الشعر الذي نظمته في حث الباشا حسين خوجة الشريف. في مطلع القرن 18 م، وعدد أبياته سبعون، أوردتها بكاملها محمد بن ميمون في كتابه التحفة المرضية الذي حققه ونشره محمد بن عبد الكريم ببيروت عام 1972 م.

(1) يعني من قلعة بني راشد، وأحمد بن أفغول هذا، ابن عبدالله بن المغفل الذي توفي عام 1023 هـ (1614 م)، وابن أفغول من علماء مازونة المشهورين أخذ المشيخة بتونس، ثم عاد إلى الجزائر واستقر في بومليل بالشلف مدة من الزمن وبعدها انتقل إلى ندائلة حتى توفي في تاريخ لا نعلمه حالياً. وقد تتلمذ عليه أبو راس الناصر أواخر القرنين 12 هـ و 18 م، وألف في حياته رجزاً شعرياً سماه: كتاب الفلك الكواكب وسلم الراقي إلى المراكب. في ذكر مناقب صلحاء وطن الشلف من القرن 6 إلى 9 هـ (12 - 15 م) عدد فيه أخبارهم وكراماتهم وخصائص المریدین، والأولياء ودرجاتهم، وسلوكهم، وسيرهم، ومما قاله:

وبعد فالقصد بهذا الرجز تقريب ما نأى بلفظ موجز
سميته بالفلك الكواكب وسلم الراقي إلى المراكب
أعني مراتب السلوك للمريد في الابتداء والانتهاى للمزيد

(2) القاضي محمد الصادق الحميسي حفيد أبي يحيى زكرياء المغيلي، صاحب كتاب: الدرر المكنونة في نوازل مازونة. تولى القضاء في مازونة ثم في وهران على عهد الأتراك ولم ندر متى ولد ولا متى مات.

أحمد بن هطال التلمساني وأبو عبدالله السيد محمد الغزلاوي وماتا معاً يوم فرطاسة في ربيع الأول سنة تسعة عشر من القرن الثالث عشر في قصة ابن الشريف الدرقاوي المحارك على الباي مصطفى بن عبدالله العجمي باي وهران⁽¹⁾.

والشريف الوادفلي السيد الحاج محمد بن البشير أحد شرفاء الواد المبطلوح⁽²⁾ وصهره السيد الغوثي، والخوجة السيد مسلم ابن عبد القادر

(1) معظم هؤلاء لم نجد من ترجم لهم، ما عدا أحمد بن هطال التلمساني الذي كان كاتباً خاصاً للباي محمد بن عثمان الكبير، ورافقه في حملته التفقدية التأديبية إلى الأغواط، وعين ماضي عام 1189 هـ (مارس 1775 - فيفري 1776 م)، ودون أحداث تلك الرحلة في كتاب سماه: رحلة الباي محمد بن عثمان الكبير، حققها ونشرها محمد بن عبد الكريم في بيروت عام 1972 م. وذهب رسولاً من قبل الباي إلى فاس صحبة أحد القضاة بهدية إلى السلطان محمد بن عبدالله، وكلف بالذهاب إلى جبل طارق لشراء الأسلحة والذخائر من التجار والوسطاء الإنجليز واليهود، والمغاربة، وعاد بكميات هائلة. وقد قتل ابن هطال في معركة فرطاسة ضد الشريف الدرقاوي الناصر في ربيع الأول 1219 هـ (جوان جويلية 1804) وذلك بين غليزان وتيارت. وسميت بواد الأبطال تخليداً للمعركة، وسماها الفرنسيون أوزي لودوك: Uzès le Duc وبعد استعادة الاستقلال الوطني عام 1962 استرجعت اسمها: واد الأبطال.

(2) الواد المبطلوح يقع جنوب غرب مدينة سيق الفلاحية على بعد خمسين كلم من شرق مدينة وهران. ويسمى في منابعه بواد مكره، وأقيم عليه سد الشرفاء لتزويد سيق بمياه الشرب، والحقول والبساتين بمياه السقي. والحاج محمد البشير الذي يشير إليه ينتمي إلى أسرة من شرفاء تلمسان الأدارسة هاجروا إلى عين سمرة لمدة أربع وعشرين عاماً بسبب حروبهم مع بني زيان. ثم رحلوا إلى واد المبطلوح حسب رواية أحمد العشماوي في كتابه: السلسلة الوافية والياقوتة الصافية. وهم أصحاب علم، وفضل، وجاه، لهم زاوية طييبة.

ومن مشاهير صلحائهم: جدهم الأول العربي بن عبد القادر بن بوزيان، والحاج محمد البشير المشار إليه، وأبنائه وأحفاده: الحاج الطيب، والحاج البشير الذي كان قاضياً، والحاج عبد القادر، وابن عبدالله والحاج علي الأزهري الذي درس بالأزهر، وتصدى للتدريس في الجامع الأعظم بسيق سنوات طويلة، والحاج المنور بن البشير، الذي توفي بسيق عام 1344 هـ (1925 - 1926 م). وقد توارث علماء هذه العائلة العلم والتقوى. انظر =

الحميدي وهو الذي سأل الحافظ الشيخ أبا راس أن يجمع تأليفاً في الأمثلة السائرة فجمعه الشيخ وسمّاه: «كشف النقاب، ورفع الحجاب، على أمثال سائرة وحكم باهرة، ومواعظ زاجرة». على ترتيب حروف الهجاء للسان الدولة، وفارس الجولة. ألهم لها وبادر، السيد مسلم بن عبد القادر. نص عليه الحافظ في الباب الخامس من رحلته⁽¹⁾، والسيد علي ابن أبي سيف الدائري والسيد سليمان بن النزاري الدائري أيضاً⁽²⁾ وهؤلاء الثلاثة من علماء المخزن وسكنوا بوهران. وفي السيد سليمان المذكور قال السيد أحمد الكلاعي بن السيد (ص 36) الحاج / المكي الدحاوي في قصيدته الملحونة التي منها:

كلا بلاد بدحها في وهران صبت سليمان

والسيد الحاج قارة الجزائري، والسيد أحمد بن الطاهر الرزيوي، والسيد محمد بن قريد، والسيد عبدالله بن عمارة البوعمراني، وهذان غريبان. إلى غير ذلك مما لا أطيق حصره، ولا أحصي ذكره، وكلهم علماء أجلة، وأئمة بدور أهلة⁽³⁾.

= كتاب مجموع النسب والحسب للشيخ بن بكار. ص 53 - 55.

(1) مسلم بن عبد القادر الحميدي أو الحميري الزائري من أولاد زابر كان كاتباً خاصاً للباي حسن بن موسى آخر ببايات وهران. ونظم أرجوزة في تاريخ الاحتلال الفرنسي، وألف كتاباً سماه: أنيس الغريب والمسافر في طرائف الحكايات والنوادر. سجل فيه أحداث الناحية الغربية مثل تاريخ ببايات وهران. وأحداث ثورة درقاوة وغيرها. حقق الأستاذ رابع بونار الجزء الأخير المتبقي منه الذي هو بمثابة خاتمة عام 1974 م. وقد توفي مسلم ابن عبد القادر عام 1249 هـ (1833 - 1934 م) ودفن في ضريح سيدي المسعود قرب المالح حسبما ذكر كل من أبي راس، والزباني، والمؤلف ولكنني زرت هذا الضريح يوم الخميس ذو الحجة 1407 هـ (30 جويلية 1987)، ولم أجد سوى قبر واحد في الضريح. وهذه الإشاعة تنطبق حتى على الشيخ الهواري الذي قيل أيضاً إنه دفن هناك. وقد قام أدريان دلبيش بترجمة: أنيس الغريب والمسافر ونشره في المجلة الإفريقية عام 1874 هـ.

(2) الدائري نسبة إلى قبائل الدواير التي كانت في سهل ملاته بأحواز مدينة وهران. وعارضت الأمير عبد القادر، وحاربت واندثمت إلى جيش الاحتلال الفرنسي. ولم نعرف شيئاً عن علي وسليمان الدائريين هذين إذ لم يترجم لهما أحد.

(3) أحمد الطاهر الرزيوي كان قاضياً في أرزيو على عهد الأتراك، وحكم عليه الأمير =

ومنهم بوقتنا الذي هو العام السابع من القرن الرابع عشر أستاذ الاخوان والياقوت البرهان، فائق البراعة، وجزيل الفصاحة والبراعة، مفتيها وخطيبها ذو الإنصاف والإحسان أبو الحسن السيد علي بن عبد الرحمان، الجزائري وجارا الوهراني دارا، العباسي نجاراً⁽¹⁾ ولما حل بها أتت حف جامعها الأعظم غاية الإتحاف ورونقه بالفرش المختلفة الألوان والأنواع وأغناه حتى صار لا يسئل الإلحاف. وطهره من الأدناس وسائر المناكب، بعد أن وقع في زوايا الإهمال ونسجت بجميعة العناكب. فعاد بفضل الله مبتسماً ضاحكاً، وأضاء منه ما كان ديجوراً حالكاً، وعلا بمنارته جهير الصوت بالأذان، ونادى بقوله هلموا للطاعة والعبادة في الأوقات الخمس والجمعة والعيدين يا أهل الإيمان، فله دره من ماهر ومربي سني باهر.

ومنهم شيخنا الفاضل الماجد، العالم الفاضل الزاهد، من هو بحفظ الأوقات للعبادة شديد المراصد، قدوة السالكين، وبقية الأئمة الناسكين، المدرس المضيف/ الحافظ الضابط الموثق المؤلف الشريف الحسيني الصمداني (ص 37) الرباني، العلامة السيد محمد بن يوسف الزباني. فهو معدود في أعيان علماء المخزن وإن كان من جلسة علماء وهران وبها قد سكن⁽²⁾.

-
- = عبد القادر بالقتل لتعاونه مع الأعداء الفرنسيين، ونفذ فيه القتل بمدينة معسكر، رغم أنه درس عليه على ما قيل أما باقي العلما فلم نجد من ترجم لهم حالياً.
- (1) عام 1307 هـ يوافقه: أوت 1989 - أوت 1890 م. والعباسي نجاراً يقصد به أن أصله من مدينة سيدي بلعباس. وكان مفتياً بمدينة وهران خلال عهد الاحتلال الفرنسي، وتراسل معه الشيخ محمد بن يوسف الزباني، ولغاية عام 1320 هـ (1903 م) كان ما يزال حياً.
- (2) هو مؤلف كتاب دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، الذي ينتمي إلى أسرة علمية من الأسر المخزنية بنواحي مدينة برج عياش التي عرفت ببرج ولد المخفي، ثم بالبرج أخيراً، في شرق مدينة معسكر، وكان عمه أحمد بن يوسف الزباني قد تولى منصب المستشار للداي إبراهيم الملياني عام 1170 هـ (1756 - 1757 م). أما هو فقد تولى خطة القضاء بمدينة البرج نفسها عام 1861. ثم نقل إلى وادي تليلات عام 1883 م قرب وهران، وبعد ذلك نقل إلى سيق لنفس الوظيفة وحتى عام 1320 هـ (1902 - 1903 م) كان ما يزال حياً حسب رواية الشيخ المهدي البوعبدلي الذي اطلع على =

ونخبة الأشراف وقدوة السادات الظراف، ومقصد الذهاب والعاني يا قوة
الكمال والجوهر القاني، الشريف الحسني السيد الحسني ابن إبراهيم العلمي
الوزاني نفعا الله به ويسلفه، ومتعنا به وبخلفه.

وإمام جامعها الأعظم الفقيه الوهراني، الشريف الحسني السيد أحمد
انكروف بن الملياني النكروفي.

والفقيه المدرّس بالجامع الوهراني، الشريف الحسني السيد الحبيب ابن
البخاري الحريري الزباني⁽¹⁾.

والفقيه الشريف ذو التدريس بالكفراوي إمام قبة الشيخ الهواري السيد
محمد بن الجيلاني الشهير بابن العالية بن سيدي أحمد بن عربية المعسكري
المغراوي.

والفقيه الوجيه الرحماني، الشريف السيد الحاج عبد الرحمن بن الطيب
أحد أولاد سيدي أحمد بن علي البوعمراني⁽²⁾.

= مراسلة له مع مفتي وهران علي بن عبد الرحمن المشار إليه سابقاً في نفس التاريخ.

أما بقية العلماء الذين أشار إليهم بعد ذلك فأغلبهم لم نجد من ترجم لهم حالياً.

(1) ذكر الشيخ الطيب المهاجي في كتابه: أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق لي في
الماضي والحاضر. بأنه درس على الشيخ الحبيب البخاري المدرس بجامع الترك بوهران،
الذي يتصل نسبه بصاحب الضريح المشهور بالقلعة (قلعة سيدي راشد) الشيخ عبد القادر
بن يسعد، انظر ص 56.

(2) ذكر صاحب القول الأعم بأن عبد الرحمن بن الطيب هذا تولى القضاء بوهران على عهد
الباي حسن بن موسى آخر بايات وهران، وهذا يتعارض مع ما ذكره المؤلف بأن هؤلاء
ما يزالون أحياء في هذا التاريخ وهو عام 1307 هـ (1889 - 1890 م) اللهم إلا إذا كان
عبد الرحمن بن الطيب هذا حفيد للأول القاضي، أو ابن له، انظر ص 333. وذكر
الشيخ بلهاشمي بن بكار نقلاً عن أبي راس في كتابه: الحاوي. بأن أبا العباس أحمد
ابن علي البوعمراني جد عبد الرحمن بن الطيب، كان تلميذاً لأحمد بن يوسف الراشدي
الملياني، وكان يطعم المساكين من ماله الخاص خاصة في عامي المسغبة 958 و 959 هـ
(1551 - 1552 م) توفي بغريس ودفن بها. انظر ص 148.

والفقيه الأجل الذي للتحقيق يحوي، السيد الحاج بن آمنة بن عمر
المرياني العبد الغوي.

والفقيه النبيل الشريف البلاحي المشيشي الذي في أموره لله راجي السيد
أحمد بن محمد بن أحمد، وكذا ابن عمه السيد المولود ابن عبد الرحمان
ابن أحمد البلاحي المهاجي.

وقدوة العباد، وبقية الزهاد، الأبر الأكمل الفقيه الأجلّي، السيد الحاج
الطيب بن البشير الشرفي الشريف الوادفلي⁽¹⁾.

فهؤلاء السادات الكرام الأفاضل، والعلماء / الأجلة البواسل الذين بهم (ص 38)
طاب الوقت ونار، واطمأنت القلوب بهم وحلت بها الأسرار.

(1) هذا العالم ينتمي إلى أسرة بلبشير بالواد المبطوح، وسبق شرق وهران انظر هامش رقم
23 قبل.

المقصد الرابع

في ذكر دولها

اعلم أنار الله قلبي وقلبك بأنواره، وأيدني وإياك بأسراره. وأمتني وإياك بحوله وقوته من مكره وسره. ووقاني وإياك من بأسه وضره. أن دول وهران من حين اختطت تسعة دول كما في دليل الحيران، وهم: دولة الأمويين بالأندلس القائمين بأمورهم زناتة. والعبيديين وهم الشيعة، والمرابطين وهم الملتزمون، والموحدين، والزياتيين وهم بنو عبد الواد، والمرينيين وهم بنو احمامة، ثم الزياتيين، والإسبانيين، والأتراك، وهم الترك والفرانسييس. فهؤلاء تسعة إجمالاً. وأما تفصيلاً فكانت عمالهم يتداولونها بينهم إلا الدول الثلاثة الأخيرة (كذا) فعمالهم منهم.

الدولة الأولى مغراوة عمال بني أمية

وأول العمال مغراوة عمال بني أمية الذين هم الدولة الأولى، وأول من ملكها من مغراوة خزر بن حفص المختط لها في القرن الثالث كما مر. وتولى إمارة مغراوة بوهران وغيرها بعد موت أبيه حفص بن صولات بن وزمار ابن صقلاب بن مغراو. ووزمار هو الذي أسلم على أيدي سيدنا عبدالله بن سعد ابن أبي صرح، لما غزى (كذا) إفريقية وبعثه لأمير المؤمنين، وخليفة رسول رب العالمين سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ثالث الخلفاء بالمدينة المنورة، / (ص 39) على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم فجدد إسلامه على يده وعقد له على قومه ورجع لإفريقية. ومن ثم بقيت مغراوة موالى (كذا) لبني أمية كصنهاجة للعلويين العبيديين بإفريقية.

وأقام خزر مقام أبيه في أمر زناته واعتز قومه على المضربة بالقيروان واستفحل ملكهم وعظم سلطانهم على البدو وزناته بالمغرب الأوسط عند تقلص ظل الخلافة بعض الشيء بالمغرب حيث عمت فتنة ميسرة الحقيير ومدغرة وقوى اعتزاز خزر وقومه، وعتوه وانتشر صيته وعلت كلمته عند المروانيين بالأندلس والأدارسة بالمغرب الأقصى (كذا) والسليمانيين برشقون وتلمسان، والشيعة بإفريقية إلى أن هلك في خلال ذلك. اهـ.

قال البكري في تاريخه المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب:

«وفي سنة سبع وتسعين ومائتين⁽¹⁾ زحف (كذا) قبائل كثيرة إلى وهران يطالبون أهلها بإسلام بني مسقن إليهم لدماء كانت بينهم فأبى أهل وهران من إسلامهم إليهم فنصب (كذا) القبائل عليهم الحرب وحاصروهم ومنعواهم من الماء فخرج عنهم بنو مسقن وهم من أزديجة ويقال لهم بنو مسرقين ليلاً هاربين واستجاروا بأزديجة فأجاروهم وتغلب الحاركون على أهل وهران فخرج أهلها منها بأنفسهم وأسلموا ذخائرهم وأموالهم للحاركين وخربت وهران وأضرمت ناراً وذلك في ذي الحجة من هذه السنة⁽²⁾ ثم عاد أهل وهران إليها في السنة بعدها وهي سنة ثمان وتسعين ومائتين⁽³⁾ بأمر أبي حميد داود بن صولات ويقال له داود عامل تاهرت. (ص 40) وابتدأوا بنيانها في شعبان من هذه السنة⁽⁴⁾ فعادت أحسن مما كانت وولى عليهم داود بن صولات الدهيصي، محمداً بن أبي عون فلم تزل في عمارة وكمال، وزيادة وحسن حال. اهـ.

وهو مخالف لما في الحافظ أبي راس.

ولما هلك خزر بن صولات تولى بموضعه ابنه محمد بن خزر وسكن وهران وأجلب على ضواحيها بكل ما أراد وشن الغارات في المغرب الأوسط إلى إفريقية وفي الأقطار إلى المصامدة وهابته المملوك وخشيت سطوته وأذعنت له

(1) الموافق 909 - 910 م.

(2) الموافق 11 أوت - 8 سبتمبر 910 م.

(3) الموافق 910 - 911 م.

(4) الموافق 4 أبريل - 2 ماي 911 م.

الناس وعاش كثيراً من السنين وجرب الأمور. فقد قال ابن خلدون في تاريخه الكبير في الجزء السابع منه أنه نيف على المائة سنة بكثير والذي يقتضيه استقراء كلامه من أوله إلى آخره أنه بلغ المائتي سنة أو قاربها فإنه قال في أخباره أن إدريس بن عبدالله لما نهض إلى المغرب الأوسط سنة أربع وسبعين ومائة⁽¹⁾ تلقاه محمد بن خزر هذا وألقى إليه المقادة وباع له عن قومه وأمكنه من تلمسان بعد أن غلب عليها بني يفرن أهلها وانتظم لإدريس بن إدريس الأمر وغلب على جميع أعمال أبيه وملك تلمسان وقام بنو خزر هؤلاء بدعوته كما كانوا لأبيه إلى أن قال: ثم وفد على المعتز بعد ذلك سنة خمسين وثلاثمائة⁽²⁾ وهلك بالقيروان وقد نيف على المائة من السنين. هـ.

لكن قال الحافظ أبو راس في عجائب الأسفار في الكلام على مغرابة كلام ابن خلدون فيه تخطيط وتناقض اهـ. وفي سنة ست وثلاثمائة⁽³⁾ حرك ازديجة وعجيسة على محمد بن خزر المغراوي وقاتلوه شديداً، وحاصروه عتيداً، إلى أن أخذوا من يده وهران عنوة فبقيت في ملكهم وتحت تصرفهم سبع سنين وهم عمال على المروانيين ثم صاروا عمالاً على الشيعة. ثم قام عليهم محمد (ص 41) ابن خزر بجيوش لا تحصى وحاصره وأثنى فيهم إلى أن غلبهم عليها سنة ثلاثة عشر وثلاثمائة⁽⁴⁾ وبقوا تحت حكمه. ولما غلبهم عليها وعادت لحكمه بعد حروب كثيرة كان الظفر له فيها عليهم، أخر نفسه، وولى عليها ابنه الخير وبقي (كذا) ازديجة وعجيسة تحت حكمه، وفي قبضة جبره وحلمه. فقام الخير بضبط ملك وهران غاية الضبط وظاهر المروانيين بالأندلس كعادة أسلافه وأمير الأندلس وقتئذ عبد الرحمن الناصر وشن الغارات على ضواحي وهران والمغرب الأوسط فملك بلاد الغرب كلها وسوس الأدنا (كذا) وتلمسان والصحرا (كذا) وحارب الشيعة ملوك إفريقية وتاهرت حروباً عظاماً وغزى (كذا) بسكرة والمسيلة والزّاب

(1) الموافق 887 - 888 م.

(2) الموافق 961 - 962 م.

(3) الموافق 918 - 919 م.

(4) الموافق 925 - 962 م.

ودوخ المغرب الأوسط تدويخاً عظيماً ووالده محمد بن خزر لم يفارقه في كل ذلك. واتصلت يده بيد موسى بن العافية المكناسي فبثا معاً دعوة المراءانيين امراء الأندلس بالمغربين وقطعا دعوة الشيعة بإفريقية ثم فسد ما بينهما وتزاحفا للحرب فبعث لهما عبد الرحمان الناصر أمير الأندلس قاضي قرطبة وهو الفقيه منذر ابن سعيد الولهاصي ثم البلوطي فأصلح بينهما ولم يزل الملك في يده إلى أن انتقل لولده محمد بن الخير بعده.

الدولة الثانية الشيعة الفاطميون

ثم ملك وهران الدولة الثانية وهم الشيعة ويقال لهم الرافضية والعبيديون والعلويون والفاطميون.

أما/ تسميتهم بالشيعة والرافضية فلامذهبهم بمذهب شيعة المشرق والرافضية (ص 42) من سبهم للشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، اورفضهم للسنة واتباعهم للبدعة ومدحهم لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه دون غيره. وأما تسميتهم بالعبيديين فذلك نسبة لجدهم عبيد الله المهدي الشيعي أول ملوكهم.

وأما تسميتهم بالعلويين والفاطمين فذلك نسبة لجدهم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه وجدتهم فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ فهم حسينيون بضم الحاء المهملة ولا عبرة بالطعن فيهم.

وذلك أن وهران غزاها في سنة ثمانية عشر⁽¹⁾ داوس بن صولات ويقال له داوود بن صولات الذهبي عامل تاهرت على يد الدولة الشيعية فحاصرها حصاراً عظيماً وحارب ملكها الخير بن محمد بن خزر المغراوي ومن معه من أزديجة وعجيسة لكونهم صاروا يداً واحدة مع الخير بن محمد بن خزر فأتخن فيهم كثيراً وأخذها من يد ملكها الخير عنوة بعد حروب شاب لها رأس الغراب وولى عليها من قبله محمداً ابن أبي عون الشيعي فهو أول عامل للشيعة بوهران وأول من ملكها من الشيعة داوس عامل عبيد الله الشيعي فعمت الرافضية المغرب

(1) الموافق 930 - 931 م.

الأوسط وانقطع حكم المروانيين منه بالكلية وخرج حكم وهران من يد الدولة الأموية ودخل في يد الدولة الشيعية.

فأقام محمد بن أبي عون الشيعي الملك بوهران وتصرّف في المغرب الأوسط بما شاء وصار معه ازديجة وعجيسة يداً واحدة وعنه أخذوا الرافضية (ص 43) واندروست/ السنة ولما مر ميسور الخصي، سمي بذلك لكونه لا لحية له، في عام ثلاث وعشرين وثلاثمائة⁽¹⁾ بأمر القائم العبيدي حال ذهابه لمحاربة موسى ابن أبي العافية المكناسي للمغرب لمظاهرتة للمروانيين وإعراضه عن الشيعة متوجهاً بجيشه لفاس ولقيه محمد بن أبي عون الشيعي والي وهران فأقره عليها. وكذلك لما توجه مصالة بن حبوس الكتامي للمغرب في عام إحدى وأربعين وثلاثمائة⁽²⁾ بجيشه لتدوين المغرب بأمر المعز العبيدي أقره على وهران كما أقر كل عامل كان للشيعة على محله ودوّخ المغرب غاية وأزال ما ظهر به من أمر المروانيين ملوك الأندلس ورجع بغنائم عظيمة.

ثم في سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة⁽³⁾ اختط يعلا بن محمد بن صالح اليفريني مدينته بايفكان أحد أراضي بني راشد بصفح (كذا) جبل أوسلاس وهو بجوفها واستقر بها وظاهر المروانيين بالأندلس وتجانب الشيعة بإفريقية فولاه عبد الرحمن الناصر الأموي ملك الأندلس على المغرب الأوسط وعقد له على حروب الشيعة الرافضية. وكان مصالة بن حبوس الكتامي قد رجع من المغرب للمهدية فخلا الجوّ ليعلا بن محمد بن صالح اليفريني وزحف لوهران فحاصر بها محمداً بن أبي عون الشيعي وازديجة وعجيسة وطالت بينه وبينهم حروب عظام إلى أن فرق جمعهم بجبل قيزة غربي وهران وذلك في يوم السبت منتصف جمادى الثانية سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة⁽⁴⁾ ودخل وهران عنوة وأضرمت نارا (ص 44) وخربها ولحق أكثر ازديجة وعجيسة بالمغرب، / وبعضهم بالأندلس لما آيسوا

(1) الموافق 934 - 935 م.

(2) الموافق 952 - 953 م. ويعلى يكتب بياء بعد اللام وليس بالالف كما فعل المؤلف.

(3) الموافق 949 - 951 م.

(4) الموافق 954 - 955 م.

(كذا) منها وملكوا دار بني صالح وهي قلعة النكور سنة ست من القرن الهامس⁽¹⁾ فخرّبوها وبقوا بها إلى أن قطع ملكهم يوسف بن تاشفين اللمتوني . ومن لحق منهم بالأندلس ، صار من أعيان جند المنصور ابن أبي عامر المعافري حاجب المؤيد هشام الأموي . ولما فتح يعلا مدينة وهران وخرّبها نقل أهلها إلى مدينته المعروفة في ذي القعدة سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة⁽²⁾ وبقيت خراباً مدة ثم تراجع الناس لها وبنيت . وذكر الحافظ أبو راس في عجائب الأسفار أن يعلا ابن محمد بن صالح لما خرّب وهران جدّد بناءها في تلك السنة وانتقل إليها بأهله وولده من مدينته بأيفكان . قال البكري في تاريخه وكان في عمل وهران قرية أهلها موصوفون بعظم الأجساد ، وشدة الأياد (كذا) حتى أن الرجل الكامل في الخلق المعهود من غيرهم يكون إلى دون منكب الرجل منهم وكان رجل منهم يحمل ستة أنفار ويخطوا بهم خطوات اثنين على عتقيه ويتأبط باثنين وعلى ذراعيه اثنين . وأن رجلاً منهم احتاج لعمل بيت يسكنه فاقتطع ألف كلخة وحملها على ظهره وبنا بهم بيتاً تاماً معرساً . هـ .

ثم أن محمداً بن الخير بن محمد بن خزر المغراوي لما رأى (كذا) وهران دار ملكهم اتخذها بنو يفرن دار ملكهم أيضاً وبثوا بها الدعوة المروانية نزع إلى الشيعة وظهر لهم وأدى لهم الطاعة ووفد على المعزّ العبيدي الشيعي / بإفريقية (ص 45) فألفاه جهز قائده جوهرأ لغزو المغرب سنة سبع وأربعين وثلاثمائة⁽³⁾ وخرج من القيروان في جيش عرمرم فجاء معه مغرباً وكان من مشاهير بني خزر وأشرفهم نفساً فكان عنده بمكانة عظيمة وسار جوهر إلى أن نزل بتاهرت فلقبه بها يعلا ابن محمد بن صالح اليفرني في جيش عظيم من قبائل زناتة على مقربة من تاهرت بناحية شلف فالتحم (كذا) الحرب بينهما وبذل جوهر الأموال لقواد كتامة ولما اشتد الحرب صممت عصابة من أنجاد قواد كتامة وأجنادها وقصدوا يعلا فقتلوه واجتزوا رأسه وأتوا به إلى جوهر فأعطاهم الأموال الجلييلة بشارة عليه وبعث

(1) الموافق 1015 - 1016 م .

(2) الموافق 954 - 955 م .

(3) الموافق 958 - 959 م .

برأسه إلى المعزّ فطيف به بالقيروان وهزم بنو يفرن وتفرق جمعهم. هكذا في
الأنيس المطرب، وفي ابن خلدون ما يخالفه.

ولما مات يعلا قام ابنه يدو مقامه لكنه لم يملك وهران. ثم ذهب جوهر
مغرباً ومرّ بمدينة إيفكان التي بناها يعلا فخر بها ولم تعمّر للآن وذهب معه محمد
ابن الخير وقد عقد له على وهران فحضر معه جميع وقائعه بالمغرب ولما رجع
أقرّه على وهران بعد أن قطع الدعوة المروانية من المغرب بأجمعه وردّها للشيعة
فخطب لهم على جميع منابر المغرب.

ثم حل محمد بن الخير بوهران وأقام ملكها غاية وبث دعوة الشيعة بالمغرب
بعد أن وقعت له معهم حروب عظام ولما تقلدها في سنة سبع أو ثمان وأربعين
(ص 46) وثلاثمائة / وهي السنة التي قتل فيها يعلا. ويقال إن محمداً بن الخير هو الذي
أغرى جوهرأ على قتله. أدى لهم الطاعة التامة وظاهرهم غاية الظهور ورفض
المروانيين بالأندلس رفضاً كلياً. وفي سنة خمسين وثلاثمائة⁽¹⁾ توفي جده محمد
ابن خزر بالقيروان بعد أن عمر كثيراً كما في ابن خلدون. ثم في سنة ستين
وثلاثمائة⁽²⁾ فسد ما بين محمد بن الخير والشيعة وتقلد طاعة المروانيين
بالأندلس وحشد جميع زناتة المغرب الأوسط ما عدا تاهرت لبقائها بيد الشيعة
وأمدّه المرواني من قرطبة بما أراد من الجيش العرمم ونهض من وهران يجرّ
الأمم بحذافرها فبلغ ذلك زيري بن مناد الصنهاجي عامل الشيعة وجمع له
الجموع التي لم يعهد الزمان بمثلها ولما اجتمعت بدار ملكه أشير، عقد لابنه
بلكين وأمره بحرب محمد بن الخير فالتقى الجمعان بالبطحاء ووقعت الدائرة
على محمد بن الخير بعد أن وقعت بينهما الحروب العظام ويقال أن زيري دسّ
من يجرّ الهزيمة على محمد بن الخير. ولما رءا (كذا) ذلك مال بنفسه إلى ناحية
من عسكره وذبح نفسه سنة ستين وثلاثمائة⁽²⁾ وانهزم قومه سائر يومهم وبقيت
عظامهم ماثلة بمحل القتل أعصراً وهلك من قومه سبعة عشر أميراً في تلك
الواقعة سوى الأتباع كذا في ابن خلدون، وقال غيره بضعة عشر من غير تعيين،

(1) الموافق 961 - 962 م.

(2) الموافق 970 - 971 م.

فأخذ بلقين رؤسهم وانقلب بها إلى أبيه ظافراً بالغنيمة وبعث بها زيري إلى إفريقية للمعزّ الشيعي / فامتلاً سروراً وغمّ لها المنصور الأموي بقرطبة وبذلك (ص 47) علا قدر زيري على سائر العمال.

ثم تولى الخير بن محمد بن الخير بن محمد بن خزر رئاسة قومه بموضع أبيه بوهران فملكها واجتمع بأخيه يعلا بن محمد بن الخير وقومهما وطلبوا الثار. ولما جاءهم جعفر بن علي عامل المسيلة للشيعة فاراً من المعزّ الشيعي ألقوا إليه حالهم وجعلوا بيده زمام أمرهم فقام بدعوة المرواني متقضاً على الشيعي فزحف لهم زيري بن مناد الصنهاجي من آشير واقتلوا قتالاً شديداً فكانت الدائرة على زيري وأكبّ (كذا) به فرسه فأخذه وقتلوه واجتزوا رأسه وبعثوا به إلى الحاكم المرواني بقرطبة سنة ستين أو إحدى وستين وثلاثمائة فأخذ مغراوة ثأرهم وشفوا غليلهم، وأبردوا (كذا) غليلهم وتهدم بموت زيري البنيان لصنهاجة، والدنيا تلك عادت لها يوم بيوم والذهر قاض ما عليه لوم. ولما أخذ الخير بن محمد بن الخير بثأر أبيه من الصنهاجيين وتمهد له الملك نهض بلقين ابن زيري بن مناد الصنهاجي لقتاله أخذاً بثأر أبيه زيري المذكور وذلك سنة سبع وستين وثلاثمائة⁽¹⁾ فجمع الجموع التي لا تحصى ولا تعد، وغزى (كذا) المغربين حتى انتهى إلى أقاصي المغرب الأقصى (كذا) وملك فاسا وسجلماسة وأطرد (كذا) جميع أولياء المروانيين وتقبض على علي بن نور، ومحمد والخير، ابني محمد بن الخير فقتلهم وفرّ من بقي من ملوك زناتة مثل يثؤ بن يعلا اليفرني وبني عطية المغراويين وغيرهم ولاذوا بسبّة وبعثوا بالصريح إلى المنصور بن أبي عامر المعافري فخرج من قرطبة للجزيرة الخضراء / وأمدهم بعساكر جمّة ولّى عليها (ص 48) ابن حمدون وعقد له على حرب بلقين وأمدّه بمائة حمل من المال فأجاز (كذا) البحر وصير مصافّ القتال لظاهر سبّة. وكان بلقين بعساكره في تيطاون فتحيل وأطلّ على عسكرهم فرأى (كذا) ما أدهشه وقال هذه أفعأ أفغرت إلينا فاها (كذا) وكرّ راجعاً فهدم البصرة وجاهد في بر غواطة وسلبهم وبعث بذلك للقيروان وأقطع (كذا) الدولة الأموية من المغرب كله. ولم تزل معه مغراوة في تشريد إلى

(1) الموافق 977 - 978 م.

الصحرا وإذعان له إلى أن هلك سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة⁽¹⁾ بموضع يقال له وازركس بين سلجماسة وتلمسان بسم سقته له زوجته.

ثم تولى بوهران يعلا بن محمد بن الخير الخزري المغراوي بموضع أخيه الخير بن محمد وقام بأمر زناتة فضبط الملك وتكررت إجازته (كذا) مع ابن أخيه محمد بن الخير بن محمد إلى المنصور بن أبي عامر المعافري بقرطبة ليمدهما بالجيش لأخذ الثار في الخير بن محمد وأصحابه من أعدائهم الصنهاجيين فلم تحصل لهما فائدة وسلم يعلا بن محمد بن الخير لابن أخيه محمد في رئاسة قومه بوهران.

ثم تولى بوهران محمد بن الخير بن محمد بن الخير بن محمد بن خزر المغراوي رئاسة قومه وذلك في أعوام الستين وثلاثمائة⁽²⁾ ثم تولى بعده أمر زناتة بالمغرب الأوسط بدار ملكهم وهران محمد بن يعلا بن محمد بن الخير بن محمد ابن خزر المغراوي فملك ما ملك أبوه وجده كافة واستولى على كافة المغرب حتى أضاف لعمله المسيلة والصحرا والمغرب وبوادي زناتة. ولم يبق لبني أمية (ص 49) معه سوى الخطبة خاصة وأطرده (كذا) الصنهاجيين من / أكثر عملهم.

ثم في سنة ثمان وستين وثلاثمائة⁽³⁾ تولى زيري بن عطية بن عبد الله ابن محمد بن خزر الخزري المغراوي، فملك وهران وغيرها وذلك بدعوة هشام المؤيد الأموي وحاجبه المنصور بن أبي عامر المعافري بعد انقطاع أيام الإدارة وبني أبي العافية المكناسي من المغرب الأقصى (كذا)، فملك المغربيين وغلب على بواديهما كله (كذا) واستوطن فاساً وصيره دار ملكه في عام سبعة وسبعين وثلاثمائة⁽⁴⁾ وأورثه لبنيه من بعده. المعروف الآن بباب القيسة وعلا قدره وعظم سلطانه وارتفع شأنه على سائر العمال.

ثم قام عليه أبو البهار بن زيري بن مناد الصنهاجي بالمغرب الأوسط

(1) الموافق 983 - 984 م.

(2) الموافق 970 - 980 م.

(3) الموافق 978 - 979 م.

(4) الموافق 987 - 988 م.

مخالفاً على ابن أخيه منصور بن بلكين ظهير الشيعة فنقض أمر الشيعة ومال للمروانيين وغلب على تلمسان ووهران ومازونة وتمزگران (كذا) ومستغانيم، والبطحاء، وتنس، وشلف، وشرشال، ووانسريس، ومليانة، وكثير من بلاد الزاب، وخطب للمؤيد وحاجبه وبعث لهما بالبيعة والهدية وذلك سنة سبع وسبعين وثلاثمائة⁽¹⁾ فبعث له المنصور بالعهد على ما بيده من البلاد وصارت وهران في حكمه ودار ملكه وبقي نحو الشهرين ورفض دعوة الأمويين ومال للشيعة فبلغ المنصور أمره فبعث فوراً لزيري بن عطية المغراوي المذكور بالعهد على بلاد أبي البهار وأمره بقتاله فسار له بجيوش كثيرة وفر أبو البهار هارباً بنفسه فلحق بابن أخيه وترك المغرب لزيري الخزري فرجعت له وهران كأول مرة فاتسع عند ذلك سلطانه وامتد ملكه من سوس الأقصا إلى الزاب، وكتب بالفتح للمنصور وبعث له صحبة الكتاب بهدية عظيمة من جملتها قطط الزبد ثم اللعط، والزرقة وغيرهم، فسر المنصور بذلك كثيراً وكتب له بالجواز عنده فجاز في سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة⁽²⁾ فأوسع له المنصور ولأصحابه في الجوائز/ وأعطاه مالا (ص 50) عظيماً، وهدايا كثيرة ولقبه بالوزارة فرجع لأهله كارهاً لذلك ومستقللاً للعطايا ونهر من قال له يوماً يا وزير وقال له ما أنا إلا أمير وابن أمير، فوالله لو ألقى المنصور رجلاً بالأندلس ما تركه على حاله يراه، تسمع بالمعيد خير من أن تراه، ثم وضع يده على رأسه وقال له يا هذا الرأس الآن علمت أنك لي، وكان في حال جوازه للأندلس وجد يدو بن يعلا اليفريني فرصة للمغرب فزحف بجنوده لفاس ودخله في ذي القعدة سنة اثنين وثمانين وثلاثمائة⁽³⁾ ولما سمع به زيري جد السير له إلى أن وصله فقاتله كثيراً واتصلت بينهما حروب عظيمة وصار كل من غلب منهما دخل فاساً إلى أن ظهر به زيري في سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة⁽⁴⁾ فقتله وبعث برأسه للمنصور فلم يبق له بالمغرب منازع وهابته الملوك. ويدو بن يعلا هو القاتل للمنصور لما استدعاه للمقدم عنده: حمر الوحش لا تقاد للبيطار.

(1) الموافق 987 - 988 م.

(2) الموافق 991 - 992 م.

(3) الموافق 992 - 993 م.

(4) الموافق 993 - 994 م.

ثم في رجب سنة ثلاث أو أربع وثمانين وثلاثمائة⁽¹⁾ بنا (كذا) زيري مدينة وجدة وحصنها وشيد قصبتها وانتقل إليها بأهله وذخائره وجعلها قاعدة ملكه لتوسطها بين المغربيين. قال الحافظ أبو راس في الخبر المغرب: إن وجدة هي الفاصل بين المغرب الأقصى والأدنا. وقال في فتح الرحمان: إن وجدة كانت في القديم بها مدينة عظيمة لها ثلاثمائة باب وبضع وستون باباً. وسميت وجدة لأنها مسكن أهل الوجد، أو لوجود الصالحين فيها. قاله الغزالي. وإلازائها قبر يحيى بن يونس المدفون بغرب جبل الكواكب من أرض أنقاد يقال إنه من الحواريين الصديقين، عبد الله تعالى ثمانين سنة صياماً وقياماً ولم يأكل فيها شيئاً وآمن بالنبي ﷺ قبل مبعثه بخمسمائة عام يقال إن ماء وجدة يخرج من قرب ضريحه أو منه نفعا الله وذريتنا وقرابتنا وأحبابنا وكافة المؤمنين ببركته.

ثم فسد ما بين زيري بن عطية الخزري المغراوي وبين المنصور بن أبي عامر المعافري في سنة ست وثمانين وثلاثمائة⁽²⁾ فبعث المنصور جيوشاً كثيرة لنظر واضح لمحاربتة ولقيه زيري بجيوشه وحصل المصاف بوادي رداد بأحواز طنجة واتصلت الحروب الكثيرة بينهما ثلاثة أشهر فكان الظفر فيها لزيري / وهزم واضح بجيوشه ومات منه خلق كثير وفرّ لطنجة فتحصن بها وكتب للمنصور يستصرخه فأمدّه بجيوش الأندلس وقوادها وعقد عليها لابنه المظفر بن المنصور وأمره بحرب زيري فأجاز البحر وحلّ بطنجة فأهابه زيري وكتب لجيوشه فاجتمعت عليه من سجلماسة، وتلمسان، ووهران، والزاب، وسائر بوادي زناتة، ونهض بهم للقاء المظفر فكان المصاف بوادي مينا من أحواز طنجة. وكان لزيري غلام يقال له سلام لا يحبه فألقى الغلام في زيري الفرصة لما وجده مضطجعاً ظناً منه أنه نائم فتقدم له وضربه بسكين كانت عنده للبتة يريد نحره وجرحه ثلاث جراحات، وتركه كالميت في دمه وانطلق مسرعاً للمظفر وأخبره فأمكنه الفرصة وشدّ على زناتة وهم في دهشة مما حلّ بأميرهم من غلامه سلام فهزمهم واحتوى على المحلة بجميع ما فيها وكثر السبي والقتل وغنم ما لا يحصى ولا يعدّ. وهرب

(1) الموافق 993 - 995 م.

(2) الموافق 996 - 997 م.

زيري لمضيق الحية وهو موضع قرب مكناسة واجتمع عليه فله وهم بالرجوع فجهز له المظفر خمسة آلاف فارس لنظر واضح فأسرى بهم ليلاً وضرب محلة زيري غفلة وذلك في نصف رمضان سنة سبع وثمانين وثلاثمائة⁽¹⁾ فأوقع بهم موقعاً عظيماً وأسر من أعيانهم نحو ألفي رجل فمنّ عليهم المظفر وصاروا من جملة جنوده. وفرّ زيري في شردمة من أصحابه وقرايته لفاس فأغلقت الأبواب في وجهه فأخذ أهله والدواب والزاد وذهب للصحرا (كذا) فنزل بسجلماصة ثم زاد لبلاد صنهاجة فألقى أهلها قد اختلفوا على ملكهم باديس بن منصور بن بلكين بعد وفاة/ منصور فبعث لقبائل زناتة فأتاه خلق كثير فاغتنم الفرصة وزحف (ص 52) لصنهاجة فأوغل فيهم كثيراً وهزم جيوشهم ودخل تاهرت وجملة من الزاب وملك المسيلة، ووانسريس، وشلف، وتنس، ومازونة، والبطحاء، ومستغانم، وتمزگران، ووهران، وتلمسان، وسائر المغرب الأوسط، وغيره، وأعاد (كذا) لوجدة وأقام الدعوة للمؤيد وحاصر آشير قاعدة صنهاجة وبقي يغاديه ويراوحها إلى أن مات من جراحاته المارة سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة⁽²⁾.

ثم تولى بعده بوهران يعلا بن محمد بن الخير مرة ثانية وضبط أمرها وخضعت له الرعية وأدت طاعته زناتة، وهابته الملوك فبقي إلى سنة عشرة وأربعمائة⁽³⁾.

ثم بويع بموضعه ابن أخيه وهو محمد بن الخير بن محمد بن الخير بن محمد بن خزر مرة ثانية وضبط الملك أكثر من عمه يعلا وأطاعته سائر زناتة المغرب الأوسط مدنه وبواديه وامتدّ له في الملك من سنة عشرة وأربعمائة إلى سنة ثلاثين وأربعمائة⁽⁴⁾.

ثم قام بأمره من بعده في وهران ابن عمه محمد بن يعلا بن محمد بن الخير بن محمد بن خزر مرة أخرى ومهد له الملك أكثر من الأولى ودخل في

(1) الموافق سبتمبر 1997 م.

(2) الموافق 1000 - 1001 م.

(3) الموافق 1019 - 1020 م.

(4) الموافق 1019 - 1039 م.

طاعته سائر المغرب الأوسط بواديه وقراه ومدنه، وحصنه، وضايق صنهاجة بالمشرق وأبناء عمه مغراوة وبني يفرن بالمغرب والصحراء، وصاروا معه تارة في حرب وأخرى في سلم واتصلت يده بيد ابن أخيه بختي بن تميم بن يعلا ابن محمد بن الخير بن محمد بن خزر ملك تلمسان فتمهد لهما المغرب. ولا زالا كذلك في الملك إلى أن هلكا معاً ومعهما وزير بختي بن تميم وهو أبو سعيد (ص 53) الزناتي خليفة اليفرنى في حرب الأثيج/ وزغبه، الهلالين بالزاب في أعوام الخمسين وأربعمائة⁽¹⁾ كما في ابن خلدون وغيره.

ثم تولى بموضع محمد بن يعلا بوهران ابنه محمد الصغير ابن محمد ابن يعلا بن محمد بن الخير بن محمد بن خزر المغراوي. وبتلمسان العباس ابن بختي بن تميم بن يعلا بن محمد بن الخير بن محمد بن خزر المغراوي. واستبد كل منهما بموضعه وما يليه وتحت حكمه، وضبط الأمر بحكمه. ولا زالا كذلك إلى أن أزالهما يوسف بن تاشفين اللمتوني سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة⁽²⁾ فانقطع ملك الدولتين بالمغرب وهما المروانيين والشيعة بالكلية.

قائمة حكام وهران

فتلخص من هذا أن الذين ملكوا وهران من عمال الدولتين المذكورتين ستة عشر. فمن مغراوة عشرة وهم: خزر بن حفص، ثم ابنه محمد بن خزر، ثم ابنه الخير بن محمد، ثم ابنه محمد بن الخير، ثم ابنه الخير بن محمد بن محمد بن الخير بن محمد بن الخير بن محمد بن خزر، ثم محمد بن يعلا، ثم هؤلاء كلهم خزريون مغراويون. ومن أزديجة وعجيسة اثنان: وهما: أبوديلم بن الخطاب الزديجي من بني مسرقين، وشجرة ابن عبد الكريم العجيسي. ومن الشيعة واحد وهو محمد بن أبي عون. ومن بني يفرن واحد وهو يعلا بن محمد بن صالح اليفرنى. ومن صنهاجة اثنان وهما

(1) الموافق 1058 - 1067 م.

(2) الموافق 1080 - 1081 م.

بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي، وأخوه أبو البهار بن زيري بن مناد الصنهاجي.

قائمة الخلفاء الأمويين بالأندلس والمشرق

واعلم أن جملة المروانيين بالأندلس ستة عشر ملكاً وهم: عبد الرحمن الداخل، ثم ابنه هشام الراضي، ثم / ابنه الحاكم، ثم ابنه عبد الرحمن، ثم ابنه (ص 54) محمد بن عبد الرحمن، ثم ابنه المنذر بن محمد، ثم أخوه عبدالله بن محمد، ثم عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبدالله، ثم ابنه الحاكم بن عبد الرحمن الناصر، ثم ابنه هشام المؤيد، ثم محمد المهدي بن هشام بن عبد الجبار، ثم المستعين سليمان بن الحاكم بن سليم بن عبد الرحمن الناصر، ثم عبد الرحمن ابن هشام بن عبد الجبار، ثم المستكفي محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله ابن عبد الرحمن الناصر، ثم المستعين هشام بن محمد بن عبد المالك بن عبد الرحمن الناصر، ثم أمية الأموي وبه انقطعت دولة بني أمية من الأندلس.

وجملتهم بالمشرق أربعة عشر ملكاً وهم: معاوية بن أبي سفيان، ثم ابنه يزيد بن معاوية، ثم ابنه معاوية بن (كذا) يزيد، ثم مروان ابن عبد الحاكم، ثم ابنه عبد المالك (كذا) بن مروان، ثم ابنه الوليد ابن عبد المالك، ثم أخوه سليمان (كذا) بن عبد المالك، ثم عمر بن عبد العزيز ابن مروان، ثم يزيد بن عبد المالك بن مروان، ثم هشام بن عبد المالك، ثم الوليد بن يزيد بن عبد المالك، ثم ابنه يزيد بن الوليد، ثم إبراهيم (كذا) ابن الوليد، ثم مروان بن محمد بن مروان، وبه انقرضت دولتهم بالمشرق. قال العلا (كذا) ولما انقضت مدة دولة بني أمية وقرب تمامها كنت نائماً عند سليمان ابن هشام فإذا به قد أيقظني وقال لي كنت نائماً فأريت في نومي كأنني في جامع دمشق وكان رجلاً في يده خنجر وعلى رأسه تاج وهو رافع صوته بهذه الأبيات:

أبني أمية قد دنا تشتيتكم	وذهب ملككم وأن لا يرجع
وينال صفوته عدو ظالم	للمحسنين إليه ثمت يفجع /
بعد الممات فكل ذلك صالح	يا ويحه من قبح ما قد يصنع

(ص 55)

قال العلا فقلت لسليمان ولعل ذلك لا يكون، فأطرق سليمان ساعة وقال لي هيهات يا علا ما يأتي به الزمان قريب، فلم تتم الجمعة حتى دخل عليهم مروان الجعدي وانقرضت دولتهم فاتح ثلاث وثلاثين ومائة⁽¹⁾ انظر الجمان للشاطبي .

قائمة خلفاء الشيعة الفاطميين

وجملة ملوك الشيعة وهم العبيديون أربعة عشرة ملكاً وهم : المهدي ثم القائم، ثم المنصور، ثم المعز، ثم العزيز، ثم الحاكم، ثم الظاهر ثم المستنصر، ثم المستعلا، ثم الأمر، ثم الحافظ، ثم الظافر، ثم الفائز، ثم العاضد وهو آخرهم . وبه انقرضت دولتهم، ودأب الدنيا لم تعط إلا استردت ولم تحل إلا تمررت ولم تصف إلا تكدرت بل صفوها لا يخلو من الكدر . وفي ذلك قال الشاعر من البسيط :

حسنت ظنك بالأيام إذ حسنت	ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وساعدتك الليالي فاغتررت بها	وعند صفو الليالي يحدث الكدر
الحذر ينفع ما لم يغلب القدر	فإن أتى قدر لم ينفع الحذر
لا بد من فرح يوماً ومن ترح	وهكذا الدهر في تصريفه عبر
وليس من قدر إلا له سبب	وليس من سبب إلا له قدر
رمت البقا أبداً ولا بقاء بها	والموت حق فلا يبقى ولا يذر

قائمة ملوك الأدارسة بالمغرب الأقصى

وجملة ملوك الأدارسة بالمغرب الأقصى (كذا) ثلاثة عشر وهم : إدريس الأكبر ابن عبد الله الكامل، ثم ابنه إدريس الأصغر، ثم ابنه محمد بن إدريس، ثم ابنه علي ابن محمد، ثم أخوه يحيى بن محمد، ثم ابنه يحيى بن يحيى، ثم علي بن عمر ابن إدريس الأصغر، ثم يحيى المقدم بن القاسم بن إدريس الأصغر، ثم يحيى ابن إدريس بن عمر بن إدريس الأصغر . وهو أعلا الأدارسة ملكاً، ثم الحسن الحجام

(1) الموافق أوت 750 م .

ابن محمد بن القاسم بن إدريس الأصغر. ثم محمد كانون ابن القاسم بن إدريس الأصغر. ثم ابنه أبو يعيش أحمد بن محمد كانون، ثم أخوه الحسن بن محمد كانون. وهو آخرهم، وبه انقرضت دولتهم من المغرب بالكلية.

قائمة ملوك السليمانيين بالمغرب الأوسط

وجملة ملوك السليمانيين بالمغرب الأوسط إحدى وعشرون: فبتلمسان أربعة وهم: محمد بن سليمان بن عبدالله الكامل. ثم ابنه أحمد، ثم ابنه محمد، ثم ابنه القاسم. ويرشقون أربعة أيضاً وهم: عيسى بن محمد بن سليمان بن عبدالله الكامل، ثم ابنه إبراهيم، ثم ابنه يحيى، ثم أخوه إدريس بن إبراهيم. ويجرارة ثلاثة وهم: إدريس بن محمد بن سليمان بن عبدالله الكامل، ثم ابنه أبو العيش عيسى، ثم ابنه الحسن. وبتاهرت ثلاثة أيضاً وهم: الحسن بن محمد بن سليمان بن عبدالله الكامل، ثم ابنه حناش، ثم ابنه بطوش. وبتنس سبعة وهم: إبراهيم بن محمد بن سليمان بن عبدالله الكامل، ثم ابنه عيسى، ثم ابنه إبراهيم، ثم محمد بن إبراهيم بن محمد بن سليمان بن عبدالله الكامل، ثم ابنه يحيى، ثم ابنه علي، ثم أخوه حمزة بن علي، وتغلب العبيديون على السليمانيين، لما تملكوا المغرب الأوسط فأزالوا دولتهم وقطعوها والملك لله وحده.

الدولة الثالثة المرابطون

(ص 57) ثم ملك وهران/ الدولة الثالثة وهم المرابطون:

ويقال لهم الملتزمون وهم لمتونة فرقة من صنهاجة تلقبوا بذلك لكونهم انقطعوا في جزيرة ببحر النيل⁽¹⁾ وربطوا أنفسهم فيها للطاعة مع شيخهم عبدالله ابن ياسين إلى أن كثر عددهم فقاموا للملك إلى أن كان منهم ما كان. ومن ثم صار هذا لقب لكل ناسك مبرور ملازم للطاعة لا يدخل في شؤون المخزن سيما بالمغرب الأوسط. وسموا بالملتزمين إما لكونهم لا يتركوا (كذا) اللثام حتى أنه لا يعرف أحدهم إلا إذا كان ملتماً وإلا فلا، وإما لكون رجالهم غابت عن حيّهم وبقي به النساء فجاءتهم العرب لأخذهم فلبس النساء لباس الرجال وتلشن لثلا يعرفن وركبن النجائب وقاتلن العدو إلى أن دفعن (كذا) عن الحي ففعل ذلك الرجال وبقيت فيهم سنة للآن في بلادهم وهم الذين يقال لهم التوارق بقرب السودان.

وأول من ملك منهم وهران المجاهد يوسف بن تاسفين اللمتوني وذلك أنه استقر بالمغرب سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة⁽²⁾ خليفة لابن عمه أبي بكر ابن عمر اللمتوني لما اختار الرجوع للصحراء وصار يدوِّخ فيه ولما صعب عليه حرب المصامدة ذهب لمراكش وهي مفاوز ومعناها بلغتهم «إمش مسرعاً». فمر

(1) هذه رواية ابن خلدون ولكن الحقيقة أن الجزيرة التي اعتصم بها عبدالله بن ياسين وتلاميذه وربطوا بها تقع في حوض نهر السينغال. ولو أن الأستاذ محمد عبدالله عنان ذكر أنها تقع في منحنى نهر النيجر.

(2) الموافق 1061 - 1062 م.

معناه: إمش، وكش، معناه: مسرعاً. وبنا (كذا) قصبة صغيرة ومسجداً وأدار بذلك سوراً وذلك سنة أربع أو خمس وخمسين وأربعمائة⁽¹⁾ واتخذ الأجناد والقواد والبنود والطبول وسائر / آلة الملك تلك السنة وتوجه بذلك لفاس فدخله (ص 58) عنوة وخرّبه وهدم أسواره وظفر بعامله بكار بن إبراهيم فقتله وارتحل إلى صفرو فدخله من يومه عنوة وقتل عماله أولاد المسعود والمغراوي ورجع لفاس لكونه لما فتحه أولاً وجعل عليه عاملاً لمتونيا قام عليه به تميم بن معنصر المغراوي فدخله وقتل عامله ولما سمع بقدوم يوسف هرب من فاس ودخله يوسف ثانياً وهو الفتح الثاني في يوم الخميس ثاني جمادى الثانية سنة اثنين وستين وأربعمائة⁽²⁾ فأسرف في قتل مغراوة إلى أن قتل منهم بالجامعين الأعظمين ما يزيد على ثلاثة آلاف، وهدم الأسوار التي فصل بها ابنا زيري بن عطية وهما: الفتوح، وعجيسة، بين العدوتين وصيرهما (كذا) مدينة واحدة حمل أهلها على تكثير المساجد وأقام بها إلى صفر سنة ثلاث وستين وأربعمائة⁽³⁾ فخرج لقصور بني وطاط بملوية ففتحها ووجه إلى أمراء المغرب وأشياخه بالقدوم ليتفقد أحوالهم وأحوال رعيته وغزى (كذا) مدينة رهونة من طنجة سنة خمس وستين وأربعمائة⁽⁴⁾ فدخلها عنوة وفتح جبل علودان، وفتح غياثة وبني مكود، وزهينة، سنة سبع وستين وأربعمائة⁽⁵⁾ وفتح طنجة في سبعين وأربعمائة⁽⁶⁾. ثم بعث قائده مزدلي لتلمسان في عشرين ألفاً ففتحها سنة اثنين وسبعين وأربعمائة⁽⁷⁾ وقتل ابن أميرها معلا بن يعلا المغراوي وكتب اسمه على السكة في جهة وفي الأخرى كتب: «ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه» سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة⁽⁸⁾ / وفيها غزا (كذا) (ص 59)

(1) بدأ الشروع في بناء مدينة مراكش عام 454 هـ (الموافق لعام 1062 م).

(2) الموافق 18 مارس 1070 م.

(3) الموافق نوفمبر - ديسمبر 1070 م.

(4) الموافق 1072 - 1073 م.

(5) الموافق 1074 - 1075 م.

(6) الموافق 1077 - 1078 م.

(7) الموافق 1079 - 1080 م.

(8) الموافق 1086 - 1087 م.

وجدة وبني يزناسن وتلمسان فلقية بها ملكها العباس بن بختي المغراوي بجيشه من بني يفرن ومغراوة فقتله وأكثر جنده وفتحها عنوة واستعمل عليها محمداً ابن تعمير المسوفي⁽¹⁾ وبنا (كذا) بها تلمسان الجديدة بمحل محلته وهي المسكونة الآن.

ثم تخط (كذا) منها لوهران تلك السنة ففتحها عنوة ونفا (كذا) عنها ملوكها بني الخزر المغراويين وصيرها من جملة رعيته وقطع دعوة مغراوة وبني يفرن من المغرب كله. وفي إخراجهم لمغراوة من فاس، ووهران، قال الحافظ أبو راس في سنيته مانصه:

ثم أزالهم يوسف أيضاً فعي كما أزالهم قبل عن أرض فاس

ثم زاد إلى مازونة وتنس ووانسريس وشلف وزاد متmadياً بجيوشه إلى الجزائر فطوعها وأطاعه أهلها بنو مزغنة وكان دخوله لها في ربيع الأول سنة خمس وسبعين وأربعمائة⁽²⁾ وصيرها حداً بينه وبين ملوك البلكانية من صنهاجة للقراية التي بينهم. فملك رحمه الله من الجزائر إلى السودان إلى البحر المحيط إلى جبل الذهب بهذه العدو وكلها بسط فيها العدل وأبطل منها المكس (ص 60) والمغارم. ثم تخط إلى عدوة الأندلس سنة تسع وسبعين وأربعمائة⁽³⁾ فهزم الكفرة وأوقع بهم في قضية الزلافة المشهورة الموقع العظيم حتى أنه جمع فيها الرؤوس إلى أن صارت تلاً يعني ربوة وأذن عليها المؤذن ثم فرقها على المدن فأعطى لكل مدينة ألوا عديده، وازينت لتلك الواقعة بغداد، والحرمان الشريفان، ومصر، والعراق، والشام، وغيرهم من مدن المشرق وشاع خبرها إلى مدينة سرّة⁽⁴⁾ قاعدة مدن الهند وبعث له الناصر العباسي على ذلك خلعة كثيرة يقصر عنها الوصف، وجدد له العهد وقطع رحمه الله ثوار الأندلس مثل ابن عبّاد وغيره.

(1) علمه تينعمير المسوفي.

(2) لموافق 1080 - 1081 م.

(3) لموافق 10 جويلية - 28 أوت 1082 م.

(4) أهلها سوروات هكذا وهو الأصح.

وملك بعدوة الأندلس من أفراغة قاصية أرض الفرنج إلى إشبونة حدها من المغرب عند البحر المحيط وذلك مسيرة شهر وثلاثة أيام طولاً، والعرض نحو العشرين يوماً وبسط فيها أيضاً العدل وأبطل المكس وباعه بها ثلاثة عشر ملكاً وخطب له على ألف منبر وتسعمائة منبر وساست ملكه زوجه زينب وماتت سنة أربع وستين وأربعمائة⁽¹⁾ وكان رحمه الله زاهداً يلبس الصوف ويأكل خبز الشعير بلبن الإبل ولحومها، وغالب أكل جنده الجيد كالدرمك والفالوج ونحوهما، وجدد السكة من واقعة الزلافة فنقش في ديناراه في جهة: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وتحتة أمير المؤمنين يوسف بن تاشفين، وفي الدائرة: ومن يتبع غير الإسلام ديناً إلى الخاسرين. وفي الصفحة الأخرى الأمير عبدالله أمير المؤمنين العباسي وفي الدائرة تاريخ الضرب وموضع السكة. ولد رحمه الله سنة أربعمائة وتوفي سنة خمسماية⁽²⁾ عن مائة سنة بعد ما ملك أربعين سنة ودفن بمراكش وقبره بها من أعظم المزارات وعليه مشهد عظيم.

ثم ملك وهران بعده ابنه علي، تولى / بموضع أبيه قيل سنة خمسماية وقيل (ص 61) سنة واحد وخمسماية⁽³⁾ وهو ابن ثلاث وعشرين سنة، فملك جميع الغرب من بجاية لسوس الأقصا وللقبلة من سجلماسة لجبل الذهب في السودان والأندلس شرقاً وغرباً وخطب له على ألفين وثلاثمائة منبر وكان محباً لأبي الوليد بن رشد فولاه القضاء بقرطبة سنة تسع وخمسماية⁽⁴⁾ وعزله منها سنة ثلاثة عشر وخمسماية⁽⁵⁾ وجعل بدله أبا القاسم ابن حميد بن فشرع ابن رشد في شرح العتبية وسماه بالتحصيل والبيان. وفي أعوام العشرة الثانية أمر بحرق كتاب الإحياء للغزالي لما فيه من التشديد بإغراء أبي القاسم ابن حميد وموافقة ابن رشد والقاضي عياض. وفي أيامه ظهر أمر الشريف المهدي بن تومرت القائم بدولة

(1) الموافق 1071 - 1072 م.

(2) الموافق 1109 - 1107 م.

(3) تولى علي بن يوسف الملك عام 500 هـ الموافق 1106 م.

(4) الموافق 1115 - 1116 م.

(5) 1119 - 1120 م.

الموحدين وذلك سنة خمسة عشر وخمسمائة⁽¹⁾ فقال له قاضي المرية بمراكش اجعل على رجله كبلًا، قبل أن يسمعك طبلًا، فأبى إلى أن كان ما كان وبسببه دخل الدولة المرابطية الهرم وكثر فيها الإرجاف وكمل بناء مدينة مراكش بإشارة ابن رشد عليه سنة اثنين وعشرين وخمسمائة⁽²⁾ فأنفق على سورها سبعين ألف دينار وعلى جامعها الأعظم والمنارة ستين ألفاً دينار أخرى. وأخذ البيعة لولده تاشفين سنة سبع وسبعين وأربعمائة⁽³⁾ وتوفي بمراكش سنة سبع وثلاثين وخمسمائة. وهو ابن سبع وخمسين سنة بعدما ملك سبعاً وثلاثين سنة. وكان فقيهاً عالماً فاضلاً خير مالك ودولته عز للإسلام وسيرته حسنة وأحواله مستحسنة. وفي وقته بنا (كذا) وزيره عبد الرحمن المعافري الحمام بجوف الجامع الأعظم من غرناطة وفرش صحن جامع قرطبة وأصلح بناء مدينة طرطوشة.

ثم تولى ابنه تاشفين بموضعه في ثامن رجب سنة سبع وثلاثين وخمسمائة⁽⁴⁾ في معظم فتنة الموحدين بمعاهدة أبيه إليه في حياته فأطاعته العدو تان كأبيه وجده واتصلت حروبه مع عبد المؤمن بن علي من أول أمره وصار يتبع عبد المؤمن بن علي حيث مرَّ إلى أن توجه لتلمسان فأتبعه لها ودخلها تاشفين سنة تسع وثلاثين وخمسمائة⁽⁵⁾ ونزل عبد المؤمن بن علي بين الصخرتين بظاهرها مما يلي الجبل ونزل تاشفين الوطا مما يلي الصفصيف وزحف المرابطون للموحدين فنهاهم تاشفين فأبوا وتعلقوا بالجبل فانحدر لهم الموحدون وهزموهم شنيعاً وفرَّ تاشفين لوهراة في مواعدة صاحبه ابن ميمون في أسطوله بالبحر ونزل بظاهرها وترك تلمسان تحت عامله محمد بن الشيور فترك عبد المؤمن لمحاصرة تلمسان ووزيره يحيى بن تومرت ولحق بوهران في طلب تاشفين فنزل عليه وحاصره بها إلى أن مات. واختلف في وجه الموت على أربعة أقوال ومعناها واحد. فقال أبو محمد صالح في الأنيس المطرب بروض

(1) الموافق 1121 - 1122 م.

(2) الموافق 1128 م.

(3) الموافق 1084 - 1085 م.

(4) الموافق 26 جانفي 1143 م.

(5) الموافق 114 - 1145 م.

القرطاس: خرج تاشفين ليلاً ليضرب في محلة العدو فتكاثرت عليه الخيل والرجال وكانت ليلة مظلمة ممطرة وهي ليلة تسع وعشرين من رمضان سنة / تسع (ص 63) وثلاثين وخمسمائة⁽¹⁾ ففرّ أمامهم وكان بجبل عال منيف على البحر فظن أن الأرض متصلة فأهوى بفرسه من شاهق بإزاء رباطة وهران فمات. وقال الحافظ أبو راس في عجائب الأخبار وسائر كتبه المؤلفة في التاريخ: إنه لما طال عليه الحصار بوهران وعلم أنه لا طاقة له ودّع خواصه وخرج ليلة عيد الفطر سنة تسع وثلاثين وخمسمائة إلى جبل هيدور وهو جبل وهران على فرس عتيق وحملها (كذا) على شاهق فتردى به في بعض الأخاديد فمات ومن الغد وجد. وقوله رضي الله عنه في عجائب الأسفار أن ذلك سنة إحدى وأربعين وخمسمائة سبق قلم.

وقال أبو الفدا صاحب حماة في المختصر، فلما كان ليلة تسع وعشرين من رمضان سنة تسع وثلاثين وخمسمائة وهي ليلة يعظمها المغاربة سار تاشفين في جملة يسيرة مختفياً ليزور مكاناً على البحر فيه متعبدون وصالحون بقصد التبرك فبلغ الخبر مقدم جيش عبد المؤمن واسمه عمر بن يحيى الهنتاني فساروا وأحاط به فركب تاشفين فرسه وحمل ليهرب فسقط من جرف عال فمات. وقال أبو إسحاق الشاطبي في الجمال إن تاشفين لما هرب من تلمسان اتبعوه إلى أن نزل بمرسى وهران فحاصروه بها ودخلوا عليه فلجؤه (كذا) إلى جرف عال فرمى بنفسه وهو راكب على فرسه من أعلا (كذا) الجرف فاندق عنقه وعنت فرسه في تلك السنة. اهـ.

قال شيخنا الزباني في دليل الحيران وأنيس السهران، والموضع الذي مات فيه يعرف إلى الآن بمكبّ / الفرس قرب حمام سيدي دادّ أيوب ما بين وهران (ص 64) والمرسى (الكبير) ثم أنه لما وجد من الغد ميتاً بأزاء البحر أخذ وصلب على جذع واجتزأ رأسه وحمل لتنميل فعلق بها على شجرة صفصاف عالية ولما صلب بوهران استأصل القتل أصحابه وتفرقوا فهرب بعضهم للنهر المنحدر من رأس العين وهو نهر وهران وكان مشعراً وبه غيظ ملتف بعضه ببعض فأضرم الموحدون

(1) الموافق 25 مارس 1145 م.

النار في الوادي فمن بقي احترق ومن خرج قتل وسار عبد المؤمن لوهرا ن فتمكن منها بالسيف وقتل بها ما لا يحصى .

قائمة ملوك صنهاجة

واعلم أن ملوك صنهاجة على ثلاثة فرق :

الفرقة الأولى البلكانية : وهم ملوك إفريقية وبجاية والمغرب الأوسط والأندلس أيام الطوائف وجملتهم خمسة وعشرون : فبإفريقية عشرة : أولهم مناد الصنهاجي مقيم الدولة الفاسية ، ثم ابنه زيري مختط مدينة أشير بصفح (كذا) جبل تيطري أواسط القرن الرابع⁽¹⁾ ، ثم ابنه يوسف بلكين مختط مدينة الجزائر ومليانة والمدينة أواسط القرن الرابع أيضاً بأمر أبيه المذكور وكانت له أربعمائة حاضنة (كذا) في قصره حتى إنه بشر في يوم واحد بولادة سبعة عشر غلاماً وهذا لم يسمع مثله . ثم ابنه منصور ، ثم ابنه باديس ، ومات بدعاء الشيخ محرز ابن خلف عليه . ثم ابنه المعز الذي بلغ في خسارة عرسه ستة عشر ألف ألف (ص 65) دينار وتراتب بيته من العود الهندي بمسامير الذهب وأنه عمل لجذته / لما ماتت تابوتاً من العود الهندي مرصعاً بالجواهر وصفائح الذهب وعلق عليه عشرين سبعة من نفيس الجواهر وذبح عليها مائة بقرة وألف شاة ونحر خمسين ناقة وفرق على النساء عشرين ألف دينار . ثم ابنه تميم الذي قال فيه أبو علي رشيق :

أصبح وأعلا ما سمعناه في النداء من الخبر المأثور منذ قديم

أحاديث تروى بها الشيول عن الحبا من البحر في كف الأمير تميم

ثم ابنه يحيى ، ثم ابنه علي ، ثم ابنه الحسن وهو آخرهم بإفريقية وبه تمت دولتهم بها فهؤلاء عشرة .

وببجاية عشرة : أولهم : حماد بن بلكين بن زيري بن مناد مختط مدينة قلعة بني حماد بجبل عجيسة بإزاء بجاية الذي يقال له جبل المعاضيد في آخر القرن الرابع ثم الناصر بن علناس بن حماد ، ثم ابنه المعز ، ثم ابنه القايد ، ثم ابنه

(1) الموافق منتصف القرن العاشر الميلادي .

محسن، ثم بلكين بن محمد بن حماد، ثم ابنه المنصور، ثم ابنه باديس، ثم أخوه العزيز بن منصور، ثم ابنه يحيى. وبه تمت دولتهم ببجاية فهؤلاء العشرة مع العشرة الأولى تلك عشرون.

وبالمغرب الأوسط واحد: وهو أبو البهار فذلك إحدى وعشرون. وبالأندلس أربعة: أولهم صاحب غرناطة زاوي بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي كما في الجمع والبيان في تاريخ القيروان. ثم ابن أخيه حابوس ابن ماكس بن بلكين، ثم ابنه باديس صاحب اللعاب الذي يقال له السلام عليك يا باديس، ثم ابن أخيه عبدالله بن بلكين بن حابوس وهو الذي أخذه مع أخيه / (ص 66) تميم، يوسف بن تاشفين وعبر بهما البحر لمراكش فهؤلاء خمسة وعشرون.

الفرقة الثانية: المرابطون ويقال لهم الملمثون، وهم لمتونة ملوك المغرب الأقصى والأوسط وعدوة الأندلس وجملتهم في الإسلام اثنا عشر ملكاً. أربعة قبل تسميتهم بالمرابطين، وثمانية بعد تسميتهم بها، إلا أن المراد بالمرابطين هم الخمسة التاشفينيون: يوسف بن تاشفين ومن بعده لا غير. أول الاثنا عشر: تيلوتان بن تيكلان اللمتوني كان في أيام عبد الرحمن الداخل ملك الصحراء بأسرها وأطاعه بها من ملوك السودان عشرون ملكاً كلها تؤدي له الجزية وكان يركب في مائة ألف نجيب وعمله مسيرة ثلاثة أشهر في مثلها لكنه لم يملك الغرب وعاش نحو الثمانين سنة. ثم حفيده الأثير بن فطين بن تيلوتان، ثم ابنه تميم ومات قتيلاً سنة ست من الرابع⁽¹⁾ وبقي بعده صنهاجة هُملاً من الأمير نحو المائة وعشرين سنة وإنما أمرهم جمهورياً شورياً بينهم. ثم أبو عبدالله تارشنا ابن تفاوت اللمتوني، ثم يحيى بن إبراهيم القدالي وهو الذي حج وأخذ عن الشيخ أبي عمران الفاسي بالقيروان وسأل منه أن يصحبه من تلامذته من يعلمه وقومه الديانة فأمرهم فأبوا فكتب له لتلميذه محمد بن وفاق اللمطي بنفوسه ليعث معه من يقوم بهم في دينهم فبعث معه الشيخ عبدالله بن ياسين الجزولي سنة ثلاثين من الرابع⁽²⁾ وانقطع بهم / بجزيرة ببحر النيل⁽³⁾ إلى أن كثر عددهم (ص 67)

(1) الموافق 918 - 919 م.

(2) الموافق 941 - 942 م.

(3) ارجع إلى هامش رقم 1 قبل هذا.

وتسموا بالمرابطين لملازمتهم لرابطة الشيخ عبدالله بن ياسين ببحر النيل. ثم يحيى بن عمر اللمتوني، ثم أخوه أبو بكر بن عمر وهو الذي ملك الصحراء وتخطا (كذا) للمغرب وجعل ابن عمه يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن ترقوت ابن وزنقطن بن منصور بن محالة بن أمية بن وثمار بن تلميت اللمتوني الصنهاجي الحميري خليفة عليه. ثم استقل يوسف بالمغرب. ثم ابنه علي، ثم ابنه تاشفين، ثم ابنه إبراهيم، ثم عمه إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين وهو آخر المرابطين وبه انقطعت دولتهم لما قتله وابن أخيه إبراهيم، عبد المؤمن ابن علي بمراكش. ولكل بداية نهاية والله يوتي ملكه من يشاء. وقد ألف الحافظ الصيرافي رحمه الله في المرابطين كتاباً أسماه - الأنوار الجالية (كذا) في أخبار الدولة المرابطية.

الفرقة الثالثة الغانية: أولاد المرأة التي يقال لها غانية بنت عم يوسف ابن تاشفين وأبوهم مسوفي من صنهاجة يقال له علي بن يحيى المسوفي كان من الشجعان وبالمكانة العظيمة عند يوسف بن تاشفين فلذلك زوجه من ابنت عمه غانية فأتت معه بولدين وهما: يحيى، ومحمد، اللذان ولّاهما علي بن يوسف بالأندلس أحدهما وهو يحيى على غربي الأندلس والآخر وهو محمد على شرقها (ص 68) كمورقة ويابسة / وغيرهما. وجملة ملوكهم ما بين الأندلس وبجاية وقابس خمسة. أولهم يحيى المعروف بابن غانية بن علي بن يحيى المسوفي بالجهة الغربية من الأندلس وهو الذي أعان شيخه القاضي بسبته علي عبد المؤمن بن علي. ثم أخوه محمد بن علي بن يحيى على شرقي الأندلس. ثم ابنه عبدالله على ذلك، ثم أخوه علي بن محمد بن غانية على بجاية، ثم أخوه يحيى بن محمد بن غانية على قابس وهو الذي دوخ المغرب الأوسط وإفريقية وخرّب تاهرت فلم تعمر من وقته إلى أن جدد عمارتها الفرنسييس في أعوام الخمسين من القرن الثالث عشر⁽¹⁾ وتقبّض بمندبل المغراوي فصلبه بالجزائر واشتدت وطأته على الموحدين إلى أن توفي بشلف تحت مليانة سنة ثلاث وثلاثين وستمائة⁽²⁾ بعد ما ملك خمسين عاماً

(1) الموافق 1834 - 1844 م.

(2) الموافق 1235 - 1236 م.

فاستراحوا عند ذلك بموته وطاب لهم القرار وصفا حالهم من الأكدار. فجملة
ملوك فرق صنهاجة الثلاثة: اثنان وأربعون ملكاً. خمسة وعشرون من الأولى.
واثنا عشر في الثانية. وخمسة في الثالثة. والملك والدوام لله الواحد القهار لا إله
غيره، ولا خير إلا خيره.

الدولة الرابعة : الموحدون

ثم ملك وهران الدولة الرابعة وهم الموحدون سمّوا بذلك لأخذهم علم التوحيد عن شيخهم الشريف المهدي بن تومرت فهو الذي سمّاهم بذلك تعريضاً بالمرابطين لكون أهل المغرب كانوا على مذهب الحنابلة في الاعتقاد⁽¹⁾ وبمعزل/ عن التأويل فهم كتسمية لمتونة بالمرابطين لملازمتهم لرابطة شيخهم عبدالله ابن ياسين وانقطاعهم معه وأخذهم عنه فعبدالله بن ياسين شيخ المرابطين والمهدي بن تومرت شيخ الموحّدين.

وأول ملوك الموحدين شيخهم المهدي بن تومرت المذكور فهو ممن مهد الملك لغيره ولم يملك وهران. قال الغازي بن قيس في تاريخه: - وكان جدّه لأبيه دخل المغرب مع عقبة بن نافع الفهري الصحابي واستوطنه من حينئذ - واختلف في نسبه على ستة أقوال: فقال ابن رشيق وابن مطروح: هو مرغاتي نسبة لقبيلة يقال لها مرغانة أحد بطون المصامدة. وقال غيرهما: هو نفيسي نسبة لقبيلة يقال لها نفيسة أحد (كذا) بطون المصامدة أيضاً فهو أبو عبدالله محمد المهدي بن تومرت الملقب أمغار أيضاً ابن عبدالله بن وجليد المرغاتي أو النفيسي المصمودي. وقال لسان الدولة ابن الخطيب السلماني في شرحه لرقم الحلل: هو من آل من بني العباس بن الحسن بن علي كرم الله وجهه. وهو غير صحيح لأن الحسن السبط لا عقب له إلا من الحسن المثني وزيد، وعلى أنه من بني العباس فهو كما في الجمان، والأنيس المطرب، محمد بن عبدالله ابن عبد الرحمن بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن سفيان بن جابر بن يحيى

(1) الحقيقة أن سكان المغرب العربي كانوا على مذهب مالك وليس مذهب الحنابلة.

ابن عطاء بن رباح بن يسار بن العباس بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وقال الشيخ علي بن أبي زرع في القرطاس هو من بني محمد/ بن علي (ص 70) وهو غير صحيح أيضاً لأن محمد خلف أبا هاشم فقط ولم يعقب. وقال ابن نخيل وهو من أهل البيت من ذرية محمد بن سليمان أخي إدريس بن عبدالله لأن عبدالله الكامل له من الأولاد إدريس وسليمان ومحمد النفس الزكية (كذا) وإبراهيم ويحيى، وموسى، هؤلاء باتفاق وعيسى على خلاف فيه وجعل بعضهم بدل إبراهيم جعفر فقال في رجزه:

خلف ستة من الذكور	عبدالله الكامل في المشهور
فجعفر بجزيرة سوس	وزرهون فيه مولاي إدريس
وثالثهم مولاي سليمان	فقبيره بشغور تلمسان
والينبوع فيه مولاي محمد	ومولاي موسى في بلاد الهند
ومولاي يحيى في بلد السودان	بجاءهم نجنا من نيران
فجعفر منه الجزولي محمداً	به دليل الخيرات قد ابتدوا
من موسى كان الصالح الجيلاني	ومن محمد علي الثاني
وأبو عنان صاحب الغزالا	غصنه من سليمان لا زالا
ومن إدريس كان إدريس الثاني	قبرهما في زرهون الأثنائي
مزاره فاس فيه ثم أمره	وقيل بل ضعيف ذاك قبره
اجعلنا في حماهم يا من مهدهم	في الأرض يا رب بجاه جدّهم
أعني بذاك سيد الإرسال	محمد الموصوف بالكمال
وزوج بنته فاطمة البتول	عنه الرضاء بالبكور والأصول

/وقال الحافظ أبو راس في عجائب الأخبار، والخبر المعرب، والصواب أنه (ص 71) من أهل البيت من بني محمد النفس الزكية بشقيق إدريس هـ. والصحيح أن سليمان بن عبدالله الكامل لم يأت المغرب لأنه مات بقصة فخ وإنما الذي أتى للمغرب واستقر بتلمسان وخلف أولاده بها هو ابنه محمد بن سليمان هـ.

ثم ملك وهران تلميذه وخليفته عبد المؤمن بن علي الكومي الزناتي واختلف في نسبه على قولين: فقيل أصله من بني عابد من قبيلة كومة أحد بطون ترة أهل جبل تاجرا على ثلاثة أميال من مرسى هنين ويقال له أهناي. وقيل

أصله من بني عبس أحد قبائل قيس بن غيلان بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد ابن عدنان بالحجاز. وعليه فهو أبو محمد عبد المؤمن بن علي بن يعلا بن مروان ابن نصر بن علي بن عامر بن لمتي بن موسى بن عون الله بن يحيى بن وزجاء ابن صطفور بن نفور بن مطماط بن هودج بن مادغس بن عبس بن قيس بن غيلان ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، قاله في الأنيس المطرب. والصحيح الأول، وكان أبوه طياناً فخارياً يعمل النافخ فينما هو في شأن طينه للنافخ إذ جاءت زوجته تبكي قائلة له إن ابني نزل عليه جند تحمل فذهب معها إلى أن رآه في تلك الحالة فزم عنه النحل لذلك ثم انصرف ولم يؤذ فقل لعرف ما رأى فقال له أنت طيان من أين يبلغ ابنك الملك، وتطلب من / صغره، ولزم المساجد لدرس القرآن والعلم فقرأ على ابن صاحب الصلاة بتلمسان، والشيخ عبد السلام التونسي ضجيع الشيخ أبي مدين، ثم على المهدي فكان من العلماء الجماهر والفقهاء الأكابر وكذا أولاده من بعده. وتصدًا (كذا) لشرح المقامات الحريرية وكان في الحزم والنجدة بالغاية وتعلم الحيل من شيخه المهدي فكان منها في الغاية من جملتها أنه علّم الطائر يقول عند زريته العز والتمكين للخليفة عبد المؤمن أمير المؤمنين والشبل إذا رآه يصبص ويسكن إلى أن صار أسداً. فبويع لذلك وقال في ذلك أبو علي:

أنس الشبل ابتهاجاً لذا الأسد	ورأى شبه إليه لما قصد
ودعا الطائر بالنصر لكم	فقضى حقكم لما قد وفد
وانطق الخالق مخلوقاته	بالشهادة فكلهم قد شهد
بأنك القائم بالأمر له	بعد ما طال على الناس ذا الأمد

وكان شاعراً بالغاً فمن جملة شعره ما يروى أنه خرج يوماً ومعه وزيره أبو جعفر بن عطية للتنزه ببعض بساتين مراکش فنظر على طاقة دار عالية عليها شبّاك من خشب، جارية بارعة قد خرجت تنظره فأوقعت به حباً.

فقال ارتجالاً من البسيط:

قدت فؤادي من الشباك إذ نظرت

فقال الوزير:

خذوا بثاري أيا عاشق بالمقلي

فقال عبد المؤمن :

كأنما لحظها في قلب عاشقها

فقال الوزير :

سيف المؤيد عبد المؤمن بن علي

/فاستحسنه وخلع عليه . ثم قتله بعد ذلك بغرناطة لتزغة ملوكية . وكان رقيق (ص 73)
الطبع والحشاشة وتربي في البادية فاكسب الرقة وكانت له جارية مولدة من ولادة
العرب تسمى حسناء وكان لها عاشقاً وبها مغرمأ مع ما كان يكابده من تطويل
المملكة وإخماد الفتن فقال فيها لما خرج يوماً إلى بعض غزواته وودعها منشداً :

ألا كيف صبري عنك يا غاية المنا ألا إن روحي بعدكم سوف تذهب
لقد أورثني يوم ودعت حسنها حرارة وجدي والهوى يتلهب
فقلبي حيران لفرط لهيها وفي الحنّ عين من دموعي تسكب

انظر أنيس الغريب والمسافر، للشيخ مسلم بن عبد القادر . وكان في
عصره الشيخ أبا يعزى الغربي الهسكوري وقد شاهد منه كرامات عند الخليفة
عبد المؤمن بن علي فقال لأخيه ما هذا الذي يذكر عن أخيك في مشاركته لله في
علم الغيب فقال يا أمير المؤمنين أنت أقدر عليه مني فبعث إليه الأمير فلقبه
الرسول بالطريق قادماً للأمير فلما وصل سلم عليه ثم قال له يا أمير المؤمنين في
نفسك شيء مما قال لك فلان وفلان في يوم كذا في ساعة كذا فهل لا أخبرك
أن تحت ذلك البساط ألف دينار عيوناً قطعتها وقلت في نفسك هل ترجع إلي
بيت المال أم لا فقال له الخليفة صدقت وقلت الآن في نفسك أكتب له كتاباً
بكل ما يريد فأرج الكاتب ووفر الكاغط . ثم قال حاجتي / إليك أن تمشي معي (ص 74)
لتلك الكدية وبها زرع وأحب أن تسقي ذلك الزرع من هذا الوادي فقال ومن
يطيق ذلك ثم حرك الشيخ شفتيه فأمر الله المطر حتى شربت الكدية وجرت
الأودية في الحين وقال له عرفنا بصدق الغيوب التي تذكر عنك فقال حماري
يأكله السبع الليلة فوجه الخليفة من جعله بين مربوط خيله وبات عليه العبيد
هنالك فلما أصبح تفقده العبيد فوجدوا الحمار عقيراً والسبع يأكل فيه حتى وقف
عليه وضربه بعصاه فخرّ الأسد ميتاً فليل للخليفة ذلك فقال لجلسائه اعتبروا بهذه

القصة فقد ضربها لكم مثلاً فكأنه يقول أنا رب الحمار قتله لي الأسد فسلطت عليه وقتلته وأنا عبد، وربّي الله وإن قتلتموني غضب عليّ سيدي فيفعل مثل ذلك أو أشد وقد توفي رحمه الله ونفعنا به سنة اثنين وسبعين وخمسمائة⁽¹⁾ عن مائة وثلاثين سنة.

قال ابن رزقون كنت في العلماء الذين جمعهم عبد المؤمن بن علي سنة خمسين من القرن السادس⁽²⁾ التي أمر فيها بحرق كتب الفروع وقام وزيره أبو جعفر بن عطية وقال بلغ سيدنا أن قوماً تركوا الكتاب والسنة وصاروا يفتون بفروع لا أصل لها. فمن نظر فيها عاقبته وأنهم عندهم كتاب يقال له المدونة لا يرجعون إلّا إليه ومن العجب قولها بإعادة الصلاة في الوقت مراده بذلك أن (ص 75) يحمل الناس على مذهب ابن حزم الظاهري / قال فحملتني الغيرة وتكلمت بأن رسول الله ﷺ لما صلى أعرابي أمامه قال له صلّ فإنك لم تصلّ كما في البخاري فقال لا أحسن غير هذا فعلمه ولم يأمره بإعادة ما خرج وقته فقام عبد المؤمن وسكن الحال ولم أر منه بعد هذا إلّا الكراهة هـ.

وهوالذي أمر بتكسير الأرض بالمغرب في سنة أربع وخمسين من السادس⁽³⁾ من برقة إلى واد نون بسوس الأقصا بالفراسخ والأميال طولاً وعرضاً فأسقط بعد التحقيق الثلث للجبال والأودية والشعاب والغيب والسباخ والطرقات والمخرب وقسط على الثلثين الباقيين الخراج وألزم كلّ قبيلة بقسطها من الزرع والورق والذهب. ثم بنا (كذا) في التي تليها جبل الفتح⁽⁴⁾ وحصّنه ونقل من عرب إفريقية للمغرب ألفاً من كل قبيلة بأهلهم وهم الذين بالمغربيين يقال لهم الحشم سمّوا بذلك لأنهم حشم عبد المؤمن بن علي أي أتباعه الخادمين له الممتزجين الأجناس. وبنا (كذا) مدينة البطحاء بأرض هواره تلك السنة ودفن بها شيخه وبنا على ضريحه قبة وبيزائها جامعاً وترك بها عشرة من كلّ قبيلة من قبائل

(1) الموافق 1176 - 1177 م.

(2) الموافق 1155 - 1156 م.

(3) الموافق 1159 - 1160 م.

(4) يقصد مدينة الفتح بجبل طارق.

العرب وبعث خفية لقبيلته وهو بمراكش فأتوه في أربعين ألف فارس كلهم شبان في أثناء سنة سبع وخمسين من السادس⁽¹⁾ فصيرهم جنداً له في الدرجة الثانية. لأن الدرجة الأولى هي أهل تنمليل، والثانية كومة، والثالثة الأتباع، وأدناهم منه بطانة يركبون ورائه ويقفون على رأسه ويمشون بين يديه وقد تمهدت / له العدوتان (ص 76) وبسط فيهما العدل حتى صارت المرأة تمشي وحدها حاملة معها ما تحبه من سوس الأقصا (كذا) إلى برقة فلا يتعرض لها أحد ولا يكلمها بسوء. وكذا حفيده المنصور في أيامه مثله وقد ابتدأه المرض الذي مات منه في سنة ثمان وخمسين وخمسمائة⁽²⁾ بمدينة سلا حال تجهيزه الجيوش للغزو فنزل برباط الفتح وقد اجتمع عليه من القبائل ما يزيد على ثلاثمائة ألف ومن المطاوعة ثمانون ألف فارس ومائة فارس راجل وانتشرت محلته بسلا من موضع يقال له غيولة إلى موضع يقال له عين خميس. فتوفي ليلة الثلاثاء وقت الفجر ثامن جمادى الثانية تلك السنة⁽³⁾ عن ثلاث أو أربع وستين سنة بعد ما ملك ثلاثاً وثلاثين سنة وخمسة أشهر وعشرين يوماً فحمل لتنمليل ودفن بجانب قبر شيخه المهدي. وإلى كون الموحدين ملكوا وهران في وسط السادس أشار الحافظ أبو راس في سنيته بقوله:

موحدون أتوا من بعد ذا وعلو استحوذوا عليها في وسط السادس

ثم ملكها بعده ابنه يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومي. وكان عالماً صالحاً منزهاً عن سفك الدماء وهو أول من جاز بنفسه من ملوك الموحدين لغزو الأندلس وقيل أبوه قبله ملك بالمغرب من سويقة مطكوك قاصية إفريقية إلى وراء نون بأقصا سوس إلى آخر بلاد القبلة وبالأندلس من تطليت قاصية شرقي الأندلس إلى آخر غربي الأندلس. وهو الذي بنا (كذا) قنطرة تانسيفت سنة ست / (ص 77) وستين⁽⁴⁾ منه وكذا القصبة وغيرها وأتى بالماء لإشبيلية من قلعة جابر. كل ذلك

(1) الموافق 1161 - 1162 م.

(2) الموافق 1163 م.

(3) الموافق 14 ماي 1163 م.

(4) الموافق 1171 - 1172 م.

تلك السنة. وقام عليه مزدرع الغماري المفتاحي سنة تسع وخمسين من السادس⁽¹⁾ وكتب في سكتة مزدرع الغريب، نصره الله قريب، فبعث له جيشاً فقتلوه وأتوا له برأسه لمراكش. ثم قام عليه بغمارة يوسف بن منفيق سنة إحدى وستين⁽²⁾ منه فتحرك له بجيشه في سنة اثنين وستين منه⁽³⁾ فقتله وحمل رأسه لمراكش. ثم قام عليه بقفصة بإفريقية ابن زيري سنة أربع وسبعين فتحرك له من مراكش في السنة التي بعدها ووصل لإفريقية سنة ست وسبعين منه⁽⁴⁾ وضايق ابن زيري ثم ظفر به وقتله وعاد لمراكش فدخلها في السنة السابعة وسبعين منه⁽⁵⁾ وبنا (كذا) المعدن الذي ظهر ببليان سنة ثمان وسبعين منه⁽⁶⁾. ثم جهز الجيوش للجواز الثاني بالأندلس سنة تسع وسبعين منه⁽⁷⁾ ولما حل بسلا أخبر بتمهيد إفريقية ثم رحل لمكناسة ثم لفاس وخرج منه سنة ثمانين من السادس⁽⁸⁾ فحل بسبته وأمر الناس بالجواز فجاز العرب أولاً، ثم زناتة من غير مغراوة، ثم المصامدة، ثم مغراوة، ثم صنهاجة، ثم أوروية وسائر البربر، ثم الموحدون والأغزاز والرمات (كذا) ثم هو في عبيده ودائرتة. فنزل بمرسى جبل الفتح. ثم للجزيرة الخضراء، ثم لقلعة خولان، ثم لاوكس، ثم لشريش، ثم لبنريشة، ثم لإشبيلية، / ثم لواد بصر ثم لشتيرين فنزل عليها وأدار بها الجيوش وضايقها ثم انتقل لغربها لأمر أراده الله تعالى (كذا) فأنكر المسلمون ذلك وبعد العشاء أمر ابنه أبا إسحاق بالرحيل نهراً لأشبونة ويشن الغارات بجيش الأندلس خاصة فأساء الفهم ورحل ليلاً فاتبعه الناس بلا علم من الأمير وبقي في شرذمة قليلة فسمع العدو فصك محلته إلى خبائه فمزقوه وقاتلهم بسيفه إلى أن قتل منهم ستة فطعنوه

(1) الموافق 1163 - 1164 م.

(2) الموافق 1165 - 1166 م.

(3) الموافق 1178 - 1179 م.

(4) الموافق 1180 - 1181 م.

(5) الموافق 1181 - 1182 م.

(6) الموافق 1182 - 1183 م.

(7) الموافق 1183 - 1184 م.

(8) الموافق 1184 - 1185 م.

طعنات نافذة وقتل من جواريه ثلاثة وحلّ بالأرض فاجتمعت عليه عبيده وباقي جيشه وتراجع المسلمون فدفعوا عنه العدو وهزموه وفتحوا البلد عنوة وقتل من العدو ما يزيد على العشرة آلاف ومن المسلمين جماعة ولاح الأمن للأمير فركب ورحل وضل الناس فاهتدوا بالطبول وساروا لإشبيلية. قال ابن مطروح القيسي في تاريخه فاشتد بالأمير ألمه ومات بالطريق قرب الجزيرة قاصداً مراكش يوم السبت ثاني عشر ربيع الثاني سنة ثمانين وخمسمائة⁽¹⁾ عن نحو الست وخمسين سنة بعد ما ملك اثنين وعشرين سنة وشهراً وستة أيام فحمل لتتمليل ودفن بجانب قبر أبيه، وقيل مات بمراكش. قال الياضي في تاريخه: وكان يحفظ أحد الصحيحين، وذكر الحافظ اللواتي الشهير بابن بطوطة الطبخي في رحلته التي اسمها: تحفة النظار، وغرائب الأمصار، وعجائب الأسفار، أنه يحكي أن يوسف بن عبد المؤمن دخل دمشق فمرض بها شديداً مطروحاً بالأسواق وبعد براءه، (كذا) خرج لظاهر دمشق / ليلتبس بستاناً يحرسه فاستؤجر لحراسة بستان (ص 79) الملك نور الدين وأقام ستة أشهر وفي أوان الفاكهة جاء السلطان لبستانه وأمر أن يؤتى له برمان يأكله فأوتي به فوجده حامضاً وتكرر ذلك فقال له الوكيل أنت في حراسة منذ ستة أشهر ولا تعرف حلوه من حامضه فقال استأجرتني على الحراسة لا على الأكل فأعلم الوكيل الملك بذلك فبعث له وكان الملك رأى في المنام أنه يجتمع به وتحصل له منه فائدة فتفرس أنه هو وقال له أنت يوسف قال نعم فقام له وعانقه وأجلسه بحانبه واحتمله لمجلسه وأضافه (كذا) بحلال مكتسب من كد يمينه لأنه من الصالحين كان ينسج الحصر ويقتات بثمرتها فبقي عنده أياماً ثم خرج من دمشق فاراً من أوان البرد الشديد فأتى قرية من قراها وبها رجل من الضعفاء فعرضه للنزول ففعل وأتاه بمرقة ودجاجة مطبوخة وخبز شعير فأكل ودعا له. وله جملة أولاد منهم بنت، أن بناء زوجها بها وعادتهم أن يجهزها أبوها ومعظم الجهاز أواني النحاس به يتفاخرون ويتبايعون فقال له أعندك النحاس قال بلى إني اشتريته كثيراً لتجهيز البنت فأمره أن يأتيه به فأتاه وقال له استعمر من الجيران ما أمكنك ففعل وأحضره وأوقد عليه النار وأخرج صرة فيها الأكسير

(1) الموافق 23 جويلية 1184 م.

فطرح منه عليه فعاد ذهباً. وتركه في بيت مقفل. وكتب لنور الدين ملك دمشق يعلمه به وينبئه على بناء مارستان للمرضى الغرباء ويوقف عليه الأوقاف ويبنى الزوايا بالطرق ويرضي أرباب النحاس ويعطي لصاحب البيت الكفاية. / وقال في آخر الكتاب إن كان إبراهيم بن أدهم خرج عن ملك خراسان فأنا خرجت عن ملك المغرب وعن هذه الصنعة. وقبره بركك نوح من بقاع العزيز ببيروت وعليه زاوية يطعم بها الوارد والصادر ووقف عليه صلاح الدين وقيل نور الدين الأوقاف. وقال الياضي في تاريخه أن القضية وقعت لابنه المنصور كما ستره إن شاء الله تعالى (كذا).

ثم ملكها بعده ابنه يعقوب المنصور، وكان شهماً شجاعاً محباً للعلماء معظماً لهم مشاركاً في كثير من الفنون. وأول ما فعله أخرج مائة ألف دينار ذهباً من بيت المال وفرقها على الضعفاء، وكتب بتسريح المساجين ورد المظالم وإكرام العلماء والصلحاء ورجوع الأحكام للقضاة وإجراء الإنفاق على أهل الفضل والصلحاء والعلماء وتفريق الأموال على الأجناد وتشجيع الثغور بالخيال والأبطال وغزى إفريقية سنة اثنين وثمانين من السادس⁽¹⁾ فدوخ وسبا إلى أن أذعنوا له ونقل عربها لمراكش وجاز جوازه الأول لغزو الأندلس سنة ثلاث وثمانين منه⁽²⁾ فقتل وخرّب لأشبونة وانصرف للعدوة بسبي كثير ما بين النساء والصبيان. ثم ارتحل للأندلس لغزوة الأراك المشهورة سنة إحدى وتسعين منه⁽³⁾ فأجاز العرب أولاً ثم زناتة ثم المصامدة ثم غمارة ثم الموحدين ثم المطاوعة ثم الرماة ثم العبيد ثم هو في أثرهم ومعه العلماء والصلحاء وأهل النجدة والزعامة. فحل بالخضراء وزاد (ص 81) إلى أن بقي بينه وبين الأراك مرحلتان / قدّم على جيشه أبا عبد الله بن صناديد وحصل المصافّة بالأراك فقسم جيشه على نصفين: نصفه في مقابلة العدو، ونصفه كميناً. واشتدّ القتال ودارت نار الحرب فوقع النصر له وأثنى في العدو

(1) الموافق 1186 - 1187 م.

(2) الموافق 1187 - 1188 م.

(3) الموافق 1194 - 1195 م.

قتلاً وسبياً وانهزم الفتح⁽¹⁾ وفتح الحصن عنوة تلك السنة وكان جملة القتلى ثلاثين ألفاً والأسارى (كذا) خمسة آلاف. وجال بالقتل والسبي والتخريب إلى إشبيلية فدخلها وينا (كذا) جامعها الأعظم ومنارته فكان بين غزوة الزلاقة والأرك مائة واثنى عشر سنة وفتح كثيراً من مدن الأندلس وحصنيه وينا (كذا) مراکش ورباط الفتح وجامع حسان ومنارته حال جوازه للأندلس ثم رجع لمراكش سنة أربع وتسعين منه⁽²⁾ وأخذ البيعة لابنه الناصر فبدأه مرض موته ولما اشتد به قال ندمت على ثلاث مسائل وهي إدخالى عرب إفريقية للمغرب وهم أهل فساد، وبنائي رباط الفتح وهو بعيد لا يعمر، وإطلاقى أسارى الأرك ولا بد لهم من طلب الثأر، وتوفي رحمه الله بعد صلاة العشاء من ليلة الجمعة ثاني عشرين من ربيع الأول سنة خمس وتسعين وخمسمائة⁽³⁾ بقصبة مراكش وحمل لتتمليل فدفن بها وهو ابن أربعين سنة بعد ما ملك أربعة عشر سنة وإحدى عشر شهراً وأربعة أيام. قال أبو الفدا صاحب حماة وكان يتظاهر بمذهب الظاهرية وأعرض عن مذهب مالك. قال الياقعي في تاريخه ويحكى أنه زهد في الملك وساح إلى أن مات بالشام لأنى سمعت ممن لا أشك فيه أن جمعاً من شيوخ / المغاربة تذكروا (ص 82) رسالة القشيري وما فيها من مشايخ المشاركة ومناقبهم فأروا معارضته برسالة فيها مناقب شيوخ المغاربة ثم تذكروا أن في القشيرية من زهد في الملك من المشاركة وهو ابن أدهم فلم يجدوا ذلك في شيوخ المغرب وقالوا لا يتم إلا بذكر ملك زهد في الملك فجاء الشيخ الكبير أبو إبراهيم إلى يعقوب المنصور فسأله به وأعطاه جوهراً نفيساً فالتفت الشيخ أبو إبراهيم إلى شجرة هناك ونظرها فإذا هي حاملة جوهراً يدهش منه العقول فعلم السلطان ما أكرم الله به أوليائه غنى صارت ملوك الدنيا بين أيديهم كالخدم، وملكهم حقير كالعدم، فعندها أحقر يعقوب الملك وزهد فيه وصار من أكابر الأولياء. قال الحافظ أبو راس في عجائب الأخبار، وما يقال أنه ساح في الأرض وترك الملك زهداً ووصل إلى الشام وقبره

(1) يقصد الفونسو قائد النصارى الإسبان.

(2) الموافق 1197 - 1198 م.

(3) الموافق 12 جانفي 1199 م.

به كما هو الشائع عند العوام لا أصل له. زاد اليفريني في نزعه أنه لم يسح ولا حمام له وأنه لم يزهد، وليس بمولاي وإنما ذلك كله خرافات هـ.

ثم قال الحافظ أبو راس في الخبر المعرب، كان ابن زهر الطبيب الماهر بمراكش عند يعقوب المنصور فتشوق وأهله بإشبيلية فسمعه يقول هذه الأبيات الثلاثة:

ولي واحد مثل فرخ القطات صغير تخلفت قلبي لديه
وأفردت عنه فيا وحشتي لذاك الشخصيص وذاك الوجيه
تشوقني وتشوقته فيكي علي وأبكي عليه

(ص 83) / قال فارس المنصور المهندسين لإشبيلية وأمرهم أن يحيطوا علماً ببيوت ابن زهر وحارته ثم بينوا مثلها بمراكش فذهبوا وانقلبوا لمراكش وفعلوا ما رأوا في أقرب مدة ثم أمر بنقل عيال ابن زهر وكل ما يتعلق به بعد ما فرش المهندسون البيوت بمثل فرشه ووضعوا فيها آلة مثل آله ثم جاء ابن زهر فرأى داراً أشبه بداره فتحير وظن أنه نام، وتلك أضغاث أحلام ثم رأى ولده الذي تشوق له يلعب في البيت ورأى أهله جالسين فسر سروراً عظيماً وهو القائل لما شاب رحمه الله تعالى (كذا):

كانت سليمي تنادي يا أخي وقد صارت سليمي تنادي اليوم يا أبانا
وهو مثل قول الأخطل في المعنى حيث قال:

وإذا دعونك عمهن فإنه نسب يزيدك عندهن خبالا
وإذا دعونك يا أخي فإنه أدنى وأقرب خلّة ووصالا

ولما أراد المنصور أن يحمل الناس على مذهب ابن حزم الظاهري وسمع المواق ذلك جمع من كتب ابن حزم مسائل كثيرة انتقدت عليه وأراها للمنصور فلما قرأها قال أعوذ بالله أن أحمل أمة محمد على هذا وثنا (كذا) عليه وليس هو المواق شارح مختصر الشيخ خليل لأن الشارح متأخر عن هذا بنحو ثلاثمائة سنة هـ.

قائمة ملوك الموحدين

واعلم أن ملوك الموحدين ما بين المغرب وإفريقية وبجاية والمهدية مع طرابلس سبعة وأربعون ملكاً:

فبالمغرب أربعة عشر ملكاً: أولهم شيخهم المهدي بن تومرت، ثم عبد المؤمن بن علي الكومي العابدي، ثم ابنه يوسف العسري، ثم ابنه المجاهد يعقوب المنصور صاحب قصة الأرك، ثم ابنه محمد الناصر وهو صاحب/ غزوة العقاب التي حصد فيها شوكة المسلمين سنة تسع من السابع⁽¹⁾ (ص 84) فكانت مشومة على المسلمين عامة وعلى أهل الأندلس خاصة وهو أنه غزاها في جيش كالجراد المنتشر فأدركه الإعجاب من ذلك وحل به الانتقام فكانت الدائرة عليه. ثم ابنه يوسف المستنصر وفي وقته سنة ثلاثة عشر من السابع⁽²⁾ ظهر أمر عبد الحق المريني ويظهره دخل دولتهم الهرم، ثم عمه عبد الواحد المخلوع بإجماع الدولة على توليته وخلع بعد تسعة أشهر وقتل خنقاً وانتهت أمواله وسبي حريمه وهتك ستره فهو أول من خلع وقتل من الموحدين وصار الموحدون كالأتراك لبني العباس. ثم ابن أخيه عبدالله العادل بن يعقوب المنصور وقد بويع أولاً بمرسية من الأندلس في نصف صفر سنة إحدى وعشرين وستمائة⁽³⁾ وبويع ثانياً بمراكش يوم الأحد ثاني عشرين شعبان تلك السنة⁽⁴⁾ وتوقف عن بيعته بلنسية وشاطبة ودانية والحفصيون عمال إفريقية. وفي أيامه كانت الواقعة الشنيعة بين المسلمين والفرنج على طليطلة⁽⁵⁾ بالأندلس انهزم فيها المسلمون هزيمة قبيحة وهي التي هدمت دعائم الإسلام بالأندلس فسأل منه الموحدون أن يخلع نفسه فأبى وقال لا أموت إلا أميراً فخلعوه ثم جعلوا عمامته في عنقه وشنقوه بها ورأسه في الخاصة إلى أن مات يوم الثلاثاء حادي عشرين شوال سنة أربع وعشرين من

(1) الموافق 1212 - 1213 م.

(2) الموافق 1216 - 1217 م.

(3) الموافق 7 مارس 1224 م.

(4) الموافق 8 سبتمبر 1224 م.

(5) ضيع المسلمون طليطلة عام 1085 م.

السابع⁽¹⁾ ونهب المصموديون قصره واستباحوا حريمه، ثم يحيى بن محمد (ص 85) الناصر باتفاق الموحدين على بيعته وخالفهم عرب/الخلط وهسكورة وقام عليه بإشبيلية إدريس المأمون بن يعقوب المنصور وثارت عليه جماعة من أهل مراكش وانضم إليهم العرب ووثبوا عليه بمراكش فهرب للجبل ثم زاد العرب المعقل بفتح عبدالله من رباط تازة فغدروا به وقتلوه وكانت مدته بأسرها مزاحمة للمأمون وولده الرشيد. ثم إدريس المأمون بن يعقوب المنصور بإشبيلية وكان فصيح اللسان فقيهاً حافظاً للحديث ضابطاً للراوية عارفاً بالقراءة حسن الصوت والتلاوة إماماً في اللغة والعربية والأدب وأيام العرب كاتباً مداوماً على البخاري وسنن أبي داود عالماً بأمور الدين والدنيا شهماً حازماً شجاعاً مهاباً سفاكاً للدماء لا يتقيها طرفة عين شاعراً، فمن شعره متمثلاً:

تكاثر الظبا على خدّاش فلم يدر خدّاش ما يصيد

وأطاعته العدوتان وخرج عليه المتوكل بن هود شرقي الأندلس واستولى على الأندلس ففارقها المأمون وجاز لمراكش فاستقر بها وتتبع الخارجين على من قبله من الخلفاء فقتلهم عن آخرهم وهم أربعة آلاف وستمئة وجزّ رؤوسهم وعلّقها بمراكش وكان زمان الصيف فتنت المدينة وتضرر الناس بالرائحة فرفعوا أمرهم إليه فقال تلك رائحة طيبة للمحبّين وكريهة للمبغضين وأنشد يقول:

أهل الحرابة والفساد من الورى	يعزون في التشبيه للذكار
ففساده فيه الصلاح لغيره	بالقطع والتعليق بالأشجار
/من رأيهم ذكرى إذا ما أبصروا	فوق الجذوع وفي ذروى الأسوار
وكذا القصاص حياة أرباب النهى	والعدل مألوف بكل الجوار
لوعمّ حلم الله سائر خلقه	ما كان أكثرهم من أهل النار

(ص 86)

ولكثرة سفكه للدماء سموه حجاج المغرب وأمر بإسقاط اسم مهديهم من الخطبة وإزالته من السكة المربعة وقال لا مهدي إلا عيسى وعمل فيه رسالة وكان خطيباً فأفصح بتكذيبه وضلاله فيها. وثار عليه أخوه بسبته فسار إليه وحاصره بها

(1) الموافق 4 أكتوبر 1227 م.

ثم لحقه الخبر بأن البعض من أولاد الناصر دخل مراكش فرجع إليه من سبته ومات بالطريق مفقوعاً بوادي العبيد. وفي أيامه سنة سبع وعشرين من السابع⁽¹⁾ كان ابتداء أمر بني عبد الوادي.

ثم ابنه عبدالواحد بن إدريس المأمون الملقب بالرشيد وتقاتل مع يحيى وهو ابن أربعة عشر سنة فهزم يحيى بجيشه واستقر بملكه وهرب يحيى لرباط تازة فغدر به عرب المعقل وقتلوه وأتوا برأسه وبقي بملكه بمراكش إلى أن قتل غريباً في سهريج (كذا) بستان له وكان حسن السياسة وأعاد اسم مهديهم في السكة والخطبة وقمع العرب لكنه لما استقر أمره تخلى للذات فلم يخطب له بالمغرب الأوسط وإفريقية.

ثم أخوه أبو الحسن علي المعتضد ويقال له السعيد بن إدريس المأمون وكان بطلاً (كذا) شجاعاً مهاباً له إقدام في الحروب والتجدة فاق بها سلفه وهو الذي حرك / على يغمراسن بن زيان بتلمسان وحاصره بقلعة تمزريغت الغربية ببني (ص 87) ورنيد قرب تلمسان وقبلة وجدة إلى أن قتله يغمراسن بها بالجبل وعمل له جنازة الملوك ودفنه بالعباد.

ثم أبو حفص عمر بن أبي إبراهيم إسحاق بن يوسف بن عبد المؤمن ابن علي، قال بعضهم، بويغ له بمراكش يوم الأربعاء غرة ربيع الأول سنة ست وأربعين من السابع⁽²⁾ قال ابن رشيق في تاريخه المسمى بميزان العقل، هذا وهم فإن السعيد توفي يوم الثلاثاء منسلخ صفر ولا يمكن أن يصل الخبر بموته من تلمسان إلى مراكش في ليلة واحدة والصحيح أن بين موت السعيد وبيعة أبي حفص المرتضى مهلة نحو العشرة أيام هـ. وفي أبي الفدا أن بيعة المرتضى في ربيع الأخير وبه ظهر الوهم الذي قال عليه ابن رشيق لما ردّ على غيره فاستقام له الأمر من سلا لسوس الأقصا وغزا (كذا) فاساً سنة ثلاث وخمسين وستمائة⁽³⁾ فانهزم وأخذ أبو يحيى المريني محلته ودخل مراكش في فله إلى سنة

(1) الموافق 1229 - 1230 م.

(2) الموافق 24 جوان 1248 م.

(3) الموافق 1255 - 1256 م.

خمسة وخمسين وستمئة حادي أو ثاني عشرين المحرم⁽¹⁾ دخل عليه القائم أبو دابوس الموحدي مراكش فهرب المرتضى إلى أزموور فقبض عليه عامله وبعثه لأبي دابوس فقتله بكتامة على ثلاثة أيام من مراكش.

ثم أبو العلا الوائق أبو دابوس بن أبي حفص بن عبد المؤمن بن علي، وكان بطلاً شجاعاً داهية مقداماً في الحروب دخل مراكش غدرًا على المرتضى وباعه بها كافة الموحدين وغيرهم ثم وقعت بينه وبين المريني أبي يوسف حروب (ص 88) قتل ببعضها/ وبه انقطع ملك بني عبد المؤمن وانقرضت دولة الموحدين من المغرب الأقصى واستقامت دولة المرينيين به ومن المغرب الأوسط واستقامت دولة الزيانيين به.

وبإفريقية⁽²⁾ تسعة وعشرون ملكاً، أولهم أبو حفص عمر بن يحيى صاحب المهدي بن محمد بن واندين بن علي بن أحمد بن وال آل بن إدريس بن خالد ابن اليسع بن إلياس بن عمر بن واقتن بن محمد بن لجبة بن كعب بن محمد ابن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. قاله الشيخ أحمد بن الشّماع في تاريخه ودولتهم تسمى بالحفصية. ثم ابنه أبو محمد عبد الواحد ابن الشيخ أبي حفص صاحب المهدي. ثم أبو العلا بن عبد المؤمن بن علي، ثم عبد الله بن عبد الواحد الحفصي واتسع ملكه إلى أن ملك إفريقية وبجاية وسائر المغرب الأوسط وتلمسان ووهران وبلد الجريد والزاب، وتوفي ببونة سنة سبع وستين من السابع⁽³⁾. وقد أنشأ بتونس بنياناً شاهقاً. ثم ابنه أبو عبد الله محمد بن أبي زكرياء وسعى عمه أبو إبراهيم في خلعه وباع لأخيه محمد اللحياني الزاهد على كره منه فجمع له أبو عبد الله محمد بن أبي زكرياء المخلوع أصحابه وشدّ على عمّيه فقهرهما وقتلهما واستقل بملكه وتلقب بالمنتصر وفي أيامه سنة ثمان وستين من السابع⁽⁴⁾ وصل الفرنسي لإفريقية بجموعه وأشرفت إفريقية على الذهاب لولا أن الله منّ عليهم بموت أمير

(1) الموافق 8 أو 9 فيفري 1256 م.

(2) يقصد بلاد تونس وملوك بني حفص بها.

(3) الموافق 1268 - 1269 م.

(4) الموافق 1269 - 1270 م.

الفرنسيس الحارك⁽¹⁾ وتفرقت الجموع. ثم ابنه يحيى بن محمد وتلقب / بالوائق. ثم خلعه عمه أبو إسحاق إبراهيم وخطب لنفسه وتلقب بالمجاهد وترك (ص 89) زى الحفصيين وتزي بزى زناته واشتغل بالشرب وفرق الملك عل أولاده وذبح الواثق المخلوع وولديه الفضل والطيب وسلم له ابن صغير يقال له أبو عصيدة ثم قام عليه شخص من بجاية يقال له أحمد بن مرزوق بن أبي عمارة وادعى أنه الفضل المذبوح ابن الواثق لشبهه به فقبل له الداعي واجتمعت عليه أناس وقصد أبا إسحاق إبراهيم فهرب به لبجاية عند ابنه أبي فارس عبد العزيز بن إبراهيم وهو أمير بها فتركه ابنه أبو فارس بها وذبح بإخوته وجمعه للداعي بتونس فانهزم جيشه بعد الالتقاء وقتل هو وإخوته ثلاثة ونجا الرابع وهو أخوه الصغير يحيى ابن إبراهيم وعمه أبو حفص عمر بن زكرياء، ثم أرسل الداعي لبجاية من قتل أبا إسحاق وأتى له برأسه وتحدث الناس بالداعي. ثم اجتمعت العرب على عمر بن أبي زكرياء بعد هرويه من المعركة وقوي أمره وقصد الداعي ثانياً فأثخن فيه واستتر في بعض دور التجار ثم أحضر واعترف بنفسه وضربت عنقه. ولما قتل أبو حفص الداعي استقر في ملكه وتلقب بالمستنصر فسار ابن أخيه يحيى السالم من المعركة لبجاية وملكها وتلقب بالمنتخب ولما اشتد مرض المستنصر بايع لابنه الصغير فآتته الفقهاء وقالوا له أنت صائر لعفو الله وتولية مثل هذا لا يحل فأبطله.

ثم أبو عصيدة ولد الواثق المخلوع/ وتلقب بالمستنصر أيضاً وكني بأبي (ص 90) عصيدة لعمل أمه في نفاسها به العصيدة وإهدائها للجيران. وفي أيامه توفي صاحب بجاية المنتخب وملك بجاية ابنه خالد. ثم أبو بكر عبد الرحمن بن أبي زكرياء عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص. ثم خالد بن المنتخب صاحب بجاية بعد قتله لأبي بكر المذكور. ثم زكرياء اللحياني جاء من مصر مع عساكر الناصر لطرابلس فبايعته العرب وزاد لتونس فخلع خالداً وحبس وقلته قصاصاً بأبي بكر بن عبد الرحمن واستقر بإفريقية وهو أبو يحيى زكرياء بن أحمد ابن محمد الزاهد اللحياني بن عبد الواحد بن أبي حفص. ثم أبو بكر بن يحيى المنتخب أخو خالد قتل زكرياء اللحياني فهرب منه اللحياني لمصر وأقام

(1) يقصد به لويس التاسع الذي غزا تونس عام 1270 وتوفي بها وخابت حملته.

بالإسكندرية وملك أبو بكر ماعدا المهدية وطرابلس فقام عليه محمد بن اللحياني بعد هروب أبيه لمصر وقتل معه فهزمه أبو بكر واستقل ابن اللحياني بما بيده من المهدية وطرابلس. ثم اجتمعت الناس على طاعة محمد بن أبي بكر الحفصي صهر زكرياء اللحياني وبايعوه لما ضعف أبو بكر وهرب باستيلاء العرب ولكون ابن أبي بكر كان نائباً على اللحياني فلذلك بويع له وكاتبوا اللحياني على القдом فأبى. هذا مفاد ما في تاريخ أبي الفداء.

وقال ابن أبي دينار في المؤنس في أخبار إفريقية وتونس:

ثم أبو ضربة بن محمد اللحياني، ثم ابنه أبو حفص وبقي إلى أن مات فملك أبو الحسن المريني، ثم الفضل الحفصي، ثم إبراهيم، ثم خالد، ثم أبو العباس أحمد، ثم ابنه أبو فارس عبد العزيز الذي قال فيه ابن عرفة أنه في (ص 91) العدالة مثل عمر بن عبد العزيز الأموي بحسب الزمان ومات/ بوانسريس بسبب دعاء الشيخ محمد الهواري عليه كما مر، ثم ابنه عبدالله المنتصر، ثم ابنه أبو عمر عثمان، ثم حفيده أبو زكرياء يحيى بن عبدالله محمد المسعود، ثم أبو عبدالله محمد بن أبي محمد الحسن ابن أبي عبدالله محمد المسعود، ثم أبو محمد الحسن بن محمد الحسن بن المسعود وبه ختام بني أبي حفص ومن أتى بعده فهو اسم لا رسم. ثم أحمد ابن أبي محمد بن الحسن بن أبي عبدالله محمد بن أبي محمد الحسن وهو خاتمة بني أبي حفص وبانقراضه انقرضت أيامهم.

وببجاية ثلاثة: أولهم أبو فارس عبد العزيز بن إبراهيم، ثم يحيى المنتخب، ثم ابنه خالد. وبالمهدية مع طرابلس واحد: وهو محمد بن اللحياني فهؤلاء السبعة والأربعون الموحدون.

قال الحافظ أبو راس في عجائب الأخبار: ولا زالت إفريقية بيد الحفصيين واحداً بعد واحد إلى أن أخذها منهم الأتراك سنة إحدى وثمانين وتسعمائة⁽¹⁾ فمذتهم بإفريقية ثلاثمائة وثمانون سنة إلا ما تخلل ذلك من الداعي بن أبي عمارة ونحوه من الذين لا حكم له. والملك لله وحده يورثه من يشاء من عباده.

(1) الموافق 1574 م.

الدولة الخامسة الزياتيون

ثم ملك وهران، الدولة الخامسة، وهم الزياتيون ويقال لهم بنوزيان والعبد الواديون يوم وبنو عبد الوادي.

فسميتهم بالزيانيين نسبة لجدهم لأبيهم زيان بن ثابت بن محمد بن زيدان ابن يندوكس / بن طاع الله بن علي بن يمل بن يزوجن بن القاسم بن محمد (ص 92) ابن عبدالله بن إدريس بن إدريس بن عبدالله الكامل بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. وتسميتهم ببني عبد الواد نسبة لجدهم لأهمم عبد الوادي ابن يادين بن محمد بن رزجيك ابن واسين كما في ابن خلدون وغيره. قال صاحب بغية الرواد: وعبد الواد أصله عابد الوادي رهبانية عرف بها جدهم من ولد سجع بن واسين بن يصلتين ابن مسرى بن زاكيا بن رسيح بن مادغس الأثر بن قيس بن غيلان بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. قال التنسي في نظم الدرر والعقيان في شرف بني زيان، والقاسم جد أمير المؤمنين المتوكل، اتفق النسابون على أنه من ولد عبدالله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه. ولكن اختلف في طريق اتصاله به. ف قيل إنه القاسم بن محمد بن عبدالله بن إدريس بن إدريس بن عبدالله الكامل. قال صاحب بغية الرواد: وهذا القول من أشهرهم. وقيل إنه القاسم بن محمد ابن أحمد بن محمد بن سليمان بن عبدالله الكامل، وهو الذي صححه صاحب ترجمان العبر حيث قال: إنه القاسم بن محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان بن عبدالله الكامل، واحتج على ذلك بأن القاسم هو الذي كان يتلمسان فلما غلب

عليه العبيديون دخل لبني عبد الوادي القاطنين بصحراء تلمسان فأصهر فيهم وعقب عقباً مباركاً فشا فيهم حتى زاد عليهم بخلاف أعقاب الأدارسة فإنهم كانوا يلتقون بغمارة الريف. / وخالفه في ذلك بغية الرواد بقوله إنه لما قتل المنصور بن أبي عامر المعافري الحسن بن أبي كانون آخر ملوك الأدارسة بالمغرب افتقرت الأدارسة في البلاد. فكان القاسم بن محمد بن عبدالله بن إدريس ممن توجه إلى الصحراء فانضاف إلى بني عبد الوادي فأكرموا نزوله وعظموا قدره وحكموه بينهم فتزوج فيهم وأنسل نسلًا كثيرًا والله أعلم بحقيقة الأمر. فبان لك بهذا أن القاسم من ولد عبدالله الكامل بلا خلاف وإنما الخلاف هل هو من ولد إدريس ابن عبدالله أو من ولد أخيه سليمان بن عبدالله. وسليمان هو الذي ملك المغرب الأوسط، وإدريس هو الذي ملك المغرب الأقصى (كذا) هـ. قال الحافظ أبو راس في تواريخه: والقول بأن سليمان بن عبدالله الكامل هو الذي جاء للمغرب غير صحيح والصحيح أن الذي جاء له هو ابنه محمد بن سليمان وهو الذي ملك المغرب الأوسط، وهم التنسي في قوله دخلها سليمان وملكه أهل تلمسان عليهم لأن سليمان استشهد بوقعة فخ التي قتل فيها جعفر بن يحيى البرموكي (كذا) بأمر الرشيد. الأشراف وقبورهم مشهورة بين التنعيم ومكة المشرفة مع ضريح ابن عمر رضي الله عنهم. ومن أولاد سيدي محمد هذا بنو العيش ملوك رشقون، وبنو إبراهيم ملوك أتنس. وإلى إبراهيم هذا ينسب السوق الذي هو غربي العروسي حيث مكب واد أسلي في شلف. ومنهم حمزة وأخوه علي ملوك الأبيرة⁽¹⁾ بإزاء جرجرة جبل زواوة وبحمزة سميت تلك الأراضي إلى الآن هـ.

(ص 94) قال صاحب بغية الرواد: فبنو القاسم هذا هم / الذين حازوا الشرف وكرم الأبوة وفخر الملك القديم والحادث (كذا). ولا يسمح للطعن في هذا النسب الكريم لأنه من الشهرة بالآفاق والفشو في القبائل والأجداد في الغاية بحيث لا يحجبه بعد دار ولا يجحده عدو ولا بار، وفي المشهور من مذهب إمام دار الهجرة مالك بن أنس رضي الله عنه ثبوت النسب بمجرد الشهادة من غير معرفة أحوالها. وحكى الباجي في منتقاه وغيره من المتأخرين أن شهادة السماع

(1) يقصد مدينة البويرة شرق مدينة الجزائر، التي تدعى ببرج حمزة كذلك.

الفاشي المتواتر تفيد العلم إجماعاً. وقال ابن القاسم يقطع بالنسب وإن لم يعلم الأصل، وقال بعض قضاة المتكلمين خبر الواحد إذا اختفت به القرائن أفاد العلم. فإن روعي في إثبات هذا النسب الشريف الشهادة، فلا شهادة أعدل من قبل الأصل المشتمل على مشيب وشيان رؤساء ومروسين رجال ونساء من بني عبد الوادي كرام القوم وعيانتهم يعرفون أصلهم ويدينون بصحبة متماهم الهاشمي. وإن اكتفي فيه بالسماع الفاشي فأمره في المشارق والمغرب مشهور في لسان الوالي والصدوق والعدوشأنهم معترف به. وأخبرت بحضرة تلمسان دار أولهم وآخرهم عرفان الشمس المعروفة، فهو إذاً أظهر من أن يخفى وأوضح من أن يجحد.

وهل يبقى على الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل
وقال ابن خلدون: كان يغمراسن بن زيان يرفع نسبه إلى إدريس ثم يقول
إن كان هذا صحيحاً نفعتنا في الآخرة وأما الدنيا فنلناها بأسياقنا هـ.

وقد ألف / الحافظ التنسي في شرفهم كتاباً سماه: نظم الدرر والعقيان، في (ص 95)
شرف بني زيان. وكذا الحافظ أبو راس كتاباً سماه: العجالة. وذكر شرفهم
صاحب بغية الرواد، وأئمة الأبصار، وجواهر الأسرار، وغيرهم من الأئمة.
وسبب مصير الملك إليهم أن بني عبد المؤمن لما ضعف أمرهم بما بينهم من
الفرقة تطاول بنو عبد الوادي إلى الاستيلاء على قطر تلمسان لقربهم منها فجاسوا
خلالها وأوجفوا عليها بالخيول والركاب واحتاز كل منهم جانباً من القطر وأمن أهله
على خراج يؤديه إليه كل سنة، وأمرهم إلى كبيرهم جابر بن يوسف بن عم زيان
والد يغمراسن بن زيان وكان والي تلمسان أبو سعيد عثمان بن يعقوب المنصور
لأخيه المأمون إدريس بن المنصور فاحتال على جماعة من رؤسائهم بإغراء
الحسن بن حيون فأخذهم واعتقلهم بدار الريح من القصر القديم وبعد مدة شفع
فيهم إبراهيم بن إسماعيل بن غيلان اللمتوني فردت شفاعته فأنف وجمع قومه
وهجم عليهم وسرحهم وقتل الحسن بن حيون واعتقل الأمير أبا سعيد موضعهم
وخلع طاعة المومنية⁽¹⁾ وتطاول لإحياء اللمتونية وسولت له نفسه أنه لا يتأتى له إلا

(1) يقصد طاعة بني عبد المؤمن الموحدين.

إذا قطع كبار عبد الوادي فبعث إلى جابر وكبراء قومه لحضور وليمة فأتوه فخرج إليهم في ثمانية من أصحابه وقد بلغهم الخبر فقبضوا عليه وأصحابه وأوثقوهم ودخلوا البلد بدعوة المأمون فجاء جابر دار الإمارة وضبط أمرها وبعث إلى المأمون بالخطبة والسكة ففزع منه لعود / الشيخوخة به عن النهوض. (ص 96)

فأول من ملك منهم جابر بن يوسف ونزع الملك من بني عبد المؤمن واستخلص تلمسان من يد عمال إفريقيا⁽¹⁾ فملك تلمسان ووهران واستولى عليهما وعلى أحوازهما وعلى كافة بني راشد وبني عبد الواد وحواضر ذلك القطر سوى ندرومة فزحف لحصارها فهلك هناك بسهم أصابه من داخلها من يد يوسف الغفاري التلمساني. ثم ملكها ابنه الحسن بن جابر وخلع نفسه لما كبر سنه لعمه عثمان ثم ملكها عثمان بن يوسف وكان فظاً غليظاً فأساء السيرة وضيع الملك فأخرج من تلمسان. ثم اتفق بنو عبد الوادي على تقديم أبي يعز زيدان بن زيان فاستولى عليها وأعمالها فنكث عنه بنو مطهر بمظاهرة بني راشد فكانت بينه وبينهم حروب سجال قتل في بعضها وبموته انقطعت دولة بني عبد المؤمن من تلمسان وقطرها وعلا صيت بني زيان فهؤلاء الأربعة تولوا لا استقلالاً. ثم ملك استقلالاً أبو يحيى يغمراسن بن زيان وهو في الحقيقة أول ملوكهم والذين قبله كانت لهم المشيخة، واسمه يحيى ولقبه يغمراسن ومعناه بلغتهم كثير المرق لقب بذلك لكثرة جوده، نص عليه المحافظ أبو راس في كتاب الحاوي. وكان ابتداء ملكه يوم الأحد رابع عشرين ذي القعدة الحرام سنة سبع وعشرين من (ص 97) السابع⁽²⁾ / في أيام الرشيد عبد الواحد بن إدريس المأمون ونازعه بنو مطهر وبنو راشد فأظهره الله عليهم وبعث له الرشيد المؤمني هدية عظيمة راجياً منه الخطبة والسكة فأبى وظهرت العداوة بينهما وهم الرشيد بالنهوض له فعاجلته المنية وهو أول من خلط البادية زي الملوك وأظهر قبيلة لباس الشريعة وتعرض لهدية أبي زكرياء الحفصي الهنتاتي التي بعثها من إفريقية للسعيد المؤمني وأخذها فنظر للسعيد فلم يظهر منه شيء فاستقل بنفسه وجّهز الجيوش لتلمسان فنازلها

(1) يقصد عمال تونس أو المغرب الأدنى.

(2) الموافق 4 أكتوبر 1230 م.

سنة خمس وأربعين من السابع⁽¹⁾ بجيوش فيها ثلاثون ألف رام من المشاة فضلاً عن غيرهم وأحاط بها فكان الهرّ مع صغر جرمه تأتيه العشرون سهماً فأكثر فخرج منها يغمراسن بجيشه وقد أفرج له لشدة بأسه وصعد لبني ورنيد ودخلها الحفصي وعرضها على ولاته فأبوا خشية من يغمراسن فاصطلح معه ورجع كل لموضعه واتفقا معاً على عداوة بني عبد المؤمن فسمع السعيد بذلك فأقسم لا بد يملك مملكتهما معاً ونهض من مراکش يجرّ الأمم العظيمة والبحور الزاخرات من الجيوش وساعدته على ذلك بنو مرين فانجاز يغمراسن لحصن تمزريدت الغربية جنوب وجدة بجبل بني ورنيد وحاصره فيها السعيد بعد أن نزل بوادي سلي وسأل منه الدخول في طاعته فأبى فزحف له وتعلق بالجبل محرّضاً على الهجوم فتعرض له يغمراسن للقتال ونصره الله عليه فقتل السعيد على يد يوسف ابن خزرون وأوتي له برأسه فأدخله على أمه لكونها أمرته بطاعته فأبى وأقسم لها أن يأتيها برأسه فأبر الله / قسمه وقال في ذلك الظفر الوزير أبو علي الحسن صاحب (ص 98) سبته القصيدة السينية الطويلة التي مطلعها:

بشرى بعاجل أوجب لنا العرسا وأصفر الدهر عنه بعد ما عبسا

واستولى يغمراسن على المحلة بما فيها فكان منه العقد اليتيم وغدار زمرد والمصحف العثماني الذي بخطه رضي الله عنه . وكان يغمراسن ديناً فاضلاً محباً للأولياء والعلماء فأتى بأبي إسحاق الشيخ إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي وأخيه أبي الحسن علي بن يخلف بن عبد السلام من تنس لتلمسان إلى أن ماتا بها وقبرهما بالعباد . ووفد عليه خاتمة أهل الأدب أبو بكر محمد بن عبد الله بن داوود بن خطاب فأحسن إليه وصيّره صاحب القلم الأعلا (كذا) وارتحل لزيارة أبي اليمان القطب الشيخ واضح بن عاصم المكناسي بجبل وافرشان من وادي رهيولليل الفضل منه . قال الحافظ أبو راس في الحاوي : ولما جاء يحيى الملقب يغمراسن لزيارة سيدي واضح المكناسي فكوشف له عن ذلك وسد باب المغارة بالحجر فوقف السلطان بباب الخلوة فاستأذن على الشيخ فلم يأذن له فمكث حيناً طويلاً وكان يوماً حاراً فصار يتشفع إليه بخدّامه وقرابته

(1) الموافق 1247 - 1248 م .

وهو ممتنع فقال بعض وزرائه قد حصل المقصود فأنصرف لعل الله ييسر رؤيته في غير هذا الوقت فقال يغمراسن والله لا أنصرف حتى يرضى عنا فلما رأى منهم أنهم يشعرون من لقائه برز لهم وقال يا يغمراسن، أما تعلم وقوف ذي الحاجات (ص 99) ببابك وما يجدونه من الانكسار ومدافعة الحرس لطول/ احتجابك عنهم وإنما جعلت لك ذلك للتيقظ من غفلتك فصار يغمراسن يتملق بين يديه ويتعذر له والشيخ في كل ذلك منقبض عنه وقد ألقى الله في قلب يغمراسن وجنده من هيبة الشيخ ما لا يوصف. ثم أنه خلا به وقال له أما كفاك ما ترتكب من الأعمال الخبيثة جمعت بين علجتين وهما أختان فتباً للذة تصير صاحبها إلى النار فقبل عند ذلك السلطان أقدام الشيخ وقال أنا تائب لا أعود هذا. ثم التفت الشيخ لأخيه يحيى وقال له أتيهم بطعام فبعد ساعة قرب لهم طعاماً جيداً ولحماً سمياً فرمى الشيخ ذلك وقال تطعم الزيار (كذا) خبز الشعير وتطعم الأمير ما أرى، فقال يغمراسن إن لم يطب خاطرك لم نأكله فقال لا بل كولوا على بركة الله. ثم قال لأخيه أنت معذور تحتاج لما بيد يغمراسن لأنك لك ذرية بكلامه الزناتي فلما أكلوا انبسط الشيخ وقال من تولي عهدك فقال هذا وأشار لولده محمد فقال له الشيخ الرعية لا تحتاج للفقير الحاذق الكيس لأن الفقيه مجبول على جمع المال يقول للدرهم درهمان فقال له السلطان ومن ترى فقال هذا وأشار لولده عثمان فسر يغمراسن ببقاء الملك في عقبه فلما هم بالانصراف قال الشيخ لأحد ولدي يغمراسن ألم توصك أمك أن تأتيها بحجاب أكتبه لك فقال نسيت وقبل يده فقال الشيخ يا سيدي عزوز ناوله إياه فناوله فحينئذ أوصي الشيخ يغمراسن بالرفق بالرعية وقال له يغمراسن كل راع مسؤول عن رعيته. وسيدي واضح هذا هو (ص 100) الذي تسمى عليه جد سيدي أبي عبدالله محمد المغوفل/ بن محمد بن واضح بن عثمان بن محمد بن عيسى بن فكرون المغراوي سمّاه عليه والده لكونه تلميذه وتوفي سيدي واضح بن عثمان المغراوي سنة ست وخمسين وثمانمائة⁽¹⁾ كما في ذيل الديباج للشيخ أحمد بابا. ويغمراسن هو الذي بنا (كذا) الصومعيتين بالجامعين الأعظمين من أقادير، وتلمسان. ولم يكتب اسمه عليهما

(1) الموافق 1452 - 1453 م.

وقال علمهما عند ربي. قال الحافظ أبو راس في عجائب الأسفار: ويقال أن الجامع الذي بتلمسان القديمة بناه مولانا إدريس الأكبر وعمل له المنبر. وبالقديمة ضريح الشيخ داود بن نصر أول من شرح البخاري توفي في آخر القرن الرابع⁽¹⁾. وحروبه مع زناتة والعرب أمر لا يحصى ولا يصدر من أحد لشرف همته، فقد قال صاحب بغية الرواد: له في العرب وحدهم اثنان وسبعون غزوة ومثلها مع تجين (كذا) ومغراوة. ولما حل الأمير أبو إسحاق الحفصي بتلمسان لطلب ملكه بتونس سنة ثمان وسبعين من السابع⁽²⁾ زوّج إحدى بناته المقصورات في خيام الخلافة لولد يغمراسن عثمان ثم بعد تمهد الملك له بعث يغمراسن ابنه إبراهيم المكنى بأبي عامر ليأت (كذا) بها فلما رجع بها لقيه يغمراسن بمليانة للتنويه بينت سلطان تونس ولما نزلوا برهيو مات سنة إحدى وثمانين من السابع⁽³⁾ وحمل لتلمسان فدفن بها.

ثم ابنه أبو سعيد عثمان باتفاق الملأ من بني عبد الوادي فشمر في غزو الأعادي ذيله حتى أقام من كل ذي زيغ ميله، فقتل ابن عبد القوي ملك تجين وانتزع لهم واتسريس والمدية وأخذ مازونة وتنس وفرشك⁽⁴⁾ من يد مغراوة/ وهرب (ص 101) مالكمهم راشد بن منديل في البحر، وقطع ملكهم. غير أن الحافظ أبو راس قال في عجائب الأسفار: قد رأيت راشداً بن منديل مذكوراً في نحو السبع من الثامن وزاد عثمان لبجاية فخر بها وغزى (كذا) العرب فأجلاهم للصحراء وحرك عليه يوسف بن عبد الحق المريني خمس مرات كان الحصار صادر منه في الخامسة لتلمسان ثمان سنين وثلاثة أشهر، وبنا (كذا) المنصورة وتوفي أبو سعيد في الحصار. ثم ابنه أبو زيان محمد بن أبي سعيد ونهض لحرب عدوه غير أنه عاجلته المنية في أثناء الحصار لمرض اعتراه.

ثم أخوه أبو حم⁽⁵⁾ موسى بن عثمان وفي وقته حصل الفرج وزال الحصار

(1) الموافق أول القرن 11 م.

(2) الموافق 1279 - 1280 م.

(3) الموافق 1282 - 1283 م.

(4) الصحيح برشك بالباء وليس بالفاء قرية بين تنس وشرشال على ساحل البحر.

(5) أبو حمو يكتب بالواو بعد الميم ولكن المؤلف يهمل الواو دائماً.

بسبب الولي أبي زيد عبد الرحمن الهزميري جاء من أغمات ليوسف بن يعقوب المريني شفيعاً فأبى فذهب الشيخ مغاضباً وقال يأتي سعاداً (٩) يقضي هذا وانصرف للمغرب فدخل عليه سعادة غلام العلامة أبي علي الملياني الذي قتله يوسف ابن يعقوب فالفاه (كذا) نائماً وقد ألقى الله في قلبه طلب الثار فوجأه بسكين في بطنه فبلغ الخبر الهزميري وهو بفاس فقال له خديمه نرجع لبلدنا فقال الشيخ وعبد الرحمن يموت فمات لأيام قلائل ودفن بفاس بروضة الأنوار. وأول ما بدأ به أبو حنم هدم المنصورة وأصلح ما ثلم من تلمسان وبنى الأسوار وحفر الخناديس والأهرية وملاها طعاماً وإداماً وخطباً وفحماً وملحاً وجميع ما يحتاج إليه بما لا حد له (ص 102) ثم استقبل بالتمهيد وتبع الحركات بنفسه / على تجين ومغراوة وسائر المخالفين أيام الحصار وحرك عليه أبو سعيد المريني إلى أن بلغ وجدة ففر عنه أخوه يعيش لتلمسان فرجع وثار عليه راشد بن راشد المغراوي بشلف فنهض له وفر راشد لزواوة واستعصم بها فنازله أبو حنم بوادي تمهل وبنى به قصره المعروف به⁽¹⁾ ففر راشد لبني أبي سعيد وانحاز للموحدين فبعث له جيشين عظيمين أحدهما لنظر مسعود بن أبي عامر الزياني والآخر لنظر موسى بن علي الغزّي فاستباحوا أبل قسنطينة وحصل التنافس بين الرؤساء كادت تبين الفتنة وعزل عامل مليانة وبعث به لتلمسان فاستقبح ابنه أبو تاشفين سجن خاله وأمره بالمسير للأمير فغض بصره ففر للمدية وثار بها وتبعه الغوغاء فرجع أبو حنم مغاضباً على ابنه وصار يؤثر عليه مسعود بن أبي عامر بن عمه فأغرا (كذا) أبا تاشفين خواصه بقتل المسعود وأبيه فقتلها. وكان أبو حنم محباً للعلماء والعلم وهو الذي بنى المدرسة المعروفة لابني الإمام وأعطى بلاد تجين للحشم فصلاً بينه وبينهم.

ثم ابنه أبو تاشفين، فاستولى على البدو والحضر، واستخدم ربيعة ومضر وتولع بتبويض الدور، وبنى (كذا) القصور، ونهض لخاله محمد بن يوسف الثائر على أبيه والموجب لقتله فحاصره، بوانسريس إلى أن أخذه عنوة وقتله وعفا عن غيره، ثم زاد لبجاية فأخذ رياحاً أخذه رابية وأمر قائده موسى بن علي ببناء مدينة

(1) وهو الذي تحول إلى قرية عمي موى حالياً بين واد رهيو والشلف.

على وادي بجاية فبنيت في أربعين يوماً وسمّاها تمزريدت الشرقية⁽¹⁾ وأما الغربية فهي التي / بجبل بني ورنيد كما مرّ. وجهاز عامله يحيى الجمي جيوشاً لغزو (ص 103) تونس تحت نظر ابن أبي عمران الحفصي فلقبهم مالكة أبو يحيى بجيوشه فهزموه واستولوا على حريمه وذخائره ومحلاته وأفلت جريحاً لقسنطينة وزادوا فدخلوها واستراحوا بها أربعين يوماً وأسلموها لابن أبي عمران فبعث له أبو سعيد المريني على الإقلاع عن بجاية فأبى وهمّ أبو سعيد بقتاله فعاجلته منيته (كذا). وكان له بالعلم وأهله احتفال عظيم فقد ورد عليه أبو موسى المشدالي فأكرمه وولّاه التدريس بمدرسته الجديدة وورد عليه أبو العباس البجائي تاجراً ودخل المدرسة القديمة فالفاهم يتكلمون بمجلس أبي زيد بن الإمام في قول ابن الحاجب في الأصول في حدّ العلم أنه صفة توجب تمييزاً لا يحتمل التقيض فقال يا سيدي هذا الحد غير مانع لانتقاضه بالفصل والخاصة فقال أبو زيد من المتكلم فقال أحمد البجائي فقال يقع الجواب بعد الضيافة وأنزله وأكرمه وسأله عن مقدمه فقال تاجراً فعرف به الأمير فرفع عنه مغرمه ومن معه قدره مائة دينار وزاده صلة مائة دينار ذهباً، ووقع بمجلسه السؤال عن ابن القاسم هل هو مقلداً أو مجتهد فقال أبو زيد مقلد النظر بأصول مالك وقال المشدالي مجتهد مطلق الاجتهاد واحتجّ بمخالفته لمالك في بعض المسائل واستظهر أبو زيد نصّ ابن التلمساني الذي مثل به للاجتهاد المخصوص / بابن القاسم لمالك والمازني (ص 104) للشافعي فقال المشدالي هذا مثال لا تلزم صحته. وحرك عليه أبو الحسن المريني فنزل بتاسالة وأطال بها إلى أن ثار عليه أخوه بسجل ماسة فرجع له إلى أن قتله ومهد المغرب ثم رجع لتلمسان وحاصرها وبنى عليها مدينته التي هي الآن محراث ولم يزل أبو تاشفين وأولاده ووزيره في المقاتلة معه إلى أن استشهدوا جميعاً في يوم الأربعاء ثامن عشرين رمضان سنة سبع وثلاثين من الثامن⁽²⁾ فدخلها المريني وبموته جرّ الحادث، والخطب الكارث، على الدولة الزيانية القفا، وكدر بنيتها الحنسى ما كان صفا.

(1) وهي قرية أقبو الحالية. على الضفة الغربية لوادي الصوماح.

(2) الموافق 10 أبريل 1337 م.

الدولة السادسة: المرينيون

ثم ملك وهران الدولة السادسة، وهم المرينيون، ويقال لهم بنوا حمامة. أما تسميتهم بالمرينيين فذلك نسبة لجدهم مرين بن أمير الناس على قول، وابن ورتاجن على الآخر، وأما تسميتهم ببني حمامة فذلك نسبة لجدهم حمامة ابن محمد بن ورزين. واختلف في نسبهم على ثلاثة أقوال، فقال صاحب أئمة الأبصار وغيره إنهم أدارسة من ذرية يحيى بن إدريس، وقال صاحب القرطاس إنهم زناتة من ذرية ماخوخ الزناتي، وقال أيضاً في موضع آخر إنهم من نسل قيس بن غيلان بن مضر. ومن زنات تفرقت قبائل زناتة فهم عرب صريحون وسبب تغير لسانهم عن العربية إلى البربرية أن بر بن نزار كان له ولدان: قيس، (ص 105) ودهمان، ابنا/ غيلان. فدهمان ولده قليل وهم أهل بيت من قيس يعرفون ببني امامة. وقيس ولد أربعة رجال وجارية وهم: سعيد وعمر وحفصة أمهم مريم بنت أسد بن ربيعة بن نزار، وبر ونماض أمهما بريع بنت محمد بن مجدل بن عمر ابن مضر المجدولي. وكان البربر يسكنون بالشام ويجاورون العرب في الأسواق والمساكن والمراعي، ويشاركونهم في المياه والمساعي ويصاهرون بعضهم بعضاً. وكانت البها بنت دهمان بن غيلان بن مضر من أجمل النساء وأكملهن ظرفاً وطرباً وحسناً فكثرت طلبها للتزويج من كل قبيلة فقال أبناء عمها قيس وهم: عمر وسعيد وبر وحفصة لا يتزوج بنت عمنا غيرنا فخيروها فاخترت برأ لكمال شرفه وصغره وتزوجته فحسده اخوته عليها وهموا بقتله. وكانت أمه بريع من دهات (كذا) النساء فبعثت إلى ولدها بر وزوجته البها وأمرتهما بالذهاب معها لقومها فوافقاها وذهبوا فنزلوا عند أخواله وأعرس بها وامتنع من قومه فولدت له البها علوان ومادغس: فعلوان مات صغيراً ولم يعقب، ومادغس لقب بالأبتر فهو

جدّ البتر ومن ولده جميع زناتة فبمكث برّ بالبربر تغير لسانه وأورث في ذريته فهذا هو السبب وقالت في ذلك أخته ترثيه :

وشاطت ببرّ داره عن بلاده واطرح برّ نفسه حيث يمّا
وأورث برّ لكتة أعجميّة وما كان برّ بالحجاز بأعجما

/ وقال أبو فارس في أرجوزته نظم السلوك : (ص 106)

فجاورت زناتة البرابرا فصيرت كلامهم كما ترا
وما بدّل الدهر سوى أقوالهم ولم يبدّل منتهى أحوالهم
بل فعلهم أربى على فعل العرب في الحال والآثار ثم في الأدب
فانظر كلام العرب قد تبدّلا وحالهم عن حاله تحوّلّا
لا يعرفون اليوم ما الكلام وما لهم نطق ولا إفهام
وإن تمادت بهم الأحوال لم يبق في الدهر لهم أقوال
كذاك كانت قبلهم مرين كلامهم كالذرّ إذ يبين
فاتخذوا سواهم خليلا وبدّلوا كلامهم تبديلا

وأصل مواطنهم كاخوتهم بني لومي ومديونة، قبلة زاب إفريقية ثم دخلوا المغرب سنة تسع وستمائة⁽¹⁾ فنزلوا من فقيق إلى تفلالت إلى ملوية. وكانت بين بني لومي هؤلاء وبين بني مأنوا حروب عظيمة هلك فيها ماخوخ الزناتي صاحب الخيمة المشهورة التي آثارها للآن ببلاد أولاد علي من بني عامر في أواخر المائة الخامسة وكان بنوا لومي يمدون بني مرين بالجيوش وسبب مصير الملك إليهم أنهم كانوا ببلادهم المذكورة رائسهم (كذا) محمد بن ورزين. ثم قام ابنه حمامة مقامه ثم أخوه عسكر ثم ابنه المخضّب ولما سمعوا بعبد المؤمن بن علي الموحد غزى (كذا) وهران واستولى على أموال لمتونة وبعث بها لتتمليل تعرّضوا له من الزاب مغلغلين إلى وادي تلاغ فاستولوا/ عليها به ثم لحقهم (ص 107) الموحدون ومعهم بنوا عبد الوادي فكان المصاف بفحص حسّون وانكشف المرينيون وقتل شيخهم المخضّب واكتسح العبد الواديّون حللهم سنة أربعين من

(1) الموافق 1212 - 1213 م.

السادس⁽¹⁾ فلاحقوا بالصحراء وركد ريحهم إلى سنة عشرة من السابع⁽²⁾ في وقت المنتصر الموحدى وكان صبيّاً صغيراً لا يعرف شيئاً أتوا على عادتهم للكيل فوجدوا الغرب لا حياة فيه لمن تنادي فأقاموا بمكانهم وبعثوا لإخوانهم على القدوم فأسرعوا على الخيل والنجايب، يقطعون المهامه والسباسب يريدون الدنو والبلاغ، إلى أن وصلوا لوادي تلاغ، فدخلوا المغرب بجيش كالجراد يجمع الحاضر والباد، فظهر ما كان في الغيب مجهولاً ليقضي الله أمراً كان مفعولاً. قال أبو فارس في أرجوزته:

في عام عشرة وستمائة أتوا إلى الغرب من البرية
جاؤوا من الصحراء والسباسب على ظهور الخيل والنجايب
كمثل ما قد دخل اللمتونيون من قبل ذا وهم لهم ميمون

فهذا سبب مصير الملك إليهم. قال ابن خلدون: وهم قوم مرهوب جانبهم شديد بأسهم من أقوى القبائل وأنجدها وأفرسها كثير جمعهم، مضاهون للعرب والفرس واليونان والروم. وفيهم قال ابن الخطيب في رقم الحل:

وأورث الله بلاد الغرب للسادات الفُر الكرام النجب
أهل الخيول والرماح والهمم أقوى بني الدنيا وأوفى بالذمم
وأدرب الخلق بركض الخيل وخوض أحشاء الفلا والليل
/ قاموا وقد بان اختلال الطاعة بمذهب السنة والجماعة (ص 108)

ولما دخلوا المغرب تفرقوا فيه وشنوا الغارات فمن أذعن لهم سالموه ومن أبى قتلوه. ففرت الناس منهم وبلغ خبرهم إلى أمير الموحدين المستنصر فقال لقومه: ما ترون من هؤلاء فاتفق رأيهم على محاربتهم فبعثوا لهم جيشاً فيه عشرون ألفاً تحت رئاسة أبي علي بن واندين فسمعت مرين فلقيتهم بأكمل حالة وجعلوا أموالهم وحریمهم بقلعتي: تازة وزا فلما تراء الجمعان كانت الدائرة لمرين على الموحدين فقتلوهم ذريعاً وهزموهم شنيعاً واحتووا على ما في المحلة

(1) الموافق 1145 - 1146 م.

(2) الموافق 1213 - 1214 م.

بأجمعه ودخل فل رباط تازة وفاساً منهزمين، وبالمشعلة مستترين ومنحرمين. وهي نبت يشبه الحلفا له أوراق طويلة عريضة تمسيها عامة المغرب بلحية الشيخ ويقال لها بالشلحة الأثموج وأكثر نبتها قبله تازة سيما بلاد مكناسة وقلوبهم بالحزن مشتعلة، فسَمي العام عام المشعلة وهو عام ثلاثة عشر وستمائة⁽¹⁾.

وأول ملوكهم بالمغرب عبد الحق بن محيوا وكان فاضلاً صالحاً متبركاً به وهو الذي استخلص الملك من غيره لكنه لم يستول على كرسي الخلافة بمراكش. ثم ابنه أبوسعيد عثمان، ثم أخوه أبو معرف محمد بن عبد الحق وبإيعته كافة مرين وسار فيهم سيرة حميدة وكان بطلاً شجاعاً، شهماً مهاباً مطاعاً، كثير الغارات لا يفتر عن القتال والمحاولات. وفيه قال صاحب الأرجوزة:

وكان في أموره مسدد	ثم ولي من بعده محمد
مواظباً للحرب والنزال	فكان لا يفتر عن قتال
ومن جميع جمّة الجنود	كم عسكر له وكم حشود
أفناه بالحروب والتناوش	وكم من جيش جاء من مراكش
لكنه مؤيد معان	نهاره وليله طعان

ولم يزل في قتال الموحدين إلى أن قتل بصخرة أبي بياس من أحواز مدينة فاس، يوم الخميس تاسع جمادى الثانية سنة اثنين وأربعين من السابع تحاملاً مع زعيم الروم. ثم أخوه أبو يحيى زكرياء بن عبد الحق وهو أول من عمل من ملوكهم مراسم الملك من بنود وطبول وغيرها. وأول ما ابتدأ به تقسيم البلاد على قومه وإنزال كل قبيلة في ناحية وأمرهم بتكثير الجيش وركوب الرجال وما غلبت عليه كل قبيلة فهو لها وتوفي بفاس ودفن بإزاء قبر الفشتالي تبركاً به.

ثم أخوه سلطان الجهاد أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني ولقبه المنصور. وقد استوفى أبو فارس في أرجوزته سيرته حيث قال:

سيرة يوسف بن عبد الحق قد حاز فيها قصبات السبق

(1) الموافق 1216 - 1217 م.

سيرته أن يقرأ الكتاب ويذكر العلوم والآداب
يقوم للصلاة ثلث الليل وما له عن ورده بميل

(ص 110) إلى آخر الأبيات السبعة والعشرين وشرع في تمهيد المغرب ففتح / بلاده من أقصى سوس إلى وجدة وفتح مراكش وقطع ملك الموحدين ومحا أثرهم وجاز للأندلس فدوَّخها وملك بها ما يزيد على خمسين قصراً ما بين مدن وحصن كمالقة ورندة والخضراء، وطريف ومربات وأشبونة وما بين ذلك من الحصن والقرى والبروج وخطب له على جميع منابر الغرب فهو أول ملك حما (كذا) الإسلام من بني مرين ونزل في سنة ثمان وخمسين من السابع بتازة⁽¹⁾ يستنشق ريح يغمراسن قبله الخبر بأن النصاري دخلوا مدينة سلا غدراً ووضعوا السيف في رقاب أهلها فجذَّ السير لها يومه وليلته إلى أن أدرك المسلمين وخلَّصهم من العدو وأطرد العدو منها وبنا عليها (كذا) السور وغزى (كذا) مراكش سنة ستين من السابع⁽²⁾ فحاصرها شديداً وغلق أميرها المرتضى على نفسه ثم خرج منها ووقعت بينهما حروب عظيمة قتل فيها عبدالله ولد المريني فارتحل عنها. وفي ذلك قال أبو فارس عبد العزيز في أرجوزته:

في عام ستمائة وستين سار المراكش سلطان مرين
فوقف المنصور بجليز مبرزاً بأحسن التبريز
وعاد فيها المرتضى محصوراً ذا أرق في قصره مقصوراً
ودارت الأعراب بالأسوار واعتمدوا فيها على الإحصار

(ص 111) وضيق على أبي دابوس بمراكش شديداً ولما أيقن بعدم النجدة / استصرخ بيغمراسن فشن الغارات على أطراف الغرب فرجع إليه المريني ووقع المصاف بوادي تلاغ الغربي وحصلت الحرب العظيمة بينهما من الضحى للظهر فرجعت الدائرة على يغمراسن فهزم وقتل أكبر أولاده عمر. ثم غزا (كذا) تلمسان في سنة تسع وستين من السابع⁽³⁾ فلقية يغمراسن بواد سلى قرب وجدة فوقع بينهما حرب

(1) الموافق 1259 - 1260 م.

(2) الموافق 1261 - 1262 م.

(3) الموافق 1270 - 1271 م.

عظيم مات فيه من جيش يغمراسن خلق كثير ولولا ما حال الظلام بينهما لم تقم قائمة لبني عبد الوادي وفرّ يغمراسن لتلمسان وأضرمت محلته ناراً وتبعه يعقوب المريني فمرّ بوجدة وجعل عاليها سافلها وسبها (كذا) أموالها وزاد لتلمسان فحاصرها شديداً وأدار محلاته بها وجاءه بها محمد بن عبد القوي إعانة ثم سرحه لأهله ولم ترتحل عنها حتى وصل التجيني بلده خشية عليه من يغمراسن ثم ألقه عنها ورجع للمغرب فقال بعض كتابه، الملزمين لخدمة بابه:

فإنك إذا الخيل جالت حبستهم	قضاء من الرحمان ما منه عاصم
فذاك على اليمنى يبيد حمامتها	وهذا على اليسرى فأين المقاوم
ووالدهم في جاحم الحرب بينهم	يبيد حماة الجيش والسّقر قائم
فويحك يا يغمور هل لك حاجز	أيقظان حقاً أنت أم أنت نائم
أفي كل عام تترك ابنك للنفى	وتسبى لك المغيد الحسان المكارم

وجّهز جيشاً قدره خمسة آلاف لنظر ولده أبي زيان سنة ثلاث / وسبعين من (ص 112) السابع⁽¹⁾ فغزى (كذا) الأندلس به ونزل بطريف واستراح ثلاثاً ومنه للبحيرة فغنمها وبعث بالغنائم للجزيرة ووالى السير في الأرض يفتح ويسبي إلى شريش ورجع بالغنائم للجزيرة ولحقه والده في سنة أربع وسبعين من السابع⁽²⁾ ففتح فتوحاً كثيرة وغنم غنائم عظيمة وجال بالقتل والسبي والتخريب وقتل زعيم النصارى دنونة⁽³⁾ وهزمت عساكره وأوتي له بالروؤوس فكانت نيفاً وثمانية عشر ألفاً على ما لصاحب الأنيس، وتسعة آلاف على ما لصاحب رقم الحلل، فجعلت تلا وأذن عليها للصلاة وصلى المسلمون بالمعركة الظهر والعصر وأوتي له برأس دنونة فبعثه لابن الأحمر فكوفره ومسكه ابن الأحمر وبعثه للفنش (الفونسو) تقرباً منه وتجنباً من أبي يوسف. قال ابن الخطيب في رقم الحلل:

تسعة آلاف من الكفار دعا بهم داع إلى البوار
وعدد الأسارى سبعة آلاف وثمانمائة وثلاثون أسيراً والكراع أربعة عشر ألفاً

(1) الموافق 1274 - 1275 م.

(2) الموافق 1275 - 1276 م.

(3) لم نتعرف على اسمه الحقيقي.

وستمائة والبقرة مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، وأما الغنم فضاعت بها الأرض
وبيعت الشاة بدرهم والمرأة بدينار ونصف. ولما قسم الغنائم ارتحل ونزل قصر
الصخرة فاتاه هرنادة⁽¹⁾ ملك قشتالة لعقد الجزية وقبل يد السلطان فدعا بماء
بمرأى بطارقتة وغسلها من قبلته فكانت له فخراً وفي ذلك قال لسان الدين
ابن الخطيب في رقم الحل:

(ص 113) / واجتمع القوم بقصر الصخرة وشاهد الناس جميعاً فخره
وحين حل بالخضراء بعث له أبو محمد بن أشقيلولة كتاباً يهنئه بالفتح
مشملاً على قصيدة عينية فيها تسعة عشر بيتاً مطلعها:

هبت بنصركم الرياح الأربع وجرت بسعدكم النجوم الطوالع
واصطلح في سنة أربع وسبعين من السابع⁽²⁾ مع شانجة طاغية الروم فبعث
له الطاغية بثلاثة عشر حملاً من كتب المسلمين التي أخذوها ما بين الكتاب
العزیز وتفاسيره وكتب الحديث وشراحاته وكتب الفروع والأصول واللغة والعربية
والآداب وغيرها وأتاه العلامة الأديب أبو فارس عبد العزيز المكناسي ناظم
الأرجوزة التي يقال لها نظم السلوك بقصيدة بائية مشتملة على مائتين وثلاثين بيتاً
يذكر فيها سيرته وجهاده وغزواته وجميع أموره كلها مطلعها:

بحمد الله أفتح الخطابا وأبدأ في النظام؟ والكتابا
لعل الله يبلغني أمالي ويفتح بالسرور علي بابا

فأنشدها بين يديه قارئه أبو زيد عبد الرحمن الفاسي الغرابلي وحضور
أشياخ بني مرين والعرب لقراءتها فاعطا (كذا) لقارئها مائتي دينار وللناظم ألف
دينار وخلعاً ومركوباً ومن أرادها بتمامها فعليه بالأنيس، أو دليل الحيران. وتوفي
ضحى يوم الثلاثاء ثاني عشرين من المحرم كما في الأنيس، وصفر كما في
(ص 114) عجائب الأخبار، سنة خمس وثمانين من السابع⁽³⁾ / بالجزيرة الخضراء بعد موت

(1) لعله يقصد: HERNANDO.

(2) الموافق 1275 - 1276 م.

(3) الموافق 20 مارس أو 21 أبريل 1286 م.

يغمراسن بخمس سنين كما في الخبر المغرب. وحمل إلى رباط الفتح من بلاد العدو ودفن بمسجد شالة منها كما في الأنيس وبموته انصدع الإسلام. قال الحافظ أبو راس في عجائب الأسفار: ولولا يغمراسن ألهاه بشن الغارات لاسترد كثيراً من الأندلس فكان له مانعاً من الموانع.

ثم ابنه يوسف الناصر فصالح ابن الأحمر وجدد الصلح لابن الفنش (الفونسو) وأكثر من غزو الأندلس فأتخن في النصاري ثم صرف عزمه لغزو تلمسان بسبب ابن عطوا فحاصرها وبها ملكها عثمان بن يغمراسن ودام حصاره عليها أعواماً وشهراً ومات ملكها عثمان أيام الحصار وانتهت عساكر المريني إلى إفريقية واشتد البلاء على أهل تلمسان إلى أن قتله غلامه وهو نائم مع إحدى جواريه فافرجت عساكر مرين عنها وحمل إلى شالة برباط الفتح ودفن بها. ولما مات جلس ابنه أبوسالم على الكرسي فغلبه ابن أخيه أبو ثابت وخلعه بإعانة أبي حم الزياتي.

ثم أبو ثابت عامر بن عبدالله فارتحل عن تلمسان ورجع للمغرب فدوخه كثيراً وجال في نواحيه إلى أن توفي بقصبة طنجة فجلس على كرسي الملك عمه علي بن يوسف فخلع فوراً ورضوا بسليمان أخيه (كذا) أبي ثابت. ثم أبو الربيع سليمان بن عبدالله أخو أبي ثابت فجدد الصلح مع آل زيان وتوفي مريضاً بتازة ودفن من ليلته بصحن جامع تازة وقد ترفعت الناس في أيامه / باتخاذ الدواب (ص 115) والملابس الجيدة وتشديد الدور وترويقها بالزليج والرخام والنقوش. ثم أبو سعيد عثمان السعيد بن يعقوب فمهر الملك ودوخ المغرب وأوقع بملوية ووجدة وبني يزناس كثيراً وحاصر تلمسان شديداً وبها سلطانها أبو حم موسى بن عثمان ثم أفرج عنها ورجع للمغرب وغزى (كذا) الأندلس وطالت مدته في التدويخ ووقع الخلل بينه وبين ولده عمر فاجتمع العسكر على عمر وخاف السعيد من العسكر فانتصر عليه ولده وهرب السعيد لتازة ولحقه بها ولده وحصره إلى أن سلم له الأمر بالأشهاد وبقي بتازة ثم سار ولده بالجيش لفاس وحل به المرض الشديد فحاصره أبوه بها إلى أن سلم له الأمر على أموال عظيمة أعطاهها له السعيد مع سجلماسة وترك الملك لأبيه فاستقل به إلى أن مات. وهؤلاء الملوك التسعة من بني مرين لم يملك واحد منهم وهران.

ثم ملكها أبو الحسن المريني وهو علي بن عثمان السعيد بن يعقوب ابن عبد الحق بن محيو بن أبي بكر بن حمامة بن محمد بن ورزين بن فلوس ابن كرمات بن مريم فدوخ المغرب بأجمعه وحاصر تلمسان مدة حصاراً شديداً وبني المنصورة غربي تلمسان مدة الحصار وفيها يقول ابن الخطيب السلماني في رقم الحل:

ثم بنا المنصورة الشهيرة البلدة الجامعة الكبيرة

(ص 116) / وقيل بناها يوسف بن يعقوب كما مرّ وفكك بأهل تلمسان فتكاً عظيماً وقاتله مالكة أبو تاشفين إلى أن استشهد هو وأولاده ووزيره فدخلها عنوة ولما حلّ بها طلب الإعانة منهم بالأموال للجهاد فقال له أبو زيد بن الإمام لا يصح لك حتى تكنس بيت المال وتصلّي فيها ركعتين كما فعل عمر رضي الله عنه. وفتح ندرومة ووجدة ورجع للمغرب. ثم غزى (كذا) طريف بالأندلس فهزم هزيمة كبيرة حصدت فيها شوكة المسلمين. ثم غزى (كذا) وهران والمغرب الأوسط إلى أن وصل لإفريقية بسبب أن السلطان أبا بكر الأصغر الحفصي لما توفي سنة سبع وأربعين من الثامن⁽¹⁾ وكثر القتال بين بقيّة بني حفص وبين ولديه أبي العباس وأبي فارس وأضرمت إفريقية نار الفتنة هرب حاجب السلطان محمد بن تافركين للمغرب لسعاية بلغت به فلحق بأبي الحسن المريني وصار يرغب في ملك تونس ويسهل عليه أمرها ويهونها عليه وكانت نفسه تحدّثه لما فتح تلمسان بإفريقية ويتربّص بالسلطان أبي بكر فقويت عزائمه عليها ثم أخبر بمهلك ولدي أبي بكر أبي العباس وأبي فارس فارتحل من مراكش وجنّد السير إلى تلمسان فوافته بها الحشود من كل جهة وارتحل في صفر سنة ثمان وأربعين من الثامن⁽²⁾ يجرّ الدنيا بما حملت فنزل بوهران وفتحها وأمر ببناء البرج الأحمر بها فبني وجعل في وسطه دائرة لا تراكين لها بناءً محكماً واتقنه إلى أن كاد الجوّ يغصّ به وقلماً يوجد مثله في السّعة واتقان البناء فهو إيوان الحكم لكل من ملك (ص 117) وهران ثم بنا (كذا) ثانياً برج / المرسى كلاهما تلك السنة فبينما هو بوهران إذ وفدت عليه بها أولاد حمزة، والكعوب وسائر أمراء إفريقية وبعث ابن مكّي أمير

(1) الموافق 1346 - 1347 م.

(2) الموافق ماي - جوان 1347 م.

قابس وفده بالطاعة وابن جلoul صاحب توزر وابن عابد صاحب قفصة وصاحب الحامة وصاحب نفطة كلهم بايعوه بوهراڻ رغبة ورهبة وأدوا بيعة ابن ثابت صاحب طرابلس لبعء داره ثم قدم في أثرهم يوسف بن منصور صاحب الزاب ومعه كبير الذواوة يعقوب بن علي فأوسع الكل كرمه وجوائزه وعين القهارمة لإتمام البرجين المذكورين والعمالة والولة وفي ذلك قال الحافظ أبو راس في سنيته :

ثمان قرن قدمها المريني أبو حسن ثمت بيعة طرابلس
بنا بها الأحمر ففاق كل بنا ثم بنا الثاني حذو سفن المرس

ثم ارتحل يجرّ الأمم قاصداً إفريقية فمرّ على كل بلدة ومكان في أمن وأمان إلى أن دخل تونس في يوم مشهود يقلّ مثله بعءه في الوجود، ومعه شيخ الموحدين بتونس أبو محمد بن تافركين بجنود عظام فبايعه بها خمسون ملكاً ووافق ذلك موت الحاجب لتعلقات العلم وجامع أشتات الشر والنظم وإمام المصنفين بحكم أقرانه الراشدة العلامة ابن هارون أحد شارحي ابن الحاجب وشيخ ابن عرفة وزوجته في ليلة واحدة، فقدم السلطان لما حضر جنازتهما للصلاة عليهما أبا عبد الله السبطي صاحب الفتوى بالمجلس الذي أولاده مشهورون بأولاد السبطي للآن بفاس. ولما حلّ بتونس اندفع إليه الشعراء بها يهنونه بالفتح وكان سابقهم في تلك النوبة أبو القاسم الرحوي من ناشئة أهل الأدب فرفع / إليه قصيدة بائية محتوية على ثمان وستين بيتاً مطلعها :

(ص 118)

أجابه شرق إذ دعوت ومغرب فمكة هشت للقاء ويشرب
ونادتك مصر والعراق وشامه بداراً فصدع الدين عندك يشعب
وحيتك أو كادت تحيي منابر عليها دعاة الحق باسمك تخطب

وانظر تمامها إن شئت في ترجمان العبر أو دليل الحيران.

ثم غزى (كذا) من تونس العرب بالقيروان بعء صلاة عيد الأضحى فوافاهم في الفرح بين بسيط تونس وبسيط القيروان المسمى بالثنية فأجفلوا أمامه وقاتلوه منهزمين وهو في اتباعهم إلى أن حلّ بالقيروان ورأوا أن لا ملجأ منه فاتفقوا على الاستماتة (كذا) ودسّ إليهم من عسكر السلطان بنوا عبد الواد ومغراوة وتجين

فغلبوا بني مرين وواعدوهم بالمناجزة صبيحة يومهم ليتحيزوا إليهم براياتهم وصباحوا معسكر السلطان فركب إليهم التعبئة فاقتل مصافه وتحيز إليهم الكثير من جيشه فكانت الدائرة عليه ونكب نكبة عظيمة ونجا إلى القيروان فدخلها في الفل من عساكره وتدافعت ساقات العرب في إثره وتسابقوا إلى محلته فنهبوا ودخلوا فساطيطه واستولوا على ذخائره والكثير من حريمه وأحاطوا بالقيروان ودارت حللهم بها وتعاوت ذيابهم بأطراف البقاع وأجلب ناعق الفتنة من كل مكان ولم ينج إلا في أرذل حالة وذهب ليلاً إلى سوسة على تعبئة فركب منها في الأسفل (كذا) إلى تونس وحل بها فشرع في إصلاح ما ثلم منها.

عودة وهران للدولة بني زيان

(ص 119) ثم / رجع ملك وهران للدولة الخامسة وهي دولة بني زيان فملكها بعد أن استولى على تلمسان أبو سعيد بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن الزياني فأحيا (كذا) الدولة الزيانية بعد العفاء وأظهرها بعد طول الخفاء وهو سادس الملوك الزيانية، وعاشر القاسمية، بويع له في ربيع الأول سنة تسع وأربعين من الثامن⁽¹⁾ بأرض إفريقية وجاء مغرباً ومعه تجين ومغراوة وبنوا عبد الواد ولما حلّ بشلف فارقه تجين ومغراوة بعد التحالف على المناصرة عند الحاجة وتمادى بنوا عبد الوادي بسلطانهم لتلمسان. وكان أبو عنان المريني أقام بها عثمان بن جرار أحد بني طاع الله فبعث لهم ابن جرار أخاه في جيش للمحاربة فكان مصاف القتال بسكّاك فقتل ابن جرار وأخذ ما معه إلا اليسير وجاء أبو سعيد لتلمسان فسأل عاملها ابن جرار الأمان فأمن ودخلها أبو سعيد في جمادى الثانية تلك السنة⁽²⁾، فبرز في سماء الخلافة وشارك أخاه أبا ثابت في المملكة فكانت السكة والخطبة لأبي سعيد، وأمر الحرب واستباع الجيوش لأبي ثابت، واختار أخوهما الأكبر أبو يعقوب سكنى ندرومة منقطعاً للعبادة، وترك أبا الحسن المريني بالمشرق فمهدا البلاد ودوّخا العباد. فبينما هما كذلك إذ أتاهما الخبر أن أبا الحسن نزل بالجزائر ومعه وزمار بن عريف السويدي الهلالي على ما

(1) الموافق ماي حوان 1348 م.

(2) الموافق أوت سبتمبر 1348 م.

لابن خلدون، والمخزومي، / على ما للحفاظ الثلاثة: أبي راس المعسكري، (ص 120) وموسى بن عيسى المازوني المغيلي، وابن الخطيب التلمساني القرشي، وتعين وعرب تلك النواحي، وأنه رايم تلمسان فخرج أبو ثابت بجيش عظيم وبعث لعلي بن راشد المغراوي فالتقيا بالتاغية واتفقا على أن أبا ثابت يلقى أبا الحسن، وعلياً بن راشد يلقى الناصر، فكان مصاف القتال بتيغرين وحصلت الحروب الشديدة التي يشيب لها رأس الوليد انهزم فيها المغراوي وثبت أبو ثابت إلى أن هزم أبا الحسن وقتل ولده الناصر وأعيانه، ولولا ظلام الليل (كذا) ما نجا أبو الحسن ودخل وزمار بن عريف بأبي الحسن للصحراء إلى أن وصل لسجلماسة وذهب مغرباً ورجع أبو ثابت بالظفر والغنيمة.

ثم قتل مغراوة بعض بني عبد الوادي غيلة فتوجه لهم أبو ثابت وهم بالجبل المطل على تنس وهجم عليهم ففرّ علي بن راشد لتنس واقتحمها عليه فذبح علي نفسه وبه انقرض ملك بني ثابت بن منديل واستولى أبو ثابت على بركش والمدية ومليانة والجزائر ورجع لتلمسان وكتب له أبو عنان المريني على الإقلاع عليهم فأبى وسمع بموت علي بن راشد فأنف وتحرك لتلمسان ولقيه أبو سعد وأبو ثابت بجيش بلغ منه الإعجاب بأنقاد ونزلوا بسلى فكان مصاف القتال بوادي القصب ولما حمى الوطيس خدعت بنو عامر على عادتهم الذميمة وجرت الهزيمة عل أبي سعيد وكسب به فرسه فأخذ وقتل يوم السبت حادي عشرين جمادى الأولى سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة⁽¹⁾ واستمر أبو ثابت لتلمسان فأقام بها يوماً ولحق (ص 121) بالجزائر فاجتمع عنده جيش عظيم ورجع به مغرباً لعدوه فكان مصاف القتال بوادي شلف ف وقعت حروب يشيب لها الرضيع ونكص بنو مرين الأعقاب فحمل وزمار ابن عريف السويدي على أبي ثابت فردّهم على أعقابهم وحصلت الهزيمة ففرّ أبو ثابت وأبو حمّ موسى والوزير يحيى بن داود مشرقين في ثياب التنكر فأرصدهم صاحب بجاية وأخذهم حولها فقال لهم الأخذون من هو أبو ثابت منكم فتقدم أبو حمّ وقال أنا فأطلقوا غيري فورد عليهم من يعرف أبا ثابت وهو وزمار بن عريف السويدي فحملهم إلى أبي عنان المريني فقال أبو عنان

(1) الموافق 5 جويلية 1352 م.

لأبي ثابت كيف رأيتم أبطال بني مرين فقال أبو ثابت أعانكم السعد وأما الرجل
غلبناكم فيها فدفعه لبني جرار فقتلوه قصاصاً ثالث عشر رمضان تلك السنة⁽¹⁾
وذهب أبو حاتم لتونس فاستقر بها عند أبي إسحاق إبراهيم بن أبي يحيى زكرياء
الحفصي في نعمة شاملة إلى أن كان ما يأتي ذكره.

عودة وهران للدولة المرينية

ثم رجع ملك وهران للدولة السادسة وهي المرينية فملكها أبو عنان وذلك
أن أبا الحسن لما رجع للمغرب حصل الخلل بينه وبين ابنه أبي عنان على
الخلافة وغلبه ابنه على ذلك إلى أن عهد له بها فرجع له ابنه وتوفي سنة اثنين
وخمسين من الثامن⁽²⁾ ودفن بسلا. وسبب موته أنه لما رجع من مقاتلة ابنه
ابن عنان تمرّض. فقصّد لإزالة الدم واغتسل بالماء قصد الطهارة فتورّم ومات
بعد أيام قليلة وهو الذي شيّد بناء جامع سيدي أبي مدين، وبنا (كذا) جامع
سيدي الحلوى. ولما مات تولّى أبو عنان فارس بن أبي الحسن بموضع أبيه
وشرع في تدويخ المغرب وتمهيده ثم غزى (كذا) تلمسان سنة أربع وخمسين من
الثامن⁽³⁾ فحاصرها شديداً إلى أن دخلها عنوة وأطرد (كذا) عنها سلطانها صاحب
الحرب أبا ثابت للمشرق ثم قتله بعد الظفر به وذبح سلطانها صاحب الأمر
أبا سعيد بإفتاء الفقهاء له بذلك وخرّب تلمسان فحرثها غلام أسود على ثورين
أسودين تلك السنة. ثم تخطّأ لوهـران فملكها أيضاً. وقد قال موسى بن صالح
(ص 122) / الكاهن المعروف عند الناس بموسى، وصالح المشهور بالكهانة، إن تلمسان
تحرث فكان كما قال وكان هذا الكاهن يسكن ببرايرة غمرة وأرضهم من المشتل
إلى الزّاب. قال ابن خلدون: «واختلف الناس في أمره فبعضهم يقول بكهانتة
وبعضهم يقول بولايتة ولا صحة لخبره هـ» وقول الحافظ أبي راس في عجائب
الأسفار: إن تلمسان حرثت سنة ستين من الثامن سبق قلم لأن أبا عنان كان ميتاً

(1) الموافق 23 أكتوبر 1352 م.

(2) الموافق 1351 - 1352 م.

(3) الموافق 1353 - 1354 م.

في الستين وكانت تلمسان معمورة وهي حرثت في حياته وقت تخريبه لها. وكان أبو عنان عالماً كبيراً يقرأ القرآن بالسبع⁽¹⁾. وقال الحافظ أبو راس في الشماريخ: أنه كان يقرأه (كذا) بالعشر، وأن أباه كان يقرأه (كذا) بالسبع وكان أديباً كثير الاعتناء بشعر ابن خميس التلمساني فهو علم الأعلام، ومستخدم السيف والأقلام، وله بطش وبغض شديد في الأمور حتى أنه حبس الإمام ابن مرزوق الخطيب لاتهامه في تقصيره خطبة حفصة بنت سلطان تونس حتى قدم عليه شيوخ إفريقية بالخراج فقالوا له سمعنا في بلادنا أنك حبست عالماً كبيراً فأمر بإطلاقه وقيل أطلق بعد موته وهو أول من اعتنا (كذا) بتعظيم المولد النبوي في البلاد الغربية فاقتدا (كذا) به أبو حاتم موسى بن يوسف الزياني أحد الأعيان وبنوا حفص بتونس لا سيما أبو فارس عبد العزيز الحفصي وتوفي يوم الأربعاء رابع عشرين ذي الحجة الحرام سنة تسع وخمسين من الثامن⁽²⁾ وقد عاهد (كذا) بالملك لابنه أبي زيان فأبى أهل المجلس ذلك وعقدوا البيعة لأخيه السعيد ابن أبي عنان وكان صغيراً ابن خمس سنين وجزموا على الفتك بأبي زيان فأجبروه على البيعة لأخيه فبايع له وتلفت مهجته. واستقل بالأمر الحسن بن عمر كافل الخليفة السعيد بن أبي عنان فصارت الخلافة للسعيد وبقي تسعة أشهر ثم خلعه منها عمه أبو سالم إبراهيم بن أبي الحسن المريني في منتصف شعبان سنة ستين من الثامن⁽³⁾.

عودة وهران للدولة الخامسة الزيانية

ثم رجع ملك وهران للدولة الخامسة الزيانية فملكها أبو حاتم موسى ابن يوسف الزياني وذلك أنه لما خلص من واقعة أبي عنان وذهب لتونس / فاستقر (ص 123) بها عند الملك الحفصي أبي إسحاق إبراهيم بن أبي يحيى زكرياء في نعمة شاملة إلى أن جاءه من المغرب سفير بن عامر الهلالي رئيس بني عامر بقبيله

(1) يقصد أنه كان يقرأ القرآن بالروايات السبع المشهورة والعشر كذلك.

(2) الموافق 27 نوفمبر 1358 م.

(3) الموافق 12 جويلية 1359 م.

ومعه مغراوة فجاؤوا مغربين به لجبل عياض ومنه للزاب وريغة ووارقلا وجبل مزاب وواد زرقون وغزوا أولاد عريف ساروا إليهم عشرة أيام بلياليها (كذا) فصباحوهم بواد ملال فاستباحوا مالهم وقتلوا كثيراً من رجالهم من جملتهم عثمان ابن وزمار بن عريف السويدي فهذه الواقعة هي باكورة السعد. ثم جاءهم البشير بموت أبي عنان فاستبشروا بنيل المراد. ثم بايعوه في خامس محرم سنة ستين من الثامن⁽¹⁾ وجاؤوا مغربين إلى أن وصلوا إلى مكرّة فسمع أهل وطن تلمسان فأتوه من كل حذب ينسلون (كذا) ثم زادوا لتلمسان وبها محمد بن أبي عنان فتزلها وحاصرها ثم دخل أقادير بعد حروب فسأل منه بنوا مريين الأمان فأمنوا وأسلموا البلد. وبايعوا أبا حاتم فدخلها بعد صلاة ظهر يوم الخميس غرة ربيع الأول تلك السنة⁽²⁾ ولما جلس على كرسي المملكة أنشأ يقول قصيدته الميمية التي من الطويل الذاكر فيها أحواله من حين مجيئه من تونس إلى حال دخوله تلمسان مطلعها:

جرت أدمعي بين الرسوم الطواسم لما شطحتها من هبوب الرّواكم
وقفت بها مستفهماً لخطابها وأي خطاب للصعاب الصلادم

وانظر تمامها في الدر والعقيان، أو بغية الرواد، أو زهر البستان، أو دليل الحيران، أو لباب اللباب، وكان أهم ما بدأ به الإحسان إلى أنصار الدولة ثم لوفود التهئة ثم التفت إلى قبيله فاستركب منهم في يوم واحد ألفي فارس وضبط ملكه وأسس واجتمع بأبيه أبي يعقوب وابنه أبي تاشفين في عام الستين من الثامن فجهز لأبيه جيشاً دؤخ به المشرق وأخذ يحيى البطوي بوانسريس أخذاً وبيلاً وفتح المدية ومليانة عنوة وأسر ما فيها من شيعة بني مريين واصطلم مع أبي سالم المريني لما أفضت الخلافة إليه في عام الستين المار وجهز لابنه أبي تاشفين في (ص 124) عام إحدى وستين من الثامن / جيشاً⁽³⁾ لحرب أبي زيان بن أبي يحيى الراشدي ففرّ أبو زيان واستولى أبو تاشفين على المال والذراي، ولوزيره أبي محمد

(1) الموافق 7 ديسمبر 1358 م.

(2) الموافق 31 جانفي 1359 م.

(3) الموافق 1359 - 1360 م.

عبدالله بن مسلم جيشاً لحرب محمد بن عثمان فهزمه الوزير هزيمة بليغة وجاءته البشارتان بالهزيمتين وفيها بايعته أهل البطحاء، ومستغانيم ومزغران وجهز جيشاً بعثه مع وزيره موسى بن برغوث لفتح وهران فكانت الدائرة على وزيره وهر جيشه وكب به فرسه فأخذ أسيراً وبعث به للمغرب وحرك عليه فيها أبو سالم المريني بجنود كالجراد المنتشر فدخل تلمسان وخرج أبو حنم وتوجه للمغرب فدوَّخه وبعد أربعين يوماً فتح تلمسان من يد أبي سالم ودوَّخ بني وطاط كثيراً ومات في تلك الواقعة سقير بن عامر فحمله بجنائز الملوك ودفنه بالعباد وكان في موته راحة له لأنه خادعه غفلة وأراد غدره لميله لبني مرين فأراحه الله منه وتلك عادة بني عامر بكبيرهم وصغيرهم. ثم نهض للجهة الشرقية فدوَّخها وفي سنة اثنين وستين من الثامن⁽¹⁾ فتح وهران عنوة على يد أبي موسى عمران فارس الولادي وسلم له أبو سالم المريني الجزائر فاجتمعت له الجهة الشرقية وجاءه محمد بن موسى اليزناسي طريداً فأواه وأحسن إليه ولله درّ القائل:

تطاول دائي فاستفز منامي	وطال سهادي واستطال سقامي
وحرمت سبعا ليس للنفس بعدها	مقام بطيب وجدّ حزامي
منامي وعقلي والفؤادي وعبرتي	وقلبي ولبي والتذاذ طعمامي

واصطلح مع أبي سالم المريني أمير المغرب فردّ كلّ واحد الأسارى لصاحبه وذهب وزيره أبو محمد عبدالله بن مسلم للجهة الشرقية فمهدّها ومات والده أبو يعقوب بالجزائر في شعبان تلك السنة فحمله ودفنه بباب أيلان وبنا (كذا) عليه المدرسة اليعقوبية ونقله لجوار أخويه أبي سعيد وأبي ثابت ولما كملت المدرسة نقل الثلاثة لها وجعل أطعمة ورتب أوقافاً، وأتاه خالد بن عامر صحبة محمد بن عمر للاختلاس فبعث لهما ابنه أبا تاشفين وعمران بن موسى فهزمهما ببني ورنيد ورجع أبو تاشفين منصوراً، وفي أربع وستين⁽²⁾ من الثامن / جهز جيشاً كثيفاً لوزيره وأمره بطرد أبي زيان الراشدي أو الفتك به ويخالد (ص 125) ابن عامر القاتل لأخيه شعيب بن عامر غدرًا فقراً وأطردا عن الوطن. وفي خمس

(1) الموافق 1360 - 1361 م.

(2) الموافق 1362 - 1363 م.

وستين منه⁽¹⁾ جهز لوزيره جيشاً لإطراد المنافقين فأزعجهم إلى المسيلة ومات وولّى بموضعه أخاه عثمان بن مسلم فاجتمعت عليه الحشود فأرسل ابنه أبا تاشفين ثم لحقه في جيشه ولما حل بالبطحاء نزل العدو بغليزان ووقع الحرب بينهما يوماً كاملاً وأبو حاتم بمحلته ينظر ففر عنه الناس ولم يشعر إلى أن وجد نفسه منفرداً بخاصته فارتحل لحضرته وتكالب عليه العدو وزاد معه إلى سيق كأنه جراد منتشر واشتد القتال في الشية فقطع رأس بعض أعيانهم فرجعوا منهزمين وذهب لحضرته . ولقد انتكبت ثلاث نكبات : واحدة بناحية بجاية ، والأخرى بتسكالة ، وأخرى بوانسريس ، والأمر لله وحده . وفي سنة ست وستين منه⁽²⁾ اجتمعت عليه العرب لأمر لم يرده الله فذهبوا خائبين وأذعنوا بالطاعة ، وأتى سويد لبابه الكريم يتلمسون الرضى فأصفح (كذا) عنهم وعفا ، وحضرت ليلة الميلاد النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام فاحتفل لها كعادته وأنشد قصيدته الجيمية المسمة (كذا) بالمنفرجة المحتوية على أربعين بيتاً من بحر البسيط مطلعها بتمامها للفائدة فيها بالتوسل :

يا من يجيب دعا المضطر في الدّيع ولطف رحمته يأتي على قنط ومن إذا حلّ خطب واعتري توب إني دعوتك جنح الليل يا أملي يا كاشف الضر عن أيوب حين دعا أنت المنجي لنوح في سفينه يا من وقى يوسف الصديق كل أذى أجاب يعقوب لما أن بكأ وشكا وعاد بعد بصيرا حين هب له / نجا من النار إبراهيم حين رمي يا من تكفل موسى وهو منتبذ	ويكشف الكرب عند الضيق والهرج إذا القنوط دعا يا أزمة الفرج أبدا (كذا) من اللطف ما لم يحرفي المهج دعاء مبتهل بالعفو مبتهج قد مسني الضر فاكشف ضر كل شج ومخرج يونس من ضيقة اللجج لما رموه بجبّ ضيق حرج وجاءه منه لطف لم يخله يج نسيم نشر القميص الطيب الأرج فيها وعادت سلاماً دون ما وهج باليتم في جوف تابوت على لجج
---	---

(ص 126)

(1) الموافق 1363 - 1364 م .

(2) الموافق 1364 - 1365 م .

يا من أعاد للآم بعد ما يئست
يا من كفى المصطفى كيد الذي كفروا
يا من وقاه الردا في الغار إذ نسجت
وكل ما حاولوا مكرأ به انقلبوا
من قد أتى رحمة للعالمين وقد
من عطر الكون طيبا عند مولده
من أنزلت فيه آيات مطهرة
يبلي الجديدين أخلاقاً وجدناهما
في طيبها كل علم ظل مندرجاً
وكم له معجزات ما لها عدد
عمت شفاعته للخلق أجمعهم
محمد خير خلق الله قاطبة
يا حادي العيس عرج نحو أربعة
للله قوم إلى معناه قد وصلوا
ساروا فزاروا وفرط الذنب أقعدني
فالجسم منتحل والدمع منهمل
وقد تقلدت ما لا نستطيع له
يارب عبدك موسى قد دعاك عسى
فكن نصيري فقد أصبحت مكتئبا
قد ضقت ذرعاً بزلتي وكثرتها
فكم قطعت من الأيام في لعب
/ وفي البطالة لهواً قد مضى عمري
وكم عصيتك جهلاً ثم تسترني
مني الإساءة والإحسان منك بدا
كم جدت بالفضل والإحسان منك وكم
إني سألتك بالسر الذي ارتفعت
أصلح بفضلك ما قد كان من خلل

موسى وقربه في المرسلين نج
إذ جاءهم بكتاب غير ذي عوج
ببابه عنكبوت خير متسج
بالرعب ما بين مكبوت ومرتعج
أحيا القلوب بوحي واضح الحجج
وأشرق الأفق من نور له بهج
أنوارها كمصباح لاح منبلج
مع الجديدين في نور وفي بهج
وأي علم لديها غير مندرج
جلت عن الحصر من فرد ومزدوج
فبالوسيلة ترقى أرفع الدرج
نور الهدى وإمام الرسل ذي السرج
بالله عج بي على ذاك المحل عج
بالعزم إذ وصلوا الروحة بالدلج
وقد مزجت بدمعي دمي ممتزج
والقلب مشتعل من حره الوهج
من الخلافة أوهنت قوى حجج
تنيله نفحة من نصرك الأرج
فالقلب من نكد الأوزار في السيرج
فما اعتذاري إذ ذاك نبت بالحجج
وفي ضلال وكم ضيعت من حجج
آه لتضييعه في اللهو والمرج
وياب فضلك عني غير مرتجج
مني الذنوب وكل العفو منك زج
سترت بالفضل عن أفاعلي السمج
به السموات والأراضي لم تمج
واجبر بحلمك ما قد بان من عوج

واجعل لنا مخرجاً في أثره فرجاً فكم تعامل بعد الضيق بالفرج
وصل صلاة على المختار من مضر ملاحت الشهب في الأفق كالسرج

وتحرك لتدويخ المغرب بجميع عساكره شرقاً وغرباً فنزل جبل دبدؤجاس
خلال دياره ثم لثية تيزى، ثم فرط، ثم لثية بلزوز، وقرية تابريد، وغارت خيله
لتأزة ثم كرّ قافلاً لتاوريرت فهدم أسوارها وخربها وعاد لحضرته العالية فدخلها
سنة سبع وستين منه⁽¹⁾ وصرف إلى كور قطره جميع قواده فبعث إلى تجين راشد
ابن أبي يحيى، وإلى منداس ونزمار، وإلى وانسريس إبراهيم بن محمد، وإلى شلف
عطية بن موسى، وإلى المدية وادفل بن عبّ، وإلى تدلس ابن راشد، وإلى
وجدة موسى بن خالد. وحرك عليه في سنة إحدى وسبعين من الثامن⁽²⁾ أبو فارس
عبد العزيز أبي الحسن المريني بجيوش عظيمة فأفرج له عن تلمسان وقصد نحو
المشرق بعجنوده فدخل لتلمسان أبو بكر بن غازي وزير أبي فارس ثم دخلها
أبو فارس المريني في أثره في عاشوراء سنة اثنين وسبعين من الثامن⁽³⁾ ولما حل
بقصر الإمارة ألقى مكتوباً بحائظه هذه الأبيات من شعر أبي حمّ موسى بن يوسف
الزياني ونصّها:

ساكنها ليالي آمينا وأياماً تسر الناظرينا
/ بناها جدنا الملك المعلا وكنا نحن بعض الوارثينا (ص 128)
فلما أن جلانا الدهر منها تركناها لقوم آخرينا

فأمر عبد العزيز بتبديلها فقالوا في تغييرها:

سكنها ليالي خائفينا وأياماً تسوء الناظرينا
بناها جدنا شيخ المعاصي وكنا نحن شرّ الوارثينا
فلما أن جلانا السيف عنها تركناها لقوم غاليينا

ونظير هذا ما وقع للعلامة الشيخ أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي رضي
الله عنه فإنه لما رأى البيت التي (كذا) قلت في مدح مسيلمة الكذاب وهي:

(1) الموافق 1364-1366 م.

(2) الموافق 1369 - 1370 م.

(3) الموافق 4 أوت 1370 م.

علوت بالمجد يا ابن الأكرمين أبا وأنت غيث الوري لا زلت رحمانا
أبدلها بقوله :

سفلت بالكفر يا ابن الأذلين أبا وأنت شر الوري لا زلت شيطاننا

قال التنسي في نظم الدر والعقيان : وما قاله المولى أبو حنم وقيل فيه من
الشعر فكثير . وأما حروبه ووقائعها في العرب وزناته وسوق عمال بني مرين إليه
في السلاسل وحركته إلى بلادهم وتحركه عليهم وما كان بينه وبينهم من الوقائع ،
فأمر لا يحاط به . وقد تولى ذلك صاحب بغية الرواد وصاحب زهر البستان هـ .
وكان رحمه الله له اعتناء بالعلم وأهله في الغاية . وفي وقته كان شريف العلماء
وعالم الشرفاء أبو عبدالله محمد بن أحمد بن علي بن يحيى بن محمد بن القاسم
ابن حمو فكان له محباً ومعتزلاً ودرس التفسير بالمدرسة اليعقوبية وحضر الخليفة
أبو حنم للختم وأطعم الناس فكان موسماً عظيماً . وقول الحافظ أبي راس في
عجائب الأسفار أن أبا عبدالله الشريف وابني الإمام أبا زيد وأبا موسى وفدوا على
أبي حنم موسى بن يوسف فإنه صحيح بالنسبة لشريف العلماء ، وسبق قلم بالنسبة
لابني الإمام لأنهما كانا في وقت أبي حنم الأول في الوفود ، لا الثاني فكلامه فيه
تلفيف رحمه الله وصنف رضي الله عنه كتاباً أدبياً لولده خليفة عهده أبي تاشفين
سمّاه : نظم السلوك في سياسة الملوك ، أتى فيه بالعجب العجائب⁽¹⁾ وأودعه من
رائق نظمه ما يزري بأولي الألباب . ثم حصلت السعاية الخبيثة بينه وبين ولده
أبي تاشفين الخليفة من بعده فعمد أبو تاشفين لأبيه أبي حنم وخلعه من الملك
وأسكنه بعض حجر القصر ووكل به من لا يدعه يخرج ثم استلبه من الأموال
والذخائر وبعثه لقصبة وهران فاعتقله بها واعتقل سائر إخوته بتلمسان ثم / قتلهم (ص 129)
سنة ثمان وثمانين من الثامن⁽²⁾ وبعث لأبيه بوهران من يقتله فأغلق الباب في وجوههم
وصعد لجدران القصبة واستصرخ أهل البلد فأتوه من كل جهة وتدلّى لهم بعمامته
والرھط واقف بباب القصبة فسألوا الأمان وطلبوا النجاة واجتمع أهل البلد عليه

(1) حقق هذا الكتاب ونشره الأستاذ عبد الحميد حاجيات ضمن كتابه : أبو حنم موسى الثاني .

(2) الموافق 1386 - 1387 م .

وجدّوا له البيعة وارتحل من حينه لتلمسان فدخلها أوائل سنة تسع وثمانين منه⁽¹⁾ وأقام بملكه فسمع ابنه أبو تاشفين وهو بتيطرى فجاءه مغلفاً قبل تمام الأمر فدخل عليه وأحيط به ففرّ للصومعة واستعصم فسأل عنه فأخبر به فأخرجه منها وأدركه الندم وبكا (كذا) ثم عاد به للقصر وربطه مع حجرة أعوذ بالله من هذا العقوق فخلع أبوه نفسه وسلم له في الملك وسأل منه التوجه للمشرق في البحر بقصد الحج فجاء به لوهران وركبه من مرساها مع نصارى القطلان مكبلاً للإسكندرية فلما وصل بجاية سأل من رايس السفينة إخراجها لها فأخرجه ولما حلّ بها جدت له البيعة وجاء متوجهاً لتلمسان مستجيشاً كل من ببلدة الشرقية من عرب وزناتة ثم ذهب مع الصحراء إلى ناحية المغرب فنزل بوادي زا ثم جاء لتلمسان وفرّ أبو تاشفين أمامه لفاس خائفاً عاديته لأمر وقعت منه في إخوته فاستجاش بني مرين فبعث معه السلطان أبو العباس أحمد المريني زيان بن محمد الوطاسي بجيوش عظيمة وجاءوا لتلمسان فلقبهم أبو حَمّ بجيشه بجبل بني ورنيد فاقتلوا شديداً وكتب به فرسه فاستشهد رحمه الله بموضع يقال له الغيران من بني ورنيد غرة ذي الحجة الحرام سنة إحدى وتسعين وسبعمائة⁽²⁾ عن ثمان وستين سنة بعد ما ملك إحدى وثلاثين سنة. وهذا العجب الكبير في ملوك بني زيان كل خليفة اسمه أبي (كذا) حَمّ يقتله ولده اسمه أبي (كذا) تاشفين على الرئاسة. ثم ابنه أبو تاشفين عبد الرحمن بن أبي حَمّ موسى بن يوسف الزياني أحد الأعياص فهو تاسع الزيانيين وثالث عشر القاسميين. فاستقرّ في الملك ودوخ البربر والعربان وملك من ملوية إلى جبل الزبان. وكان عين الجود والكرم ومعدن النزاهة وعلو^(ص 130) الهمم، فهو ليث النزال، وغيث النوال، / فشمل الرعية عدله وأمانه، وعمهم فضله وامتنانه وتوفي على سرير ملك سابع عشر ربيع الثاني وقيل رمضان سنة خمس وتسعين من الثامن⁽³⁾.

(1) الموافق 1387 م.

(2) الموافق 21 نوفمبر 1389 م.

(3) الموافق 2 مارس 1393 م.

عودة وهران للدولة السادسة

ثم رجع ملك وهران للدولة السادسة المرينية فملكها أبو العباس أحمد ابن أبي سالم إبراهيم بن أبي الحسن المريني سلطان المغرب وذلك أنه لما سمع بموت السلطان أبي تاشفين الزياني خرج من فاس لتازة وبعث ابنه أبا فارس لتلمسان فاستولى عليها وأقام بها دعوة أبيه ثم زاد لوهران ومليانة وما وراءها من الجزائر ودلس إلى حدود بجاية فملكها تلك السنة وانقرضت دولة بني عبد الواد من المغرب الأوسط أمداً والله غالب على أمره. ولا زال السلطان أبو العباس بتازة إلى أن اعتراه مرض كان فيه حتفه فتوفي في المحرم سنة ست وتسعين من الثامن⁽¹⁾.

ثم استدعى المرينيون ابنه أبا فارس من تلمسان فلما جاءهم بايعوه بتازة ورجعوا به إلى فاس فاستقل بالملك وتمهد له المغرب ومنه ذهب ما تعلق بحفظي من ملوك المرينيين إلى أبي سعيد ثم منه إلى محمد بن أبي ظريف بن أبي عنان ثم منه إلى آخر ملوكهم عبد الحق بن أبي سعيد الذي خلعه السيد محمد بن علي بن عمران الإدريسي الجوطي وتولى مكانه سنة خمس وسبعين من التاسع⁽²⁾ فلذلك لم أذكرهم ولكون وهران خرجت عن ملكهم بالكلية بل لم يملكها إلا من تقدم ذكره منهم.

عودة وهران للدولة الخامسة

ثم رجع ملك وهران للدولة الخامسة الزيانية فملكها أبو زيان محمد ابن أبي حمّ موسى بن يوسف الزياني وبه انقطع ملك بني مرين بالمغرب الأوسط فلم يملكه أحد منهم. وذلك أن أبا تاشفين بن أبي حمّ موسى بن يوسف الزياني لما توفي على سرير الملك كما مرّ، تولى بموضعه ابنه أبو ثابت فبقي في الملك أربعين يوماً ودخل عليه عمّه أبو الحجاج فاغتاله. ثم تولى عمه أبو الحجاج

(1) الموافق 1393 - 1394 م.

(2) الموافق 1470 - 1471 م.

المذكور يوسف بن أبي حم موسى بن يوسف الزياتي منسلخ جمادى الأولى سنة خمس وتسعين من الثامن⁽¹⁾ فجند الجنود وعقد الألوية والبنود. فلم تسامحه (ص 131) / الأيام في ملكه بامتداد الأوان بل أوغرت عليه صدور بني مرين فقوّقوا له سهم أخيه أبي زيان، فخلعه لعشرة أشهر مضت من أيامه، وتركته مخلصاً مع أحلامه، وذهب لبني عامر واستقرّ في أمان فوجه له من جرّعه كأس الحمام وكما تدين تدان.

ثم تولى أبو زيان المار غرة ربيع الثاني سنة ست وتسعين من الثامن⁽²⁾ وتولّع بالعلم فلم تخل حضرته من مناظرة، ولا عموت إلا بمذاكرة ومحاضرة، فلاحت للعلم في أيامه شمس، وارتاحت للاستغراق فيه نفوس بعد نفوس، وصنّف كتاباً نحا فيه منحا التصوف سماء: كتاب الإشارة في حكم العقل بين النفسين المطمئنة والأمارّة، ونسخ بيده نسخاً من القرآن ونسخاً من الشفا لأبي الفضل القاضي عياض ونسخة من صحيح البخاري وحبسها كلّها بخزانته التي بمقدّم الجامع الأعظم بتلمسان وأتته هدية من ملك مصر أبي سعيد برقوق فوجه له هدية جليّة ومعها قصيدة لامية من نظمه عدد أبياتها خمس وستون بيتاً مطلعها:

لمن الركاب سيرهنّ خميل فالصبر إليّ بعدهنّ جميل

وانظر تمامها في نظم الدرر والعقيان للتنسي، ولم يزل في دار ملكه مطاعاً مديد الاطناب، مهاباً مرهوب الجناح، إلى سنة واحد من التاسع⁽³⁾ تحرك عليه لتلافته، أخوه أبو محمد عبدالله مستجيشاً ببني مرين وكثيراً من أهل الوطن ففرّ منه وانخلع من خلافته، وتوجه للمشرق يلتمس معيناً أو منجداً ويطلب ناصراً ومؤيداً، والدهر يمنيّه بالأمال المكذوب ويعدّه مواعد عرقوب. وهو في العرب والبرابر يتقلب من فئة لفئة، ودام إلى سنة خمس وثمانمائة⁽⁴⁾ سنة، فاغتاله محمد

(1) الموافق 13 أبريل 1393 م.

(2) الموافق 3 فيفري 1394 م.

(3) الموافق 1398 - 1399 م.

(4) الموافق 1402 - 1403 م.

ابن مسعود الوعزاني بعد أن أظهر له الخدمة، وقتله في بيته منتهاكاً منه أعظم الحرمه فعاجله الله بانتهاكها بأعظم النعمة والشدة، وكانت مدته خمس سنين بالعدة.

ثم أخوه أبو محمد عبدالله بن أبي حمّ موسى بن يوسف الزياني فخافه أرباب دولته، وشرفت به بنوا مريّن بعد أن كانوا من شيعته، فدبّر/الجميع في (ص 132) خلعه أمراً أبرموه بالليل فلم يشعر إلى أن دهمته في مملكته من مريّن الرجال والخيّل فأسلمته أحبابه الذين ركن إليهم، وكان يعول في المهمات عليهم فاعتقل وأخرج في هيئة توجب النحيس والغولة (كذا) وعوض مكانه محمد بن خولة، وحمل من حينه للمغرب وحيداً، مستوحشاً فقيداً. ثم أبو عبدالله محمد بن خولة ابن أبي حمّ بن يوسف البارع سنة أربعة من التاسع⁽¹⁾ فكانت أيامه خير أيام، ودولته خير دولة وعزّ وإحكام فهو عقدهم الثمين ومغناهم التام المكين. ولما توفي في ثالث عشر من التاس⁽²⁾ بإثبات كتب على قبره هذه الثلاثة الأبيات (كذا):

يا زائرين لقبري فيقوا يسكن في القبر زائراً ومزورا
تركنا ما قد كسبنا تراثا وسكنا بعد القصور قبورا
يا إله الخلق فالطف بعبد عاد بعد الغنا إليك فقيرا

ثم ابنه أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن أبي حمّ موسى وهو ممّن لم تمد له الأزمان. ولا كان له عليها معوان، ولا ساعده على ما تقلّده إخوان، فانقض عليه عمه السعيد ليث العرين المفلت من أشراك بني مريّن، وهجم عليه في قصر إمارته وخلعه لشهرين وأيام من ولايته، فصح فيه قول الشاعر من البسيط، المقتضى لكل معنى مركب وبسيط:

لا تطمئن إلى حظّ حظيت به ولا تنقل باغترار صحّ لي وثبت
فما الليالي وإن أعطت مقادتها لإعداء المرء مهما استمكن وثبت

ثم عمه السعيد بن أبي حمّ موسى بن يوسف الزياني فوجد حضرة الملك

(1) الموافق 1401 - 1402 م.

(2) الموافق 1410 - 1411 م.

مملوءة معممة، من بدرات نقود متممة و سلع مرزومة، وعتاق خيل مسومة، وجالت فيها يد الجود إلى أن صيرته للعدم بعد الوجود، وبقي في أثوابه رافلاً وعن عواقب أموره غافلاً إذا بأهل فاس من كل معاند وجهوا له غفلة أخاه عبد الواحد، بعد ما مكث خمسة أشهر ونصفاً فأسرع به أخوه تلفاً وخرج السعيد (ص 133) للقاءه. وكان ذلك سبباً لشقائه ولما استقر في بسيط / واحد أدلج ليلاً عبد الواحد بعد إبرامه الأمر مع الرؤساء والرعية فأدخلته البلد ليلاً جماعة الرحوة، وأقام لهم النذيرة على الأسوار مشاعيل النيران علامة لمن هو بالمحلة على الإقامة، ولما سمعوا أصحاب السعيد انصرفوا عنه وبقي كالوحيد ولم يتأمل في السابق قول الشاعر القائل بتحذيره لكل عارف ماهر:

إنّ الليالي لم تحسن إلى أحد إلاّ أساءت إليه بعد إحسان

ثم أخوه الهمام الماجد أبو مالك عبد الواحد بن أبي حمّ، موسى الشائع، سادس عشر رجب سنة أربعة عشر من القرن التاسع⁽¹⁾ فنفق في أيامه سوق الأدب، وجاء بنوه إليه ينسلون من كل حذب، فينقلبون بخير الحقائق ظافرين بجزيل الرغائب. ولما قصده من الأندلس محمد بن أبي طريق بن أبي عنان المريني قال له وقت التسليم والافتias أنا في حسب يغمراسن بن زيان حتى تعينني على فاس، فقال له وصلت وجهز له الجيوش وأعطاه الأموال وآلة الملك وأرسل معه العمال حتى استولى على فاس وملكه في قصته المشهورة، ودوخ مملكة المغرب الأقصى، فكانت من مناقبه الماثورة، واستمر عبد الواحد في الملك إلى سنة سبع وعشرين وثمانمائة⁽²⁾ فخلعه ابن أخيه محمد بن أبي تاشفين المعروف بابن الحمرا على يد أبي فارس الحفصي صاحب تونس فخرج من تلمسان متوجهاً للغرب. ثم ابن أخيه أبو عبدالله محمد بن أبي تاشفين بن أبي حمّ موسى بن يوسف فقابل الدهر أيامه بالإسعاد، حتى صارت كالمواسم والأعياد. ثم فسد ما بينه وبين أبي فارس فأبدل سعيدة بالناحس. وسببه أن

(1) الموافق 1411 - 1412 م.

(2) الموافق 1423 - 1424 م.

عبد الواحد لما توجه للمغرب حاول الحركة لتلمسان، فلم يتم له الأمر ولم يكن المعان، ووجه ابنه لتونس عند أبي فارس فأكرمه وكتب معه لأبيه بالقدوم فأرصده أبو عبدالله وأوتي به إليه فقتله ونظر مكاتب التونسي فهذا سبب الأمر مع ما تقدم بينهما من الكلام. ثم توجه عبد الواحد لتونس وواعده الحفصي بالانتصار وهو ذاهب للجريد فاستعمل ابن أبي حامد / وزير عبد الواحد مكاتب على السنة رؤساء (ص 134) الوطن يستلونه القدوم نحوهم وذهب بها لأبي فارس وقال له أن أهل بلدنا يحبوننا وإذا كانت رائحتك معنا ولو فارساً نلنا المراد وهذه مكاتبتهم فأراها له فقال له نحن متحركون وإذا وصلنا لقسنطينة بعثنا معكم قائدها جاء الخير فرجع الوزير لعبد الواحد وأخبره فقال له هلكتنا فقال له أن الحفصي قد أفسد في المرة الأولى أموالاً ولم يدرك شيئاً منها وإذا ذهب معنا صاحبه فإن ربح فذلك وإن خسر فيأتي لثأر ما ضاع له فبعث معهم العليج وأخذ أخذاً شنيعاً فتحرك أبو فارس مع عبد الواحد وحصر تلمسان شديداً فخرج أبو عبدالله لجهة الغرب ودخلها عبد الواحد ورجع التونسي لبلده وبقي أبو عبدالله في الجهة الغربية ثم توجه للشرقية فدخل برکش وتنس ثم توجه لتلمسان في جيش عظيم فدخلها وفر عبد الواحد صبيحة تلك الليلة فطلع عليه النهار ونزل على جواده ودخل شيشة بقرب باب كشوط بالمطمر فنظرت عجز من أكابر عبد الوادي فدخلت عليه وجردته من ثيابه وصاحت بعبد الواد فدخلوا عليه وذبحوه وجروه إلى حمام الطبول ورموه هنالك. ولما استقر أبو عبدالله بحضرة ملكه وجه عماله للنواحي فطار الخبر لأبي فارس فحرك له من فوره ولما قرب تلمسان خرج أبو عبدالله وذهب لبني يزناسن فأقام أبو فارس بعض قواده الأعلاج بتلمسان ولحقه لبني يزناسن وحاصره فزبن له بعض أصحابه الرجوع لأبي فارس فرجع وأظهر له أبو فارس السرور والبشرى والترحب (كذا) ثم قبض عليه وعلى أصحابه فكان آخر العهد بهم ثم رجع أبو فارس لتلمسان وأخذ مشرقاً فقبل له من يقوم بها فقال ما لها إلا أحمد العاقل فأخرج منها عامله وانصرف للشرق.

ثم الماجد الفاضل الحليم الكامل التحرير الباسل، أبو العباس أحمد العاقل بن أبي حم موسى بن يوسف الزياني فأظهر العدل في الرعية، وسار فيما تملكه بالسيرة المحمودة المرضية وبانت شهامته ونجدته، وقوته وشدته، ثم عجز

عن النهوض وكلّ، وتلاشا (كذا) ماله واضمحَلّ واستولى المتغلبون على (ص 135) الأوطان، وعثوا الثرى زنّاة والعربان، ودامت/ دولته على هذه الحالة اثنين وثلاثين سنة حتى استوفت أيامه المكتوبة بأتم سنة. فقام عليه أخوه أبو يحيى زكرياء ابن أبي حمّ موسى بن يوسف سنة ثمان وثلاثين من التاسع⁽¹⁾ فبايعه موسى ابن حمزة وسليمان بن موسى وعبدالله بن عثمان وتوجه لتلمسان فلم يتم له المراد، وانعطف بوهران، فاستولى عليها وكانت بينه وبين أخيه أحمد العاقل حروب استمرت بيده إلى سنة اثنين وخمسين من التاسع⁽²⁾ فاقتحمها عمّال أخيه أحمد ودخلوها فهرب أبو يحيى في البحر بما خفّ ونزل ببجاية ثم زاد لتونس إلى أن مات بها. وقام عليه أيضاً حفيد أخيه وهو أبو زيان محمد المستعين بن أبي ثابت بن أبي تاشفين بن أبي حمّ في أواخر إحدى وأربعين من التاسع⁽³⁾ من تونس وتوجه للمغرب وبايعه بوطن حمزة أولاد بالليل ثم مليكش ثم ابن عمر موسى أهل أيليلي، ثم الثعالية وبعض حصين، ثم زاد للجزائر فحاصرها إلى أن أقرّ بعضها وأذعن البعض فدخلها أولاً ابنه المتوكل سنة اثنين وأربعين منه⁽⁴⁾ ثم دخلها أبوه المستعين عشية ذلك اليوم وذهب ابنه المتوكل فمهد متيجة وفتح المدية ومليانة وتنس وخطب له بجميعها استقلالاً وقصدته الناس حتى من تلمسان وعظم أمره على أحمد العاقل حتى نسي أمر أخيه أبي يحيى ثم ثقلت وطأته على أهل الجزائر والعرب فقاموا عليه في ثلاث وأربعين منه⁽⁵⁾ وحاربوه فاستشهد مع جماعة من أصحابه ونجا ابنه المتوكل لكونه بتنس لأمر أراده الله. وقام عليه أيضاً ابن أخيه أحمد بن الناصر بن أبي حمّ موسى سنة خمسين من التاسع⁽⁶⁾ مع جماعة فلم ينجح له الأمر وأوتي به لأحمد العاقل فقتله وكان ذلك سبب بناء السور العظيم المدير على القصر الزائد لتلمسان حسناً. وحرك عليه

(1) الموافق 1434 - 1435 م .

(2) الموافق 1448 - 1449 م .

(3) الموافق 1438 م .

(4) الموافق 1438 - 1439 م .

(5) الموافق 1439 - 1440 م .

(6) الموافق 1446 - 1447 م .

أبو فارس الحفصي من تونس بالبحر الزاخر من الجيوش ومات قبل أن يصله
بوانسريس كما مر.

ثم نهض أبو عبد الله محمد المتوكل على الله بن محمد المستعين بن
أبي ثابت بن أبي تاشفين بن أبي حمّ موسى بن يوسف الزياني سنة ست وستين
من التاسع⁽¹⁾ من مليانة ثائراً عليه وتوجه للمغرب والنصر يلوح أمامه فاستولى
/ على بني راشد ثم هواره ثم مستغانيم ومزغران ثم فتح وهران ثم زاد لتلمسان (ص 136)
فأقام عليها يومين ودخلها في الثالث وهرب أحمد العاقل لسيدي أبي مدين فأوتي
له به فمّن عليه وصرفه للأندلس واستقلّ بالملك. ثم حرك عليه أحمد العاقل لما
رجع لهذه العدوّة في جمع من الناس وحاصره بتلمسان فانتهصر عليه المتوكل
وعاجله بأمنيته سنة سبع وستين من التاسع⁽²⁾ ودفعه بالعبّاد ونجا صاحبه محمد
ابن غالية بن عبد الرحمن بن أبي عثمان بن أبي تاشفين فبقي في الغوغاء عليه
محاصراً للبلد إلى أن قام عليه أهل البلد فقتلوا البعض من جمعه وفرّ الباقي
وذهب محمد بن غالية لوجدة واستقرّ بها لقصد الضرر وصار يأتي مرة بعد أخرى
للمضواحي إلى أن جاء به حتفه مرة مع الأوباش بجبل بني ورنيد فسمع به المتوكل
وبعث له جنداً وحصل مصاف القتال بالجبل المذكور ووقع القتال الذريع فتفرق
الجمع وأوقع الجند فيهم فكان ابن غالية من جملة الصرعى فقتل سنة ثمان وستين
من التاسع⁽³⁾ وجيء برأسه للمتوكل فوضعه في طست أصفر ودعا بمن يعرفه
فميزوه وعرفوا عينه ثم جيء من الغد بجسده فدفن مع العاقل بالعبّاد. ونظم
الحافظ التنسي في هذه القضية ومدح المتوكل وأولاده قصيدة طائية مشتملة على
مائة بيت وأربعة أبيات عدد الكتب المنزلة انتخبها من بحر الطويل مطلعها:

أرقت لدمع من جفوني ينحطّ كثر نفيس الدّر أن خانه السّمط
وانظر تمامها في الدر والعقيان للتنسي. وتوفي يوم الأحد ثالث عشر

(1) الموافق 1461 - 1462 م.

(2) الموافق 1462 - 1463 م.

(3) الموافق 1463 - 1464 م.

ربيع الثاني سنة إحدى عشر من العاشر⁽¹⁾ بعد ما ملك خمساً وأربعين سنة واثنين وعشرين يوماً.

ثم أخوه أبو حاتم ويقال له أبو قلموس⁽²⁾ عبد الله بن محمد فقام عليه (ص 137) الإسبانيون وأخذوا من يده وهران ثم الأتراك وأخذوا من يده الجزائر/ وغيرها فهو ممن لم يهن له في الملك قرار، ولا استقرت في المملكة عمارة ولا دار، آخر ملوك بني زيان الذين يشار إليهم بالملك جسماً، ولمن تغلب عليهم رسماً، وعجز عجزاً كلياً عن الدفاع، وصار غير نافذ الكلمة ولا مطاع.

(1) الموافق 11 سبتمبر 1505 م.

(2) الحقيقة أنه يلقب بأبي قلمون بالنون في الأخير، وليس بالسين، وذلك في مختلف المصادر. ولعله سبق قلم من المؤلف.

الدولة السابعة : الإِسبَان

ثم ملك وهران الدولة السابعة، وهم الإِسبانيون ويقال لهم السبنيول سموا بذلك نسبة لمدينة إسبانيا بقطع الهمزة المكسورة وسكون السين المهملة وفتح الباء الموحدة من أسفل بعدها ألف ساكن ثم نون موحدة من أعلا مكسورة ثم ياء مثناة من تحت بعدها ألف مقصورة. وخالف أبو الفداء في ضبط غير الهمزة والسين المهملة فقال وإسبانيا بقطع الهمزة المكسورة من تحت وسكون السين المهملة وكسر الباء الموحدة من أسفل وبعدها ياء مثناة من تحت ساكنة وكسر النون الموحدة من فوق وفتح الياء المثناة من تحت وفي آخرها ألف مقصورة وهي قاعدتهم القديمة ودار ملكهم القويمة، وقد تلاشت وبقي الاسم لها كما في عجائب الأسفار لأبي راس الحافظ، وبهجة الناظر للشيخ المشرفي شيخ الحافظ أبي راس. وأما الآن فقاعدة ملكهم مدينة مادريد باللام وهي مدينة الطاغية ويقال لها مادريد بالذال. وكان يقال لها سابقاً ما تريج بالياء والجيم وهي حذاء طليطلة. ومسكنهم كما في كتب الحافظ أبي راس وكتاب شيخه الشيخ المشرفي، بأرض الأندلس من قطلان وبرشلونة من جهة الشرق إلى إسبونة في جهة الغرب، ويجاورونهم (كذا) الدبرقيز وهم البرتغيز ببعض الغرب، والفرانسييس من جهة الشرق، وجبل الطار داخل في تخومهم إلا أنه بيد الإنكليز. وقال صاحب الجغرافيا جاءت إسبانيا بين إفرانسا والبحر الأوسط والبرتقال والأوقيانوسيا⁽¹⁾ فتحدها إفرانسا في شمالها الشرقي ويحدها البحر الأوسط في شرقها وجنوبها ويحدها البرتقال في غربها ويحدها الأوقيانوسيا⁽¹⁾ في

(1) يقصد بالأوقيانوسيا هنا المحيط الأطلسي.

(ص 138) غربي شمالها وجنوبها، فهي جزيرة/ غير كاملة لكونها لا تتصل بالبر إلا بجبل البريني الفاصل بينها وبين إفرانسا فهي في أقصا جنوب أوروبا الغربي وليس بينها وبين عدوة الغرب إلا بوغاز جبل طارق القليل العرض. ومساحتها خمسمائة ألف كيل متر وهي خمسمائة ألف ميل يزيد أو ينقص شيئاً لأن الكيل متر عند النصارى يشابه الميل عندنا تقريباً. وملكهم منذ مدة مديدة وهو يلقب بالملك الكاثوليكي ومعناه المتبع للبطرك وهو الباب⁽¹⁾ وابتداء ملكهم في القرن الخامس من الميلاد المسيحي على صاحبه وعلى نبينا وكافة الأنبياء الصلاة والسلام وكانوا على عدة ملوك.

واختلف في أول من ملك أرض الاسبانيين وهي الأندلس للآن على أربعة أقوال. فقال بعض مؤرخي النصارى أن أول من ملك أرض الإسبانيين هم الإبريون نسبة إلى جدهم الأبر مجهول الأصل، ثم الفنيسيان، قيل أنهم الفرس وملوكها مدة ثم اليونانيون نسبة لجدهم يونان بن يافث، ثم القرطاجيون، وبنا بها مدينة يقال لها قرطاجنة، ثم الرومان ومنهم الروم، ثم الفندال وهم أمة من الجهة الجوفية من بر الأفرنج خرجوا من بلدهم الكائنة بقرب بحر البلطيك ومروا ببلد الجرمانية وهي بلد النامسة⁽²⁾ وبلد الغول وهي إفرانسا وتوجهوا في أوائل القرن الخامس المسيحي إلى اسبانيا وهي بلد الأندلس فاستقروا بها وتدينوا بدين المسيح عيسى بن مريم عليه السلام. غير أنهم كانوا يعدون من الروافض المتبعين لشيخ يقال له أريوس، ثم الإفرنج، ثم القبريقوا⁽³⁾، ثم العرب في آخر القرن الأول من الهجرة، ثم الإسبانيون استقلالاً للآن بعد أن حاربوا المسلمين عليها نحو الثمانمائة سنة. وقال آخر منهم أن المملكة الإسبانية كانت تحت حكم الرومان، فيما مضى من قديم الزمان، وفي آخر القرن الأول من الهجرة فتحها الإسلام وبقيت ملوك النصارى مع الإسلام في حروب متتابعة مدة ثمانمائة سنة إلى أن غلبت النصارى المسلمين عليها سنة سبع وتسعين وسبعمائة من

(1) يقصد الباب في روما.

(2) يقصد بلاد النمسا.

(3) يقصد القريقواريون نسبة إلى قريقوار.

الهجرة⁽¹⁾ فبقيت في ملك / الإسبانيين للآن . . وكانت إسبانيا في السابق من دول (ص 139)
أوروبا الكبار لكونها كانت لها أملاك كبيرة في أمريكا الجنوبية وقد تملكوا عليها
سنة سبع وتسعين وسبعمائة من الهجرة⁽²⁾ بسبب ظهور ذي معرفة منهم من
العلماء البحريين المنجمين يقال له كريستوف كولومب (كولومب) فكشف على
أمريكا التي لا معرفة لهم بها قبله فتملكوا على أعظم جزء منها وعلى عدة أجزاء
بجوانبها واستمرت بأيديهم إلى أن نزلت منهم سنة سبعة عشر ومائتين وألف⁽³⁾
من الهجرة لاجتماع أهلها على الحكومة الجمهورية التي هم عليها للآن وخرجوا
عن حكمهم فلم يبق لهم بأمريكا إلا جزيرة كوبا⁽⁴⁾ ولذا لا تعدّ مملكة إسبانيا من
كبار دول أوروبا الآن لانحطاطها عن مقامها الأول هـ .

وقال ابن خلدون أول من سكن الأندلس بعد الطوفان الأوربيون نسبة
لجدهم أوروب من ولد طوبال بن يافت ودخلوا في طاعة الروم . ثم ملكها القوط
نسبة لجدهم قوط من ولد ماغوغ بن يافت ثم لحق بهم القلنش من الروم
الإغريقين وباسم القلنش سميت الأندلس لما عربت . وقال ابن سعيد المغربي
والحافظ أبو راس في الشماريخ أول من عمّر الأندلس أندس بن يافت بن نوح
وأخوه سبت بن يافت بن نوح بالعدوة المقابلة لها وإليه تنسب مدينة سبتة فبقي
أولاد أندس به ملوكاً دهرأ . ثم ملكها إشبيلان بن طيطش الرومي وبه سميت
إشبيلية لما عربت . وطيطش هذا هو الذي فتك ببني إسرائيل وجلاهم الجلوة
العظيمة التي سلط الله عليهم بها الذلّ حتى انقطع ملكهم انقطاعاً كلياً للآن .
ونقل من آثار الهيكل المبارك بالقدس إلى طليطلة حتى وجد ذلك موسى بن نصير
بها فبعثه إلى الوليد بن عبد المالك الأموي بدمشق . ثم أنّ الأندلس تغلب
عليهم الاغريق وهم الاغريقيون من الروم فبقوا دهرأ ثم أخذها منهم القوط ملك

(1) هذا التاريخ خطأ لأن تاريخ المسلمين النهائي من الأندلس هو 897 هـ الموافق 1492 م .
ولعله سهو أو تصحيف من المؤلف . لأن الفرق هو قرن بكامله وكذلك الأمر بالنسبة
لاكتشاف أمريكا .

(2) الموافق 1396 - 1397 م وهو خطأ كذلك والصحيح 1492 وما بعده .

(3) فقدت إسبانيا كوبا عام 1898 وانتزعتها منها الولايات المتحدة الأمريكية .

منهم بطليطلة أحد قواعد الأندلس ستة وعشرون ملكاً. وآخرهم لذريق⁽¹⁾ الذي قتله طارق بن زياد غلام موسى بن نصير في خلافة الوليد بن عبد الملك سنة اثنين وتسعين من الهجرة⁽²⁾ وتزوج امرأته، ومن بقايا ذرية ملوكهم صارة بنت المنذر والدة اللغوي النحوي العلامة أبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف (ص 140) بابن القوطية/ بضم الواو المتوفى سنة سبع وستين وثلاثمائة⁽³⁾ بقرطبة وأصله من مرسية مدينة بالأندلس. قال الشبراملسي وقوط هذا هو أبو السودان والسند والهند. وقال شيخنا الزياتي في دليل الحيران ثم أن إسبانيا لما تملكها الرومان انقسمت مملكتها على خمسة أقسام. فقسم يقال له الأفاسط لملكهم عليه وقسم يقال له الألى، وقسم يقال له الأراق، والقسم القبلي يقال له النفار، وقسم يقال له القطلان، وجملة الأقسام الخمسة يقال لها إبيرى. ثم قال لها إسبانيا ثم قيل لها إسبانيا بترك الهاء، وكانت تسميتها بإسبانيا وقت اجتماعهم على ملك واحد وذلك سنة ثمان وثمانين وثمانمائة من الهجرة⁽⁴⁾ وقيل غير ذلك. وسكانها وقتئذ ستة عشر مليوناً ونصفاً، والمليون ألف ألف. وأرضهم جيدة للغراسة لا للفلاحة، وما يستنبت. ولذلك عظمت فاكهتها. ويوجد بها من الخيل المسومة والبغال المقومة، والحرر الفارهة ما يرتضى. كما يوجد بها معادن الحديد والنحاس والرصاص والزواق إلا أن الغالب على أهلها الفقر لقلة الصناعة عندهم كما غلب عليهم القساوة والفظاظة، وشدة البغض، والحقْد، والضل، والعداوة، وكثرة سفك الدماء والجهل. وتنقسم مملكتهم إلى ثلاثة عشر ولاية، منها ثمانية ساحلية بشاطيء البحر وهي: غليسيا وإستوريا وقسطيلية القديمة والأقاليم البسكية وكنتالونيا، وبلنسية ومرسية وأندلسية مع غرناطة القديمة ومنها خمسة داخلية وهي: أرغون ونافرا وليوني واسترمارودة وقسطيلية الجديدة.

وأشهر مدنها مادريد التي هي الآن قاعدة ملكهم وقد استولى عليها

(1) اسمه الحقيقي باللاتينية رودريك: REDRIC.

(2) الموافق 710 - 1711 م.

(3) الموافق 977 - 978 م.

(4) الموافق 1483 - 1484 م.

الفرانسييس سنة ست وعشرين من القرن الثالث عشر⁽¹⁾ ثم برشلونة وهي ذات مرسى كبيرة على البحر الأوسط من أكبر مراسي إسبانيا وأخص مراسي البحر الأوسط. ثم بلنسية ثم إشبيلية ثم مالقة ثم سرقسطة ثم قادس ويقال لها فالس باللام بدل الدال وهي على البحر المحيط المغربي ولها مرسى عظيمة حصينة. وقد استولى عليها الفرانسييس سنة أربعين⁽²⁾ من القرن الثاني عشر/ ثم غرناطة، (ص 141) وكانت قاعدة أحد ملوك الإسلام، ثم السهلة، وشاطبة، وشريش، وطليلة، وروندة، وطرطوشة، وقرطبة، وطريف، وميورقة، ومنورقة، ويابسة⁽³⁾، وبطليوس، وقطلان، وصقلية، وهي سلسلة وغيرهم. وبها جبال كثيرة أكبرها جبل بريني ثم سيارنقادا، ثم سياربونيل، ثم سياركوادلوب، ثم جبال الأستورية، ثم جبال طليطة.

وبها أودية كثيرة أكبرها نهر إبرة، ثم دوروا، ثم ناغوا، ثم مينوا، ثم الواد الكبير، ثم كراديانا.

أنهار الشمال الإفريقي والعالم

وأما هذه العدو وغيرها⁽⁴⁾ فقال الحافظ أبو راس في الشماريخ، ونهر المغرب الأقصى وادي الربيع ويمتدح عبوره أيام الأمطار فتظنه داخلًا في البحر المغربي نحو السبعين ميلاً عند أزموور ومنبعه من جبال درن. وينبع منها نهر آخر ببلاد درعة إلى أن يغوص في الرمال قبله سوس الأقصى. ونهر ملوية منبعه من جبال قبله تازة ويصب في البحر الرومي عند غساسة. ونهر المغرب الأوسط شلف وهو لبني واتيل ويقال لهم بنوا واطيل منبعه من جبال راشد وهو جبل العمور ويدخل إلى التل من بلاد حصين ثم يمر إلى أن يصب في البحر الرومي

(1) الموافق 1811 - 1812 م.

(2) الموافق 1727 - 1728 م.

(3) اعتبر كلا من صقلية، وميوقة، ومينورقة، ويابسة، مدنا وهي جزر.

(4) من هنا إلى نهاية صفحة 143 استطراد خارج عن موضوع إسبانيا وفه كثير من المبالغات البعيدة عن الحقيقة.

ما بين كلميتوا وجبل عياشة أحد بطون مغراوة. ونهر المغرب الأدنى مجردة يصب في البحر الرومي عند بنزرت على مرحلة من تونس. ثم قال صاحب بهجة الناظرين وآية المستدلين، أن عدد أنهار الدنيا الكبار مائتان وسبعون نهراً. وعدد العيون الكبار مائتان وثلاثون عيناً وهي في الأرض كالعرق في البدن. وقال صاحب الخريدة أن بهذا الربع المسكون مائتي نهر كل نهر منها طوله خمسون فرسخاً إلى ألف فرسخ. فمنها ما يجري من المشرق إلى المغرب وعكسه ومنها ما يجري من الشمال إلى الجنوب وعكسه وكلها تنبع من الجبال وتصب في البحر. فمن الأنهار العظيمة بالمشرق النيل، والفرات، والدجلة، وسيحون، وجيحون، وأن النيل المبارك ليس في الدنيا أطول منه لأنه مسيرة شهرين في الإسلام، وشهرين في الكفر، وشهرين في البرية، وأربعة أشهر في الخراب، (ص 142) / ومخرجه من جبل القمر خط الاستواء. وسمي بذلك لأن القمر لا يطلع على ذلك الجبل أصلاً لخروجه عن الخط، وميله عن نوره وضوئه، فيخرج من بحر الظلمات من تحت جبل القمر وأنه ينبع من اثنتا عشرة عيناً، وقيل مبدؤه من خلف خط الاستواء بإحدى عشر درجة. وذهب بعضهم إلى أن مجراه من جبال الثلج وهي بجبل قاف. وأنه يخترق البحر الأخضر بقدرة الله تعالى ويمر على معادن الذهب والياقوت فيسير ما شاء الله إلى أن يأتي لبحيرة الزنج. قال حاكمه ولولا دخوله في البحر المالح واختلاطه به لما كان يستطيع أن يشرب منه لشدة حلاوته وأن الله تعالى سخر للنيل كل نهر على وجه الأرض في المشرق والمغرب وذلك له فإذا أراد الله تعالى أن يجري نيل مصر أمر كل نهر أن يمدد فإذا انتهى جريه إلى ما قدره الله تعالى أمر كل نهر أن يجري إلى عنصره. ومصدق هذا أنك ترى النيل مخالفاً لكل نهر على وجه الأرض لأنه يزيد إذا نقص وينقص إذا زادت لأنها تمدّه بما بها والله أعلم. قال صاحب الخريدة وقد حملت الشياطين مقرس الأول وهو عبقام إلى هذا الجبل فرأى النيل كيف يخرج من البحر الأسود ومن تحت جبل القصر فبنا (كذا) في صفح (كذا) ذلك الجبل قصراً فيه خمس وثمانون تمثالاً من نحاس جعلها جامعة لما يخرج من هذا الماء من هذا الجبل بقدر مصاب في أحكام مديدة يجري الماء منه إلى تلك التماثيل فيخرج من حلوقها على قياس معلوم وأذرع قدرها ثمانية عشر ذراعاً في كل ذراع

اثنان وثلاثون أصبعاً والزائد يفيض إلى الرمال ثم يصب إلى أنهار فيصل لبطحتين ويخرج منهما للبطحة المجمعمة فيشق جبالها المعترضة ويخرج نحو الشمال مغرباً فيخرج منه نهر واحد ويفترق في أرض النوبة فتصب منه فرقة إلى أقصى المغرب والأخرى إلى مصر منحدرًا منها إلى أسوان ثم ينقسم في صحاري البلاد على أربعة فرق كل فرقة إلى ناحية ثم يصب في بحر الإسكندرية. وأن رجلاً من ولد العيص بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام يسمى حايد لما دخل مصر ورأى عجائبها، إلا (كذا) على نفسه أن لا يفارق النيل إلى متنهاه أو يموت فسار ثلاثين / سنة في العمران ومثلها في الخراب حتى انتهى إلى بحر أخضر فرأى النيل يشقه (ص 143) فركب به دابة سخرها الله له وعدت زماناً فوق في أرض حديد جبالها وأشجارها حديداً ثم أخرى نحاساً جبالها وأشجارها كذلك، ثم على ثلاثة فضة جبالها وأشجارها فضة، ثم رابعة ذهباً جبالها وأشجارها كذلك، ثم انتهى إلى سور متسع من ذهب وفيه قبة عالية من ذهب لها أربعة أبواب: ثلاثة تفيض في الأرض وهي سيحون، وحيحون، والفرات، والرابع يجري على الأرض وهو النيل وأنه أتاه ملك حسن الهيئة فسلم عليه وقال له هذه الجنة سيأتيك رزقك منها فلا تؤثر عليه شيئاً من الدنيا فينما هو في ذلك إذ أتاه عنقود عنب له ثلاثة ألوان أحدها كاللؤلؤ، والثاني كالزبرجد الأخضر، والثالث كالياقوت الأحمر، فقال له الملك يا حايد هذا من حصرم الجنة فأخذه ورجع فوجد شيخاً تحت شجرة تفاح فعحدثه وأنسه وقال له يا حايد خذ هذا التفاح وكله فقال إن معي طعاماً أغنائي عن تفاحك فقال صدقت إني أعلم به ويمن أذاك به وهو أخي وهذا من الجنة أيضاً ولم يزل به الشيخ إلى أن أكل منه وحين عض على التفاحة رأى الملك بعض على أصبعه ويقول له أتعرف هذا هو الذي أخرج أباك من الجنة ولو قنعت بالعنقود لأكل منه أهل الدنيا ولم ينفذ وهو الآن مجهودك إلى مكانك فبكى حايد وندم وسار حتى دخل مصر وصار يحدث بما رأى في سفره من العجائب. هـ.

جبال العالم

وجملة جبال الأرض سبعمائة وتسعون جبلاً وكلها طويلة عظيمة وارتفع عليها جبل بالشام باثنا عشر ميلاً. وإلى عدد هذه الجبال وارتفاعها وارتفاع جبل

الشام عليها أشار الشيخ: أبو زكرياء يحيى بن سعيد السوسي، ثم السملالي،
في رجزه: خبر الزمان بقوله:

وعن مقاتل فلما دُورَت الأرض بالجبال حيث ثبَّتت
كانت على الماء تميد دائرة إلى اليمين والشمال سائره
فسلَّط الريح على الماء يضربه حتى أعاد زبده ولعبه
فأمر عزَّ وجلَّ رجعت جميع موجه جبالاً جمدت
/ عدتها خاء كذا يقال قاف وظاء بعدها مشال
(ص 144)

إلى أن قال:

جبال الأرض كلها طول عظام وجبل بالشام من فوقها قام
زاد عليها يا أخي للأعلا وطوله عنها بيا ميلا

موقع إسبانيا والأقاليم الأرضية

ومحل إسبانيا من ممالك أوربا هو الجزء الثامن عشر وذلك أن الأقدمين
من أهل الجغرافية كالإدريسي قسموا المعمور الأرض إلى سبعة أقسام وسموها
أقاليم جمع إقليم، كل إقليم بكسر الهمزة كقنديل فيه سبعمئة فرسخ في
سبعمئة فرسخ من غير أن يدخل ذلك جبل ولا واد. والبحر الأعظم محيط بذلك
كله ويحيط به جبل قاف. نصَّ عليه ابن الجوزي، ونقله عنه الشيخ إبراهيم
الشبرخيتي في شرحه المختصر الشيخ خليل المالكي في باب الجهاد منه لدى
قوله كتأمين غيره إقليماً فجعلوا السند والهند إقليماً واحداً، والحجاز إقليماً،
ومصر بشامه وغربه إقليماً واحداً، لاتحاد دينه وميقاته، وبابل إقليماً، والروم
إقليماً، وأضاف له بعضهم الشام والترك وياجوج وماجوج إقليماً واحداً والصين
إقليم، وأضاف له بعضهم ما ولاها من ياجوج وماجوج. وأن المتأخرين منهم،
ومنهم النصارى، قسموه إلى خمسة أقسام أصلية وهي: أوربا، وآسيا، وإفريقيا،
 وأمريكا؛ وجزائر أوقيانوسيا، فأما أوربا فجزؤها على ثمانية عشر مملكة، فمنها
ثلاثة في شمالها وهي جزائر الإنكليز، ومملكة سويد، مع نرويج، ومملكة
دينرمك، ومنها واحدة في شرقها وهي الموسك. ومنها ستة في وسطها وهي:

افرانسا، والبلجيك، وهلاندا، والممالك المعاهدة ويقال لهم الألمان، ولتريش وهم النامسة، وسويس⁽¹⁾. ومنها ثمانية في جنوبها وهي: إسبانيا، وبرتقال، وطليان، ومملكة القريق، وهم اليونان، ونصف مملكة الترك، والرملي، والسرب، والجبل الأسود. وهذا القسم هو الصغير بالنسبة للأربعة الباقية. وأما إيسيا⁽²⁾ فجزؤها على تسعة ممالك وهي: بلاد سبري، ونصف مملكة الترك أيضاً، وبلاد/التار، ومملكة العجم، وأرض الصين، وأرض يافون، وبلاد (ص 145) الهند، وبلاد السند، وجزير العرب. وأما إفريقيا فجزؤها على ستة ممالك وهي: مملكة مراكش، وبر الجزائر، ومملكة تونس، ومملكة طرابلس، ومملكة مصر، وبلاد الصحراء. وأما أمريكا فإنها شمالية وجنوبية فالشمالية جزؤها إلى أربعة ممالك وهي: أمريكا المسكووية وبيراثانيا الجديدة، وبلاد الليتانوزي، وبلاد المكسيك. والجنوبية جزؤها إلى ثلاثة ممالك وهي: بلاد قلوبسيا، وبلاد بير، ومملكة بربيزيل. وأما جزائر أوقيانوسيا فإنها لا تضبط كغيرها لكثرة جزائرها، وفي كل من هذه الأقسام عدة حصن، وقرى، ومدن، وشعاب وأودية ممتدين بين أوربا وإفريقيا وأمريكا. والبحر المحيط الأكبر وهو ممتد بين آسيا وأمريكا والبحر المحيط الهندي وهو ممتد بين إفريقيا وآسيا وأوقيانوسيا.

محيط الدائرة الأرضية

وحاصله أن دور الأرض في كتب الأوائل أربعة وعشرون ألف ميل ولما بلغ المأمون العباسي ذلك أراد تحقيقه أمر بني موسى الذين ينسب إليهم جبل بني موسى المشهورين وهم محمد بن موسى ابن شاعر وأخوه أحمد والحسين وكان لهم همم عالية في تحصيل العلوم القديمة وكان الغالب عليهم الهندسة، والحيل، والموسيقى بتحرير ذلك فسألوا عن الأراضي المتساوية فأخبروا بصحراء سنجار ووطاة الكوفة فأرسل معهم المأمون جماعة يثق إلى أقوالهم فساروا إلى

(1) يقصد بلاد سويسرا، والنمسا.

(2) يقصد قارة آسيا.

صحراء سنجار وحققوا ارتفاع القطب الشمالي وضربوا هناك وتداً وربطوا فيه حبلاً طويلاً ومشوا إلى الجهة الشمالية على الاستواء من غير انحراف حسب الإمكان وبقي كلما فرغ حبل نصبوا في الأرض وتداً آخر وربطوا فيه حبلاً آخر كفعلهم الأول حتى انتهوا كذلك إلى موضع قد زاد فيه ارتفاع القطب الشمالي المذكور درجة محققة ومسحوا ذلك القدر فكان ستة وستين ميلاً وثلاثي ميل ثم وقفوا عند موقفهم الأول وربطوا في التود حبلاً ومشوا إلى جهة الجنوب من غير انحراف (ص 146) وفعلوا ما شرحناه/ حتى انتهوا إلى موضع قد انحط فيه ارتفاع القطب الشمالي درجة ومسحوا ذلك القدر فكان ستة وستين ميلاً وثلاثي ميل ثم عادوا إلى المأمون وأخبروه بذلك فأراد المأمون تحقيق ذلك في موضع آخر فسيرهم إلى أرض الكوفة فساروا إليها وفعلوا كما فعلوا في أرض سنجار فوافق الحسابات وعادوا إلى المأمون فتحقق صحة ذلك وصحة ما نقل من كتب الأوائل لمطابقة ما اعتبره ثم ضربوا الأميال المذكورة في ثلاثمائة وستين وهي درج الفلك فكان الحاصل أربعة وعشرين ألف ميل وهو دور الأرض. قال أبو الفدا أقول كذا نقله ابن خلكان ونقل غيره من المؤرخين أن الذي وجد في أيام المأمون لحصة الدرجة الستة وستون ميلاً وثلاثاً ميل وهو غير صحيح فإن ذلك هو حصة الدرجة على رأي المتقدمين وأما في أيام المأمون فإنه وجد حصة الدرجة ستة وخمسين ميلاً وقد تحقق ذلك في علم الهيئة هـ. ثم اقتدى النصارى بذلك في جعلهم لمعرفة مساحة الأرض علامتين أحدهما (كذا) للتحقيق وهي سلسلة الحديد والأخرى للتقريب وهي البوصلة والجبر.

أصل الإسبان

وأعلم أنه لا خلاف في أن الإسبانيين من ولد يافث بن نوح عليه السلام. وإنما الخلاف في كونهم من ولد يافث لصلبه أو من ولد حفيده وهل هم إخوة الفرنج أو من الروم. فقال الحافظ أبو راس في عجائب الأسفار، والإسبانيون هؤلاء من الليطنيين⁽¹⁾ وهم الكتيم وكانوا من أعظم ملوك العالم. وقال أيضاً في

(1) يقصد اللاتينيين.

الشماريخ والليطانيون من ولد ليطن بن يونان. وقال في موضع آخر منه أن الليطانيين وهم الكتيم المعروفون بالروم من بني يونان. وقال في موضع آخر أيضاً منه والمحققون ينسبون الروم جميعاً إلى يونان الإغريقين، والليطانيين. ويونان معدود في التورية من ولد يافث لصلبه واسمه فيها ياقمان. وعن البيهقي أن يونان ابن علجان بن يافث ولذا يقال لهم العلوج وأن الشعوب الثلاثة وهم الإغريقيون والليطانيون والعلوج من يونان، والليطانيون من ولد ليطن بن يونان كما مر وأن الإسكندري الرومي منهم هـ. وفي الإصحاح العاشر من التورية/ أن الليطانيين (ص 147) وهم الكتيم من ولد كتيم بن يونان بن يافث بن نوح. قال شيخنا الزباني في دليل الحيران فأنت ترى أنهم من ولد يافث بلا خلاف وإنما الخلاف في وجه اتصالهم به على ثلاثة أقوال ومرجعها إلى قولين وهما كون يونان ولد يافث لصلبه أو حفيده. والصحيح أنه حفيده، لأن يافث له اثنا عشر ولداً على الصحيح وهم: كومر، وياوان، وماغوغ، وطوبال، وماسخ وطيراش، وماذاي، وشويل، وعلجان، وأندس، وست، وسوس، وأن الإسبانيين أخوة الفرنج وهم الفرنسيين، والطلليان، والبرتقال، لاشتراكهم في اللتانة والكتوليكية وهي اتباعهم للبطرك وهو الباب وضربهم للناقوس واعتكافهم على الأصنام في البيع.

وقال الحافظ أبو راس في عجائب الأخبار، لا شك أنهم فرقة من الروم لا من الفرنج بدليل ما ذكره شهاب الدين الخفاجي على الشفا من أن كتاب النبي ﷺ الذي كتبه إلى هرقل عظيم الروم يقال له بالرومية أراقليوش يدعوه للإسلام هو الآن عند ملك طليطلة. وقد أراه لابن الصائغ النحوي لما أوفده عليه سلطان مصر قلاوون، ثم قال أيضاً وقد سمعت أنه عند النامسة⁽¹⁾ المجاورين للموسك هـ. ومعلوم أن الإسبانيين هم الذين أخذوا منا طليطلة. وفي الأنيس المطرب أن الناصر بن المنصور لما غزى (كذا) الأندلس بجيش يضيق عنه الفضاء وسمع الفنش (الفونسو) وملوك النصراني بذلك واهتمت منه ملوك الروم جاءه منهم بيونة لإشبيلية مستسلماً خاضعاً بهدية عظيمة مقدماً بين يديه كتاب النبي ﷺ الذي كتبه لهرقل عظيم الروم يستشفع به ويعلمه أن الملك عنده

(1) يقصد النامسة.

موروث لأكابر عن أكابر وأن هذا الكتاب عندهم يتوارثونه محفوظاً مطيباً في حلة خضراء في وسط صندوق من ذهب مملوء مسكاً وطيباً تعظيماً وإجلالاً لحقه، فقضى له أمير المؤمنين مآربه وذلك سنة سبع وستمائة هـ⁽¹⁾. والروم هم بنوا الأصفر وسمّوا بذلك إما لكون جدهم اسمه الأصفر أو لأنه كان أصفر اللون أو لأنه كان بخديه خاصة صفورة، أقوال ثلاثة. وكان اجتماع الإسبانيين على ملك واحد سنة ثمان وثمانين وثمانمائة من الهجرة⁽²⁾.

قائمة ملوك الإسبان

وأول ملوكهم المجتمع عليه تلك السنة فردند وزوجته إيزابيلة مشتركين (ص 148) في المملكة/ وبقي في الملك خمساً وثلاثين سنة وخلع. ولما استقر في الملك غزى (كذا) غرطة في رجب سنة خمس وتسعين من التاسع⁽³⁾ وبها سلطانها أبو عبدالله محمد حسن فنزل بمرجها وأفسد زرعها ورجع ثم جهز لها جيشاً عظيماً في ثاني عشر جمادى الثانية ست وتسعين منه⁽⁴⁾ فنزل بمرجها أيضاً وحاصرها وضيق عليها إلى أن أخذها صلحاً على سبعة وستين شرطاً وقعت بينه وبين أهلها منها: أن يكون التأمين بجملة الناس، وأن يكون بقاؤهم في أماكنهم، وأن يقيموا (كذا) شريعتهم كما كانت، وأن لا يتعرضوا لها بتغيير ولا استثناء أمور، وأن تبقى المساجد على حالها، وأن تبقى الأوقاف على حالها، وأن تكون الحرية لجميع المسلمين مؤبدة، وأن لا يدخل نصراني دار مسلم، وأن لا يغصبوا أحداً، وأن لا يتولى على المسلمين يهودي ولا نصراني، وأن يطلقوا جميع أسارى غرناطة، وأن من هرب من أسارى غيرها لها لا يرد لمالكه بل يأخذ ثمنه من عند السلطان، وأن من أراد الانتقال لا يمنع، وأن الذهب يكون في مدة معينة في مراكب السلطان بلا كراء، ومن زاول الأجل فيلزمه الكراء مع تعشير ماله، وأن لا يؤخذ أحد بذنب غيره، وأن من أسلم من النصاري لا يلزم

(1) الموافق 1210 - 1211 م.

(2) الموافق 1483 - 1484 م.

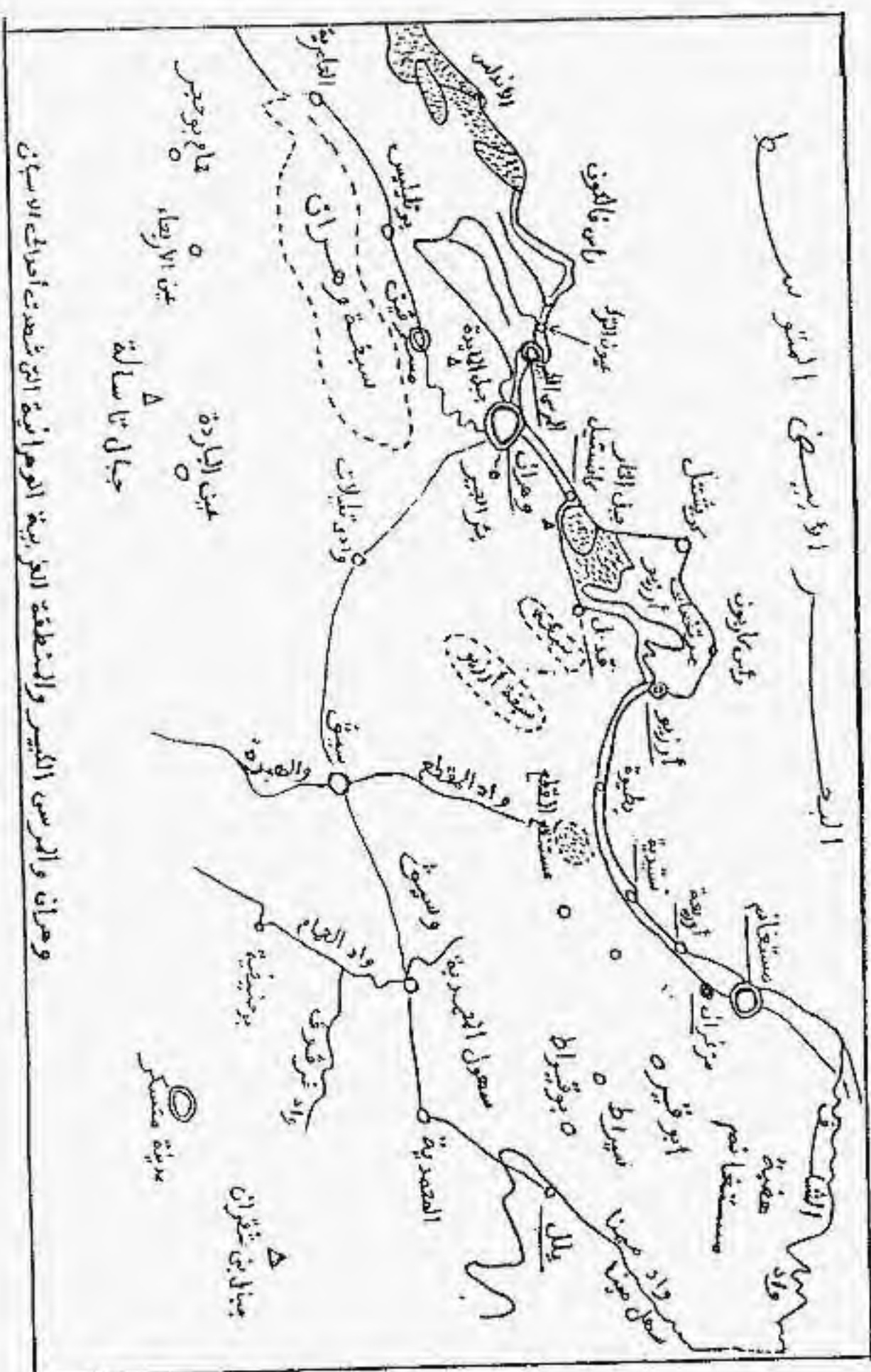
(3) الموافق 1489 - 1490 م.

(4) الموافق ماي جوان 1490 م.

بالرجوع لذلك الدين، وأن من تنصّر من المسلمين يوقف حتى يظهر حاله، وأنه لا عقاب على من قتل نصرانياً أيام الحرب، وأن لا يؤخذ منه ما سلبه منهم أيام العداوة، وأن لا يكلف المسلم بضيافة أجناد النصارى، وأنهم لا يزيدون في المقام على العتاد، وأن ترفع عن المسلمين جميع المظالم، وأن ترفع عنهم جميع المغارم، وأن لا يطلع النصراني للسور، وأن لا يتطلع على دور المسلمين، وأن لا يستطلع على عوراتهم، وأن لا يدخل لمساجدهم، وأن يسير المسلم في بلاد النصارى آمناً من كل شيء، وأن لا يجعل المسلم علامة كما يجعلها اليهودي، وأن لا يمنع المؤذن من الأذان، وأن لا يمنع المصلي من الصلاة، وأن لا يمنع الصائم من الصيام، وأن لا يمنع الحاج من الحج، وأن لا يمنعوا المسلمين من إقامة المواسم، وأن لا يتعرضوا لهم في النكاح وغيره، وأن من ضحك من النصارى على المسلمين يعاقب، وأن لا يحجروا عليهم في مقابرهم، وأن يوافق على كل شرط من الشروط صاحب رومة، وأن تكون موافقته بخط يده، وخاتمه معاً، إلى غير ذلك من بقية الشروط. ودخل أهل البشرات في ذلك وكان/ دخوله لها في ربيع الأول سنة سبع وتسعين منه⁽¹⁾ وذهب سلطان (ص 149) غرناطة لفاس بأن خرج على مليلية فاستقر به إلى أن مات وذهب عمه أبو عبدالله محمد الزغلي صاحب إشب (كذا) للمغرب الأوسط فخرج على وهران ونزل بتلمسان واستقر بها إلى أن مات وكان خروجها في آخر شوال تلك السنة وصفت الأندلس بأجمعها للنصارى ولا حول ولا قوة إلا بالله. فكان أول ما أخذوا لنا مدينة طليطلة سنة ثمان وتسعين من الخامس أخذها اذفونش بن فراند بن هراند صلحاً من يد الأمير الظاهر من ولد إسماعيل بن عبد الرحمن ناصر الدولة الهواري. وآخر ما أخذوا لنا مدينة غرناطة سنة سبع وتسعين من التاسع وإنا لله وإنا إليه راجعون. وإلى ذلك أشار الحافظ أبو راس في سنيته بقوله:

من الهواري رجعت لأذفنس	طليطلة هي باكورة فتحهم
ما لقت شقرة من الويل والركس	آخر ذلك غرناطة حل بها
طاغية ينظرهم نظر الشوس	من بعد عز بني نصر ومواقها

(1) الموافق جانفي 1492 م.



غزو المرسى الكبير ووهران

ثم جهز جيشاً لوهران وغزاها فملك برج مرساها في أول ربيع الثاني سنة إحدى عشر من العاشر⁽¹⁾ قاله الحافظ أبو محمد عبدالله قاضي نهر بني راشد. ولما ملكوها استقروا بها إلى أن تقدموا لوهران فدخلوها في آخر المحرم سنة أربع عشر من العاشر⁽²⁾ وهو العام الذي مات فيه صاحب المعيار، قاله التفريري، والشيخ أحمد بابا، والمديوني، واليفريني، وقال الحافظان: الصباغ، وأبو راس، وغيرهما كان ذلك في صفر سنة خمسة عشر من العاشر، بمدخلة يهودي غدار للمسلمين وذلك أن اليهود الذين بوهران تحت ذمة المسلمين أتى واحد منهم يقال له زاوي بن كبيسة المعروف بابن زهو بجيش النصاري للمدينة غفلة وأدخلهم لها سراً بالحيلة فقام الجيش لباب المدينة الموالي للمرسى ففتحه ليلاً وأخذ العساسين وهما: عيسى بن غريب العربي، والغناس بن طاهر العبدلأوي، وصار الجيش يدخل ويخرج ونكبوا المسلمين قتلاً وسبياً وكان ذلك وقت أبي قلموس الزياتي. / وقد عجز عن دفاعهم عجزاً كلياً وإلى ذلك أشار الحافظ (ص 150) أبو راس في سنيته بقوله:

خامس عشر من عاشر أناخ بها الإسبانيون أهل الشرك والرجس
جحافل الكفر قد حموا جوانبها وعن دفاعهم عجز أبو قلمس

ولما مكنوهم من المدينة شرطوا عليهم برج المرسى فأنزلوهم به وفاء بالعهد وإليهم ينسب برج اليهودي الذي بهيدور وجعلوا لهم الصولة العظيمة التي لا توصف على المسلمين فكانوا يخرجون لبني عامر لقبض الضريبة كالملوك ثم تخيل منهم النصاري بعد ثمانين سنة ما يكرهونه فأخبروا سلطانهم بذلك فأمرهم بطردهم مخافة أن يفعلوا بهم ما فعلوا بالمسلمين من الخديعة.

(1) الموافق 2 أوت 1505 م.

(2) الموافق 31 ماي 1508 وهو خطأ، لأن الإسبان احتلوا وهران في ماي 1509 م.

غارات الإِسبَان على أحواز وهران

وكان طاغية النصرارى بوهران اسمه دك، ولما استقل قدمه بها صار يشن الغارات على المسلمين إلى أن دخل في طاعته كرشتل، وبنو زيان، والونازرة، وقيزة، وغمرة، وحميان، وشافع، وأولاد عبدالله، وأولاد علي، وغيرهم من بني عامر ولم يخرج عن طاعتهم من المجاورين لهم بوهران إلا مخيس والرّافة المستقرين بين البحر وجبل هيدور مع جبل قيزة. وصار الداخلون في طاعته شيعة الذين ينصرونه ويعتمد عليهم في جلب الأخبار والمسير بهم في الطرق في الليل والنهار. واتخذ منهم الجواسيس الذين يقال لهم المغاطيس، فقويت شوكته، واشتدت قوته وتعددت غزواته على الأقربين والأبعدين والأنزليين والأصعدين وخلا له الجوّ إلى أن صارت ملآنة وسيرات من جملة بلاده التي تحت يده وشدادته، يتردد بها في ليله ونهاره. ولا منازع له فيها باضطرابه واختياره وتكررت غزواته على هبرة والحرب بينه وبينهم سجال، إلى أن تلاشوا وحل بهم الاضمحلال ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم، وإلى هذا أشار الحافظ أبو راس في سينيته بقوله:

وعاث دك ببطحتها مجتلبا	على الإيمان فلم يبل بمفترس
ورج أرجاءها لما أحاط بها	فأبدلت شمّ أعلامها بالقطس
/وشحنت بخنزيرهم وصلبانهم	مواضع الإيمان بها ذو توس
كم توليت بها من آية محكمة	فبعد طهرها قد ملئت بالنجس
كأنها ما حوت شمساً ولا قمراً	لم يدر في الناس والعالي من النّس
خلا له الجوّ فامتدت يداه إلى	إدراك ما لم تل رجلاه مختلس
عمرها بعدنا بخبث مألقة	شناضيض كاليعافرة والتيس
وسار سيرته فينا من أعقبه	وكلهم مقتف آرغون وإفرانس

(ص 151)

فغزوا هبرة بموضع يقال له يعلوا من جبال سيرات وذلك أن هبرة كانوا نازلين بيعلوا فغزاهم دك بها وتقاتلوا شديداً قتل من الطلبة (كذا) ثلاثون ومقبرتهم بها تسمى للآن بمقبرة الطلبة بالطريق لأنها اندرست ومن هبرة تسعون شجاعاً وانجرح أربعون. ومن إسبنيول ثلاثمائة وانجرح ثلاثون وتركوا ثقالهم وفروا هاربين وارتكب هبرة ظهورهم إلى حجار الروم بالجانب البحري من وادي

سيق فرجعوا عنهم. ثم غزوهم بسيدي الأخضر من بلاد حميان فكان القتال بين الفريقين شديداً وصبر لهم هبرة صبر الكرام انجلا الأمر فيه على موت مائتي شجاع من هبرة وانجراح ثلاثين وموت ما يزيد على الستين من السبنيول وانجراح ما يزيد على السبعين. ثم غزوهم ببعلو ثانياً وكان المصاف أسفل العقبة ونشبت نار الحرب بينهما وقت الضحى فلا ترى إلا رجال هبرة كأنها أسود هائجة في القتال يكرّون عليهم الكرة الهلالية مرة بعد أخرى وحصلت الدائرة على الإسبنيول وأعان هبرة رجال شداد من بني شقران ومع السبنيول خيول أولاد علي، وحصلت الهزيمة في الإسبانيين بسبب أولاد علي بعد ما مات من الإسبانيين عدد كثير ومن أولاد علي ما يزيد على الخمسين وركبت هبرة وبنوا شقران أكتافهم إلى وادي سيق وغنم هبرة وبنوا شقران جميع الأثقال وذاع الخبر في ذلك اليوم بفعل هبرة بالسبنيول. ثم غزوهم بعوينت الزيتون من بلد العبيد، الشراقة خرج لهم من مزگران غفلة / فأئخن فيهم كثيراً ومات منهم ما بين الرجال (ص 152) والنساء والذراري ما يزيد على السبعمائة فضلاً عما انجرح، وأخذ لهم النصاري جميع ما وجدوه عندهم من الدواب وغيرها وكان ذلك بإعانة أولاد حمدان من مجاهر فصار عدد هبرة يقل. ثم غزوهم بسيدي مبارك وذلك أن هبرة كانت مفترقة في النزول ما بين سيرات الشرقية والغربية والساحل والجبال ولم يكن منهم إلا البعض من أولاد هذاج بن هبرة بسيدي مبارك بن بخباخ فصكّهم السبنيول ومعه جيشه من قيزة، والونازرة، وغمرة، وشافع، وحميان، وكراشل، وبني زيان، وأولاد عبدالله، وأولاد علي، وأحاط بهم إلى أن أسرهم عن آخرهم فبلغ الخبر لأخوتهم فاتوهم مسرعين وحصل القتال بينهم وبين العدو ففكوا جميع الأسارى من يده بعد أن مات من رجالهم في ذلك اليوم ما لا يعدّ وضعف بذلك حالهم ودخلهم التلاشي فذهب السبنيول بغنيمة الأموال ورجع هبرة بأسارى أخوتهم من الصبيان والنساء والرجال. ثم غزوهم بسيدي عبد المؤمن من مزگران وكان خندقاً عظيماً بالطرفا وغيره فكانت الدائرة لهبرة عليهم ومنحهم الله النصر فقتلوهم مقتلاً شنيعاً وظفروا بهم وبأموالهم بحيث ناب للواحد من هبرة من الناص⁽¹⁾ ما يزيد على الثلاثين ريالاً كبيراً وفضلاً عن غيره. ثم غزوهم به ثانياً

(1) يبدو أن الناص عبارة عن قطع ذهبية، وقضية ذات قيمة مهمة.

من وهران بأن أتوهم مع الساحل وخرجوا لسيدي عبد الرحمن الصّماش وهبرة في غفلة إلى أن كادوا يصلونهم وهم مفترقون في النزول ولما بلغهم الخبر بغتة فزعوا لسيدي عبد المؤمن بن عبد الرحمن وأعلموه بذلك فقال لهم لا خوف عليكم هم غنيمة لكم . وكان هبرة بشرق وادي هبرة العدو بغربه وهو حاجز بينهم ولم يخرج السيد من خلوته فبينما هم في الرجاء والخوف وإذا بوادي الحمام أتى حاملاً حملة منكراً وكذلك وادي سيق وصار العدو بين الوادين في الغرق فركبت هبرة ظهورهم أخذاً وقتلاً ولم ينج منهم إلا القليل وقد غرق أكثر الإسبانيين بالماء وأخذت هبرة دوابهم وأثقالهم ومن ثم سمي سيدي عبد المؤمن بحمّال الويدان (ص 153) للآن . ووقائع هبرة مع الإسبانيين كثيرة ومن أراد استفتاءها فليراجع الكتاب / الذي اسمه : القول اليقين في وقائع هبرة مع الإسبانيين للمحافظ أبي العباس أحمد ابن محمد الشقراني . وكان هبرة في القتال مع الإسبانيين وسويد غير عامرة ولذلك ضعف حالهم وتلاشا (كذا) أمرهم . وسبب مقاتلتهم مع سويد أن هبرة كانوا يتعرضون للمسلمين الفارين من الأندلس لهذه العدو لما تغلب عليهم الإسبانيون بها وحيث ينزلون بمرسى رزيو يذهبون لهم هبرة فيأخذون ما بأيدهم حتى أنهم يشقون بطون المهاجرين ظناً منهم أنهم يتلعون الناص أو غيره ، فسمع بذلك ولي الله الأكبر سيدي محمد أقدار التجيني الذي ضريحه بسدار مينا المتوفى سنة خمس وستين وألف⁽¹⁾ فامتلاً غيضاً وحرّض أحمد العبد كبير سويد وقيل حرّض ابنه أحمد بن أحمد العبد على غزو هبرة المنتهكين لحرمة المهاجرين فأتاه من السّرسو بجنود سويد ووافق ذلك ختم صحيح البخاري في يوم الجمعة فزحف إلى هبرة وكافة بطونهم بتلك الجنود الكثيرة العدد ووقع المصاف بسدار العامري المسمى الآن بالغمرى ووقعت بين الفريقين حروب عظام فانهزمت جموع هبرة وركبت سويد أكتافهم فقتلوا منهم كيف شاؤا وكان جملة من قتل من هبرة مائتان وعشرون من الأبطال فمن ثم انكسرت شوكتهم وقلّ عددهم واضمحّل جمعهم وافترقوا في الأعراش فلم يبق بمحلهم إلا دوار واحد يسمى بهبرة للآن مع تسلط الإسبانيين عليهم أيضاً . ولما تراكمت عليهم

(1) الموافق 1654 - 1655 م .

المجن من الإسبانيين وسويد صارت نساؤهم تجتمعن ليلاً في وسط الحلل
وتقلن برفع الصوت تداولاً كلام فصيحهم (كذا) ويسمون ذلك بالتبواش ومن
جملة كلام فصيحهم (كذا):

فينا بين النار يا رب والنار بين انصارت دك وانصارت قدار
أنت المعين بالعزیز القهار يا رب علينا دبر
ميتين وعشرين قعدت في مشوار دوار من الملاح ما عزه دوار
الموت من الإله والسب قدار لا بد الحي يفتكر

وهبة هؤلاء هم على الصحيح أولاد المقداد بن مهاجر بن سويد بن عمارة
ابن مالك بن زغبة بن أبي ربيعة بن هلال بن صعصعة بن معاوية بن بكر
ابن هوازين بن منصور بن عكرمة بن زید بن حفصة بن قيس ابن / غيلان بن إلياس (ص 154)
ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، فهم عرب هلاليون مضر يون من بطون زغبة
كما في الجزء السادس من ابن خلدون في ترجمة مالك بن زغبة في شجرته.
فهم سويد خلافاً لابن الخطيب الحكيم التلمساني القرشي القائل بأنهم
ملتقطون. ويطونهم تسعة وهم الدعامشة أولاد دعامش بن هبرة، والهدادجة
أولاد هداج بن هبرة، والملايلة أولاد ملال بن هبرة، والمكاثرية أولاد مكثر
ابن هبرة، والفظانسة ويقال لهم فطناسة أولاد فطناس بن هبرة، والدعاعة أولاد
دعان بن هبرة، والصواوكة أولاد صواق بن هبرة، والعرايزة أولاد العزيز ويقال له
عبد العزيز بن هبرة، والدواودية أولاد داوود بن هبرة ومنهم السيد محمد
ابن داود ءاغة الدواير وأخوه السيد عبد القادر بن داوود ءاغة سعيدة وأبناؤهما فهم
من أعيان المخزن وقتئذ بوهرا ن. ثم غزا الإسبانيون بني شقران برمال عين
أبوس الشرقية على يد جبور بن حسنة من أولاد سيدي محمد بن حسنة بحيث
صعد لهم مع وادي فرقوق والحمام ووادي تخوارت إلى أن وصلهم فأنخن فيهم
بالقتل والسبي إثناناً عظيماً إلى أن أذعنوا له بالطاعة.

ثم فردينه فيليب الأول تولى سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة⁽¹⁾ بعد خلع
الذي قبله وبقي في الحكم عشر سنين وخلع ولما تولى أقر دك بوهرا ن على حاله

(1) الموافق 1517 م.

وأمره بالغزو على المسلمين الذين بهذه العدو فاشتدت شوكتهم وأبلاهم
بلاء عظيماً واقتدى به من أتى بعده من عمال النصارى بوهرا ن مثل إفراسيسك⁽¹⁾
وابن يالبة وأجوان JUAN وغيرهم من الإسبانيين الذين لم يحضروا حفطي
وقتئذ. فغزى سنة خمس وعشرين من العاشر⁽²⁾ قلعة بني راشد لما سأل منه
الإعانة عليها أبو قلموس وقصدها في جيش عرمرم (كذا) ما بين جيشه وجيش
أبي قلموس فنزل ببراقها وهو الجبل المطل عليها من ناحية البحر ونصب به
مدافعه ورمى الكور على القلعة فخرج أهلها ومعهم أميرها إسحاق الإسكندر
شقيق خير الدين باشة الجزائر فسألوا الأمان فأمنوا ولما تمكن النصارى منهم
قتلوه عن آخرهم والأمر لله وحده. قال الحافظ أبو راس في الحاوي وكان
(ص 155) الشيخ/ سيدي محمد الشريف الزهار دفين الجزائر أحد تلامذة القطب سيدي
أحمد بن يوسف الراشدي بالقلعة قبل مجيء الإسكندر والأتراك إليها يدخل
المسجد حافياً ويقول أنا أنجسه قبل أن ينجسه الكفار فلم يكن إلا قليل حتى
قدم عروج والإسكندر والأتراك فذهبوا لتلمسان فبقي فيها عروج ورجع الإسكندر
للقلعة فحصر بها ودخل النصارى للجامع الأعظم ونجسوه كما قال. ثم كارلوص
وهو شارل الأول تولى سنة ثلاث وثلاثين من العاشر⁽³⁾ وبقي في الملك أربعين سنة
واستمرت وهران في حكمه. فجهز جيشاً عظيماً لغزو مزغران ففتحها عنوة في
أواسط الستين من القرن العاشر⁽⁴⁾ تحت رئاسة الطاغية الفرطاس⁽⁵⁾ ولما سمع
بذلك خير الدين باشة الجزائر⁽⁶⁾ تألم كثيراً وجمع جيوشاً من كل جهة وقصد
مزغران فنزل عليها وقاتلها شديداً وأمنحه الله النصر فأتخن فيهم قتلاً وأسرأ وسبياً
إلى أن فتحها عنوة زوال يوم الجمعة خامس عشر ذي القعدة الحرام سنة خمس

(1) يقصد فرانسيسكو.

(2) الموافق 1519 م.

(3) الموافق 1523 - 1524 م.

(4) الموافق 1558 م.

(5) يقصد الكونت الكوديت وكان أقرع الرأس.

(6) الحقيقة أن باشا الجزائر في هذه الفترة هو حسن بن خير الدين وليس أبوه خير الدين وهو
الذي واجه الإسبان بمزغران.

وستين من العاشر⁽¹⁾ ولما فرغ من القتال أمر بجمع الرؤوس فجعلت تلا إلى أن رءاها (كذا) نصارى مرجاجو بوهران. وفي هذا الفتح قال بعضهم من بحر الرجز:

فتح خير السدين مزغران مرتجياً لفتح وهران
في ية قعدة زوال الجمعة سنة هر قصخ فاستمعه
وهذه القصة عند الناس مشهورة بقصة الفرطاس

غارات الإسبان على تلمسان ومعسكر

وغزوا سابقاً تلمسان سنة تسع وأربعين من العاشر⁽²⁾ فدخلوها عنوة وربطوا دوابهم بجامعها الأعظم حتى خرجوا مختارين بعد إقامة نحو الثلاثة عشر يوماً ويقال أن قراب الخالفي جد القراريب الذين منهم الحاج بالضيف آغة مستغانيم ومحمد ولد علي الشريف بن يوسف التحلايتي وكيل محكمة سيث هو الذي أتى بهم في الفترة الكائنة بين بني عبد الوادي والأتراك وقصته متواترة على السنة الناس. وغزوها أيضاً سنة خمسين وإحدى وخمسين من العاشر⁽³⁾ مع أميرها أبي عبدالله محمد بن المسعودي حفيد رضوان العليج في أربعة عشر ألفاً فدخلوها عنوة ومكثوا بها نحو الشهرين وخرجوا مختارين. قال الحافظ أبو راس في الحاوي أن/ السيد محمد الشريف الزهار المار الذكر قال للمرابط عبدالله الملقب (ص 156) إخلال، النصارى يأخذون تلمسان فقال له كيف وأبومدين فيها فقال يطوق على بطنه ونحو هذا الكلام فكان كما قال أخذوها الكفار وأسروا حرمها وأفسدوها وخربوها وقت قدوم أبي عبدالله بهم من وهران سنة خمسين وتسعمائة هـ. وقد حرك لها أبو عبدالله بالنصارى على أحمد أبي زيان مراراً. ففي الأولى أتاها سنة سبع وأربعين من العاشر⁽⁴⁾ ولم يحصل على طایل، وفي الثانية أتاها سنة ثمان وأربعين من العاشر⁽⁵⁾ ولما سمع به أخوه أحمد جهز لقتاله جيشاً لنظر

(1) الموافق 29 أوت 1558 م.

(2) الموافق 1542 - 1543 م.

(3) الموافق 1543 - 1545 م.

(4) الموافق 1540 - 1541 م.

(5) الموافق 1541 - 1542 م.

المزوار بن غانم كبير بني راشد فنزل أبو عبدالله بمحلته بمشرع الزواش ثم بواد سنان ثم بحمام سيدي العبدلي فلقية المزوار بجيشه وحصر محلته في خربة هناك ودارت بهم العرب فانهزم النصارى بعد ما مات منهم خلق كثير ورجعوا لوهران. ثم سألهم في الثالثة الحركة فأبوا فذهب لمالكهم كارلوس بإسبانيا وسأله الإعانة فأمرهم بالخروج معه فخرج بالجيش النصرانية في سنة خمسين من العاشر⁽¹⁾ وذهب لتلمسان فدخلها كما مر وتزوج بينات أكابرها وخرج أحمد منها ثم رجع له حاركا، ولما خرج أبو عبدالله لقتاله ورام الرجوع منعه أهل البلد من الدخول وقالوا له يا خديم الروم اذهب عندهم فدخلها أحمد وفر هو إلى أن قتله العرب غدراً وبقي أحمد في الملك إلى أن مات فتولى أخوه حسن وكان بينه وبين صالح باثمة بالجزائر محبة عظيمة ثم بعد أربعة أعوام فسد ما بينهما وسأل الإعانة من النصارى وهرب لوهران فمات بها في دار الملك بالوباء وتنصر ولده بعده والأمر لله وحده.

وتكرر غزو النصارى لتلمسان بسبب اختلاف كلمة أمرائها حتى صار كل منهم يستعين على الآخر بالنصارى. فمن ذلك أن المزوار منصور بن غانم الحشمي. كبير بني راشد سأل من النصارى في سنة ثلاث وخمسين من العاشر⁽²⁾ الإعانة وغزى بهم تلمسان بعد أن أعطاهم ولده علياً رهناً وشرط معهم شروطاً فخرجت محلتهم بجيش وهران وكرستلة ونزلوا بغبال فأتتهم العرب بالخيول المسومة والهدايا المقومة ورأى رجل أعرابي منهم اسمه برقون جيش الترك ذاهباً لتلمسان فطلب منهم الإغارة عليهم فأبوا فذهب وحده ثم اتبعوه ونشأ القتال (ص 157) فكانت الدائرة/ على الأتراك ولم ينج إلا القليل وذهب محلة النصارى بمن معها على رابطة الزواش وخيمت به ستة عشر يوماً وزادت لواد سنان ولما عبرته جاءها الخبر بأن الترك خرجوا من الجزائر في الجيش العظيم لطلب الثار فرجع النصارى وأخذوا على عرب دمليون وهم أولاد عبدالله سمو بذلك لأنهم كانوا يطلبون منهم العدد الكثير فيقول أحدهم للنصارى دمليون بمعنى أيها الروم

(1) الموافق 1543 - 1544 م.

(2) الموافق 1546 - 1547 م.

أعطونا عشرة ملايين (كذا) أي عدداً كثيراً فيه عشرة ألف ألف ثم لإغبال ووادي تليلات وبه جاء الرسول للمزوال منصور بن عالم من عند كبير ترك تلمسان يسثله (كذا) أن يدع جيش الترك يذهب من تلمسان للجزائر ولا يتعرض له أحد وله ما شاء من المال فوافقه على ذلك ورجع لأهله بجيشه وذهبت المحلة النصرانية لمستغانم فمرت بالشيخ الزناقي ووادي هبرة وفرنكة وحلت بمزگران في ثالث عشرين جمادى الثانية تلك السنة⁽¹⁾ ونخاب رأي كبيرها وفسد أمره ورجع لوهراة ثم غزوا الرابطة والكرط على يد كبير الجيوش العربية وهو رابع بن صولة أحد أولاد علي بطن من بني عامر وأولاده يقال لهم الصوالة وهم الآن دوار فخرجوا من وهران ومروا بالكرمة وبتنازات فترلوا بأبيارها ثم صعد بهم مع وادي التفراوي إلى جبل غدالة ببلد ماخوخ ومشى على القطار إلى أن وصلوا لأزبوجة الكبيرة المطلة على واد للحمام المنفردة وحدها فاستراحوا بها ثم صعد بهم مع شعاب تيفرورة إلى الرابطة بأعلاها فترك بها بعض الجيش وذهب البعض للكرط ففعل بهاتين القريتين ما أراد الله فعله. وتكرر غزوهم على الكرط إلى أن استاصلوا (كذا) أهله فهرب من بقي به وهم سبب خرابه إلى أن عمر بظهور الإسلام للآن ولما كبر رابع بن صولة وعمي تقعد عن الغزو فأغار الحشم على أولاد علي فالفوه بالمراح فقتلوه. ثم غزوا فروحة بغريس أرض الشيخ سيدي محمد ابن يحيى مقري الجن فلقوا خيولاً من أولاد عباد أحد بطون الحشم هنالك فاقتلوا معهم إلى أن استشهد من أعيانهم العروسي أحد الأجواد بغريس قبله كدية عظيمة فأخذوا رأسه وفرسه وانقلبوا لوهراة. وغزوا غريسا أيضاً وتخطوا فيه إلى أسفل/ نسبط أرض لواتة بأراضي بني راشد. ثم في وسط الستين من (ص 158) العاشرة⁽²⁾ غزوا زاوية الشيخ أبي مهدي سيدي عيسى بن موسى التعجيني ثم الزنداوي وهو نازل شرقي واد التاغية فأتته قنبرة وهي القوبع وجلست أمامه وصارت تذري التراب على رأسها وتصوت شديداً وكان الشيخ عارفاً بزجر الطير فأمر زاويته وأهله بالرحيل فوراً فارتحلوا وعبروا النهر ودخلوا في غيظة كبيرة يقال

(1) الموافق 21 أوت 1546 م.

(2) الموافق حوالي جوان جويلية 1553 م.

لها دار الهناء فلم يكن إلا يسير وإذا بجند النصارى واقف في حافة الواد الشرقية ومعهم بني عامر ولما لم يروا أحداً رجعوا من غير عبور للنهر ثم أولاد سيدي العبدلي المرة بعد الأخرى ولم ينتج لهم شيء من ذلك. قال المحافظ أبو زيد عبد الرحمان الجامعي في شرحه لرجز الحلفاوي وحدثني المرابط أبو الحسن علي بن حسون العبدلي إنهم كانوا لا يهنا لهم نوم إلا إذا جعلوا حارساً ومهمي (كذا) ينم أحدهم نجده يهذوا (كذا) بإغارة النصارى ويصرخ في نومه من شدة خوفهم.

غارات الإسبان على مدينة الجزائر

وقد غزوا الجزائر مرات. ففي الأولى غزوها قبل دخول الترك لها وتملكهم بها فملكوا برج مرساها الذي بوسط البحر في الجزيرة حيث برج الفنار الآن وصار لهم جباية حجيجة، وضرائب على أهل متيجة، وبقوا على تلك الحالة إلى أن دخلها الأتراك فنشأ معهم السيد حسن خير الدين بن المدلية أول باشة بالجزائر الحرب وأدامه معهم إلى أن فتح البرج عنوة سنة ست وأربعين من العاشر⁽¹⁾ وجعل في البحر طريقاً تصل للبرج. وفي الثانية غزوها سنة ثمان وأربعين من العاشرة⁽²⁾.

حملة شاركان الكبرى على الجزائر عام 1541 م

وسبب قدوم البلاذور لها أنه كان عمر مركباً من مراكبه وأوسقه بالمال والسعة وبعثه لوهران فأخذه رايس من رؤساء الجزائر يقال له كجك علي ودخل به للجزائر بعد ما وقع الحرب بينهما فوجد فيه رايساً (كذا) عظيماً مع جملة الرؤساء ودخل في شهرة عظيمة ثم أن كجك أحضر هذا الرايس إلى حسن آغة

(1) الموافق 1539 - 1540 وهذا التاريخ خطأ، لأن برج البينيون هذا أنشأه الإسبان في حدود عام 1511 - 1512 واستعاده خير الدين في شهر ماي 1529 م، الموافق لرمضان عام 935 هـ.

(2) الموافق 1541 م.

خليفة خير الدين باشا وقبل يده وكشف عن رأسه وبقي داهشاً من الهبة فسأله
 حسن آغة عن أخبار بلاد النصارى فقال له الرايس أن سفينة تركتها تريد القدوم
 إلى بجاية لكونها كانت عامرة/ بالسبنيول فعند ذلك أمر حسن آغة أن تجهز له (ص 159)
 أغربة فتجهزوا في أسرع وقت وساروا إلى طلبها بنواحي بجاية وكمنوا بموضع
 يقال له العش والمنقار وكان من جملة رؤساء الجزائر كجك علي المتقدم الذكر
 فطلعت لهم تلك السفينة ذاهبة لبجاية فقربوا منها وشرعوا في قتالها وكانت
 مستعدة للقتال في غاية الاستعداد فلم تزل مع أجفان المسلمين في أخذ ورد إلى
 أن وقعت فيها النار فالتهمت في أطراف السفينة وعجز الكفار عن إطفائها فألقوا
 أنفسهم في الماء فالتقطهم المسلمون من البحر وأطفوا النار ورجع الرؤساء
 للجزائر وهم فارحون (كذا) بالسفينة ودخل الجزائر في شهرة كبيرة وفرح به حسن
 آغة غاية الفرح وأمر بإتزال ما فيها من الغنمة فأنزلوا الكفار وأحضروا بين يديه
 ومعهم رئيسهم وكانوا في حال طلوعهم إلى دار الإمارة تصفق لهم النساء
 والصبيان وأهل البلد ليتفرجوا فلما وصلوا بهم إلى حسن آغة أمر بهم إلى السجن
 المعد لذلك فلما سمع بهم صاحب إسبانيا تأسف عليهم وكان أهل طاعته قد
 ضجوا إليه بالشكاية مما يفعله بهم أهل الجزائر خصوصاً أهل السواحل منهم بأن
 قالوا للطاغية إما أن تكفيينا أمر الجزائر وإلا نعطوا (كذا) الطاعة لصاحبها فشرع
 في الحركة للجزائر وأطلق النداء في سائر أقطاره بذلك فانحاشت إليه جيوشه
 أفواجاً أفواجاً وزحرت إليه جيوشه وعساكره أمواجاً أمواجاً، فوصل خبر عمارته
 إلى حسن آغة خليفة خير الدين فصَدَّقَ بذلك ولم يكذب ثم أخذ في حركة
 عرس ولده وعمل مفرجات عظيمة يقال إنه خرج من يده مال عظيم بسبب هذا
 العرس في كل ناحية يقال إن من جملة ما جعل فيه من المفرجات نصب صاريّاً
 في باب الوادي وطلاه بالشحم بحيث صار لا يقدر أحد يصعد إليه وجعل في
 جاموره شقة نفيسة من الملف ومعها صارة من الذهب وأباحما لمن
 صعد إليهما فجاء فتى من الأتراك صغير السن وبدأ في الطلوع معه ولم يزل
 يتلاصق الصاري شيئاً فشيئاً حتى وصل إليهما ونزل بهما فتعجب الناس مما
 شهدوا منه فلما تم هذا العرس وصار مثلاً سائراً ونزاهة من نزاهة الدنيا أدار وجهه
 إلى تحصين المدينة/ والاستعداد لمقابلة العدو فبنا (كذا) أسوار المدينة وأصلح ما (ص 160)

انهدم منها ونصب عليها المدافع وعلى سائر الأبراج وعين أربعمائة أسير من الكفار لهذا البناء ثم أنه بعث إلى شيخ المدينة وأمره أن يرفع إليه حساب الرجال في كل حكومة من الجزائر ففعل ذلك شيخ المدينة ومع ذلك فأخبار العمارة تتوارد عليه في كل وقت وكذا على أهل الجزائر فأمر حسن آغا بقطع أشجار البساتين كلها خوفاً من النصارى أن يستروا بها حال القتال وأول ما بدأ بقطع بستانه فلم يترك فيه شجرة واحدة فبينما هو في بعض الأيام جالس في دار الإمارة إذ دخل عليه حارس البحر الذي يقال له صاحب الناظور وأخبره بأن عمارة النصارى قد أتت وهي عمارة كبيرة أخذت وجه الماء كله وسترته وشرعت في عددها فلم أقدر وتشوش نظري من ذلك لكثرتها فعند هذا عين حسن آغا حملة من الخيل فصعدوا إلى جبل أبي زريعة ليأتوه بتحقيق العمارة فرجعوا إليه وكل واحد يقول لم أقدر على إحصاء ما رأيت لأن العدد كثير لا يصل إليه الإدراك فعند ذلك أمر حسن آغا سيدي سعيد الشريف وكان هو شيخ المدينة، أن يوجه رجالاً من أهل البلد إلى الأبراج والأسوار يرسم حراستها في مقاتلة العدو منها فنهض شيخ المدينة المذكور وعين الرجال للأبراج والأسوار ونصبوا رايات الإسلام عليها ووزع حسن آغا رجاله على أبواب المدينة بطوائف من العسكر فعين لباب عزون رجالاً من أعيان العسكر يقال له الحاج مامي وكان مشهوراً بالشجاعة فقام بما عين له، وأما حسن آغا فإنه أقام بحصن من حصون الجزائر تصل مدافعه إلى العدو براً وبحراً ومعه جماعة من العسكر وطبوله تصعد أصواتها إلى الجو وألويته المنصورة تخفق على رأسه وجعل على باب الوادي أي حصنها مدفعاً عظيماً يدهش الإنسان عند صيحته وتزهق النفس من دفعته، وجعل من هذا الحصن إلى القصبة قائداً اسمه حسناً ومعه طائفة من العسكر وعين لحراسة باب الوادي رجالاً يقال له القائد يوسف ومعه جماعة من العسكر وعين معه ثلاثة من (ص 161) القياد أحدهم يقال له سافر وجعله في برج من الأبراج/ وثانيهم يقال له أصلان عينه لقاع السور وثالثهم يقال له رضمان فإنه أقامه قريباً منه في بعض النواحي ثم أقام كجك علي وحيدر ومعهما قبطان السفن أخضر وجملة من رؤساء البحر بباب الجزيرة وجعل أهل الجزائر من العسكر والأندلس والبلدية دائرين بأسوار المدينة متسلحين بالمكاحل والسيوف والرماح والنشاب كما جعل العرب ركاباً ومشاتاً

بخارج البلد في غاية من الحزم والضبط فبينما الناس في غاية الاستعداد للقتال سائلين من المولى جل جلاله أن يعينهم على النزال، إذ بعمارة النصارى ظهرت لهم في يوم الأربعاء آخر جمادى الثانية بأن بقت له ثلاثة أيام سنة ثمان وأربعين وتسعمائة⁽¹⁾، ورست وقت العصر من يوم الخميس في جون تمانتفوس⁽²⁾، الموالي للجزائر ولما رسوا سقط لهم بعض الرايات في البحر فتناول (كذا) المسلمون لما رأوا ذلك وعلموا أنهم منصورون (كذا) عليهم بإذن الله تعالى، وكان نزولهم للبر في يوم الأحد قبل الزوال بشيء قليل ولما نزل سلطان إسبانيا دارت به عساكره. فيقال إن عدتهم تسعين ألفاً وكان المسلمون أرادوا أن يمنعوهم من النزول إلى البر فرمت عليهم السفن بالمدافع من البحر فأوسعوا لهم في المجال حتى تمكنوا من النزول وبات العدو ليلة الاثنين قرب البلد بموضع يقال له الحامة وكان زعيم من زعماء الترك يقال له الحاج باشا عزم أن يضرب العدو ليلاً ففتحت له أبواب المدينة وأخذ الراية في يده وخرج في جماعة وافرة من المسلمين وكان خروجه لما بقي الربع الآخر من الليل (كذا) فلم يشعر العدو لشدة الشتاء لكونهم وصلوا في شهر أكتوبر في أيام قاسم كون إلا والمسلمون قد خالطوهم ورموا عليهم بالمكاحل دفعة واحدة ورشقوهم بالسهام بالسهم فحصلت بهم ضجة عظيمة فانتبه مالكهم مرعوباً من نومه وصاح برجاله وخواص وزرائه وقال هؤلاء الذين أخبرتموني عنهم أنهم لا يقومون بحرنا انظروا ما عملوا فينا هذه الليلة. ثم أن المسلمين رجعوا سالمين إلى البلد بعدما قتلوا منهم خلقاً كثيراً فلما كان يوم الإثنين تحركت النصارى إلى المدينة ومعهم الطاغية حتى قربوا الأسوار وهم يزعمون في انفرتهم وألويتهم منصوبة عليهم فخيّل لأهل الجزائر/ أنهم نمل أسود قد ملأ الفضاء وكان فيهم من الفرسان أربعة آلاف (ص 162)

فارس فشرع في قتالهم من الأسوار، بالمدافع وبنادق الرصاص والسهم وتقدم في ذلك اليوم إلى القتال رجال من الأتراك فظهرت شجاعتهم العظيمة منهم الحاج باشا والحاج مامي والحاج بكير وأخضر وغيرهم فقاتلوا قتالاً شديداً إلى الليل

(1) الموافق 18 أكتوبر 1541 م.

(2) يقصد خليج تمانتفوس، وهو برج الكيفان حالياً.

(كذا) ثم رجع النصارى إلى رأس تفورة ونزلوا بأموالهم وأخذت تلك الوعور كلها وشرعوا في قتال المدينة وصبت عليهم مدافع المسلمين من كل جهة وخاب رجاؤهم من المدينة فصعدوا بالوية منشورة إلى الكدية المعروفة بكدية الصابون وصاروا يقاتلون المدينة منها فصار أهل الجزائر يرمون عليهم بالمدافع من كل ناحية بأصوات الصواعق وربما وصلوا الرمي على أجفانهم التي في البحر ولما كان يوم الثلاثاء أرسل الله تبارك وتعالى في آخر الليل (كذا) ريحاً عاصفاً قطعت حبال أجفانهم ونشروا صواريخهم خوفاً من الهلاك وتزايد هذا الريح فتشوش جنرالهم أندرية⁽¹⁾ من ذلك وكذلك من معه في الأجفان وسافت هذه الريح التي أرسلها الله عليهم جملة من أجفانهم إلى البر فغطت على المطاحن وخرج منهم أسارى المسلمين ومالت عرب الجزائر على أهل تلك الأجفان واستاصلوهم قتلاً إلى آخرهم وحين رأى الطاغية ما حصل بأجفانه من الغرق والعطب انكسرت شوكته وضعفت قوته وأخمدت ناره، وبرد شراره وظهرت عليه مخايل الذل فخرج أهل المدينة صبيحة يوم الثلاثاء لقتالهم باجتهاد وقوة وعزم شديد وعلموا أن الله تعالى نصرهم على الأعداء فخالطوهم وقاتلوهم في تلك الأوعار فأتى وجوه العساكر إلى الطاغية وقالوا له أيها الملك قم بنفسك إلى الحرب فإن المحلة أشرفت على الأخذ فعند ذلك خرج الطاغية والتفت عليه عساكره وأخذوا في القتال فتقهقروا المسلمون عنهم نازلين رأس تفورة وجد الكفار في قتالهم وتكالبوا عليهم فتقهقروا أيضاً إلى ملعب الكورة (كذا) ثم إلى قنطرة الأفران فلما رأى النصارى ذلك منهم تراكت جيوشهم عليهم كالبحر الزاخر وصاحوا عليهم من كل ناحية وطلبوهم من كل دانية فتقهقروا المسلمون إلى ناحية سيدي أبي التقي ثم صرخ المسلمون في وجوه الكفار صرخة واحدة وحملوا عليهم وضربوهم حتى بالحجارة والنشاب وكان ذلك اليوم يسيل فيه المطر كأفواه القرب، / فتراجع المسلمون لحماية بعضهم بعضاً وحملوا على الكفار من كل ناحية فردوهم على أعقابهم إلى المحلة ورجع المسلمون للمدينة ولما كان صباح يوم الأربعاء ظهر للكفار أنهم لا مطمع لهم بالجزائر وأن الغنيمة أن ينجوا بأنفسهم فقربت أجفانه

(1) يقصد به أندري دوريا الجنوبي، كبير قراصنة أوروبا في هذه الفترة.

إلى البر ونزل الجنرال أندريه منها حزين فوصل إلى الطاغية في محله وأعطاه حق المبايعة وقال له أيها الملك ألم أحذرك عن السفر إلى الجزائر فانظر عاقبة الأمر الذي حذرتك عنه الآن قم اطلب النجاة لنفسك فإن جل أجفاننا عطب على السواحل فكيف يكون رجوع هذا المعسكر إلى بلادنا فما أنا أيها الملك أذهب إلى تمانتفوس وانتظر في فبادر أنت ومن معك من العسكر بالرحيل لتركب في الأجفان الباقية وتخلص إلى بلادك فعند ذلك رحل الطاغية عن الجزائر ونزل على واد الحراش وكان قد أجهدهم الجوع فأكلوا أربعمئة من الخيل وباتوا تلك الليلة والمطر يتراكم عليهم والأعراب والقبائل يضربوهم بالمكاحل والأحجار وغيرها ويلتقطون في السعي . ولما كان يوم الخميس نظر الطاغية إلى الوادي فرآه فهالته رؤيته فاستشار رجاله كيف يتحيلون على القطع إلى الناحية فعقدوا صواري سفنهم المنعطة على الساحل وقطعوا عليهم فلما قطعوا إلى الناحية الأخرى هجمت عليهم فرسان العرب أيضاً وصاحوا عليهم وحملوا نحوهم بعنان واحد وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ولم يزل الطاغية ذاهباً وفراسان العرب تطاعنهم (كذا) إلى أن وصلوا إلى تمانتفوس وأقام بها أياماً والحرب لا ينقطع عليه من المسلمين إلى أن خمد هيجان البحر فركب فيما بقي من الأجفان وسافر إلى بلاده وهو لا يصدق النجاة بنفسه وخلف كثيراً من الأغربة والأجفان الرفاق وكثيراً من الأجفان العظام والعشريات والفرقات ومدافع عظام وخلف كثيراً من الرجال والنساء والصبيان التي أتى بها لأنه لم يذهب واحد منهم وعددهم ألفان وثلاثمئة وأما خيله لم يذهب منها واحد سوى الذي مات منها في الحرب أو أكلوه وحاصل ما خلفه لأهل الجزائر مال لا يحصى .

وفي الثالثة غزوها سنة سبع وستين من العاشر⁽¹⁾ ولم تحصل لهم فائدة ورجعوا خائبين .

(1) الموافق 1559 - 1560 م وهذا في إطار الحملة على جربة بتونس .

حملة الإسبان على تونس

(ص 164) / ثم غزوا تونس سنة سبع وستين من العاشر⁽¹⁾ فأخذوها عنوة من يد سلطانها أبي العباس أحمد بن حسن الحفصي ونبشوا ضريح سيدي محرز بن خلف البكري الصديقي فآلفوه مملوءاً رملاً وبقيت بأيديهم إلى أن استخلصها منهم سليمان باشا التركي سنة إحدى وثمانين من العاشر⁽²⁾. واستولوا بطاعة المغرب الأقصى (كذا) على حجر باديس بالريف سنة أربع وستين من العاشر⁽³⁾ وهي بأيديهم للآن أعطاها لهم سلطان المغرب عبدالله الغالب السعدي لما تملك المغرب تلك السنة ورأى مراكب الأتراك تتكرر بمرساها تخوف منهم على ملكه واتفق مع الطاغية على قطع المدد ولما حلّوا بها نبشوا قبور أمواتها وأحرقوا عظامها بالنار وأهانوا من بها من المسلمين شديداً. وفي ولايته سنة سبعين من العاشر⁽⁴⁾ غزى الباشا حسين بن خير الدين وهران فهو أول من غزاها من الأتراك وألح عليها حتى هدم حصن النصارى الأعلا (كذا) من برج المرسى وهربوا للأسفل فدخله المسلمون ليلة السبت خامس عشر رمضان تلك السنة ثم أقلع عنها. ونظم أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن موسى التلمساني في ذلك قصائد انظرها في البستان. وأهدى الشيخ أبو مهدي عيسى بن موسى العارف بزجر الطير التجيني للباشا حسين حينئذ ثوباً جيداً. وإلى هذا أشار الحافظ أبو راس في سنيته بقوله:

وقيض الله الأتراك بمزغنة لحرب وهران دار الشرك والألس
غزاها الباشا بن خير الدين أولهم وبرج مرساها قد رماه بالنفس

وحسين هذا كما في الحافظ أبي راس في الخبر المغرب هو الذي غزى المغرب وبعث له ولي الله الشيخ أبو زيد عبد الرحمن بن عبدالله اليعقوبي من أولاد يعقوب بن طلحة النقادي الذي تنسب له الزاوية التي بإزاء ندرومة ابنه

(1) الموافق 1559 - 1560 م وهو خطأ لأن تونس غزاها الإسبان واحتلوها عام 1535 إلى عام

1574 م وهو ما يوافق 941 هـ.

(2) الموافق 1574 م.

(3) الموافق 1556 - 1557 م.

(4) الموافق 1563 م.

عبدالله ليرجع عن الغزو وهو بملوية فأبى وتمادى على غزوه فرجع خائباً، وهذا
 يعقوبي هو الذي كلم الشيخ أبا مدين في قبره على عز الترك فقال له أبو مدين
 ما كان باش تبدلهم إذا أرادت أن تكون في موضعهم فذلك فقال لا. قال
 أبو العباس أحمد نزيل العباد ولما سمعت الكلام من الطاق⁽¹⁾ الفوقي الذي عن
 يمين الداخل دنوت فجذبني / من خلفي شيء فالتفت فلم أر شيئاً ثم أردت الدنو (ص 165)
 ثانياً وثالثاً فمنعت من ذلك. انظر البستان. ثم فيليب الثاني تولى سنة ثلاثاً وسبعين
 وتسعمائة⁽²⁾ وبقي في الملك اثنين وأربعين سنة ووهران تحت حكمه. ثم فيليب
 الثالث تولى سنة خمسة عشر وألف وبقي في الملك ثلاثاً وثلاثين سنة ودخلت
 مدينة العرايش بالمغرب الأقصا في حكمه سنة تسعة عشر وألف⁽³⁾ بإعطاء سلطان
 المغرب محمد الشيخ السعدي إياهم فبقيت تحت حكمهم إلى أن نزعها منهم
 مولاي إسماعيل بن علي العلوي سلطان المغرب سنة واحد ومائة وألف⁽⁴⁾ بعد
 محاصرته لها ثلاثة أشهر بالحرب المتصل ولم يفتحها حتى جعل لها لغماً هذ به
 سورها واقتحمها حينئذ وقتل منهم ألفين وأسر نحو الإثنا عشر مائة وذلك مبلغ
 عمارتها فلم يفلت منهم أحد وألفى بها خزائن البارود ونحو المائة وثمانين نفصاً
 منها اثنان وعشرون نحاساً واحد يسمى الغصّاب في طوله خمسة وثلاثون قدماً
 وزنة كورته خمسة وثلاثون رطلاً يحلق عليه بقرب خزنته أربعة رجال وقد بقيت
 بأيديهم اثنين وثمانين سنة. ثم فيليب الرابع تولى سنة ثمان وثلاثين وألف⁽⁵⁾
 وبقي في الملك أربعاً وأربعين سنة. وفي ولايته غزى إبراهيم باشا الجزائر
 وهران في وسط القرن الحادي عشر ونصب عليها المدافع والبوابة (كذا) من
 المائدة وهي سطح جبل هيدور المطل على وهران فهو أول من فعل ذلك من
 الأتراك فامتنعت عليه ورجع مؤسراً (كذا) منها إلى مملكته بالجزائر وإلى ذلك
 أشار المحافظ أبو راس في سينيته بقوله:

(1) يقصد النافذة.

(2) الموافق 1565 - 1566 م.

(3) الموافق 1610 - 1611 م.

(4) الموافق 1689 - 1690 م.

(5) الموافق 1628 - 1629 م.

أتاها باشا إبراهيم وسط حادي من القرون من بعد الألف للموطس
قام بالمائدة حيناً يزاولها ثم قفا درجه من فتحها ايس
ويوجد في بعض النسخ بدل هذا البيت:

قام بهيدور أياماً يزاولها ثم قفا درجه من عسرة الرطس

(ص 166) / ومن حينئذ وقع للإسبانيين الاعتناء بقلعة مرجاجو ودبروا الحيلة في إقامته
فصعب عليهم الماء فأتاهم شيخ حميان بقرب الماء لإقامته من عند قبيله. ولما
أقلع إبراهيم باشا عن وهران مأيساً منها امتدت يد النصارى أيضاً إلى الإسلام
وصاروا معهم ما بين نفرة واستقامة ورأى الطاغية شوكة نفسه بأتباعه قويت كتب
للممدود وهو عدة ولد الصحراوي رايس (كذا) الحشم بقوله إن كانت أمك عربية
حرة حقيقة وتزعم أنك لا تخشى سطوتي، ولا تلتفت لشوكتي فانزل بعربك سيرات
أو ملاته ذات الوطي ترى ما يفعله بك ابن النصرانية وكان الدال عليه بذلك ونزار
العبدلاوي جد الونازرة لكونه كان جنراً على العرب عند الإسبانيين فأنف
الممدود من ذلك وارتحل بجميع الحشم الشراقة والغرابة وأهل الوادي ومن
انخرط في سلكهم ونزل بوطاء سيرات من سيق إلى الغمري وتفرغ بسيرات
الشرقية والغربية وجعل عيوناً وحراساً بينه وبين وهران من زبوج مولاي إسماعيل
إلى المقطع واستعد للحرب استعداداً قوياً ووافقه على ذلك هبرة والبرجية وبنو
شقران ولما سمع الطاغية بنزوله بسيرات جمع جيشه من النصارى والعرب
المتنصرة وهم كرشتل وحميان وغمرة وبنو زيان والونازرة وقيزة وشافع وأولاد
عبدالله وأولاد سليمان وأولاد علي والحجز وغيرهم من بني عامر وخرج من
وهران ليلاً ومشى على طريق مسرقين إلى أولاد عبدالله ثم مشوا به إلى تاسالة ثم
إلى ماخوخ ومشوا به لمكرة ورجعوا به لأولاد سليمان إلى أن وصل لخشاب
النصارى فكمنوا به وسمى من ذلك الوقت بخشاب النصارى ومنه طار الخبر
للممدود ثم هبطوا بالطاغية مع الوادي المبطوح ولما وصل لسيق تركه الممدود
إلى أن اشتغل بأخذ الأموال وقد ذهبت الناس بأنفسها (كذا) قصداً لاشتغاله
بذلك وقد سدّ عليه طرق المجاز من كل جهة فقصده بجيوشه وصار يقتل ويسبي
واستخلص منه جميع ما أخذه وأثخن فيه بالقتل الذريع اثخاناً عظيماً فلم ينج منه
إلا القليل وحصلت الهزيمة فيهم وركب الممدود بجيشه أكتافهم إلى وهران

فدخلها الطاغية في فله في أرذل حالة وكتب له الممدود وهو بضواحي وهران وأرباضها كتاباً يقول له فيه أخبرني أيها الطاغية لمن علو الكلمة الآن هل للعرب / أو للنصارى كلا لئن لم تنته عن فعلك الذميم ومحاربتك للمسلمين والغارات (ص 167) عليهم لأرجمنك شديداً.

ثم كارلوص الثاني وهو شارل الثاني تولى سنة اثنين وثمانين وألف⁽¹⁾ وبقي في الملك خمساً وثلاثين سنة فبقيت وهران تحت حكمه وفي أيامه تولى الخطريف الهمام، والأسد الهصور الضرغام، معز الدين وأهل الإيمان الزناقي السيد الباي شعبان، أحد الأتراك الأنجاد، وأعيانهم الأمجاد، أباله مازونة وغيرها من شرقي المغرب الوسط، في حدود التسعين وألف⁽²⁾ بلا شطط.

معركة كدية الأخيار واستشهاد الداي شعبان

فغزى رحمه الله وهران وطالت به معهم الحروب واتصلت عليهم بدولته أعظم الكروب، ومنعهم من الخروج، وضيّق عليهم إلى أن صاروا في أحوج المحوج، ولازموا بيوتهم والحصون، وصاروا لا يفارقون الجواسيس والعيون، إلى اليوم الذي استشهد فيه حصل لهم فرج وتنوية وتنزيه. ومن خبره أنه زحف لهم في نحو أربعة آلاف فيهم نحو الثلاثة آلاف فارس وزحف النصارى مع مرده العرب وشياطينهم من بني عامر وقيزة وغمرة وكريشتل وغيرهم في أزيد من ثلاثة آلاف فيهم ألف خيل والباقي راجلة. وفي غريب الأخبار للمحافظ أبي راس أن النصارى زحفوا إليه في زهاء أربعة آلاف أكثرهم راجلة وهو في أكثر من ألف كلهم خيل. قال المحافظ في عجائب الأسفار فكان المصاف في كدية الخيار وصبر الفريقان ثم انقضت جموع النصارى واختل مصافهم وقد ربط بعضهم نفسه بالأحبال وربط الآخر نفسه بالأكبال فكانوا غنيمة للمسلمين. وفيما للموحدين، فقتل في تلك الهزيمة أكثر من إحدى عشر مائة ودامت عليهم الهزيمة إلى أن حل المسلمون بقبة برج العين فاقتتلوا به قتالاً شديداً وهزمهم

(1) الموافق 1671 - 1672 م.

(2) الموافق 1679 م.

المسلمون ثانياً وهو أمام جيشه المنصور كالأسد الهصور إلى باب وهران فجيء عنده الوطيس وتسابقت للتقدم الفرسان. وفي تلك المعركة قتل الباي شعبان، رحمه برحمته الرحمان، وأمدّه رضوانه، وأسكنه بالفردوس ميطانه. وذلك سنة ثمانين وتسعين وألف⁽¹⁾ من هجرة من له كل العز والشرف والوصف، فلقد كان من أسد الإسلام، الناصر لأهله على اللثام (كذا) حتى جرى للغاية المحموده (ص 168) فأدركها وأزعج السواكن للأجر/ وحركها وكل من عمل في هذا السبيل مطيته رسمياً ورملاً فله الأجر لأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، ولا يخيب لراجيه أملاً. ولما قتل بقيت جثته بأيديهم على وجه التراب فجزّوا رأسه وعلقوه بالباب. وقد أخذ المسلمون الجثة وتركوا الرأس لما لم يقدرُوا على الرجوع إليه، فرأى بعض النصارى بالليل (كذا) النور يسطع عليه فأخبر بطريقهم وحيثُ بدعوه للمسلمين فجعلوه مع جسده في الحين، ودفنوه خارج وهران، وقبره للآن يعرف بقبر سيدي شعبان. وكان على ضريحه قبة عالية، ولما سكن بجواره بعض النصارى الآن وملك تلك الأرض هدمها لما صارت بالية. وقال الحافظ أبو زيد عبد الرحمن الجامعي علي الحلقاوي في قوله الناب، أنه حمل ودفن بالجزائر والله أعلم بالمراد، وإليه الرجعا (كذا) والمعاد. ويقال أن الذي قتله هو أحد المغطسين أبونصايبية من النصاصيب الذين منهم كل ظالم وفاجر أحد بطون أولاد عبد الله من بطون بني عامر. وقيل غير ذلك والله أعلم بحقيقة ذلك. وقال الجامعي أيضاً وحدثني بعض من حضر أنه تكسّر في يده يوم الاستشهاد سيفان وأنه لبس أفرّ ثيابه وتحلّى بأشرف حلّيته وركب أجود مراكبه ملأ جيوبه دنانير الذهب افتخاراً على العدو أن بقي بأيديهم فوجدوه على تلك الحالة هـ. وموته سبب لغزو إسماعيل سلطان المغرب لوهران إلى هذا أشار الحافظ أبو راس في سينيته بقوله:

فامتنت وشمشت أيما شمس	ءاخره شعبان الزناقي حاصرها
به هامت دمعهم من زكا وخس	أوطى الفليق الجرار لأراضيهـم
ءاخر أمرها باستشهاده النفس	دارت حروب عظام بينهم قد أتى

(1) الموافق 1686 م.

ولما مات البايع شعبان فرح النصاري واشتدت شوكتهم على الإسلام. ورجعوا يغزونهم في البيوت والخيام، فغزوا وليّ الله الأكبر، وقطبه الأشهر سيدي بلاحة المهاجيء وأسروه هو وبناته الثلاثة، وخمسين رجلاً من زاويته ورجعوا لوهزان وبقي بها مع بناته سنة كاملة / ثم فدى وفدى إحدى بناته أبو عزة بن حميدة (ص 169) شيخ أولاد سليمان وفدى الأخرى الشحط والد دموش شيخ أولاد علي فزوجها له أبوها لما رامت تزويجه ولم ينتج منها شيء لدعائه عليها وبقيت الثالثة بلا فداء فكثر بكاء أمها وأقلقته فخرج يوماً لساحة بيته وتوضّى (كذا) ودعا الله وإذا بها مقبلة فقال لها اخرجي لابتك فسئلت فقالت إني أمشط رأسي وإذا بطائر أبيض نقرني وصدّ أمامي فتبعته إلى وطني قاله الحافظ أبو راس في الخبر المعرب. ويقال أن سيدي بلاحة قال لمعلم ولده الزين قبل الواقعة بيوم إذا كان في صبيحة غد خذ الزين وأمه وأصعد بهما رأس الجبل واجلس هناك للغروب ودعني وبناتي الثلاثة ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ففعل المعلم ما أمره به الشيخ فتجاهم الله من العدو وعدّ ذلك من كراماته كإتيانه ببينة من الأسر. وولده سيدي الزين هو الذي تنسل منه جميع أولاد سيدي بلاحة حيث كانوا.

حملة السلطان إسماعيل على وهران

ولما سمع الشريف سلطان المغرب مولاي إسماعيل بن علي العلاوي بقتل العرب المنتصرة للبايع شعبان استغاض غيظاً شديداً وجمع جيشاً عظيماً لا يكاد يسمع بمثله من أقاصي سوس إلى بني يزناسن وجاء حاركاً به علي وهران سنة اثنا عشر من الثاني عشر⁽¹⁾ وقيل في أربعة منه وقيل في أوله فنزل بجبل هيدور ونظر إليها وحطّ كللكه عليها. ووجد حولها القبيل المديم لقتالها، نجع مخيس أخوة سويد فاستعان بهم أيضاً على نزالها، فقاتلها مدة وأطال ذلك وبان شرره ولم يجد لها محلاً يلحقها منه ضرره. لمنعها ببرج مرجاجو، والنصاري بها هاجوا وماجوا، فعندها صعد على المائدة ونظرها نظر ليث العريسة، إذا دفع على الفريسة وعابن أحكامها ومنعها. وإتقانها وصنعها، فقال هذه أفعى تحت

(1) الموافق 1700 - 1701 م.

حجر تضرّ ولا تضر، وارتحل عنها مشرقاً يروم المعط، إلى أن وصل لزبوجة الوسط، فقامت عليه الأعراب مع الأتراك إقامة الغضب، ورجع مقلولاً إلى أن وصل في فله إلى المغرب وإلى هذا أشار الحافظ أبو راس في سنيته بقوله:

وبعد ألف ومائة في نقط يبّ	جهاز إسماعيل لها أقاصي سوس
وأهل تامسنا إلى أهل ملوية	ووجدة ومقل وبني زنس
/ فحطّ كلّكـه عليها معتزماً	على النزال فلم يجد محلّ بوس
قام بهيدور أياماً يحتال لها	قد استعان بما حولها من مخيس
أعيته حيلتها حزمأ ومنعتها	عقاب جوّ قد ارتقى من الحرس
فقال هذه أفعى تحت صخرتها	تضرّ لا الضرّ يأتي لها من أنس
قد حلقت بحرس غير غافلة	بل يسمعون حسيس الآني كالحسس

(ص 170)

قائمة الملوك الوطاسيين والسعديين والعلويين

واعلم أن العلويين الذين منهم مولاي إسماعيل هذا أخذوا المغرب من يد الملوك السعدية وهم من يد بني وطاس وهم من يد الجوطي وهو من يد بني مرين، وقد ذكرت المرينيين تفصيلاً إلا ما ذهب عن حفظي منهم. وكون الجوطي خلع آخرهم وتولى بموضعه سنة كاملة. وخلعه بنوا وطاس فبقي المغرب بأيديهم ثمانين سنة.

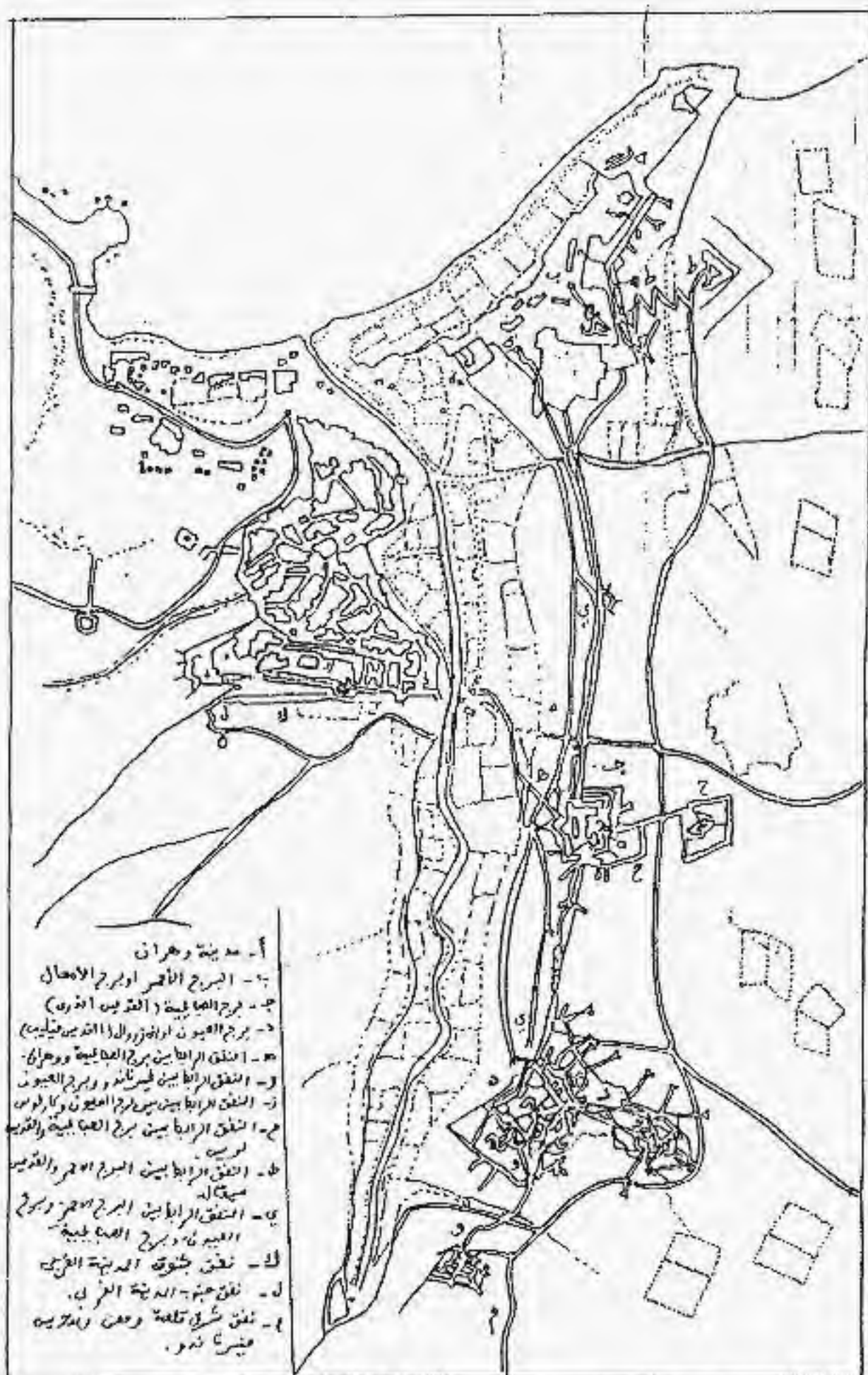
وأولهم أبو عبدالله محمد الشيخ ثم ابنه محمد الغالب، ثم أخوه المنصور، ثم آخرهم أبو حسن. وتولى ملك المغرب السعدية وأولهم الشريف عبدالله القائم، ثم ابنه أحمد الأعرج، ثم محمد الشيخ، ثم عبدالله الغالب، ثم أخوه المنصور أبو العباس أحمد الذهبي، ثم ابنه زيدان وحصل بينه وبين أخوته كالشيخ وغيره الخصام ورام كل واحد منهم الخلافة حسبما ذلك مبين في نزهة الحادي، والمهرة الوردية، وقام عليه أبو العباس أحمد بن أبي محلي المساوري. ثم ابنه أحمد بن زيدان، ثم أخوه عبد الملك بن زيدان، ثم أخوه الوليد، ثم أخوه محمد الشيخ الأصغر، ثم ابنه أحمد العباس. ثم انتقل ملك المغرب لأهل الزاوية الدلائية السوسية وهم السيد أبو بكر بن محمد، ثم ابنه السيد محمد. وقام عليهم أبو الحسن علي بن محمد السوسي بسوس. وصنوه

أبو حسون، ثم قام عبد الكريم بن أبي بكر الشيباني بمراكش. ثم انتقل ملك المغرب للعلويين. وأولهم الشيخ الشريف، ثم ابنه محمد، ثم أخوه رشيد، ثم أخوه مولاي إسماعيل، ثم ابنه أحمد الذهبي، ثم أخوه عبد المالك، ثم رجع الذهبي، ثم أخوه عبدالله، ثم أخوه علي وخلع ورجع عبدالله مرة ثانية، ثم أخوه المستضيء ورجع عبدالله ثالثة، ثم / أخوه زين العابدين وخلع ورجع عبدالله رابعة (ص 171) وخامسة، ثم ابنه سيدي محمد بن عبدالله صاحب التاليف (كذا) العديدة، ثم ابنه اليزيد، ثم أخوه مولاي سليمان، ثم مولاي عبد الرحمن، ثم ابنه مولاي محمد، ثم ابنه مولاي الحسن وهو الموجود الآن. وأتيت بهذا لإتمام دول المغرب الأقصا (كذا).

منشآت الإسبان بوهران

ولما دام الملك للإسبانين بوهران بنوا بها البناء المحكم الضخم فبنوا سورها وزادوا في بناء البرج الأحمر وبرج المرسى وبنوا مرجاج وبرجي رأس العين وبرج المرسى الثاني وبرج الحمامات والبرج الجديد وبرج الدهان وبرج الويز وبرج فراند وبرج كارلوص. وذكروا أن البرج الجديد أقامته امرأة نصرانية بتسعين ألف ريال كبيرة من خالص مالها صدقة عليها ليتقبل الله منها عملها وإنما يتقبل الله من المتقين. وأما برج اليهودي فبناه يهودي فنسب إليه والبرج الأحمر وبرج المرسى بناهما أبو الحسن المريني لكن النصراني زادوا فيهما فأتسعت دائرتهم وبرج الإصباحية بناه الأتراك والقبة التي بالبرج الأحمر بناهما الباي محمد الكبير بن عصمان، فاتح وهران، وما عدا ذلك مما فيه عظمة البنيان، فإنما بناه ملوك بني زيان.

ثم غزوا العبيد الشراقة حذو المقطع في جيش ضخم خرجوا به من وهران ومروا على قديل ثم رزيو ثم الصنهاجي ويقال له الزناقي أيضاً إلى أن وصلوا إلى المقطع وانحدروا للشراقة وكان الخبر تقدم لهم فاجتمع معهم الغرابة وهبرة والبرجية ومجاهر فاقتل المصاف على النصراني ودارت الدائرة عليهم فكان أكثرهم غنيمة للمسلمين ورجع فلهم لوهران ومن ثم أتوا بحميان من ملالة لهذه الأرض التي عم بها الآن ترساً بينهم وبين هؤلاء الأعراش فكان حميان تارة مدعين وأخرى ممتنعين.



مَرْيَطَةُ الْأَنْفَاقِ الْأَمْرُ الْكَائِنَةِ تَرْبُطُ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالْمَدِينَةِ الْمَدِينَةِ هَمَّانَ خِلَالِ الْأَمْرُ الْأَمْرُ

التحرير الأول لوهـران عام 1708 م

ثم فيليب الخامس وولده ألو⁽¹⁾ الرابع عشر وهو ببطن أمه وتولى سنة سبعة عشر ومائة وألف⁽²⁾ وبقي في الملك أربعة وعشرين سنة وبقيت وهران كسائر مملكة إسبانيا تحت حكمه واشتدت شوكة النصاري على المسلمين إلى أن تولى بوقته شريف النسب، وكثير اللجين والذهب، إمام جامع المجادة الأزهر، وبدر مطالع السعادة الأزهر أبو الفتوحات الربانية القائم في أيالة/ محروسة الجزائر (ص 172) بتصرفات الدولة العثمانية، أبو عبدالله محمد خوجة بن علي داي الجزائري الدار، النكدلي المنشأ القرشي النجار المعروف بيكداش، المنصور بالله على النصاري الأوباش، قدس الله روحه وبرد ضريحه، باشة بالجزائر، التي هي مأوى لكل قاطن وزائر، يوم الجمعة منسلخ ذي القعدة الحرام، سنة ثمانية عشر من القرن الثاني عشر⁽³⁾ بلا انصرام، بعد عزل الباشة الذي قبله الشريف السيد حسين خوجة، الصائر للأمور المحوجة، جهز الجيوش لباي الجهة الغربية المجتمعمة الخالية القواتي الموافق لها في سائر الأحوال المواتي أبي الشلاغم مصطفى بن يوسف المسراتي إعانة له لما هو فيه من الحصار لوهـران في جيشه المخصوص به من الترك والعربان لنظر صهره ورديفه السالم من جميع المحن، وزيره أوزن حسن فجاء بالجيوش برأ ويحرأ، وخيموا على أرجائها سهلاً ووعراً، في جنة المأوى ورهبة من نار السعير، وصارت الجنود البحرية تنزل بمرسى رزيو ثم تذهب لوهـران، فراراً من المانع بالبحر من المراكب المشحونة بالعديان (كذا) فحاصروا وهران وضايقوها من كل وجه متفق ومتخالف واشتد القتال وكثر النزال بها مدة والحرب مترادف، وشوهد للمسراتي في حال الحروب أمور عجيبة، وحملات على الأعداء غريبة، بانث فيهما شجاعته وكفايته وفراسته وعنايته ولا زالت جيوش الإسلام تحاربها وتنال منها الغنائم والمثوبة والاجراء (كذا) وتراوحها وتصابحها وتعالجها بالقتال الذريع إلى أن فتحوها عنوة وقهراً، وذلك

(1) يقصد لويس.

(2) الموافق 1705 - 1706 م.

(3) الموافق 5 مارس 1707 م.

صبيحة يوم الجمعة سادس عشرين شوال سنة تسعة عشر من الثاني عشر⁽¹⁾ بعد إقامة النصارى بها مائتي سنة وخمس سنين في ما اشتهر، وإلى ذلك أشار الحافظ أبو راس في سينيته بقوله :

لما أراد الله عود الإيمان بها	أقام بالجزائر مذهب الدّمس
محمداً بكداش أضحى باشتها	قد فاق الأكفاء في الدّهاء والرّعس
جهز أجفنا بالأتراك مشحنة	في شرقها نزلوا في برّها اليبس
مدافعاً وعرادات أتانا بها	أضحى لذلك حزب الكفر منبّس
/ في كل حين أوزن حسن يزاولها	وقائف مصطفى ذوالبأس والفرس
فتحت عنوة في تسع عشرة	من بعد سكنى به والدين في وكس
عاقبة الغدر للبوار قد قررت	سنة ربنا قد سنّها في جرس
أضحت مراتع أمن للأنام وقد	كانت لها طيبات الأنس في دنس
قدمه بعد عشر استقل بها	بغاية وجدت كالعدو للفرس
حكم الآله (كذا) كما قدرى قدره	لو شاء ما ملكوها عشر النفس

(ص 173)

وقال الشيخ الحافظ أبو عبدالله سيدي محمد التفريري في رجزه ما نصّه :

الحمد لله الذي فتحنا	وهران عن أيدي الرجال الصلحا
وقهر القوم الليام الفجرة	ورفع الإسلام فوق الكفرة
في مدة السلطان فخر الناس	أحمد خاقان أبي العباس
من ملك البرين والبحرين	ومصر والشام بدون مين
وخادم الحرمين في طول المدا	دام انتصاره على جمع العدا
يا سائلاً عمّا بوهران ظهر	من أخذها وفتحها كما انتشر
أخذها الكفار الثبات	فيما رويناه عن الثقات
سنة أربع وعشرة مضت	من بعد تسعمائة قد كملت
فمائتان مع خمسة سنين	عدة مكثها بأيدي المشركين
ثم بدا العز من الآله (كذا)	وجاءنا الفتح ونصر الله

(1) الموافق 19 جانفي 1708 م.

ففتحت سنة تسعة عشر
في سادس العشرين من شوال
عن يد من قصد صير الجزائر
محمد بكداش فخر الدولة
زاد الإلاه لهما في النصر
لا زال من عادهما في الانتقام
ثم الصلاة عن محمد الأمين
/ ماجاهد الإسلام في الكفار

ومائة من بعد ألف تعتبر
صبيحة الجمعة خذ مقال
جنة كل قاطن وزاير
وحسن صهره عالي الصولة
والظفر وافتتاح أرض الكفر
بالقهر والنهب على طول الدوام
وءاله وصحبه والتابعين
بالقتل والأسر وأخذ الثار

(ص 174)

وقال الحافظ المحقق أبو عبدالله محمد بن أحمد الحلفاوي التلمساني في

رجزه:

إذا جمع الرأي بأمر حازم
مجهزاً جيشاً حمى الدين فساد
فنهضوا لله حزمأ وأعد
من نحو بارود وكم من مدفع
مؤمراً صهره أوزن حسنا
والحازم العارف باي مصطفى
ثمت نادى بالجهاد في الوري
فسارع الناس له إذ طلبه
فنزلوا الأول من ربيع
في عكر بيوته عد مقر
وقصدوا حصونها بكل شق
فاجتمع الجيش بذلك الثغر
ونصبت من حولها مدافع
ومرعدات كورها في الجو
تلمع من خلالها البوارق
فأججوا نار الحرب سرمداً
فنشروا ما نظموا من عقدها

على الجهاد لم يعقبه جازم
إذ ظهرت به بقاع من فساد
معهم ألة حرب لا تعد
ومنجنيق ما له من مدفع
قرما رضى فسار سيراً حسنا
وهو من الأقيال قايف مصطفى
مقدماً ما كان عندهم وري
لا سيما جماعة من طلبه
النبوي منسلخ الربيع
وتركوا الأثقال فيه في مقر
بزمان تاريخه يهد شق
جمعاً كبنيان رسا أو ثغر
للرمي كل أسد مدافع
كنجم رمي من سماه يهو
ووقعها أمضى من الصواعق
وتابعوها باعتناء طول المدا
ونقضوا ما أبرموا من عقدها

فكان باكورة ذاك الفتح
عاشر يوم من جماد الآخر
ثُمَّت حصنها الذي تقنعا
قلعة مرجاجو التي لو قلعت
وإذ دعاها الله للإسلام
/ فأصبحت ترمي العدا بالكور
وانحدروا البرج بن زهو وقد
ضنا به وظنهم مانعهم
سقوا به مرارة وكم حلت
فأصبحوا خامس شعبان به
من بعده لغم هدّ جل جرفه
ثم أتى الجيش لوهران ولم
وبالجديد برجها الحام لها
فتتحا يوم العروبة معا
بسادس العشرين من شوال
وافتح الأحمر في الغد وقد
وذي حصون عنهم لم تغن
وانقلبوا من بعد ذا للمرسي
واشتدت الحرب عليها واحتما
فلم يكن لهم من الله وزر
ففتحت من بعد حرب وعنا
ولغم يبرجها قد شقه
ثالث عاشر من المحرم
وانكسرت شوكة من الكفر
ومزّقوا تمزيق آلاء سباء
وأخرجوا بالذل للأسار
وانقرضت دولة ذي الفساق

(ص 175)

برج العيون ضامنا للنجاح
يوم الثلاثاء مساء قسرا
بالسحب واغتال الأسود ونعا
شوامخ الأطواد ما تقلعت
ألقت له القياد باستسلام
سابع عشرين من المذكور
حلّ به من نار حرب قد وقد
فكان من حياتهم مانعهم
عشتهم به دهرأ قد خلت
كقتلى شعبان نصيح ربّه
وحصرهم به ينقط حرفه
يك مقاتل بها إلا ألم
لم تغنّ ءالة بها حاملها
فتحاً أرى في الأندلس مطمعا
أكرم بذاك العيد في التوال
رأوا لظى موت شبيه انتقد
وعد ما سور بها لم يغن
فأصبح الجيش عليها مرسي
بالبحر والطود الذي فيه رسوا
بل مكن الإسلام منهم ونصر
ورمي مرعدات علع ذي اعتنا
وكان ذاك عام هدّوا شقه
لا جعل الله بها من محرم
يلوذ أوله اعتنا بأمر
وأصبحوا ما بين قتل وسبا
في عدد كفر صغار سار
والحمد لله الكريم الباقي

وانتصف الإسلام منهم وغدا بين قتيل ذي حياة أبدا
وذي حياة لا يزال للعدا سهماً بكل مرصد مسددا
/ لله من قد صار منهم في الثرى ومن أباح النفس منهم والثرى (ص 176)

وقد تعرض بعض الأدباء البلغاء لوصف المدينة وأبراجها وفتحها ومن
فتحها في قصيدة عروبية ملحونية في غاية الإتقان ومن أرادها فليطالعها في شرح
الجامعي لرجز الحلقاوي .

الدولة الثامنة : الترك

ثم ملك وهران الدولة الثامنة وهم الترك ويقال لهم الأتراك. واختلف في سبب تسميتهم بذلك على قولين: فقال بعضهم إنما سَمُوا بذلك لأنه نسبة لجدهم ترك بن كומר بن يافث بن نوح عليه السلام. قال وفي قلبي منه شيء، وقال ابن هشام في التيجان: إن أمة من ياجوج وماجوج آمنوا بالله فتركهم ذو القرنين لما بنا (كذا) السد بأرمينية فسموا لذلك بالترك. انظر القسطلاني في السفر الآخر من شرحه للبخاري. وفي كتاب بدء الخلق عنه أيضاً عن قاتدة أن ياجوج وماجوج اثنان وعشرون قبيلة بنا ذو القرنين السد على إحدى وعشرين وترك واحدة منهم (كذا) فسموا بذلك الترك. واعلم أنه لا خلاف في أنهم من ذرية ترك وإليه ينتهي نسبهم وإنما الخلاف في كون ترك ولد ليافث من صلبه أو حفيده. فقال صاحب الخميس: لترك من ولد ترك بن يافث لصلبه من نوح عليه السلام فهم إخوة الخزر والصقالبة والتاريس والمنسك وكار والصين. وقال أبو الفوز السويدي في سبائك الذهب، والحافظ أبو راس في عجائب الأخبار: الترك من ولد ترك بن كומר بن يافث بن نوح عليه السلام فهم إخوة الفرنج. وقال ابن سعيد المغربي في تاريخه: هو ترك بن عابر بن شثويل (كذا) بن يافث بن نوح عليه السلام، فإخوتهم في يافث: ياجوج وماجوج، والفرنج، والخزر، والصقالبة، والتاريس، والصين، والكار، والمنسك، وغيرهم. وإلى ذلك أشار صاحب تحفة الطلاب بقوله:

أولاد نوح عليه السلام	سام ويافث كذاك حام
عرب فارس وروم ويهود	لا غيرهم من نسل سام المقصود
/ سودان هند نوبة زنج حبش	قبط وبربر من حام انتقش
صقالبة ترك وأوس خزر	ياجوج من يافث زد وماجوج

(ص 177)

نسل الأتراك وسلاطينهم

قال وفي القلب من كون الأوس والخزرج من ولد يافث شيء، ويقال للترك ليوث بني آدم في الحروب، وملكهم يلقب بالخاقان من أول دولتهم إلى الآن. وهم أمة قديمة عظيمة تضاهي أمة فارس والروم وغيرهما. وملكهم قديم من عهد الملوك الكينية ولهم بطون كثيرة. فمنهم التركمان أي ترك الإيمان أسلم منهم في شهر مائة ألف، والخزر أسلموا على يد حذيفة بن اليمان صاحب سر رسول الله ﷺ، والزُط بضم الزاي، والتار، والغور، وهم الغزو والفنجاقي وهم الفخشاخ، والقرج على قول والجركس، والعبلات ويضاف إليهم اللات والشركس والأزكش والروس والبلغار والبرجان والهياطلة وهم الصفد والصفالبة والأكراد ورهيل والعمامة ملوك سلامبول وهو اسطنبول. وذكر السخاوي في الضوء اللامع: أنهم من آل عثمان ابن عفان واستغربه الحافظ أبو راس والسيوطي، الصحيح أنهم من ولد عثمان الغازي من الترك والصول إلى غير ذلك.

ومسكنهم في أقصا (كذا) المعمور وما وراء النهر إلى الصين والسد الذي بناه ذو القرنين فهم ممتدون من بلخ إلى الصين ومتوغلون في المشرق وشمال القسطنطينية وبحر نيطنش حتى أن منهم أهل جرجان وخزرجان ودستان وقالي قالا وبردعة وغيرهم. ومن تخومهم بخارى وسمرقند. قال القسطلاني على البخاري: وهم أجناس مدن وحصون وقرى وأهل جبال وبراري. ولما فشا فيهم الإسلام صار إمامهم في الاعتقاد أبو منصور الماتريدي كالأشعري عندنا وكلهم على هدى من ربهم. ولم يكن اختلاف بين الأشعرية والماتريدية إلا في ثلاثة عشر مسألة (كذا) لا تؤدي للتبديع فضلاً عن التكفير، منها مسألة (كذا) ولا يرضى لعباده الكفر هل لعموم الناس أو للخصوص، ومسألة (كذا) التكوين التي أخل بها الشيخ السنوسي في كتبه الخمسة غاية الإخلال وما ينبغي له ذلك. وسبب انتشارهم في الأرض / أن جد سلاطينهم المنتمين له وهو عثمان خاقان بين (ص 178) أرطغول بن سليمان شاه بن قبا ألب بن قزل بوغا بن يندر خان بن أبقوة تلوغ ابن باينسنقر خان بن باقي، أو ابن سوغا وجاق بن توقتمون خان بن باسوف ابن كوكب ألب خان بن أرغون خان بن قراخان بن أيقوتلو خان بن توراق خان

ابن قراخان بن باي سرب خان بن يلواج خان بن باي بك خان بن طغرل خان
ابن أي طوغش خان بن كوج بك خان بن أرتوق خان بن قماري خان بن يكتمور
خان بن طورج خان بن قمري خان بن قزل بوغا بن يماق خان بن باش بوغا خان
ابن قاي خان بن حمور ميرخان بن يلي سرب خان بن قراجاد خان بن بالحق خان
ابن قرماش خان بن قره أو غلان خان بن سليمان شاه خان بن قره خول خان
ابن قوزلوغان خان بن يلي تمورخان بن تورمش خان بن قوي خان بن جين
ابن ماجين بن بولجاس بن ترك بن كورم بن يافث بن نوح عليه السلام بن لأمك
ابن متوشلخ بن أخنوخ بن يرد بن مهلايل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه
السلام. قاله في السبايك كان جده ملكاً بيلد ماهان قرب بلخ ولما غزاهم جنكز
خان التتاري وخرب بلخ وأخرج منها سلطانها علاي الدين خوارزم شاه خرج
سليمان شاه من ماهان بخمسين ألف بيت من الترك إلى أرض الروم ومراً بحلب
وعبر الفرات ففرق بفرسه فيه وأخرج ودفن أمام قلعة سيدنا جعفر بن أبي طالب
رضي الله عنه وتفرق من معه وكانت أولاده (كذا) أربعة عاد منهما (كذا) اثنان
للعجم وهما سنقرود ويقدار وتوجه اثنان لبلاد الروم وهما أرطغول وكون دوغذك
وقدما على علاي الدين السلجوقي سلطان قرمان وقونية فأكرمهما وأذن لهما في
الإقامة فاجتمع عليهما طائفة من الغزاة وأذن لهما علاي الدين المذكور في الجهاد
سنة ست وسبعين من السابع⁽¹⁾ فاستقر ما بين قره (كذا) حصار وبلجيك وصار
(ص 179) الجهاد شأنهما إلى أن مات أرطغول سنة ثمانين / وقيل تسع وثمانين من السابع⁽²⁾
وخلف أولاداً أمجاداً أنجاداً أشدهم وأقواهم السلطان عثمان فلازم الجهاد كأبيه
فلقب بالغازي إلى أن تولى على بلاد الروم وانضاف عليه جند السلجوقي لما
ضعف ودخل في طاعته إلى أن تولى موضعه وبقي على الجهاد إلى أن توفي سنة
خمس أو ست وعشرين من الثامن⁽³⁾ فهذا سبب انتشارهم. ولما توفي السلطان
عثمان الغازي الذي هو أول العثماني تولى ابنه أورخان يوم موت أبيه وبقي في

(1) الموافق 1277 - 1278 م.

(2) الموافق 1281 - أو 1290 م.

(3) الموافق 1325 أو 1326 م.

الملك خمساً وثلاثين سنة وهو الذي فتح بروسيا وجعلها مقر سلطنته وفتح قلاعاً وبلاداً كثيرة حتى فاق والده في الجهاد وعاش ثلاثاً وثمانين سنة. ثم ابنه مراد بك خان تولى يوم موت أبيه وهو سنة إحدى وستين وسبعمائة⁽¹⁾ وبقي في الملك إحدى وثلاثين سنة وافتتح بلاداً كثيرة منها أدرنة وعاش خمساً وستين سنة وهو أول من اتخذ المماليك وسمّاهم ينكجري⁽²⁾ ومعناه العسكر الجديد وألبسهم اللباد المشى إلى خلف وسمّاه بركاً بضم الباء وسكون الراء آخره كاف وكانت له صولة عظيمة على الكفار. ثم ابنه يلدرم بايزيد خان ومعنى يلدرم الصاعقة تولى يوم موت أبيه وهو سنة اثنين وتسعين وسبعمائة⁽³⁾ وبقي في الملك ستة عشر سنة وقد استولى على قلاع كثيرة للنصارى وبلادهم وأراضيتهم. ثم ابنه محمد خان جلي تولى سنة ستة عشر وثمانمائة⁽⁴⁾ وبقي في الملك تسعة أعوام وبذل نفسه في الغزو إلى أن فتح بلاداً وقلاعاً كثيرة وبنا (كذا) مدارس وعمائر. ثم مراد خان الثاني تولى سنة خمس وعشرين وثمانمائة⁽⁵⁾ وبقي في الملك إحدى وثلاثين سنة وقد فتح فتوحات ومهد الممالك وأفام الشرع والدين. ثم أبو الفتوحات محمد خان بن مراد تولى سنة ست وخمسين وثمانمائة⁽⁶⁾ وبقي في الملك إحدى وثلاثين سنة وهو أعظم سلاطين آل عثمان وهو الذي فتح القسطنطينية العظمى وجعلها دار ملكه. ثم بايزيد خان الثاني تولى سنة ست وثمانين وثمانمائة⁽⁷⁾ وعاش اثنين وستين سنة وافتتح قلاعاً كثيرة وحصوناً شهيرة. وأصابه مرض النقرس فاستولى عليه وهو أكثر مرض آل عثمان إلى أن مات سنة ثمان مائة عشرة وتسعمائة⁽⁸⁾ بعد ما ملك ثلاثاً وثلاثين سنة. ثم / ياوز سليم خان الأول تولى سنة (ص 180)

(1) الموافق 1359 م.

(2) يقصد الجيش الانكشاري.

(3) الموافق 1389 م.

(4) الموافق 1413 م.

(5) الموافق 1421 م.

(6) الموافق 1451 م.

(7) الموافق 1481 م.

(8) الموافق 1512 م.

ثمانى عشرة وتسعمائة وبقي في الملك تسعة أعوام ولم تطل سلطنته لكثرة سفكه للدماء وهذه عادة الله في السلاطين والأمراء والحكام إذا أكثروا سفك الدماء لا يطيل لهم مدة وهو الذي فتح مصر وأزال الدولة الجركسية وفتح حلب والشام وغيرها من البلاد وجهاز الجيوش لخير الدين بن المدلية ففتح الجزائر ثم جهاز الجيوش لدرغوث ففتح طرابلس الغرب. ثم سليمان شاه خان تولى سنة ست وعشرين وتسعمائة⁽¹⁾ وذلك يوم موت والده المذكور وبقي في الملك تسعا وأربعين سنة وعاش أربعاً وسبعين سنة وكان سعيداً ذا خيرات حسان وهو الذي فتح بغداد دار السلام وعراق العرب وجهاز الجيوش لإخراج النصارى من إفريقية وبجاية فأخرجوا والطف تاريخ وضع فيه تاريخ العراق. ثم سليم خان الثاني تولى سنة أربع وسبعين وتسعمائة⁽²⁾ وبقي في الملك تسعة أعوام وكان كريماً رؤوفاً بالرعية حلماً عفواً عن الجرائم محباً للعلماء والصلحاء محسناً للعلماء والمشايخ والفقراء وفتح بلاداً كثيرة منها جزيرة قبرس وغيرها من البلاد الكبار المشهورة. ثم مراد خان الثالث تولى سنة اثنين وثمانين وتسعمائة⁽³⁾ وبقي في الملك عشرين سنة وكان مهاباً هماماً، وأسدأ ضرغاماً، وهزيراً مقداماً. ثم محمد خان الثالث تولى يوم موت والده وهو سنة ثلاث وألف⁽⁴⁾ وهو ابن خمسة عشر سنة وبقي في الملك تسعة أعوام وكانت سلطنته خالية من الأكدار وهو الذي فتح أكرى⁽⁵⁾ التي تغيشت عليه النصارى فيها لقتاله بما يزيد على أربعمئة ألف مقاتل ومنحه الله النصر عليهم فهزمهم إلى أن صار يقتل بعضهم بعضاً من الزخام. ثم ابنه أحمد خان الأول تولى يوم موت والده وهو سنة اثنا عشر وألف⁽⁶⁾ وبقي في الملك أربعة عشر سنة قهر جميع الأعداء وله ماثر (كذا) حسان في مكة والمدينة لم يسبقه أحد إلى مثلها من آل عثمان وهو الذي أرسل إلى الروضة المطهرة على صاحبها

(1) الموافق 1520 م.

(2) الموافق 1566 م.

(3) الموافق 1574 م.

(4) الموافق 1595 م.

(5) لم نتعرف على موقعها.

(6) الموافق 1603 م.

أفضل الصلاة وأزكى التسليم، الكوكب الدرّي الذي لا قيمة له واستولى على بلاد متعددة قيل إلى حدبروسيا. / ثم مصطفى خان بن محمد خان تولى يوم موت (ص 181) أخيه وهو سنة ستة وعشرين وألف⁽¹⁾ وبقي في الملك ثلاثة أشهر وخلع نفسه في ربيع الأول سنة سبع وعشرين وألف⁽²⁾ وكان من أهل الفضل والعبادة، والصلاح والإجادة، لا يلتفت إلى الدنيا وزهرتها، ولا يميل إلى زينتها ونضرتها، متجنباً لها وعنّها، وهارباً ومستوحشاً منها وأجدره بقول الشاعر الأديب الخريز الحاذق البارع الماهر:

لاحت له الدنيا تريد خداعه لاكنّه (كذا) بغرورها لم يخدع
وتزينت لتروقه بجمالها فأبى وطلقها طلاق مودع

ثم عثمان خان تولى يوم خلع عمه مصطفى نفسه وهو سنة سبع وعشرين وألف وبقي في الملك خمسة أعوام واستولى على بغداد وما وراءه وغزى الفرنج وانتصر عليه ثم أراد السفر للحج فقام عليه العسكر وقتله بخامس رمضان سنة اثنين وثلاثين من الحادي عشر⁽³⁾ وقال فيه بعض الشعراء:

قضى عثمان سلطان البرايا بأسياف العساكر والجنود
ووافته المنايا في السرايا مؤرخة كعثمان الشهيد

ثم رجع للمملكة عمه مصطفى خان بن محمد خان المخلوع مرة ثانية يوم موت ابن أخيه عثمان وبقي على عاداته من رفضه للدنيا كالمرة الأولى وعدم مبالاته بها إلى أن خلع نفسه ثانياً لشهرين من توليته. ثم مراد خان الرابع تولى بموضع عمّه مصطفى يوم خلع نفسه وهو عام اثنين وثلاثين من القرن الحادي عشر⁽⁴⁾ وبقي في الملك سبعة عشر سنة وعاش ثماناً وعشرين سنة وكانت له مناقب كثيرة. ثم إبراهيم خان تولى سنة تسع وأربعين وألف⁽⁵⁾ وبقي في الملك

(1) الموافق 1617 م.

(2) الموافق فيفري مارس 1618 م.

(3) الموافق 1623 م. والحقيقة أن هذا هو مراد الرابع، وليس عثمان هذا الذي أورده.

(4) الموافق 1623 م.

(5) الموافق 1640 م.

ثمانية أعوام وثمانية أشهر وعاش ثلاثاً وأربعين سنة وهو الذي فتح جزيرة كريد⁽¹⁾ سوى قلعة منها لم يفتحها لحصانتها. ثم محمد خان الرابع تولى سنة ثمانية وخمسين وألف⁽²⁾ وبقي في الملك إحدى وأربعين سنة وخلعه الجند سنة تسع وتسعين وألف وتوفي سنة أربع ومائة وألف عن ثلاث وخمسين سنة وله فتوحات كثيرة. ثم سليمان خان الثاني تولى يوم خلع أخيه / محمد وهو سنة تسع وتسعين وألف⁽³⁾ وبقي في الملك ثلاثة أعوام ونصف وتوفي سنة اثنين ومائة وألف وهو ابن خمسين سنة وبمجرد جلوسه على كرسي المملكة التفت لقتال النصاري فسألوا منه المهادنة أربعة أعوام فوافقهم على ذلك لاقتضاء نظره الواسع في مصالح المسلمين ذلك. ثم أحمد خان تولى سنة اثنين ومائة وألف⁽⁴⁾ وبقي في الملك أربعة أعوام ونصفاً. ثم مصطفى خان الثاني تولى سنة ستة ومائة وألف⁽⁵⁾ وبقي في الملك تسعة أعوام. ثم أحمد خان الثالث تولى سنة خمسة وعشرين ومائة وألف⁽⁶⁾ وبقي في الملك ثمانية وعشرين سنة وتوفي سنة ثلاث وأربعين من الثاني عشر وهو ابن ستين سنة. وفي وقته فتحت وهران من الإسبانيين الفتح الأول وذلك سنة تسعة عشر من الثاني عشر على يد باشة الجزائر الشريف السيد محمد بكداش ووزيره أوزن حسن وباي الإيالة الغربية الجامع بين مازونة وتلمسان مصطفى أبي الشلاغم بن يوسف المسراتي كما مرّ وإلى ذلك أشار الحافظ أبو زيد عبد الرحمن الجامعي في شرحه لرجز الحلقاوي بقوله :

وكان ذا في دولة الإمام فخرا الملوك ضابط الإسلام
ملك مصر والعراق واليمن والشام والبرّين خير مؤتمن

(1) يقصد كريت.

(2) الموافق 1648 م.

(3) الموافق 1687 م.

(4) الموافق 1691 م.

(5) الموافق 1695 م.

(6) الموافق 1713 م وهو خطأ لأنه تولى عام 1115 هـ الموافق 1703 م.

أبي الفتوحات التي لم تحصر كادت تقضي ملك آل قبصر
أحمد خاقان الهمام المرتضى سيف الإله في الأعادي منتضى
لا زال تحت راية الإقبال والنصر والفتح قرير البال

وراجع ما مرّ للتغريزي في رجزه في فتح وهران فهو أول من ملك وهران من سلاطين آل عثمان. ثم محمود خان الأول تولى سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف⁽¹⁾ وبقي في الملك أربعة أو خمسة وعشرين سنة توفي سنة سبع وستين ومائة وألف وهو ابن ستين سنة. ثم عثمان خان الثالث تولى سنة سبعة وستين ومائة وألف⁽²⁾ وبقي في الملك أربعة أعوام. ثم مصطفى خان بن أحمد خان تولى سنة إحدى وسبعين ومائة وألف⁽³⁾، وبقي في الملك سبع سنين. ثم عبد الحميد الأول خان تولى سنة ثمانية / وسبعين ومائة وألف⁽⁴⁾ وبقي في الملك ستة عشر سنة كاملة. ثم سليم خان الثالث بن مصطفى خان تولى سنة ثلاثة ومائتين وألف⁽⁵⁾ وبقي في الملك سنة واحدة وعاش ثلاثين سنة. ثم محمود خان الثاني تولى سنة ثلاث وعشرين ومائتين وألف⁽⁶⁾ وبقي في الملك اثنين وثلاثين سنة وعاش خمساً وخمسين سنة ونصفاً لا وفي وقته انعقدت البيعة للحسني السيد الحاج عبد القادر ابن محي الدين المختاري المخلص على المغرب الأوسط في يوم الإثنين أو الأحد ثاني عشر رمضان سنة ثمان وأربعين من الثالث عشر⁽⁸⁾ بموضع يقال له الدردارة من أراضي الحشم بغريس التي هي محل موسم رجال غريس المعبر عنها بالوعدة وخرجت الجزاير عن الأتراك يوم الإثنين أو السبت

(1) الموافق 1730 م.

(2) الموافق 1754 م.

(3) الموافق 1757 م.

(4) الموافق 1774 م.

(5) الموافق 1789 م.

(6) الموافق 1807 م.

(7) الموافق 1808 م.

(8) الموافق 2 فيفري 1833 م.

ثالث أو رابع عشر من المحرم فاتح سنة ست وأربعين من الثالث عشر⁽¹⁾ و دخلت بيد الفرانسييس . ثم عبد الحميد خان بن محمود خان بن عبد الحميد خان تولى سنة خمس وخمسين ومائتين وألف⁽²⁾ وبقي في الملك اثنين وعشرين سنة ونصف وعاش تسعاً وثلاثين سنة وكانت بينه وبين الموسكوا حروب كثيرة سجال في سنة إحدى وسبعين من الثالث عشر⁽³⁾ وأعانه فيها الفرانسييس وذلك شأن الملوك الضخام وءال الأمر فيها إلى الصلح بين الفريقين انعقد بباريز ثم عبد العزيز خان تولى سنة سبع وسبعين ومائتين وألف⁽⁴⁾ وبقي في الملك خمسة عشر سنة وخمسة أشهر وعاش ثماناً وأربعين سنة، وفي وقته كان الإمام أبو الفوز السويدي مؤلف كتاب سبايك الذهب . ثم مراد خان الخامس تولى سنة ثلاث وتسعين ومائتين وألف⁽⁵⁾ ثم خولع (كذا) لما خولط في عقله سنة توليته، وسببه أنه رأى عمه السلطان عبد العزيز قد فصد وقهره الدم وغلبه فمات فجأة (كذا) فاختلط بذلك في عقله وسلم في الملك للسلطان عبد الحميد بعد ما ملك ثلاثة أو ثمانية أشهر . وكان لعمه عبد العزيز وقائع كثيرة وحروب جلية لكنه خدعته الوزراء في ذلك ولولا أن الله أيقظه لذلك لتلاشا الملك العثماني واضمحل (ص 184) بالكلية فبادر/ للصلح بغاية الإعزاز وانتقم من الوزراء غاية الانتقام . ثم عبد الحميد خان الثاني وهو الموجود الآن تولى سنة ثلاث وتسعين ومائتين وألف⁽⁶⁾ قال شيخنا الزباني في دليل الحيران ومدحه العلامة الأفندي أبو الهدى الصيادي في كتابه: قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر بقصيدة رائية من بحر البسيط مشحونة بجوهر كل معنى وسيط، فقال:

طاب الزمان وطاب الوقت والعمر بظل ركن لديه الزهر تنحدر
ركن الخليفة سلطان البرية من يباب عليها لاذ البدو والحضر

(1) الموافق 5 جويلية 1830 م .

(2) الموافق 1839 م .

(3) الموافق 1854 - 1855 م .

(4) الموافق 1861 م .

(5) الموافق 1876 م .

(6) الموافق 1876 م .

عبد الحميد إمام الدين سيدنا
رئيس جمحفل حزب المسلمين أمير
مؤد حقه المولى بواقية
كالليث لكن له عقل مزيتة
أحيا مراسم حين جاء له
فكفت عنا يد الأعداء وشيده
من آل عثمان قادات مآثرهم
رشيد رأي أمين الطبع معتصم
كنز السياسة معدوح الرياسة مصباح
خليفة المصطفى المختار من شرفت
إذا سال محاب الفضل ملتفتاً
وإن أمال عنانا يوم معركة
راياته بحروف النصر بردتها
وطبله سالم من كل ناقصة
أخلاقه ذكرتنا الراشدين كما
رشيق عزم رقيق الفكر قطعته
كأنها سبغت بالفضل طيئته
لا زال مرتفع الأقدار مبتهجاً

ومن به أمة الإسلام تفتخر
المؤمنين حماهم إن دامت غير
من العناية يمضي وفقها القدر
عظيمة دونها الأسد تحتقر
كالميت كان تولي نهبه الضرر
كانه لا انقضت أيامه الخضر
على وجوه اليالي كلها غرر
بالله مأمون خلق واثق بصر
الفراسة بحر ولم ينهمر
بمجد طيئته بين الملا ومصر
لجبر كسر عديم يخجل المطر
تخاله قدراً في الخصم ينتشر
منسوجه وعليها للرضى طرر
ما شأنه عن معالي أهله قصر
دلت على بعضها الآثار والسير
لحسن حكمتها يستسلي الخطر
ورأيه صاغه في فكره عمر
بعزة وبه الإسلام ينتصر

/ وسمي النصراني الآن ملكهم بالميت لخروج جل الرعية عن حكمه حتى (ص 185)
لم يبق له إلا طرابلس الغرب وما قارب الأستانة كما سموا ملك المغرب
بالمريض المشرف على الهلاك والأمر لله وحده. فهذا ما كان من الكلام على
ملوكهم وعليهم بالمشرق.

أسباب قدوم الأتراك إلى الجزائر

وأما الكلام عليهم ببر الجزائر الذي نحن بصدد فاعلم أنه اختلف في
سبب مجيء الترك للتملك ببر الجزائر على قولين: فقال العلامة الحافظ
أبو عبد الله محمد بن عسكر الشريف في دوحة الناشر، والحافظ الشيخ أحمد

بابا في الدليل، والحافظ أبو راس في عجائب الأخبار أن سبب ذلك هو تغلب
النصارى على السواحل ولما رأى العلامة أبو العباس أحمد بن القاضي الزواوي
ذلك كتب لسليم سلطان الترك بذلك وسأله النجدة والإقدام فبعث للجزائر
الباشا خير الدين بن المدلية وشقيقه عروجاً والإسكندر إسحاق بالجيوش ولما
قتل إسحاق بالقلعة وعروج ببني يزناسن تخوف خير الدين من الشيخ أحمد
ابن القاضي وقتله فمات شهيداً وذلك أول سفكهم للدماء ظلماً ببر الجزائر
والقصة شهيرة فلا تأتي بها. وقال الحافظ أبو راس في عجائب الأسفار أن
خير الدين وشقيقه لما شبوا في أكمل حالة الرجولية وغاية الشجاعة والعجولية
اشتغلوا بالتجارة، وتدريبوا بالذكاء والسياسة والجسارة، ثم عملوا أجفناً للجهاد
في البحر فأذاقوا النصارى شراً، وقهروهم قهراً، حتى أن عروجاً قطعت يده في
بعض الحروب بقرب بجاية، لكونها كانت عامرة بالنصارى ولهم بها للمسلمين
نكاية فكان هؤلاء الثلاثة يأتون بالغنائم ويرسّون على مدن الإسلام الساحلية لبيع
ما عندهم ويقضوا حوائجهم الخافية والجلالية، فرسى خير الدين مرة أسطوله
بمرسى الجزائر وقضى مأربه (كذا) على عادته بالمزايز، فسأله أهل الجزائر في
المبايعة والتملك عليهم، فأجابهم لذلك ومال إليهم، ثم حصل بينهم وبينه كلام
فغضب عليهم بالفعل والقول، وذهب عنهم ولم يرجع لهم إلا بعد الحول،
فرغبوه ثانياً في المكث والمبايعة لإصلاح الدين، فقبل بشرط قتل المفسدين،
فعينوا له جماعة منهم وسألهم التحقيق لإتمام كل خير، ولم يزالوا في التعيين
بالنقص إلى انحصار الأمر في ثلاثة لا غير، فصلبهم على السور، فهم أول من
حكم فيه بالقتل المصطور، واختلف في وقت مجيئهم على ستة أقوال: فقال:
بعض المؤرخين أنهم جاؤوا سنة تسع وتسعين من القرن التاسع⁽¹⁾ واستولوا على
تلمسان استلاء تاماً سنة إحدى وأربعين من العاشر⁽²⁾ ولا يخفك ضعفه. وقال
الحافظ أبو راس في زهر الشماريخ، وابن عسكر في الدوحة، إنهم ملكوا
الجزائر في أول العاشر يعني في العام الأول منه⁽³⁾. وقال الحافظ عبد الرزاق

(1) الموافق 1493 - 1494 م.

(2) الموافق 1534 - 1535 م.

(3) الموافق 1495 - 1496 م.

الجزائري أن ذاك في خمسة عشر من العاشر⁽¹⁾ وبه قال العلامة السيد الحاج أحمد بن عبد الرحمان الشقراني في تاريخه: القول الأوسط في وقائع المغرب الأوسط. وقال بعضهم في اثنين وعشرين من العاشر⁽²⁾ وقال اليفريني في نزهة الحادي أنهم ملكوا الجزائر في ثلاث وعشرين من العاشر⁽³⁾ وبه قال الحافظ أبو راس أيضاً في عجائب الأخبار، وأما الحافظ أبو زيد عبد الرحمان الجامعي في شرحه لرجز الحلفاوي فإنه قال في بضع وعشرين من العاشر فقد أجمل لأن البضع من الثلاثة إلى التسعة. وقال الحافظ أبو راس أيضاً في موضع آخر من الشماريخ أنهم ملكوها في الخامس والعشرين من العاشر⁽⁴⁾ وبه قال الخوجة السيد مسلم بن عبد القادر الحميري في رجزه حيث قال:

في عام كه من القرن العاشر كان ابتداء الترك بالجزائر
وامتدّ ملكهم بها كافاوسين حتى إذا كمل الوعد كان البين

قائمة الحكام الأتراك بالجزائر

فأول بشاواتهم بالجزائر حسن خير الدين بن المدلية وسمي بذلك لكون أمه من مدينة يقال لها المدلية⁽⁵⁾ ووجه ذلك أن السلطان محمد فاتح القسطنطينية ابن السلطان مراد أحد ملوك بني عثمان افتتح مدينة في بعض جزر البحر يقال لها المدلية وأنزل فيها حامية من الترك فبعثوا له أن يأذن لهم في تزويج بنات أهل الذمة من نصارى جزيرة المدلية فأذن له فتزوج والد السيد حسن خير الدين بامرأة منهم فولدت له عروجا وهو الأكبر وخير الدين وإسحاق. فخير الدين هو سبب سعادة الترك وانتشار صيتهم بالمغرب فكان وجهه للصباحة ولسانه للفصاحة، ويده للسماحة، وعقله للرجاحة. وكان بالغاية القصوى في الزهد والورع والإنابة

(1) الموافق 1509 - 1510 م.

(2) الموافق 1516 - 1517 م.

(3) الموافق 1517 - 1518 م.

(4) الموافق 1519 م.

(5) الحقيقة أن المدلية نسبة إلى جزيرة مدلى التي تسمى ميثيلان بأرخييل اليونان. كما تسمى أيضاً ليسبوس.

والتقوى، ولم يقبل الملك حتى قيل له أنه واجب عليك. وكان يرى النبي ﷺ في المنام كثيراً وكانت له مكاشفة كثيرة حتى أن البعض من الناس أراد اغتياله بمداخلة غلام له فكوشف له عن ذلك وانتقم منه في الحين. وحاصل الأمر أن المؤرخين لهم اضطراب كثير في بشاوات الجزائر ما بين مقلل ومكثر ومقدم ومؤخر. فقال الحافظ عبد الرزاق بن محمد بن أحمد دوش الجزائري في تاريخه: (ص 187) أولهم إسحاق تولى سنة خمسة عشر من العاشر، / ثم أخوه عروج سنة ستة عشر وتسعمائة. ثم أخوهما خير الدين سنة اثنين وعشرين وتسعمائة. ولا يخفاك ضعفه لكون الصحيح أولهم خير الدين كما مر المتولي على الصحيح سنة خمس وعشرين وتسعمائة⁽¹⁾ المتوفى سنة ست وستين من العاشر بعد ما ملك إحدى وأربعين سنة ثم حسن سنة إحدى وأربعين وتسعمائة. ثم حسن أيضاً سنة اثنين وخمسين من العاشر. ثم صالح سنة تسع وخمسين منه. ثم محمد سنة ثلاث وستين منه. ثم حسن بن خير الدين سنة أربع وستين منه. ثم أحمد بسطانجي سنة تسع وستين منه ثم رمضان سنة أربعة وثمانين منه. ثم حسن بن قبطان سنة خمس وثمانين منه. ثم جعفر أيضاً سنة تسع وثمانين منه. ثم رمضان أيضاً سنة تسعين منه. ثم حسن أيضاً سنة تسعين منه. ثم مامي سنة ثلاث وتسعين منه. ثم محمد أيضاً سنة ثلاث وتسعين منه، ثم أحمد سنة خمس وتسعين منه. ثم أخضر سنة سبع وتسعين منه. ثم شعبان سنة تسع وتسعين منه. ثم مصطفى سنة ثلاث وألف. ثم أخضر أيضاً سنة ثلاث منه. ثم مصطفى أيضاً سنة سبع منه. ثم حسن أيضاً سنة سبع منه. ثم سليمان سنة تسع منه. ثم أخضر أيضاً سنة ثلاث عشر منه. ثم مصطفى أيضاً سنة خمسة عشر منه. ثم رضوان سنة ستة عشر منه. ثم مصطفى أيضاً سنة تسعة عشر منه. ثم حسن سنة اثنين وعشرين منه. ثم مصطفى سنة خمس وعشرين منه. ثم حسين سنة سبع وعشرين منه. ثم حسن سنة ثمان وعشرين منه. ثم حسن سنة ثلاثين منه، ثم حسين سنة اثنين وثلاثين منه. ثم

(1) الحقيقة أن الأخوة الأتراك الثلاثة تمركزوا بمدينة الجزائر عام 1516 م، وألحقوا البلاد الجزائرية كلها بالخلافة العثمانية عام 1519 م. . . ونظراً لطول قائمة الأتراك تعذر إيراد التواريخ المسيحية التي تولوا بها السلطة، المقابلة للتاريخ الهجري الذي اعتمده المؤلف لأن الهوامش لا تفي بذلك. وسنورد ذلك في ملاحق الكتاب.

مراد سنة اثنين وثلاثين منه، ثم أسراف سنة أربع وثلاثين منه. ثم حسن سنة ثلاث وخمسين منه. ثم حسن أيضاً سنة ست وثلاثين منه. ثم أسراف سنة سبع وثلاثين منه. ثم يونس سنة تسع وثلاثين منه. ثم حسن سنة إحدى وأربعين منه. ثم يوسف سنة أربعة وأربعين منه ثم علي سنة خمسين منه. ثم محمد سنة اثنين وخمسين منه. ثم أحمد سنة أربع وخمسين منه. ثم محمد سنة إحدى وستين منه. ثم محمد سنة ثلاث/ وستين من القرن الحادي عشر. ثم عبدالله بلكباش (ص 188) سنة خمس وستين منه. ثم إبراهيم سنة ست وستين منه. ثم أحمد سنة سبع وستين منه. ثم إبراهيم سنة تسع وستين منه. ثم خليل بلكباش سنة سبعين منه. ثم رمضان بلكباش سنة إحدى وسبعين منه. ثم إسماعيل سنة اثنين وسبعين منه. ثم شعبان آغا سنة اثنين وسبعين منه. ثم علي آغا سنة ثلاث وسبعين منه. ثم موسى آغا سنة أربع وسبعين منه. ثم الحاج حسين موزمورط سنة أربع وتسعين منه. وفي نسخة ست وتسعين منه. ثم مصطفى باشا سنة مائة وألف. ثم شعبان خوجة سنة واحد من القرن الثاني عشر. ثم عمر سنة اثنين منه. ثم مصطفى سنة ثلاث منه. ثم موسى سنة خمس منه. ثم أحمد أهجي سنة سبعة منه. ثم حسين شاوش قارة باغلي سنة عشرة منه. ثم علي سنة اثنا عشر منه. ثم مصطفى أهجي سنة ستة عشر منه. ثم حسين خوجة شريف سنة سبعة عشر منه. ثم محمد خوجة بكداش سنة ثمانية عشر منه. ثم كوسة سنة عشرين منه. ثم دالي إبراهيم سنة اثنين وعشرين منه. ثم أوزن علي شاوش سنة اثنين وعشرين منه وفي نسخة سنة أربع وعشرين منه. ثم محمد خزناجي أوزن علي سنة ثلاثين منه. ثم عبدي آغا الصبايحية سنة ست وثلاثين منه. ثم إبراهيم خزناجي عبدي سنة خمس وأربعين منه ثم إبراهيم خزناجي سنة ثمان وخمسين منه وهنا انتهى كلام عبد الرزاق. وقال صاحب الزهرة النيرة أولهم عروج تولى في خمس وعشرين من العاشر. ثم أخوه خير الدين سنة سبع وعشرين منه ولا يخفأك بطلانه مما مر. ثم حسن آغا سنة إحدى وأربعين منه. ثم حسن بن خير الدين سنة اثنين وخمسين منه ثم حسن آغا أيضاً سنة ثمان وخمسين منه. ثم حسن بن خير الدين أيضاً سنة تسع وخمسين منه. ثم صالح سنة تسع وخمسين منه وهو غير صحيح والصحيح أنه تولى سنة ست وستين منه وفتح بجاية من الإسبانيين عنوة يوم الأربعاء سابع

عشرين شوال سنة ثمان وستين وتسعمائة⁽¹⁾ كما أن الصحيح أن حسين بن خير الدين تولى سنة سبعين من العاشر وغزى وهران في سنته⁽²⁾ وغزى المغرب ورجع من ملوية خائباً كما مر. ثم محمد قرطالجي سنة ثلاث وستين منه. ثم حسين بن خير الدين أيضاً سنة ثمان وستين منه. ثم أحمد/ بسطانجي سنة تسع وستين من العاشر. ثم حسن بن خير الدين أيضاً سنة أربع وسبعين منه وتقدم الصحيح ثم محمد بن صالح سنة أربع وسبعين منه وهو غير صحيح والصحيح أنه تولى سنة إحدى وسبعين من العاشر وغزى المغرب تلك السنة فدخل فاساً عنوة يوم الأحد ثاني صفر من سنته. ثم علي العلج الملقب الفرطاس سنة سبع وسبعين منه. ثم أحمد أعراب سنة تسع وسبعين منه. ثم رمضان سنة اثنين وثمانين منه. ثم حسين قبطان علي سنة خمس وثمانين منه. ثم جعفر سنة ثمان وثمانين منه. ثم حسين قبطان علي أيضاً سنة تسع وثمانين منه. ثم يونس سنة تسعين منه. ثم رمضان سنة تسعين منه. ثم حسين بن خير الدين سنة إحدى وتسعين منه ثم مامي سنة ثلاث وتسعين منه. ثم محرم سنة ثلاث وتسعين منه. ثم مامي سنة أربع وتسعين منه. ثم دالي أحمد سنة خمس وتسعين منه. ثم أخضر سنة سبع وتسعين منه. ثم الحاج شعبان سنة تسع وتسعين منه. ثم مصطفى سنة اثنين وألف. ثم أخضر سنة ثلاث من القرن الحادي عشر، ثم مصطفى سنة ثلاث منه. ثم دالي حسن سنة سبع منه. ثم سليمان سنة تسع منه. ثم أخضر سنة ثلاثة عشر منه. ثم مصطفى سنة خمسة عشر منه. ثم رضوان سنة ستة عشر منه. ثم مصطفى كوسة سنة تسعة عشر منه. ثم حسين سنة ثلاث وعشرين منه. ثم مصطفى خزناسي حسين سنة خمس وعشرين منه. ثم سليمان سنة ست وعشرين منه. ثم حسين الشيخ سنة سبع وعشرين منه. ثم سليمان سنة ثمان وعشرين منه. ثم مصطفى حفيد كوسة سنة ثلاثين منه. ثم حسين سنة إحدى وثلاثين منه ثم إبراهيم سنة اثنين وثلاثين منه. ثم حسين بن إلياس باي سنة اثنين وثلاثين

(1) الصحيح أن صالح ريس تولى السلطة عام 959 هـ (1552 م) وحرر بجاية عام 962 هـ (1555 م).

(2) الموافق لعام 1563 م.

منه . ثم مراد سنة أربع وثلاثين منه . ثم إبراهيم سنة أربع وثلاثين منه . ثم حسين
 سنة أربع وثلاثين منه . ثم أسراف سنة خمس وثلاثين منه . ثم حسن خوجة سنة
 ثمان وثلاثين منه . ثم يونس سنة تسع وثلاثين منه . ثم حسين الشيخ / سنة إحدى (ص 190)
 وأربعين من القرن الحادي عشر . ثم يوسف سنة أربع وأربعين منه . ثم علي سنة
 سبع وأربعين منه ، ثم حسين الشيخ سنة خمسين منه . ثم يوسف قرطالجي سنة
 خمسين منه . ثم مراد سنة اثنين وخمسين منه . ثم محمد برسالي سنة اثنين
 وخمسين منه . ثم أحمد سنة أربع وخمسين منه . ثم عمر سنة أربع وخمسين
 منه . ثم مراد سنة ست وخمسين منه . ثم يوسف سنة سبع وخمسين منه . ثم
 علي أبو صبح سنة إحدى وستين منه وكانت توليته يوم الأربعاء بعد طلوع الشمس
 بنحو الساعتين سادس عشرين صفر ثم عزل وتوفي سنة ثمان وستين منه بعد مدة
 من عزله . ثم محمد سنة ثلاث وستين منه . ثم محمد أبوشناق سنة خمس
 وستين منه . ثم أحمد سنة خمس وستين منه ثم إبراهيم سنة ست وستين منه . ثم
 الحاج أحمد سنة ست وقيل سبع وستين منه . ثم إبراهيم سنة سبع وقيل ثمان
 وستين منه . ثم علي سنة تسع وستين منه . ثم مصطفى سنة إحدى وسبعين منه .
 ثم إسماعيل سنة اثنين وقيل ثلاث وسبعين منه . ثم خليل سنة ثلاث وسبعين
 منه . ثم رمضان سنة أربع وسبعين منه . ثم إسماعيل سنة خمس وسبعين منه ثم
 رمضان سنة أربع وسبعين منه . ثم إسماعيل سنة خمس وسبعين منه . ثم الحاج
 علي آغا سنة ست وقيل سبع وسبعين منه . ثم محمد سنة تسع وسبعين منه . ثم
 التريكي سنة ثلاث وثمانين منه . ثم بابا حساين سنة ثلاث وثمانين منه . ثم
 حسين موزمورط سنة أربع وتسعين منه . ثم إبراهيم خوجة موزمورط سنة سبع
 وتسعين منه . ثم الحاج شعبان خوجة سنة مائة وألف ثم عمر سنة واحد من القرن
 الثاني عشر . ثم موسى سنة ثلاث منه . ثم شعبان خوجة سنة خمس منه ثم
 الحاج أحمد سنة خمس وقيل ست منه ثم قارة علي سنة تسع منه . ثم حسن
 شاوش سنة عشر منه . ثم علي سنة إحدى عشر منه . ثم بابا الحاج مصطفى
 أهجي سنة اثنا عشر وقيل ثلاثة عشر منه . ثم حسين خوجة شريف سنة سبعة
 عشر منه . ثم محمد بكداش خوجة سنة ثمانية وقيل تسعة عشر منه . ثم دالي
 إبراهيم باي سنة اثنين وعشرين منه . وهنا انتهى / كلام الزهرة النيرة . ثم بابا علي (ص 191)

سنة اثنين وعشرين من القرن الثاني عشر. ثم بابا محمد سنة ثلاثين منه. ثم بابا عبدي سنة ست وثلاثين منه. ثم إبراهيم أفاندي سنة أربع وأربعين منه ثم إبراهيم خوجة سنة ثمان وخمسين منه ثم محمد سنة إحدى وستين منه. ثم علي سنة ثمان وستين منه. ثم محمد سنة تسع وسبعين منه. ثم حسين سنة ثلاث وقيل خمس من القرن الثالث عشر. ثم مصطفى سنة اثنا عشر منه ثم أحمد سنة عشرين منه. ثم علي سنة ثلاث وعشرين منه. ثم الحاج علي شريف سنة أربع وعشرين منه. ثم محمد سنة ثلاثين منه. ثم عمر آغا سنة ثلاثين منه. ثم الحاج محمد سنة اثنين وثلاثين منه. ثم علي سنة اثنين وثلاثين منه. ثم حسين سنة ثلاث وثلاثين منه. وهو آخرهم وعليه قامت الدولة التاسعة كما يأتي.

وكان الباشالار يأتي على يد الخليفة الأعظم من إسطنبول من أولهم خير الدين بن المدلية إلى عبدالله بلكباش سنة خمس وستين من القرن الحادي عشر كما مرّ فترك ذلك. وصار الباشالار تتفق عليه الأتراك ويقيمونه من الجزائر لا غير.

وأول من أقيم من الجزائر عبدالله بلكباش⁽¹⁾. ولما فتح مصطفى أبو شلاغم ابن يوسف المسراتي وهران كما مرّ. انتقل لسكنائها من المعسكر فسكنها بأهله وصيّرها دار ملكه فهو أول بياتها الثمانية الآتي ذكرهم إن شاء الله تعالى واستقر بها إلى أن جاءها العدو السبنيول مرة ثانية.

عودة وهران لحكم الدولة السابعة الإسبانية

ثم رجع ملك وهران للدولة السابعة الإسبانية (كذا) فملكها سلطانهم ألوي دابوربوا⁽²⁾ وذلك أنه تولى سنة إحدى وأربعين ومائة وألف⁽³⁾ وسلم في الملك تلك السنة لابن عمه فيليب الخامس المار فبقي في الملك المرة الثانية

(1) الحقيقة أن الباشا كان يعين من قبل السلطان العثماني في اصطمبول ويرسل إلى الجزائر ابتداء من خير الدين. وبقي الأمر هكذا إلى عهد الداوي علي شاوش عام 1710 م، حيث أصبح يختار من طرف ديوان الأوجاق من بين أتراك الجزائر.

(2) يقصد لويس البوربون من أسرة البوربون الفرنسية.

(3) الموافق 1728 - 1729 م.

اثنين وعشرين سنة. وفي السنة الثالثة من توليته وهي سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف⁽¹⁾ جهّز يعني فيليب لغزو وهران جيشاً عظيماً فدخلوها/ عنوة وذلك بعد موت (ص 192) الباشا بكداش رحمه الله وفي حياة الباي مصطفى أبي الشلاغم. ولما جاءها العدو خرج لقتاله الباي مصطفى أبو الشلاغم المسراتي في جيش جليل ونشب الحرب معه بمناوشة قليلة قتل فيه النزر من جيشه واستشهد فيه علي بن مسعود المحمودي الحشمي وحصلت الهزيمة في جيشه فلدجاً الباي إلى بني عامر فخذلوه ولما رأى (كذا) ذلك أخذ أهله وأصحابه وأسلمها للعدو وذهب لمستغانيم فصيرها دار ملكه ومكث بها بعد إقامة المسلمين بوهران أربعة وعشرين سنة فأخذها النصارى في المرة الأولى بمالها وأهلها وأخذوها في المرة الثانية بأكثر ما فيها من الأموال ونجت الأنفس. وإلى وقت خروج المسلمين منها وكم بقوا بها ودخول النصارى لها أشار الحافظ أبو راس في سنيته بقوله:

من بعد عشر وعشر ثم أربعة	عادوا إليها قرة أعين النعس
فملكوها بلا كبير ملحمة	لاكن في الأولى بخدعة متحيس
فمرتّين ابتاعوها غير غالية	كيف يباع ثغر وهران بالبخص
أتوها طورين انتقدوها عامرة	وعد عليها إليهم غير منحيس
خلا لها الجوّ صرفاً واطمأنوا بها	وقد تخلّت للكفر جلوة العرس
يا له من ثغر أضحى لها جزرا	للنائبات والجدّ منه في التعس
مدينة العلم والإيمان حلّ بها	ما حلّ بالحصن من الحبس والخبس
من كل شارقة الإمام بارقة	مأتمها عاد للأعداء كالعرس
تقاسم الروم لا نالت مقاسمهم	غرّ عقائلها المحجوبة النفس
كانت حداثق للأحداق مونقة	فصرخ النصر في الأدواح بالدحس
محي محاسنها طاغ أتيح لها	اكتحل السهر لها مكثر الجوس
ماسهى عن هضها حيناً مذحاربها	ولا مكثر للتواني والنعس
صارت تدور لناطورا واعدثينا	وكّلما وعدتنا فهو في ركس

(1) الموافق 1730 - 1731 م. والحقيقة أن غزو وهران تم عام 1732 م.

ولا زال أبو الشلاغم رحمه الله بمستغانم منذ دخلها إلى أن مات بها فدفن (ص 193) / بالمطمر منها وعلى ضريحه قبة .

عودة إلى تاريخ ملوك إسبانيا

ثم فردينة السادس تولى سنة ثلاث وستين ومائة وألف⁽¹⁾ وبقي في الملك ثلاثة عشر سنة. ثم كارلوص الثالث تولى سنة سست وسبعين ومائة وألف⁽²⁾ وبقي في الملك تسعا وعشرين سنة إلا أن نصارى وهران من حين الفتح الأول انكسرت شوكتهم عن الغزو العظيم للمسلمين وعرفوا قدرهم لكن (كذا) رعبهم لم يذهب من قلوب المسلمين بعد ذلك الفتح فأحرى بعد رجوعهم لها. قال الشيخ الحافظ المحقق أبو زيد عبد الرحمن الجامعي التلمساني في شرحه لرجز الحلفاوي: كنت وفدت عقب الفتح بقليل على العالم العلامة الداركة الفهامة، الدراية النقاد، سراج التحقيق الوقاد، منهل العلوم الأصفى أبي عبد الله سيدي محمد المصطفى القلعي الرماصي، تجاوز الله عنا وعنه يوم الأخذ بالنواصي فوجدته يسكن بأهله بيوت الشعر قرب غابة في رأس الجبل يأوي إليهم ليلاً ويظل نهاره في دار يطالع كتبه ويقرئ (كذا) طلبته فسألته عن ذلك فقال لي كنا على هذه الحالة على عهد النصارى خوفاً منه لأننا كنا لا نأمن في الدور من أن يصكونا ليلاً فخرجنا لبيوت الشعر ليسهل علينا الفرار إلى غابة الجبل فتمتنع منهم. فانظر إلى أين بلغ بالمسلمين خوف أولئك الطواغيت ولا يعرف حلاوة الإيمان إلا من ذاق مرارة الخوف. ثم أن كارلوص المذكور جهّز جيشاً عظيماً في خمسمائة مركب لغزو الجزائر فغزوها سنة تسع ومائة وألف⁽³⁾ في ولاية الباشا محمد فخرجوا ونزلوا بإزاء الحراش في البر وجعلوا ترساً من حطب ولوح وغير ذلك وبنوا برجاً في ليلة واحدة يقال له الآن برج مولاي حسن ووافق ذلك قدوم الباي صالح من قسنطينة للجزائر لدفع لزمة الصوف وهي محمولة على الإبل فقدم تلك الإبل أمامه وجعلها سوراً بين المسلمين والإسبانيين واجتمعت إليه القبائل والأعراب مع جيش الجزائر فأوقدوا نار الحرب واشتد القتال وحمى الوطيس

(1) الموافق 1750 م.

(2) الموافق 1762 - 1763 م.

(3) الموافق 1775 وهي الغزوة التي قادها الضابط أوريلي .

وبات النصارى ليلتهم في موضعهم فلما كان قبيل صبيحة يوم الأحد رجعت الدائرة عليهم وهزمهم الله وكسرت لهم / السفن وفشا فيهم القتل والجراحات (ص 194) وأُخذ فيهم المسلمون إثنائاً عظيماً إلى أن علا دمهم على البحر ومات منهم ما لا يحصى عدده إلا الله تعالى ورجعوا مغلولين خائبين لم ينالوا خيراً واستشهد من المسلمين نحو أربعمئة جعلت لهم مقبرة بإزاء عين الربط⁽¹⁾ وبقيت عظام النصارى ماثلة في رمال الحراش أعصراً وقد حضر لهذه الواقعة المنصور بالله أبو الفتوح سيدي محمد بن عثمان باي الإيالة الغربية وتلمسان ثاني بايات وهران، بعسكره فظهر من إقدامه واعتناؤه مقامات تعدّ من مفاخر دولته وذكر أنه آخر الأيام. ثم غزوها أيضاً سنة سبع وتسعين ومائة وألف⁽²⁾ فهدموا بالبونة أزيد من مائتي دار وطلبوا الصلح فلم يجابوا ورجعوا خائبين. ثم غزوها أيضاً السنة التي بعدها فزحف لهم المسلمون في البحر وردوهم على أعقابهم فرجعوا بلا طائل. ثم جاؤها أيضاً سنة تسع وتسعين من القرن المذكور طالبين الصلح في الحال، باذلين القناطير من الأموال، راضيين بدخولها للتجر لما آيسوا من الظفر وقدموا في ذلك علجة على عاداتهم فانبرم الصلح بينهم وبين المسلمين كل ذلك أيام الباشا محمد دولاتلي⁽³⁾ مات رحمه الله سنة خمس من القرن الثالث عشر أيام السلطان سليم ابن السلطان مصطفى العثماني. والحاصل أن الجزائر كانت قبل بنا بلكين الصنهاجي لها اختصاصاً وكان بنوا مزغنة وأكثر متيجة يؤدون الخراج للإسبانيين ولما بناها بلكين الصنهاجي وحصنها بالأسوار وأنزل بها الجيوش قصرت النصارى عن عاداتهم ورضوا بدل الخراج بالبيع والشراء معهم وهم ببرج المرسى الذي بالبحر. ولم يزل خير الدين لما تولى يحاصره ويقاتله ويصالحه إلى أن فتحه عنوة سنة ثمان وأربعين وتسعمائة كما مر⁽⁴⁾ وأول غزو النصارى لها بعد استيلاء الأتراك عليها

(1) مكانها اليوم ساحة أول ماي بالتقريب.

(2) الموافق عام 1783 وهي الحملة التي قادها الضابط أنطونيو دوبار سولو كما قاد الحملة الثانية في العالم الموالي 1784 م.

(3) تم إبرام الصلح بين الجزائر وإسبانيا يوم 14 جوان 1786 م.

(4) بني بلكين مدينة الجزائر في القرن الرابع الهجري، وبني الإسبان قلعة البنيون أمامها داخل البحر عام 1511 - 1512 ودفع بنو مزغنة الجزية للإسبان في الفترة من =

سنة خمس وعشرين وتسعمائة⁽¹⁾ في ثلاثمائة وعشرين جفنا فهزمهم الله بعد ما قتل منهم خلق كثير يزيد على عشرة آلاف وغزوها مرة أخرى أيام خير الدين أيضاً فهزمهم / الله وأسر المسلمون نحو الثلاثة آلاف. ثم غزاها (ص 195) الطاغية بنفسه وهو كرلوص شارل الأول لما استولى المسلمون على بر المرسى بها وذلك سنة ثمان وأربعين من العاشر⁽²⁾ في زهاء سبعمائة سفينة فبعث الله عليهم ريحاً كثرت لهم أكثر مراكبهم ومن خرج منهم للبر قتل حتى أن الطاغية رجع في اثنا عشر مركباً وكل هذا أيام خير الدين رحمه الله ومر الكلام على هذا مستوفياً غاية. ونظير هذه الغزوة غزوة قسطنطين بن هرقل ملك الروم لما أخذت الإسكندرية واستولى عليها المسلمون وعلى كنيسة العظمى وقد كان المسلمون أخذوها قبل ذلك في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم رجع لها النصارى بعد أول خلافة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه فأخرجوا منها وحلف عمر بن العاصي (كذا) ليركنها كبيت الزانية تؤتى من كل جهة فلما سمع قسطنطين بهدم حصونها غزاها في ألف مركب في الشتاء فغرقتهم الريح كلهم إلا مركبه نجا لصقلية فأدخلوه الحمام ووثبوا عليه فقتلوه جزاء له على فعله وغزوه في ذلك الفصل. ثم غزوها سنة سبع وستين وتسعمائة ولم تحصل لهم فائدة ورجعوا خائبين. ثم غزوها الغزوات الثلاثة المارة وهي سنة تسع وثمانين من القرن الثاني عشر ثم السنة التي بعدها ثم سنة تسع وتسعين منه وهي ذات الصلح وتقدم هذا كله مستوفياً⁽³⁾.

التحرير الثاني والنهائي لوهران والمرسى الكبير

ثم فردينة السابع تولى سنة خمس ومائتين وألف⁽⁴⁾ وبقيت وهران تحت حكمه وفي وقته جهز لها من قبضة الله لفتحها وأرشد له لسعادتها ونجحها الممتطي

= 1512 - 1516 م. وفي كلام المؤلف ما يخالف هذا، واستعداد الأتراك الحصن عام 1529 م.

(1) الموافق 1519 بقيادة دون هوقو دومونكادو.

(2) الموافق 1541 م. وتم ذلك في عهد البايبراي حسن آغا وليس خير الدين.

(3) الموافق أعوام: 1560 و 1775 و 1783 و 1784 م.

(4) الموافق 1790 - 1791 م. وهو فيرناندو السابع.

منصة الرضوان والمشيء رايات الإيمان والباسط مهد العدل والأمان، الباي السيد محمد بن عثمان، باي الإيالة الغربية وتلمسان أتحفه الله برضاه، وجدد له اللطف وأمضاه سنة خمس ومائتين وألف من هجرة من حاز للكمال والشرف والوصف، جيشاً حصل له به النصر والسرور والاطمئنان (كذا) فخرج به من المعسكر قاصداً بحول الله وقوته فتح وهران وقدم أمامه / البارود في عدة صناديق وجعله ذخراً ببرج شلابي التركي بوادي سيق. ثم نزل بجيشه بوادي الحمام ورحل منه مرتجياً النصر له من المالك العلام. فنزل بسيق وهو كالليث الضرعام وارتحل بقصد قتال النصارى بغير الملام. فنزل بوادي تليلات واشتأقت نفسه لدخول روضات الجنات ثم ارتحل من الغد وهو بفعله كالغانج فنزل بوطاء وادي الهايج، واجتمعت عنده الأعراش بالتمكين وجاءه المخزن والنصر بلوح عليه من رب العالمين. وكان الوقت وقت الحصاد، والذي فيه تجمع قوت سستها سائر العباد، فتفاوضوا معه في الأمر وتشاوروا، وتجاوبوا معه في القول وتجاوزوا، وقالوا له يا نعم الأمير الرأي الذي لنا ولك فيه العز المنيف، أن تدع هذا القتال وتؤخره إلى وقت الخريف، لتذهب الناس لجمع عيشها، وتتفرغ لقتال العدو بجيشها، فأجابهم بقوله رأيكم فيه الحكمة والصواب ولاكن (كذا) أنتم ونحن في رأي الأولياء والعلماء أولى الألباب فهم أدرى بالأمور، وبإشارتهم يكون الفوز والسرور فبعثوا فوراً للولي الشهير، سيدي محمد أبي دية الضرير، وهو بزأويته بجبل تاسالة، فأتوه به في أكمل حالة لحالة كماله، فاجتمع هو وأعيانه به فشاوروه، وتردد القول بينه وبينهم وحاوروه، فقا الولي لهم قولته الكاملة أنك لا تفتحها في مستك هذه وإنما تفتحها في محرم السنة القابلة. فسر الباي وفرح واطمأن قلبه وانشرح. وكان الباي معتمداً على كلام الولي الصوفي سيدي الأكحل ابن عبد الله الخلوفي وكان أبودية مأذوناً له في الكلام، ومشهوراً بذلك عند الخاص والعام، حتى صار يقول من أبي دية الخبر، لم يبق من يعط الأخبار. وعند موته باع الولاية لأبي عمامة، فقام مقامه في التكلم بأحسن استقامة، ولما سمع الباي كلام أبي دية ارتحل من حينه ولأم عسكر رجع. وصار يراصد الوقت الذي له أنفع، ولما دخلت سنة ست من الثالث عشر⁽¹⁾ بالإثبات قدم لفتحها في

(1) الموافق 1791 - 1792 م.

مائة فسطاط إلى أن نزل بوادي تليلات . وبها جاءه وليّ بهلول من غير خلف من أولياء الله المفتوح لهم حجاب الكشف وصار يدور في المحلة ويقول يا أمير المؤمنين/ إذا أردت أن تفتح وهران فجيء لها (كذا) على طريق جنين مسكين، وكان الجنين ببلاد أولاد علي قريباً إليه، فلما سمع الباي ذلك أحضره لديه، وقال له أيها السيد ماذا نقوله في مقالك فقال له القول هو ذلك، وإلا فأيس من فتحها بتحقيق الخبر، فساعده الباي ورجع للمعسكر ثم خرج بمحلته المنصورة ونزل بحمام أبي الحنيفة ثم بالزفيزف وبعده بالقعدة، فنزل بعنّين مسكين، وقلبه مطمئن بالفتح أمين، ثم تقدم لتليلات، فجاءه الولي بها بالبشارات قائلاً له إنك تفتحها بإذن الله . ويكون لك فيها العزّ والجاه، ثم ارتحل ونزل بالضاية، قبلتها في صحيح الرواية، ثم ارتحل ونزل عليها وحاصرها، وضايقها شديداً وقاهرها . وكان القتال له عليها مترادفاً، والحصار لها من كل جهة متخالفاً، وحضر لقتاله بها عدد من الطلبة يزيد على الخمسمائة، رانسهم (كذا) الشيخ محمد ابن المولود المخيسي المعدد لهم عدد الحيسي، وفيهم العلامة الأجل، المازوني صاحب الحاشية على الخرشي المسمة بكرة الحواشي، في حلّ ألفاظ الخرشي، وقد باشر هذا الأمير حربها بنفسه، مدخراً ثواب ذلك لرمسه، ولم يكن رحمه الله وأدام وجوده، وخلّد ذكره ووفى معهوده، إلا في محلته المعهودة له في سائر الأيام وهي مائة فسطاط، ولم يمدّه محمد باشا بمدد يظهر منه في هذا الأمر النشاط وقد توفي هذا الباشا أثناء الحصار وتولى بعده حسن باشا في صحيح الأخبار، فأقرّ الأمور على ما كان عليه ولم يزدّه حامية إلا ما كان لديه، حتى فتح الله هذا الفتح المبين، الذي أضاء به للإسلام الجبين، وتبسّم به في الشجر وجه الدين بعد عبوسه واستبدل النعيم بعد ضنكه وبؤسه، لا كما وقع للسيد مصطفى أبي الشلاغم ابن يوسف المسراتي في فتحها الأول المزيل به لكربها، فإن الباشا محمد بكداش رحمه الله وجّه له من الجزائر الجيوش لحربها، وأمر عليها من عرفت نجلته، وظهرت في المضايق شجاعته وشدته، رديفه ووزيره وصهره وخبيره السيد أوزن حسن رحم الله الجميع برحمته التي ليس فيها ثبط والأمير (ص 198) مصطفى فهو/ على محلته فقط . وتحرك لها الأمير محمد في العام الثالث عشر من ولايته، رايمًا النجاح (كذا) والتوفيق من الله في عمله وسعايته . ورأيت في بعض

التقايد أنه من حين قصدها في العام الخامس . لم يرجع عنها إلى أن أكمل له الأمر بالفتح واندحض كل جالس . وقد أفرد ابنه الأمير عثمان في هذا القتال ، بمحلة فكثر منها على الأعداء النزال وصار الحرب بين الأمير والنصارى سجال . وقد أثنى الطلبة في النصارى إثنائاً عظيماً حل به على النصارى التبديد والنكال . يقال في صحيح الحكاية المودنة للنصارى بالنكاية . أن من شدة قتال الطلبة للنصارى ، تقدموا لهم من غير توان ولا قصارى إلى أن سبق طالب النصراني وارتمى على ظهره ، ولم يخش من بأسه ومكره ، بل صيره لنفسه مطية ، وقال هذا إليّ من الله عطية . وكان الطالب لطيفاً ، وفي جسمه نحيفاً ، فذهب به ذلك النصراني وهو على ظهره فاراً للمدينة ، وترك القتال وحلت به الغيبة لم ينزل الطالب عن ظهره ، ولا حاجة له في نهبه وأمره ، وإنما استخرج من جيبه سكيناً صغيراً وصار يجرحه به تجريحاً مترادفاً كثيراً ، والنصراني لا يبالي بذلك وقصد به البلد ، ولما رأى بعض الطلبة ذلك جرى في أثره بالقوة والجدة ، إلى أن لحقه فضربه للعراقيب بالسكين فخر النصراني صريعاً وقرب أجله في المحين ، فقتله الثاني واجتزأ رأسه وأتيا به معاً لمحلتهما في غاية الاقتباس ، وكل ما فعلاه فهو لمرءات الناس .

ويحكى أن الطليجية الذين بمرجاجوا حققوا النيشان بغير اشتباه ، وضربوا بكورهم فسطاط الأمير وهو بوسطه فكسروا ركيزته ، ونجاه الله ، فجاء أحد الطليجية الذين بمحلة الأمير إلى محل اختاره وهو في غيظ كبير ، وجعل نيشاناً صحيحاً نحو المدفع الذي جاءت منه الكورة ، وكوى مدفعه فذهبت منه بسرعة الكورة ، إلى أن دخلت جوف المدفع الأول فعطله ونال حالة مشكورة ، قيل ولم يخدم ذلك المدفع المعطل للآن . ورحل الباى من منزله ونزل بالمبرك غربي وهران ، ولا زال رحمه الله يحرض الناس على قتالها ، ويتقدم لفتحها وزوالها فعدل نصره الله عن طرق عواقبها ، فلم يعتبرها ولم يعبا بشواقبها ، ولم يلتفت لقول المرجفين من أنها ذات بأس شديد ، وجند كثير/ عتيد ، وأن اعتناؤه بها فهو (ص 199) من قبل اللعب واللهو ، لكونها أمتع بعقاب الجو ، وأن عاقبة أمره معها عدم الظفر بها وقتل جنده بلا طائل ، لا حصول قوة ونائل ، بل نبذ ذلك كله وراء ظهره ، ولم يعمل إلا برايه وأمره ولم يستشر في ذلك أحداً خوفاً من تشييطه وعدم شدته

وتنشيطة، لما فيه من رشده ونجحه سوى سيفه ورمحه، ودام حصاره لها بالقتل، الصادر منه ومن جنوده، وشدة صواعقه ومدافعه وكوره وباروده، إلى أن فتحها في أوائل المحرم سنة ست من القرن الثالث عشر⁽¹⁾ بقتاله الذريع، ودخلها في اليوم الخامس من رجب الفرد ضحى يوم الإثنين من سنته⁽²⁾ في فصل الربيع. وقد أقام النصارى بها في هذه المرة الثانية التي صارت بعد الفتح كالسنة ثلاثاً وستين سنة، وفي الأولى خمساً ومائتي سنة، ولما دخلها في ذلك اليوم المبارك، أناخ بها راحلته ولا له فيها معاند ولا مشارك.

واختلف في كيفية فتحها على ثلاثة أقوال: قال بعضهم أن الأمير فتحها عنوة ودخلها بعد الزوال. وقال آخر أنها فتحت بشدة الزلازل الحالة بها في كل حين⁽³⁾ فقر منها النصارى دون علم من المسلمين ولما ذهب لها الطلبة ليلاً للاختلاس والتجسس. لم يجدوا أحداً عند أبوابها ولا بها حس ولا حسيس. فسوروا عليها من جهة رأس العين ودخلوها، فوجدوها خاوية على عروشها ثم جالوها مفرقي أحدهم المنارة ورجع صوته بالأذان. وكان جهير الصوت ذا تطريب وألحان، فسمع المسلمون ذلك وتحققوا من الطلبة أنقامهم، فاتوها والأمير المؤيد بالنصر أمامهم، فألقوا الطلبة مقبلين على تلاوة القرآن، فدخلها الأمير رحمه الله في أمن وآمان.

وقال الحافظ أبو راس أن أمير المؤمنين السيد محمد بن عثمان باي الإيالة الغربية وتلمسان، لما ضايق وهران أشد التضيق، سأل منه النصارى السلم والتوثيق، وراودوه عليه فأعطاهم الأمان، على أمتعتهم وأنفسهم من غير امتهان، (ص 200) فذهبوا منها وتركوا كل ما فيها للأمير فأخذه منهم بالقيمة بلا تجميع، / وقيل تركوها خاوية والأول منهما هو الصحيح.

قال الحافظ أبو راس في السينية:

حتى تداركها الله برأفته من بعد ما مضى لها مدة العنس

(1) الموافق سبتمبر 1791 م.

(2) الموافق فيفري 1792 م.

(3) حدث زلزال مروع بها يومي 9 و 10 أكتوبر 1790 م.

بتقليد المغرب الوسط لعمدتنا
 ملك تقلدت الأملاك سيرته
 مؤيد لو رمى نجماً لأثبتته
 شهم شجاع بحزم الملك متزر
 فملك آل منديل تحت سلطانه
 كذاك ملك نجين في إيلته
 ملك لال يغمور فيه نصرتهم
 لشعب ومصاب مدت طاعته
 فمهد الكل برخص وعافية
 محمد بن عثمان نجم سعدهم
 مدة ست وسبع من إمارته
 عمر كل مرصد كان مسلكهم
 طلبة أئخنوا فيهم وعاثوا فلا
 أحيوا مراسم عفت من شيوخهم
 سنة خمس أتى لها بكلكه
 مدافعاً وعمرادات أحاط بها
 يكاد يصدع الشامخات باروده
 يفني الفناء ولا تفنى له حروب
 يشيب من حربه رأس الغراب ولا
 يسود مبيض وجه لرجاء - ولا
 بنقع خيله ودخان باروده
 فحار بطريقهم من بأسه فرقاً
 / أخيارها قد طارت في الأرض قاطبة
 أوبة حجنا فقلنا هنيئاً لنا
 وجدنا سوسة والمنستير قد سمعا
 عدة أشهر الحرب يساجلها
 فطلبوا السلم من بعد مراودة

أضاء شمسه بعد حالك القلس
 دنيا وأخرى تراه محسن السيس
 ولود عاد بلا لب وما احتبس
 ومرند النصر وفي الحلم ذو طخس
 قد كان مد من واجر إلى تنس
 كذا الجدار القديم المثقن الأسس
 كذاك ملك ابن يعلا اليفريني الرئيس
 على مسافات شتى من أبي الضرس
 قد آمنوا كلهم عواقب القلس
 رصد من كلف يصع ومن سجن
 حل بأهل وهران الويل في التعس
 بالخييل والراجل مع خلق العسس
 تفهم بقيس عبس ولا يهس
 أحمداً ومحمداً وابن يونس
 جند عظيم ما بين الشهم والحوس
 كأنها بينهم كحلقة المجلس
 رعد سحاب مديم الصعق والجرس
 كأنه من صروف الدهر لم تيس
 يشيب رأس نهار دايم الغلس
 يبيض مسوده من شدة الدمس
 يوم حليلة أو كرج لأرمس
 وقلبه مملوء بالرعب والوجس
 لقتنا في أمدوجات من ورا قابس
 وصلنا حج جمع بالجهد النفس
 مدينة اللخمي وجربة مع تونس
 طالع سعد له عليهم بالنحس
 فأعطوا الأمان على الأمتع والنفس

فكانت مدتهم في هذه كعج
هم يخربون بيوتهم بأيديهم
بنوا النضير في المشرس بقوهم بذا
نصارى وهران تركوها عامرة
بأبي عثمان وعثمان قد رجعا
رماهم الله بالملك أميرنا
أقام أحوالاً للأعداء منوعة
إلى أن قال:

في خامس الفرد ضحى يوم اثنين
سنة ست ثم الحمد لخالقنا
كان الدخول بعون الملك القدس
وصل أيضاً على المنقى من الرجس
وقال في بقائهم بها في الأولى كما مر:

فتحت عنوة في تسع عشرة من بعد سكنى ره والدين في وكس

ولما اصطالح الأمير محمد بن عثمان مع نصارى وهران، على رفع القتال
(ص 202) / عنهم يخرجون منها في أمان، صاروا يخربون بنيانها بالألغام. نكاية منهم للمسلمين
بالاحتكام، كفعل بني النضير أحد فرق اليهود الذين يازاء المدينة المنورة، لما
عزموا على الجلاء بالمشتهرة لما حاصروهم رسول الله ﷺ تسليماً، وشرفه وكرمه
تسليماً وتكريماً.

ثم أن وهران لما من الله تعالى بمنه وفضله على المسلمين بفتحها من
الإسبانيين بالبيان، على يد الأمير المؤيد بنصر الله السيد محمد بن عثمان، باي
الأيالة الغربية وتلمسان، طار خبرها للمشارق والمغارب وحصل السرور
للمسلمين الأبعد والأقارب، واستبشروا بالفوز والربح والنجاح والنجاة، وقالوا
الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور.

من اخترع البارود؟

قال شيخنا الزباني في دليل الحيران واختلف في أول من عمل البارود على
ثلاثة أقوال. فقليل اخترع ببر الصين في الزمان القديم ونقله المسلمون عنهم

لهذه الأماكن وقيل اخترعه الروم لما نزلوا بقرب تونس لأخذها في سنة تسع وستين وستمائة⁽¹⁾ وقيل أحدث في نيف وستين وسبعمائة⁽²⁾ أحدثه حكماء المسلمين وهو المشهور وذلك أن حكيماً كان يعالج صنعة الكيمياء فعالج ذلك ففرق له فأعجبه فاتخذ لآلة الحرب وهو قول الحافظ الباني في حاشيته على الزرقاني في باب الذكات والحافظ أبي راس في كتبه والحافظ الرباصي علي العمل الفاسي. وأما المدافع والبنادق فأحدثهم النصارى بإسبانيا وإفرانسا سنة أربعين وسبعمائة.

تتميم لملوك / الإسبانيين

(ص 203)

ثم زراف الفرانسوي صنو سلطان الفرانسييس (كذا) نابليون بونبارت (كذا) تولى سنة خمس وعشرين ومائتين وألف⁽³⁾ وبقي في الملك خمس سنين. ثم فردينة السابع تولى مرة ثانية سنة ثلاثين ومائتين وألف⁽⁴⁾ وبقي عشرين سنة. ثم إيزابلة الثانية تولت سنة خمسين ومائتين وألف⁽⁵⁾ وبقيت في الملك خمساً وثلاثين سنة. وفي سنة ست وسبعين ومائتين وألف⁽⁶⁾ جهزت جيشاً لغزو تيطاون بهذه العدو من المغرب الأقصى (كذا) فحصل بينهم وبين المسلمين قتال ذريع ثم استولوا عليها وبقوا بها نحو ثلاثة أشهر ثم خرجوا منها مختارين على أخذ مال معين من سلطان المغرب. ثم صار حكمهم للجماعة الجمهورية الشورية بينهم سنة خمس وثمانين ومائتين وألف وبقوا على ذلك ستين. ثم أمادى تولى سنة سبع وثمانين ومائتين وألف⁽⁷⁾ وبقي في الملك

(1) الموافق 1270 - 1271 م خلال حملة لويس التاسع عليها.

(2) الموافق 1359 - 1369 م.

(3) يقصد جوزيف وهو يوسف وتولى عام 1810 م.

(4) يقصد فرناندو السابع وتولى عام 1813 م إلى عام 1833 م.

(5) الموافق 1833 م.

(6) الموافق 1859 - 1860 م ودام حكمها إلى عام 1868 م.

(7) الموافق 1870 - 1871 م والمقصود به أماديودوسابويا.

ثلاثة أعوام. ثم رجع حكمهم جمهورياً أيضاً مرة ثانية سنة تسعين ومائتين وألف⁽¹⁾ وبقوا عليه سنتين أيضاً. ثم الفونص الثاني عشر وتسميه (كذا) المسلمون الفنش تولى سنة اثنين وتسعين ومائتين وألف⁽²⁾ وبقي في الملك عشرة أعوام ومات ملكاً. ثم ابنه الفونص الثالث عشر تولى يوم موت أبيه وهو عام اثنين وثلاثمائة وألف⁽³⁾ وهو طفل صغير في كفالة أمه فهي المديرية لحكمه وهو الموجود الآن في الملك والله يؤتي ملكه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

قائمة أباطرة الرومان

(ص 204) / وجملة ملوك الروم المشتهرين قبل الإسلام إلى أن ظهر الإسلام، ستة وخمسون ملكاً. وأول من اشتهر منهم غانيوس ثم يوليوس ثم أغسطس وأصله بشينين معجمتين ثم عرب بسنين مهملتين ولقبه قيصر ومعناه بلغتهم المبقور عنه لأن أمه ماتت بالطلق فأبقر عليه وأخرج فلقب بقيصر وصار لقباً لملوك الروم وكان يفتخر به فيقول إني لم أخرج من الفرنج كغيري ثم طيباربوس ثم غانيوس ثم قلوذونس ثم نارون ثم ساسيانوس ثم طيطوس وملك سبعة أعوام وغزى اليهود وأسرههم وباعهم ثم ذو مطينوس ثم نارواس ثم طرايانوس وقيل غراطيانوس ثم إذريانوس ومات مجذوماً ثم أنطونينوس الأول ثم مرقوس وقيل قوموذوس وشركاؤه في المملكة ثم قوموذوس وخنق نفسه فمات بغتة ثم فرطنجوس ثم سيوارس ثم أنطونينوس الثاني ثم الإسكندروس ثم مكسيمينوس ثم غورذبانوس ثم دقيوس ويقال له دقيانوس ثم غاليوس ثم عليانوس ولريانوس وقيل اسمه ولوسينوس ثم انفرد ولريانوس بالملك ثم قلوذيبوس ثم أردفاس وقيل أورليانوس ومات بصاعقة ثم قلرونوس ثم قاروس ثم دقيطيانوس وهو آخر عبادة الأصنام من ملوك الروم ثم قسطنطين المظفر ومات تابعاً لدين المسيح عليه السلام بعد ما ملك إحدى وثلاثين سنة في منتصف سنة ست وعشرين وستمائة / للإسكندر ولما مات انقسم

(1) الموافق 1873 م.

(2) الموافق 1875 م. والمقصود به الفونسو.

(3) الموافق 1885 م.

ملكه بين أولاده الثلاثة، وكان الحاكم عليهم منهم قسطنس ثم لليانوس وارتد إلى عبادة الأصنام وقاتل سابور ذا الأكتاف وانتصر عليه ثم قتل في أرض الفرس بسهم ثم يونيانوس واصطلم مع سابور ذي الأكتاف ثم والنطيانوس ثم أنونيانوس ثم خرطيانوس ثم ثاودسيوس الكبير ثم أرقاذبوس ملك بقسنطينة وشريكه أوثوروبوس برومية ثم ثاودسيوس الصغير وفي أيامه غزت فارس الروم وانتبه أصحاب الكهف من كهفهم ثم مرقيانوس ثم والطيس ثم لاون الكبير ثم لاون الصغير ثم زبنون ثم اسطيثيانوس ثم يسطينينوس الأول ثم يسطينينوس الثاني ثم يسطينينوس الثالث ثم طبريوس الأول ثم طبريوس الثاني ثم ماريقوس الأول ثم ماريقوس الثاني ثم قوقاس ثم هرقل عظيم الروم واسمه بالرومية أراقليوس وكانت الهجرة النبوية في السنة الثانية عشر من ملكه وهو الذي بعث له النبي ﷺ مع صاحبه دحية الكلبي رضي الله عنه كتابه يدعو إلى الإسلام وأتيت بهذا استطراداً تكميلاً للفائدة في ملك الروم^(١).

عودة وهران لحكم الدولة الثامنة التركية والألقاب والرتب التركية

ثم رجع ملك وهران للدولة الثامنة وهي دولة الترك فملك وهران منهم الأمير المنصور/ الأسد المنصور، وثاني بيات وهران الثمان، المجاهد في سبيل الله السيد محمد (ص 206) ابن عثمان، باي الإيالة الغربية وتلمسان، بعد فتحها من أهل التليث والأوثان. اعلم أن الباي عند أتراك الجزائر لقب لمن ولي أحد الإيالات الثلاث وهو: تلمسان، وتيطرى، وقسنطينة فقط. والباشا لقب للذي يولي البيات الثلاث ولذا يقال له باشا باي وباي البيات ودولاتي قال الحافظ أبو عبد الله محمد الصغير اليفريني في كتابه نزهة الحادي: ومعنى الباي بلغة الأتراك قائد القيادة ويختص به قائد الصبايحية. ولما يعظمونه يقولون له الباي لار. وقال الحافظ أبو راس في

(١) لقد أورد المؤلف قائمة أباطرة الرومان بأسماء محرفة ويتطلب تصحيحها إعادة كتابتها كلها من جديد. وبما أنها معروفة في كتب التاريخ فلا فائدة هنا من إيرادها، وسنوردها كملحق في نهاية الكتاب، مرتبة، ومنظمة بتواريخها المعروفة في كتب التاريخ المتخصصة.

الخبر المعرب: والبلي هو الذي يوليه الباشا ناحية كبيرة في عرفنا. والحاصل أن أمراء الإسلام أعلاهم رتبة الخليفة وقد انقطع هذا الاسم أوائل القرن العاشر. ثم السلطان وهو الموجود الآن في إسطنبول والمغرب الأقصى. ثم الوزير وهو المتولي الحروب بإسطنبول. ثم الباشا وهو الذي يوليه السلطان قاعدة كبيرة كالجزائر وتونس وطرابلس ومصر والشام وبغداد في عرفنا الآن. ثم الباي وهو عندنا من يوليه باشا الجزائر جهة مخصوصة مثل قسنطينة، والمغرب الأوسط وغير ذلك. ولار بمعنى جميع ومن ذلك يولضاش لار فيولضاش بمعنى الجندي ولار بمعنى الجميع. ودأب العجم إضافة المضاف إليه للمضاف عكس العرب لأن معنى هذه الكلمة بالعربية جميع يولضاش. والانقشربة/. العسكر الجديد وذلك أن السلطان مراد بن أورخان بن عثمان خان الخاقاني اتخذ ممالك سنة إحدى وستين وسبعمائة⁽¹⁾ فسماهم بهذا الاسم فهو أول من سمي به والرأي بمعنى الرايس (كذا) والأودباشية لار الواحد أودباش ومعناه رايس الدار على عادتهم في الإضافة فلفظ أود هي الدار وباش هي الرايس. وأعلا منه البلكباشية. فالبلك اسم الجماعة والباش الرايس كما مر ومعناه رايس الجماعة. وأعلا منه آغا. ومواطن الباي ثلاثة:

بايلىكات الجزائر وأقسامها

أولهم باي تيطرى وهو أكبر البايات اسماً لأنه أول من ولته الدولة التركية بذلك المحل. وقاعدته المدية. وثانيهم باي الشرق يعني الجهة الشرقية وقاعدته قسنطينة. وثالثهم باي الغرب يعني الجهة الغربية.

بايلىك الغرب الوهراني وعواصمه وباياته

وفي الحقيقة أنه هو الثاني في المرتبة لكون الترك تولوا على الجهة الغربية وجعلوا فيها باي قبل الجهة الشرقية. وقاعدته وهران. وهذا الثالث كان منوعاً على نوعين أحدهما مازونة وأول باياتها حسن بن خير الدين باشا وسلم في

(1) الموافق 1360 م.

وظيفه. ثم أبو خديجة، ثم صواق ومات مسموماً من سم سقته له زوجته. ثم السايح وبقي في الملك إحدى عشر سنة ومات. ثم ساعد. ومنه إلى محمد ابن عيسى تولى بمازونة عشرة بايات وذهب عن حفطي ما تعلق به منهم. ثم محمد بن عيسى وهو السادس عشر من باياتها. ثم شعبان الزناقي الذي توفي بالجهاد في وهران. وثانيهما تلمسان ولم يبق بحفطي من باياتها إلا عصمان، ويوسف/ المسراي. ثم جمعا في الثامن وتسعين وألف⁽¹⁾ لواحد وصارت القاعدة (ص 208) قلعة بني راشد، ثم صارت المعسكر، ثم صارت وهران في الفتح الأول، ثم صارت مستغانيم، ثم صارت المعسكر، ثم صارت وهران في الفتح الثاني واستمر الحال على ذلك إلى انقطاعهم.

طبيعة حكم البايات وموظفهم ونوابهم

ولبايات هؤلاء القواعد الثلاث التصرف المطلق في الرعية العربية بكل وجه من القتل والقطع والضرب والسجن والعقوبة بالمال المسمة (كذا) بالخطية إلى غير ذلك دون متعرض لهم في شيء، ولا يقدر الباي على قتل أحد من الأتراك إلا بمشاورة الباشا بالجزائر ولما يؤذن له في قتله ويقتله يقال فيه أن الباي قد اشتراه من الباشا. وللباي خليفتان من الترك أحدهما ينوب عنه في الخروج للرعية بالجهة الشرقية خاصة لأخذ مال الدولة منها ويتصرف فيها بما شاء على إرادة الباي وفي القدوم إلى الجزائر عند الافتقار ويقال له خليفة الشرق. والآخر ينوب عنه في قاعدته بالجلوس على الكرسي إذا غاب الباي في الرعية أو حالة الدنش ويقال له خليفة الكرسي. وله كاتبان عربيان يكتبان له جميع الأوامر والنواهي أحدهما كاتب السر وهو الكبير ويقال له باش تافتار، والآخر يكتب الرسائل ويسجلها إلى غير ذلك وهو الصغير. وله وزيران من العرب أحدهما كبير وهو من أعيان الدواير ويقال له قايد آغا وعلى يده ما سوى المدن والزمالة والغرابة ومجاهر وفليتة ورعية خليفة الشرق واليعقوبية فله دائرة كبيرة. والآخر صغير وهو/ من أعيان الزمالة ويقال له قايد كبير وعلى يده الزمالة (ص 209)

(1) الموافق 1686 م.

والغربة واليعقوبية ومجاهر وحميان فله دائرة صغيرة لكون آغا على يده الدواير وبني عامر وجميع الجهة الغربية إلى وجدة ما عدا تلمسان وحوزها كما على يده بني وعزان وأولاده الميمون وأولاد بالغ وبني مطهر والجعافرة الغرابة وسائر الحشم ورزبو وبني شقران والبرجية جبلاً ووطاء وزدامة والحوارث وخلافة وفرندة والكسانة والأحرار في بعض الأحيان وأولاد الشريف وأولاد الأكرد وأولاد خليف وسائر سويد وأولاد عابد وأولاد عياد وبني أمديان وسائر من بالجبال. وحاصله أنه يمتد حكمه إلى ثنية الحد فله دائرة كبيرة بخلاف قايد الزمالة فله الخمسة الأعراش المذكورة. ولا آغا الدواير مشورة في رعية خليفة الشرق وهذا المنصب لا يتولاه من الناس إلا من كان من أبناء البيوت الكبار المتأهلين له غاية التأهل. ومن جملة الأعيان المعتمد عليهم في سائر الأمور، ويشترى من الباي بمبلغ وافر من المال وكان قبل أن يتولاه المزارى يبلغ عشرة آلاف فرنك بل ريال أو عشرة مائة شك من الراوى ولما تولاه المزارى أبلغه إلى عشرين ألفاً أو عشرين مائة شك منه أيضاً. وهاذان (كذا) الوزيران هما الذان (كذا) يقبال (كذا) دعاوى العرب وشكاياتها كل فيما يليه ثم يعرضانها على الباي للتنفيذ ولهما مدخل عظيم في ذلك فلا بد للباي من مشاورتهما كل فيما يليه وتارة يجمعهما للمشورة. وله ثمانية شواش أعوان أربعة من الترك ولباسهم مخالف للباس شواش الباشا فهم عند الباي كسائر العسكر لكون خدمتهم ليست موظفة من عند الباشا وإنما هي موظفة من عند الباي خاصة فله أن يأخذ من شاء (ص 210) لقطع الرأس ونحوه. ويسمون شواشا ما داموا/ في الخدمة لا غير. وأربعة من العرب للتقديم والتأخير وضبط أحوال الباي وأموره ويقال لهم شواش بني عرب وله سبعة طبول وغوايط وناغرات وعدة سناجيق يحملهم معه حال ركوبه وله فسطاط كبير جداً يقال له الوتاق يحمله اثنا عشر جمللاً فضلاً عن البغال. والمتولي أمور داره يقال له قايد الدار وأمور سلاقه يقال له قايد السلاق، وأمور سبسيه يقال له قايد السبسي، وأمور ظليلته يقال له قايد الظليلة وأمور كرسية يقال له قايد الكرسي، وأمور طابعه يقال له قايد الطابع، وأمور جنانه ومنزعه يقال له قايد الجنان، وأمور مكاحليته يقال له قايد المكاحلية، وأمور خزنته يقال له خزنندار وخزناجي، والقاطع للرأس بأمره يقال له طزبير إلى غير ذلك.

كيفية حمل الدنوش إلى الجزائر

وللباي شرط في الدخول للجزائر في كل ثلاث سنين إن لم يكن به عذر من مرض ونحوه وإلا بعث خليفته الأول وهو خليفة الشرق عوضاً عنه ويسمى هذا الدخول بالدنوش وسببه في كل ثلاث سنين الإعطاء لمال الدولة بيد الخزناجي والإعطاء للعوايد الجارية وفي يوم دخوله يقع المهرجان العظيم بالجزائر تخرج فيه أكثر الناس من البلاد لملاقاته والتفرج في ذلك المهرجان وصفته: أن الباي إذا قدم للجزائر لما يبقى بينه وبينها مسافة سير الأربع سوايح (كذا) ينزل في محل معزولة (كذا) يقال له حوش الباي ومنه يقدم للجزائر فيصل قبل الفجر لمحل يقال له عين الربط فينزل به إلى ارتفاع النهار وانفتاح الأبواب فيركب أرباب الدولة من الخزناجيات والأغوات وخوجة الخيل والديوان وغيرهم ويخرجون للقاءه ومعهم نوبة الباشا تضرب عليهم فإذا وصلوا لقربه ركب/ الباي (ص 211) ومن معه تحت الألوية والرايات وتضرب نوبته ويتوجه نحوهم ولما يقرب منهم تسكت نوبته وتبقى نوبة الباشا تضرب ثم ينزل الباي ومن معه على خيولهم ويمشي خطوات ثم ينزل الخزناجي ومن معه ويسلم كل فريق على صاحبه ويجلسون في محل مرتفع هناك فتسابق الخيل في جريها أمامهم عليها فرسانها ويضرب البارود ويسمى هذا بالملعب واللعب ثم يركبون جميعاً ويقصدون الباشا ومن حين الركوب يشتغل الباي بتفرقة الدراهم ورميها على رؤوس الناس الواقفين يميناً وشمالاً إلى أن يصل لمقر الباشا فينزل ويدخل على الباشا فيحييه بأحسن التحية ويؤدي له الطاعة بالمبايعة ويجلس هنيئة معه ثم ينصرف للمحل المعد من طرف الدولة لنزول الباي فينزل به ثم يباشر خدمته وكيله المقيم بالجزائر المسمى بوكيل الباي وتلك الرتبة لا تعطى إلا لمن كان هو أهل لها فتأتيه في يومه الأول الأطعمة بما يتبعها ثم يشتغل في اليوم الثاني بتوزيع العوايد الجارية فأول ما يبدأ به الباشا فإذا كان باي الشرق فإنه يدفع بعد مبلغ وافر من المال، البرانس، والحياك، والمصوغ، وإذا كان باي الغرب فإنه يعطي بعد وافر المال، العبيد والإماء، والحياك، وريش النعام، وبيضه، والزراي، القلعية، ثم يعطي لأرباب الدولة وأصحاب المناصب حتى الشواش وغيرهم عوايدهم. وبعد دفع العوايد اللازمة وغيرها تضيفه أرباب الدولة وأكابرها ويعطي فيها مالا آخر (كذا)

لخدام المحل على سبيل الإكرام زيادة على ما يدفعه للمخزنة ويمكن في البلد (ص 212) ثمانية أيام لا غير ويرجع المحل عمله وإذا خرج للرجوع لأهله فإنه لا يخرج / معه من أرباب الدولة إلا ما لا غير فيشيعه على مسافة نحو الساعتين والثلاث ويرجع عنه بعد أن يدفع له في تشييعه قدرأ جليلاً من المال إكراماً له . ثم إن الباشا إذا أراد قتله يبعث له من يقتله بمحل القتل وكذلك إذا أراد قتله قبل لقائه فإنه يبعث له من يقتله في الطريق قبل الوصول بحسب ما اقتضاه أمر الباشا من خنق وغيره . ولا يتولى باي ، أو خليفته ، أو قيادة المدينة ، أو المرسى ، أو فليته ، إلا من كان تركيا أو قرغليا .

أقسام بايليك وهران الستة

ولباي وهران في دائرته تقسيم : فالقسم الأول المرس يكون على يد قائد المرسى وهو أعلا (كذا) رتبة من سائر القواد لكون وسق البحر على يده مدخولاً ومخروجاً وعلمه بمن يأتي من الأفاقين وغيرهم وإطلاعه على إتيان العدو للاختلاس . والقسم الثاني دائرة آغا الدواير غرباً وبحراً وشرقاً وقبله . والقسم الثالث دائرة قائد الزمالة وهي الأعراس الخمسة المارة . والقسم الرابع دائرة خليفة الشرق وذلك من مينا إلى انتهاء رعيته وهران شرقاً وبحراً وطاء (كذا) وجبالاً ومخزنه المكاحلية وأولاد سيدي عريبي ومن انخرط في سلكهما من أهل الفضاء وغيرهم نائبة له كما أن ما عدا الدواير والزمالة والغرابة والبرجية نائبة للأكابر وهم رؤساء الدواير والزمالة وغيرهم من أعيان الدولة المخزنية بوهران .

والقسم الخامس المدن كوهران وتلمسان والمعسكر والقلعة ومستغانيم ومازونة وأحوازهم وهؤلاء على يد قائد البلد ، وتحتة شيخ عرفي يقال له شيخ البلد . والقسم السادس فليته وهم على يد قائد فليته ، ومن يتولى قيادة فليته وتلمسان فإنه يسوغ له أن يتولى بايا إذا كانت له إعانة بالجزائر .

الباي مصطفى بوشلاغم المسراتي

(ص 213) وأول بايات وهران مصطفى أبو الشلاغم / ابن يوسف بن محمد ابن إسحاق المسراتي الذي جمع له في توليته بين الإيالة الشرقية والغربية تولى

بايا على مازونة وتلمسان فهو أول من جمعت له الإيالة الغربية بتمامها سنة ثمانية وتسعين وألف⁽¹⁾ ونقل كرسي المملكة من مازونة وتلمسان معاً للقلعة، ثم للمعسكر، وجعلها قاعدته لكونها وسطاً بين مازونة وتلمسان. ولما غزى وهران وأمده الباشا السيد محمد بكداش بالجيوش العديدة لنظر وزيره أوزن حسن وفتحها عنوة صبيحة يوم الجمعة السادس والعشرين من شوال سنة تسعة عشر ومائة وألف⁽²⁾ نقل كرسي المملكة من المعسكر لوهران فسكنها بأهله وجعلها قاعدة ملكه. وبنا (كذا) بها وقيل بمستغانيم قبة جليلة وروضة جميلة، في آخر (كذا) شعبان سنة ست وعشرين ومائة وألف وحبسها للدفن على عقبه وعقب عقبه وكتب فيها اسمه وتاريخ بنائها وتحببها بما نصه: حبس هذه القبة المباركة والروضة المروقة أمير المؤمنين، العاشق المحب في سيد المرسلين، الباي مصطفى بن يوسف محي الدين رزقه الله كمال اليقين، وأفاض عليه من كرامة الصالحين، آمين يا رب العالمين على عقبه وعقب عقبه بأن لا يدفن فيها غيرهم ومن بذل أو غير فالله حسبه ويتولى الانتقام منه وأتممت وكملت هذه القبة على يد المعلم أسطى أحمد أعراب الجزائري بتاريخ أواخر شهر الله شعبان عام ستة وعشرين/ ومائة وألف ثم هاتين البيتين من الرجز:

(ص 214)

يا داخل القبة الله يرعاك أبشر بما ترجه من خير مولاك
وكتب لهذه الأسطار أسطى أحمد صفه بالنجار

وعلى القول بأنه بناها بمستغانيم فهي التي بمدينة المطمر من مستغانيم وهي التي دفن بها لما مات. ثم بنا (كذا) الأقواس التي بالبلاصة من وهران وكتب عليها اسمه وتاريخ البناء بما نصه: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أمر ببناء هذه الأقواس المجاهد في سبيل الله السيد مصطفى ابن يوسف عام ثمانية وثلاثين ومائة وألف⁽³⁾ ولما دخل وهران بقي بها إلى

(1) الموافق 1686 م.

(2) الموافق 20 جانفي 1708 م.

(3) الموافق 1725 - 1726 م.

أن أخرجه الإِسبانيون منها ودخلوها مرة ثانية سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف⁽¹⁾ فخرج منها وسكن مستغانيم وصيرها قاعدة ملكه وبقي بها إلى أن توفي سنة ست وأربعين ومائة وألف⁽²⁾ بعد ما ملك ستاً وأربعين سنة فدفن بها وعلى ضريحه قبة مرونقة يجاوره بها قبر ءاغته الفارس الباسل الشجاع الكامل، البطل الصنديد، الهمام العتيد، الذي لا يطرق ساحة جاره الهم الملزومي، السيد البشير بن أحمد نجد المخزومي جد البحائية، أصحاب الأقوال الصادقة والعطاء الحاشية. ولما حل أبو الشلاغم بمستغانيم ومعه ءاغته البشير المذكور بنا (كذا) كل واحد منهما بها برجاً جليلاً فما بناه الباي يقال له برج الترك الأبطال، وما بناه ءاغته يقال له برج (ص 215) المحال. وتوفي ءاغته المذكور، صاحب الاسم المشهور، ضحى يوم / الاثنين رابع عشر من أول الربيعين سنة خمسين ومائة وألف⁽³⁾ من هجرة حائز كمال الوصف. ولما مات رثاه العلامة الرباني السيد يوسف بن بغداد الزياتي، بهذه الأبيات:

هنيئاً لك الجنان لا السَّعير	يا كافل الأرامل يا بشير
لقد عشت سعيداً في رغد عيش	وفزت بالشهادة يا أمير
ببلدة مستغانيم كان المشوى	فنعم السكنى سكناك يا نحير
وجاورت بالضريح خير إمام	وبالمطمر ضريحك مستير
فمن للأرامل واليتامى	ومن إلى العلماء نصير
لقد بكأ (كذا) هذا القطر عليك	وصار رونق القدر دثير
وفي ضحى الإثنين في نقط يد	من أول الربيعين مسير
سنة نشق كان الارتحال	وحل بنا من الفراق تدمير

هـ، ولم يمت حتى أخر نفسه عن الخدمة وصير أكبر أولاده بن عودة بمحله بموافقة باي الوقت على ذلك. ومحمد بن إسحاق المسراتي جد أبي الشلاغم هو الذي بنا (كذا) قصبة القلعة التي يقال لها قصبة المسارتية ويقال

(1) الموافق 1730 - 1731. والحقيقة أن هذا الاحتلال تم عام 1732 م.

(2) الموافق 1734 م.

(3) الموافق 12 جويلية 1737 م.

لها أيضاً قصبة بني يوسف⁽¹⁾. وكان للمسارتية رئاسة وعزة كاملة بمسراتة والقلعة وانقطعت بموت محمد بن إسحاق جد أبي الشلاغم ولما مات محمد خلف زوجة حاملاً فأتت بولد ذكر وسمته يوسف ثم ماتت عنه وخلفته في كفالة أمها. وكان بمسراتة ولي كبير من أولياء الله المشاهير يقال له سيدي عابد / ابن الزرقاء (ص 216) يتعبد بمغاراتها التي بواديها وأصله من أولياء غريس فاشتهد يوماً دشيئاً باللحم فسمعت به جدة يوسف المسراتي فصنعت ذلك وأتته به لمحل تعبده ومعها مكفولها حفيدها يوسف ولما أكل ورأت منه الإقبال عليها قالت له يا سيدي أدع الله لخدمك هذا اليتيم من الأبروين فقال لها، هو خليفة على خليفة إلى ما شاء الله، وإن تعدّ الحدود زالت عنه ضمانتي، وخرج من دعاوتي. ولما كبر يوسف قدم إلى الجزائر وانكتب جندياً وكان بنواحي قسنطينة رجل يقال له يونس قاطع للطريق لا ينجوا (كذا) منه أحد مشهور بالحرابة وقد نهب أموالاً عظيمة ولما بلغ خبره للباشا بالجزائر وتكررت عليه الشكاية به جمع جنده وأرباب دولته وقال لهم يا قوم إن يونس القاطع للطريق كثر ضرره للمسلمين وتعطلت السبل بسببه ألم يأتكم عيب تدعوني أغزوه بجيشي وهو رجل واحد فقال له يوسف المسراتي أنا أكفك أمره يا سيدي فذهب له وقتله واجتز رأسه وأتى به للباشا ففرح به كثيراً وأعزّه شديداً وقال له اختر أي عمالة من هؤلاء (كذا) الثلاث أجعلك بها بايا فأبى واختار أن يكون خليفة ببلد قسنطينة فذهل لها وبقي بها مدة طويلة ثم جاء للناحية الغربية فسكن بمستغانيم ثم انتقل للقلعة بلد أسلافه وبقي بها خليفة إلى أن مات وترك ثمانية أولاد ذكور وبتاً وهم مصطفى أبو الشلاغم، ويوسف، ومصطفى الأحمر، ومصطفى قايد، ومحمد زرق العين، ومحمد أبوطالب المجاجي، ومحمد بن الزرقاء، وعابد، وخروفة. فأول / من تولى منهم بايا (ص 217) بالإيالة الغربية مصطفى أبو الشلاغم بن يوسف بن محمد بن إسحاق المسراتي كما مرّ.

(1) يقصد قلعة بني راشد.

الباي يوسف المسراتي

ثم أخوه يوسف بن يوسف بن محمد بن إسحاق المسراتي تولى يوم موت أخيه مصطفى أبي الشلاغم وبقي في الملك سنة واحدة ومات بتلمسان بالوباء سنة سبع وأربعين ومائة وألف⁽¹⁾ ودفن بها وكان ءاغته الصنديد الكامل، الحائز للفضائل والفواضل، من في العطاء لا يعدّ وإنما يحث السيد بن عودة بن البشير ابن بحث.

الباي مصطفى الأحمر المسراتي

ثم أخوه مصطفى الأحمر المسراتي تولى سنة سبع وأربعين ومائة وألف⁽¹⁾ وسقي السمّ فمات بمستغانيم ودفن مع أخيه أبي الشلاغم. وكان ءاغته الجواد الذي في العطاء لا يعرف العدد بل فيه بحث، الشجاع الوجيه منتشر الصيت ومسموع الكلمة بالجزائر دار الملك السيد بن عودة بن البشير بن بحث، ومات بمستغانيم ودفن مع أبيه بقبة المسارتيّة. ولما تولى السيد ابن عودة المذكور مدحه العلامة السيد عدة بن داوود العفيفي بهذه الأبيات التي مسكها دفور، فقال:

ترونت بحسنها البهيج	مستغانيم صارت في التبريج
لما حلّ السهم بها بن عودة	ءاغة من أقواله محمودة
كالأفعال فإنها مرضيّة	وأنه نسبه بحثيّة
وابتهجت عن جميع المدون	وجميع القرى مع الحصون
أكرم به من وزير جليل	وءاغة معظم جميل
فاق بفضله جميع الوزرا	ونال عزاً كاملاً ليس يرا
أنخبه عن غير المسراتي	مصطفى الأحمر له المواتي

(1) الموافق 1734 - 1735 م.

الباي محمد أبو طالب المجاجي المسراتي

ثم أخوه محمد أبو طالب المجاجي تولى بموضع أخيه مصطفى وبقي في الملك تسعة أعوام ومات قتيلاً من الدولة، وهو الذي ترك زيارة أولاد سيدي عابد ابن الزرقا واشتغل بزيارة ولي الله أخي حمّ العياشي المغراوي بعياشة أحد بطون مغراوة بشلف فذهب وزاره بتسعة دنانير ذهباً وسأل منه المملكة فقال له هي لك وتبقى فيها بعدد ما أعطيت ولو زدت في العدد لزيد لك فيه أيضاً ولما سمع ولد سيدي عابد بذلك قال إن أبي صرهم في صرة وإني قطعهم في مرة، لم يملك بعد هذا إلا قايد صاحب المقبرة، ولينفعهم العياشي لما تركوا خدمة صاحب الدشاشي، وهذا سيدي عابد هو مدفون بمقبرة البراق وهو الجبل المطل على القلعة. وكان عاغته الطود الأعظم والكنز المطلسم، ذو الأقوال والأفعال المحموده، البحتاوي السيد ابن عودة، وقتله المجاجي المذكور بسبب أنه رءا (كذا) كلمته قد علت عند العرب والأتراك، وخاف منه التولية بموضعه أو توقيعه في بعض الأشراك، فقتله غدرأ، ولما لم يطلع أحد على ذلك ذهب دمه هدرأ، وفر أخوه إسماعيل بأخوته وأمه إلى الغرابة فاستقر عند أبي علام بن الحبوشي ريس الغرابة في أمن وأمان، وعزّ واطمئنان (كذا) ثم قال له أبو علام في بعض الأيام يا إسماعيل قد اشتد الطلب عليكم وقد خشيت على نفسي وعليكم من الوشاة أن يتملقوا/ بكلامهم عند الباي فيمكر بالجميع والآن إنني أبعثكم عند (ص 219) دموش ولد لشحط العلياوي ريس أولاد علي فتمكثون عنده في الأمان على نظري حتى ننظر في عواقبكم بما قدره الله تعالى ولا يكون إلا خيراً فساعده إسماعيل على ذلك وارتحل بأمه وأخوته لأولاد علي وقد زوده أبو علام بكل ما يريد فنزل عند دموش وبقي هناك إلى أن تزوج دموش بأم إسماعيل فصاروا في أمان مع نظر أبي علام ثم إن إسماعيل لما كبر واشتهر بالشجاعة ركب فرسه وذهب لأم عسكر لسوقها خفية ففرض مئاربه (كذا) ولما رجع ألقي بالطريق أسداً فقتله ثم تعرّض به بعض المغايطيس بطريقه وهم ثلاثة فقتلهم وحين وصل لبيته تحدّث في الدوار بما وقع له فمّن الناس من صدق ومنهم من ضحك ومنهم من كذب فقال لهم مربيه وكان رجلاً عارفاً بالأمور من جملة أعيان أولاد علي لا تكذبوا ولدي في قوله ولا تضحكوا عليه فإنه صادق في

ذلك وتعرفون بسالته وشهامته وإن تماديتم على ذلك فإني أعلم والده دموشاً بذلك ويحل بكم الانتقام ثم أنه قال لإسماعيل اركب فرسك وامش بي لذلك فركب كل منهما فرسه ومعهما أصحابهما وذهبا للمحل فألفوا الأسد والمغاطيس قتلى فسلخ مربيه الأسد وأخذ جلده به رأسه واجتزأ رؤوس المغاطيس وحملهم على أعمدة وذهب بهم للمعسكر فأعطاهم للباي وهم عصمان صهر المساربية فقال له من فعل هذا فقال له إسماعيل ولد آغا البشير ابن بحث وأخو آغا بن عودة ولد البشير بن بحث قال عصمان نحبك تأتيني به لما الأثر لم ينقطع فالحمد لله (ص 220) على ذلك فاتاه به فجعله / خليفة على آغا المخزن وهو الشريف الكرطي التلاوي .

الباي مصطفى قائد الذهب المسراتي

ثم أخوه مصطفى قائد الذهب لقب بذلك لكثرة جوده وإعطائه الذهب للناس ويقال له باي المحال تولى يوم موت أخيه المجاجي ، وهو سنة خمس وخمسين ومائة وألف⁽¹⁾ وبقي في الملك ستة أعوام ثم قام عليه صهره زوج أخته خروقة وهو الحاج عصمان بن إبراهيم ففر منه لوهزان عند الإسمانيين . وسببه أن أخاه محمد زرق العين كان متزوجاً بابنة دلة الحشمي أحد أجواد الحشم وكان أكبر من قايد وخليفة عليه فقال قايد لأخ زوجة أخيه زرق العين أقتله غدراً ولك ما تحب من المال ونوليك شيخاً على عرشك فذهب له صهره وقتله غدراً وأخبر قايداً بذلك ثم خشي من قايد وفر لعرشه فندم قايد على قتل أخيه ولما اعتدت زوجة أخيه تزوجها فبقيت عنده مدة ولم ير منها إحساناً فقال لها ذات يوم أيتها الزوجة كيف لا تحسني به وأنا قائد المسراتي فقالت له إن كنت قائداً كما يحكى عنك وتقوله أنت فطلقني لأنك لا توافقني وأنا لا أوافقك بعد قتلك لأخيك ولا شك أن الله ينتقم منك كما قتلته غدراً فطلقها ثم أنه نظر من المساربية والرعية ما يكرهه وانتشرت الأقاويل بأنه قتل أخاه لأجل زوجته مع قيام عصمان عليه ففر لوهزان وبقي بها إلى أن لحقه المحال بنجوعهم فارين من عصمان لما صال

(1) الموافق 1742 - 1743 م .

عليهم فنزّلوا بقرب وهران وأمرّوه عليهم، ولما حصل الصلح بينهم وبين عصمان رجعوا لأماكنهم بين مينا وشلف/ وأتوا بقائد الذهب معهم فولّوه عليهم وخرجوا (ص 221) عن حكم عصمان بموافقة باشا الجزائر على ذلك ثم فرّ لتونس وسببه أنه سمع من الباشا ما يكرهه، ورأى (كذا) المحال قد اتفقوا على تمكينه بيد عصمان ليقتله ويبقوا تحت حكم عصمان لكون قايماً صار إذا ميّزوا عليه فرحاً يعطيهم الصلة الكثيرة ظناً منه أنهم يحبون ذلك كسائر عرب زغبة وغيرهم وهم ينكرون منه ذلك ظناً منهم أنه أراد أن يتحدثوا به مع أهلهم إلى أن قالوا له يوماً أيها الباي قد كثرت غلطك معنا وسامحنك على ذلك فلا تعد لفعلك ولا تظن في نفسك أننا نتحدث بك وبعطائك عند المحليات ونشكرك بينهنّ فإذا أردت ذلك فافعله مع بني معين لا معنا فانظر كيف اختلف الظن من الجانبين ولما سمع ذلك فرّ لتونس ومكث بها إلى أن مات وبها ضريحه ولم أقف على تاريخ وفاته.

يحكى أنه لما حل بتونس استقر عند امرأة كبيرة فصارت تطبخ له وتغسل ثيابه وهو يكرمها بما أحبّ إلى أن مرض بيبتها فشمرت على ساق الجد في دوائه والإحسان إليه إلى أن برىء (كذا) فلم يجد ما يكافئها به إلا خاتم الملك فنزعها من أصبعه وأعطاهها لها وقال لها بيعه لنفسك وعيشي في ثمنه فأعطته للدلال فكل من أخذه لا يطيق على شرائه لكونه خاتماً ملوكياً وتحدث الناس بذلك إلى أن بلغ الخبر لملك تونس فأمرهم بإحضار الخاتم فأحضروه ولما نظره تيقن بأنه خاتم ملوكي فسألهم لمن هو فقال الدلال أعطته لي العجوز الفلانية في المحل الفلاني لأبيعه لها فأحضرت لديه وسألها عنه فقالت أعطاه لي رجل مغربي هو في بيتي منذ كذا فأحضر قايده لدى الأمير وكان يسمع بخبره وكان كاتب سرّه جاء مرة لمرسى وهران ورأه (كذا) بها لما كان بوهران فلما رآه (كذا) الكاتب تيقن به معرفة فقام له إجلالاً وعانقه غاية رغبة ورهبة فقال له باي تونس من هذا فقال له فلاناً فعند ذلك أجلسه الباي عنده وقال له هذا مقامك إلى أن تموت أو يرد الله لك ملكك فحصلت بينهما مودة الارتباط وتزوج قايده هنالك بامرأة وأتى معها بنت يقال أن من ذرية تلك البنت الوجيه السيد علي ولد مصطفى ولد محي الدين الذي هو الآن المترجم بالمحكمة الشرعية الفرانسوية بالمطلب الأول من وهران وهو من أعيان المخزن الآن وله كلمة نافذة في جميع الأمور وذو عقل

راجع وفهم ثاقب ولبابة وفطنة وذكاء (كذا) وأدب وسياسة ومعرفة وكياسة ونصرة (ص 222) للمظلوم والقوي والضعيف، وإعانة ونصيحة للوضع والشريف. / وفي حال مكث قايد بتونس اجتمع به رجل برجي من الأدباء في إيباه من الحج في وقت الصباح وهو بمحفل عظيم فقال له السلام عليك أيها الأمير الخريز أنعم الله صباحك يا باي ابن ثلاثة عشر باياً ببلادنا فسرّه ذلك غاية وقال له مثلك يليق للمصحبة لكن هذه المقالة الأدبية ليتني كنت معها في بلدي وصاله بشيء فأبى الرجل من أخذه رأساً. وقايد هو الذي غزى من المعسكر حناشاً شيخ المهاية فأخذه وسلب له فرسه المعروف عند الناس بعود حناش وكان فرساً طويلاً مع الأرض يقال إنه كان يسابق ثلاث مشالي ويعلف برشالة من الشعير. وقيل إن الذي أتى به هو الباي إبراهيم الملياني الآتي ذكره قريباً إن شاء الله تعالى.

فضل البايات المسراتية

واعلم أن المسارتيّة هم فضلاء البايات بالمغرب ولهم نسل قليل. فأما أبو الشلاغم وقايد فلم يخلقا إلا البنات. وأما محمد زرق العين ويوسف ومحمد أبوطالب المجاجي ومصطفى الأحمر فلم يعقبوا شيئاً. وأما عابد فخلف ابنين وهما يوسف ومحي الدين فمنها يوسف خلف ابنه القايد محمداً وهو خلف محمداً وأبا زيان فمحمّد خلف محمداً ومحمداً الموجودين الآن ومنها محي الدين خلف ابنه الخوجة وهو خلف يوسف وهو خلف أبا زيان وهو خلف عدة أولاد موجودين الآن. وأما محمد بن الزرقا فخلف ابنين وهما ابن علي وعلي فابن علي خلف محمداً وهو خلف عدة وقارة ومحمداً موجودين الآن وعلي خلف مصطفى وهو خلف ابنين عابداً وابن يوسف وذريته بالقلعة الآن. وكان عاغته الشريف الكرطي وهو عبدالله بن عبد الرزاق التلاوي.

الباي الحاج عثمان

ثم الحاج عثمان ويقال له عصمان بن الحاج إبراهيم تولى أولاً بتلمسان لما كانت القاعدة بها وقام عليه مع أهل تلمسان يوسف المسراتي المتقدم الذكر

فخلعه وتولى مكانه. وتولى ثانياً على جميع الإيالة الغربية في أواسط محرم الحرام فاتح سنة ستين ومائة وألف⁽¹⁾ فمكر بأهل تلمسان والمحال مكرًا كبيراً (كذا) أفنى فيه كثيرهم. وسببه أنه لما كان بايا في المرة الأولى بتلمسان تعصب عليه أهلها ونقموا حكمه وصاروا يرسون ساحته في الليل (كذا) بكل نجاسة وميته ودم وغيرها/ فاغتاز لذلك شديداً وترك حلق رأسه ولحيته إلى أن كبرا وهو في (ص 223) تزايد الغضب ثم ذهب للجزائر وقد اشتد به العطش في الطريق ولما مر بالمحال استسقاهم فأسقوه لبنا وفي حال شربه أهرقوا عليه الإناء وقهقهوا بذلك فأسرها في نفسه وأسرع في سيره للجزائر ولما دخلها اجتمع بالبasha بواسطة الأعيان فتعجب منه شديداً وسأله عن حاله فأخبره بكل ما صار له مع أهل تلمسان ثم المحال في طريقه فصبره البasha على ذلك ثم أنه سأل من البasha التولية ويعطيه قدراً من المال فولاه وأرسل معه الجيش فجاء به مغرباً وأوقع بأهل تلمسان إيقاعاً شديداً. ومكر بهم مكرًا عتيداً. ثم توجه إلى المحال وصال عليهم إلى أن أفناهم وأجلاهم لتلمسان ثم لوهراة ثم رجعهم لمحلهم على أن لا يرفعوا رؤوسهم وحل بهم ما هو مشهور على الألسنة ومذكور في كلام الفصحاء كابن سويكت وعدة ابن البشير⁽²⁾ وغيرهما ويحكى أنه قتل من أعيانهم في يوم واحد أربعين بطلاً فضلاً عن غيرهم. ويحكى أيضاً أنه لما نزل بأرض المحال أتوه لينظروه وبأيديهم حجلة فقال لهم ما عملت هذه الحجلة المسكينة حتى أتيتوني بها بأيديكم ثم أطلقها فقالوا هذا الباي يقال له مسكينة ولقبوه بذلك بينهم ولما رجعوا لأهلهم واجتمعوا بمديريهم وصاحب الرأي منهم قالوا له الواقع وأخبروه بأنهم لقبوه مسكينة فقال لهم كفوا عن قولكم هذا وأطيعوه فإن هذا الباي هو مفضيكم وأن الحجلة تجعل لكم فجلة، فكان الأمر كذلك. وجاءه المسارتية يوماً لقتله فألفوه بالمحكمة فضربه أحدهم بكابوس بيده فنجاه الله من ذلك ثم أنه ظفر بهم فقتلهم ولم ينج منهم إلا اثنان وهما ابن الزرقا وعابد لصغيرهما ولكون الله أراد بقاء النسل فيهما ففرّا لضريح سيدي محمد بن عودة بفليطة واستجارا به فعفا عنهما

(1) الموافق جانفي 1747 م.

(2) كل من ابن السويكت، وعدة بن البشير، من شعراء الملحون في هذه الفترة.

وأمنهما. ولا زال بايا إلى أن توفي بالمعسكر ودفن بها بعد ما ملك تسعة أعوام. وهو الذي بنا (كذا) الجامع الأعظم بداخل المعسكر سنة توليته ونقش على حجارة اسمه وتاريخ البناء ونصه: الحمد لله حمداً لا نهاية/ لطوله، وصلى الله على سيدنا محمد نبينا عبده ورسوله، أما بعد فقد أمر ببناء هذا المسجد المبارك المحمود المعظم القامع للعداء من جمع بين الشجاعة والنداء وطلع على الناس بدر هداء صاحب لواء الحمد الأسماء ومالك أزيمة المجد الإحماء حاج الحرمين الشريفين أمير المؤمنين، المجاهد في سبيل رب العالمين، صاحب الرتبة العالية، ونخبة الملوك العثمانية مولانا الحاج عثمان باي بن السيد إبراهيم خلد الله ملكه ملكاً عالياً، وهو على الأمة والياً سامياً، وكان ذلك في شهر شعبان عام ستين ومائة وألف⁽¹⁾. ثم بنا (كذا) الدار والقبّة الملاحقة للجامع الأعظم بالمعسكر المعروفة عند الناس بقبة الباي إبراهيم لكونه مدفوناً بها، وإلا فهي قبة الشيخ عبد القادر الجيلاني نفعا الله به التي هي الآن محكمة قاضي المعسكر وأمر بكتب اسمه وتاريخ بنائها فكتب بحجارة بما نصه: بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد، أما بعد فقد أمر ببناء هذه الدار المباركة الأمير الأجل العدل الشهير الأكمل الرفيع الحظ المجاهد المرابط المقسط عدله في الجوائز مدن النواحي الغربية عبدالله أمير المؤمنين مولانا الحاج عثمان ابن إبراهيم خلد الله ملكه ونصره حسبما أمر أيده الله بتشيد هذه القبّة العظيمة حرمة للشيخ الجليل سلطان الصالحين سيدي عبد القادر الجيلاني أدركنا الله رضاه قصد بذلك وجه الله العظيم، وثوابه الجسيم بتاريخ فاتح المحرم الحرام عام سبعة وستين ومائة وألف⁽²⁾ وأمر بتحرير العلامة السيد محمد بن حواء وإخوانه، وبني عمه التجاجنة من جميع التكاليف المخزنية وكتب لهم بذلك رسماً نص ختامه: بأمر المعظم الجليل المجاهد الكفيل أبي سعيد السيد الحاج عثمان باي الإيالة الغربية وتلمسان في أواسط جمادى الأولى عام سبعة/ وستين ومائة وألف⁽³⁾. وكم له رحمه الله من غزوات لوهران ورباط عليها بقصد فتحها

(1) الموافق أوت - سبتمبر 1747 م.

(2) الموافق 29 أوت 1753 م.

(3) الموافق مارس 1754 م.

ولم يمنّ الله تعالى بفتحها على يديه بل دخر فضل ذلك لمن هو محبوب لديه . وكانت وفاته سنة سبعين ومائة وألف⁽¹⁾ . وكان عاغته الشجاع الجواد، الكثر المراد، عقد سمط الجواهر الشريف الكرطي التلاوي، وخليفته كافل الأرامل الشهم البارع إسماعيل بن البشير البعثاوي .

الباي حسن

ثم حسن باي تولى سنة سبعين ومائة وألف⁽¹⁾ ثم هرب من ملكه لإسطنبول لما أهانه الباشا بالجزائر وخليفته البعثاوي المسطور .

الباي إبراهيم الملياني

ثم أبو إسحاق إبراهيم باي الملياني تولى عام السبعين ومائة وألف⁽¹⁾ وكان محباً للعلماء بمحبته للعلم وراغباً في الصالحين لنيل الفضل والكرم . وهو الذي بنا (كذا) برج العسكر بالمعسكر، وأمر بكتب اسمه وتاريخه عليه فكتب بما نصّه : بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم، أما بعد أمر بتشيد هذا الفندق المبارك الظريف الجامع لعسكر الجزائر المنتصر سيدنا أمير المؤمنين المجاهد في سبيل رب العالمين، ناصر الدنيا والدين لرب العالمين، مولانا إبراهيم باي الإيالة الغربية وتلمسان خلد الله ملكه وأعزّه ونصره آمين وكان الفراغ منه أول شهر الله العظيم رمضان عام ست وسبعين ومائة وألف⁽²⁾ عرفنا الله خيره وكفانا ضيره وشره آمين يا رب العالمين وصانع هذا التاريخ محمد بن الحسين بن صرماشق . وتوفي سنة خمس وثمانين ومائة وألف⁽³⁾ بعد ما ملك أربعة عشر سنة ودفن بالمعسكر بالقبة التي بناها الباي الحاج عثمان للشيخ عبد القادر الجيلاني الملاصقة للجامع الأعظم كما مرّ .

(1) الموافق 1756 - 1757 م .

(2) الموافق 16 مارس 1763 م .

(3) الموافق 1771 - 1772 م .

وكان ءاغته الفارس الأعظم والطود الشامخ الأفخم، والجواد الأكرم والشجاع الأعزم. والبحر الطامي الألطم، الذي لا يدانيه شجاع ولا جواد له يساوي، السيد إسماعيل بن البشير البحاثوي، الذي تسمت به مدينة العرقوب بالمعسكر، (ص 226) لكونه أول من بنا (كذا) بها في المشتهر/. وهذا ءاغة مدحه العالم العلامة الدراكة الفهامة كثير المعاني ومشارك الفنون، قاضي المعسكر السيد محمد ولد مولاي علي الشريف بن سحنون بأبيات من الرجز فقال:

تكائر بالسَّيل السلسيل	لك وكل الخير يا إسماعيل
لقد نلت الحسنى مع الزيادة	لما فيك للناس من إفاده
يا من وقاك الله من مساوي	وأرقاك للعلا يا بحثاوي
يا من ترصعت بكل خير	يا من تجنبت لكل ضير
يا ءاغ يا بن ءاغ يا بن شيخ	يا ريس الوقت بكل فيخ
تغافلت عنا في هذا الوقت	فاجبر لكسرى نجوت من مقت
قد قيل لي أن أمير المؤمنين	إبراهيم باي يريد يا أمين
توليت غيري وأنت المفتاح	والانكسال عليك يا مصباح
وكيف قد أخشى وأنت عندي	يا ملاذي وعدتي ورشدي
فلا تدع تمنيت الأمير	تكمل يا عمدتنا الشهير

ثم أن إسماعيل المذكور لما تولى ءاغة جعل أخاه الطود العظيم، الكثر المطلسم الفخيم، الفارس الأمجد، السيد عدة بن البشير بن نجد، خليفة عليه، وقوض له الأمر في سائر الأمور التي تلقى عليه وفي عدة المزبور، قال العلامة السيد عبد المحليم المستغانمي هذه الأبيات التي كالذر المنشور:

لك العز قد تم بأسر يا عدة	فأنت بإذن الله تخلص من شدّه
وأنت الذي بك الحوائج قد تقضى	ويحصل لنا كل فوز بلا شدّه
ونبلغ للأماني طراً بأسرها	فليس لك شبه في فعلك مذّة
وكيف يخيب من تكون له حما	وأنت المخزومي من جدك ومن جدّه

وجعل أخاه الموفق بن البشير قائداً على الدواير وأخاه يوسف قائداً على العبيد وهم الزمالة ونظر بعين المودة في أبي علام بن الحبوشي ودموش ولد

الشحط وصير كلاً منهما رئيساً (كذا) على قبيلة ولما توفي أخوه الموفق ترك ولده قادي في حجره فزوجه بابنته هكذا قيل والله أعلم.

الباي الحاج خليل

ثم / الحاج خليل باي تولى سنة خمس وثمانين ومائة وألف⁽¹⁾. وكان (ص 227) مبغضاً للعلماء والأولياء وغيرهم من أهل النفع. وتوفي بتلمسان سنة اثنين وتسعين ومائة وألف⁽²⁾ فدفن بقبة سيدي محمد السنوسي جيرة ضريحه. وسبب موته دعاء الشيوخ الثلاثة عليه بالهلاك وهم: سيدي المداني بن عطاء الله العمراني الغريسي شاعر الرسول ﷺ وأصحابه والأولياء رضي الله عنهم، وسيدي الحاج الموفق الكبير بن سعيد الشقراني ثم البوشيخي، وسيدي أبوترفاس محمد ابن محمد الساحلي شيخ الطلبة بالساحل. فالشيخ المدني ورفيقه واعداهما خليل بالقتل إذا رجع من سفره فاشتغل الأول بالاستصراخ بشيخ الشيوخ سيدي عبد القادر الجيلاني في عروبيته الملحونية يقول في بعض أبياتها:

الباي خليل لا ترده من ذي التغرابا يا الجيلاني بابا حلف في وقال لي من السور ناليك.

واشتغل الثاني بالعبادة بأن تطهر ليلة طهارة كبرى وانفرد وحده وشرع في الصلاة بالقرآن العزيز وهو قائم على رجل واحدة إلى أن ختمه في ركعة واحدة ولما نام كل منهما أتا الهاتف لكل منهما وبشره بهلاك الباي في سفره وأنه لا يرجع لأهله. ولما استيقظ كل منهما بعث رسولاً لصاحبه يبشره بهلاك الباي فالتقى الرسولان برأس الماء وأخبر كل صاحبه فرجع الرسولان من هناك بعد التحويط على محل الاجتماع. وأما الشيخ أبوترفاس فإنه غزاه الباي خليل بمدشرة بالساحل وأخذ قيطنته وفرق طلبته وهم بقتله لولا أن الله عصمه منه فقال له أبوترفاس نحن مساكين لا معرفة لنا بالملوك ولا دخول لنا في شئونهم

(1) الموافق 1771 - 1772 م.

(2) الموافق 1778 م.

وفضحتنا علانية بلا سبب فضحك الله وعجل بهلاكك لتستريح منك البلاد
والعباد فرجع الباي ولما وصل لحمام أبي غرارة بأرض دوى يحيى ابتلاه الله
بعلة يقال لها الشهدة وهي حية عظيمة أصابته بين كتفيه وتعاضمت جداً وتخرقت
كالشهادة وركبها الدود فحملوه لتلمسان في أرذل حالة ولما وصلها مات بالبيت
التي بها دون علم أحد، ولما دخلوا عليه من الغد ألفوه ميتاً. وتوفي أبو تر فاس
بعده بقليل في فصل الشتاء ليلة الجمعة الحادي والعشرين من ذي الحجة الحرام
(ص 228) سنة اثنين وتسعين ومائة وألف⁽¹⁾. وفيها ضحوة يوم الخميس عاشر رمضان⁽²⁾
توفي القطب العلامة الحافظ الشيخ عبد القادر المشرفي ورثاه تلميذه الحافظ
أبو راس بهذه الأبيات الرائية (كذا) من الطويل :

لقد كان للإسلام كهفاً وملجأ	تراه في أقل الشئون يبادر
له الباع في كل العلوم بأسرها	سريع الجواب عنها ليس بضائر
فيا لو رأيت به درسه جالساً	وحوله حلقة الأسود الهواصر
كأن قمر الأفق في غيب الدجا	من بين كواكب النجوم الزواهر
فيتلوا فرايد عليهم نفيسة	يحسن بيان واختتام عواطر
فتلقاها أنوار القلوب بديهة	كنقش فصوص للخواتم بواهر
بذل صعاب العلوم لهم كما	يقرب قاصيات عنهم نوافر
له خلق كمثّل أحنف الذي	غرائب مسطورة في الدفاتر
تعود بسط الكف في بحور النداء	لقد فاق هرماً ومعنى وعامر
أيا ترى الكرط كيف <u>واريت</u> سيّدا	مآثره مثل البحار الزواخر
لقد حلّ فيك العلم والحلم والتقى	فحسبك رهناً من كريم العشائر
همام ثوى ضحى الخميس لعاشر	من شهر رمضان الهدى والمغافر
من سنة اثنين وتسعين قيّدوا	من بعد المائة والألف أهل البصائر

وهي طويلة. وفي تسعين ومائة وألف⁽³⁾ في وقت الباي خليل حلّ بالناس قحط

(1) الموافق 10 جانفي 1779 م.

(2) الموافق 2 أكتوبر 1778 م.

(3) الموافق 1776 - 1777 م.

عظيم ودام إلى نصف إحدى وتسعين فزال بإذن الله تعالى . وإلى هذا القحط أشار ولي الله سيدي الأكحل الخلوفي المعروف عند الناس بسيدي الأخضر ابن خلوف في عروبيته الملحونية التي صيّر لها تاريخاً بطريق الكشف بقوله :
ونصف عام من بعد تذهب الكشرا .

وكان ما غته الهمام الفاضل الجواد الباسل ، المتجنب لسائر رذائل الدعاوي ، السيد إسماعيل بن البشير البختاوي . وهؤلاء البايات التسع كلهم كانت لهم دار ملكهم المعسكر ، وكلهم كان لهم اعتناء شديد بالجهاد ولم يفرز منهم بالفتح الأول إلا أبو الشلاغم المسراتي .

الباي محمد بن عثمان الكبير

ثم أبو عثمان الفقيه المجاهد السيد محمد بن عثمان ، باي الإيالة الغربية وتلمسان ، الذي قبضه الله / لفتح وهران ، وأرشده إلى مهيع السعادة والغفران ، (ص 229) الممتطي منصة الرضوان ، ومشيّد راية الإسلام والإيمان والإحسان ، وباسط مهد العدل والأمان في كلّ زمان ، اتحفه الله برضاه ، وجدّد له اللطف وأمضاه ، تولى سنة اثنين وتسعين ومائة وألف⁽¹⁾ ، على الصحيح ، فكان رحمه الله من أهل البلاغة واللسان الفصيح ، بعد أن كان خليفة على خليل رقي لمنصب الباي بالعز والتفضيل ، فهو ثاني ملوك العثمانية ، خلافاً لما في أنيس الغريب والمسافر من أنه هو أولهم وهي قوله واهية ، وبه رفع ذكرهم ، وانتهى إليه خيرهم ، فلقد دَوّخ الأتراك والأعراب ، وهابته الأبعاد والأقارب وذلت له الملوك والعجايرة ، وخشيته الفراغة والأكاسرة ، وأطاعته الرعايا ، وخصت به المزايا ، ووفدت عليه الوفود ودارت به العساكر والجنود فحاصر مدينة وهران ، وضيق عليها من كل فج نزهة الزمان ، ودام عليها إلى أن فتحها في أوائل المحرم الحرام⁽²⁾ بلا وصب ، ودخلها صبيحة وقبل ضحى يوم الإثنين الخامس من رجب سنة ست من القرن الثالث

(1) الموافق 1778 م .

(2) عام 1206 هـ - الموافق سبتمبر 1791 م .

عشر⁽¹⁾ دون ثلب، كما مرّ ذلك مفصّلاً، مختصراً لا مطولاً. وفي وقته حصلت العافية قليلة الوجود، وتواخت (كذا) القبائل في بعضها واصطلحت على الراحة وترك الفساد والعنود (كذا) حسبما أشار إلى ذلك الشيخ الأكحل في عروبيته بطريق الكشف بقوله:

تأت العافيا في أزمان ميم وحا هجّ وزيد حرفين قول ميم ودال
تضح القبائل أخوجميع مصطلحا لـخ (كذا)

وكان رجلاً جسيماً بالتجدير، أسمر اللون لا بالطويل ولا بالقصير، محباً للعلماء والصلحاء، والنبلاء، والأدباء والشجعان والفضلاء، قريب الغضب سريع الرضا، شديد الحزم والأوامر والإمضاء، كثير الغزو على أهل الصحراء، دائم الارتحال والإسراء، ففتح بني الأغواط، والشلالتين، وعين ماض، ومزابا، وأبا الضروس، ونزل شرّاعة وهم بفتح بني يزناسن وأبي عروس، ويبلغ مبلغاً لم يبلغه أحد من ملوك الأتراك، ووصل المواضع التي صعبت على غيره وسهل عليه فيها (ص 230) الإدراك. وأعظم فتوحاته فتح وهران/ التي صيرها الله على يده للمسلمين دار إيمان وأمان. وإلى ما تحت سلطانه أشار الحافظ أبو راس في سينيته بقوله:

فملك آل مندّيل تحت سلطانه قد كان مدّ من واجر إلى تنس
كذلك ملك تُجّين في إيالته كذا الجدار القديم المتقن الأسس
ملك لال يغمور فيه نضرتهم كذا ملك ابن يعلا اليفريني الرئيس
لشعب ومصاب مدت طاعته على مسافات شتى من أبي الضرس

وقد مرّ هذا في الكلام على فتح وهران. وكان، رحمه الله، والده عثمان الكردي حاكماً بمليانة ثم صار باباً بتيطري، فهو أول ملوك العصمانية، ولد ولدان ذكران أحدهما الباي محمد الكبير هذا وأمه أم ولد اسمها زائدة أهداها له ملك المغرب لمحبة بينهما، والآخر الباي محمد الصغير ويقال له الرقيق كما يأتي وأمه حرّة اسمها خديجة بنت السيد محمد بن عيسى اللمدانية من مرابطين (كذا) المدية.

(1) الموافق 28 فيفري 1792 م.

ثم أن الباي الذي نحن بصدد الكلام عليه لما فتح وهران وارتحل إليها بالسكنا (كذا) وصيرها دار ملكه الأسنا قصدته الشعراء من كل باب وتزاحمت في الدخول عليه ومعهم العلماء ما بين إيجاز وإطناب، فمن ذلك قصيدة العلامة الجامع، الدراكة المانع النائر الناظم الالافظ، الشيخ أبي راس الحافظ:

خليلي قد طاب الشراب المورد
وأجفت رحال الوافدين أم عسكر
تجاذبته وهران لما افتتحها
فهاث أعقاراً في قميص زجاجة
يصب عليه الماء مسبك فضة
جلوساً على ذرى الحصون فماترى
فهلاً أبصرت طربها بأذاننا
/ ألم ترها تهتز شرقاً إلى النداء
إذا قطعت بأندلس يد العدا
وما زال طمع المسلمين في رده
فها هي وهران العدا صفت لنا
كان لم تكن بالأمس ترم صواعقها
تقني من النار الجحيم بنفسها
وكيف تدوم الخيزرات بفكرهم
وقرطبة كانت محط رحالنا
بتذكارهم عمت وجمت همومنا
بفتح وهران واسطة عقدهم
زهت بها مصر ثم نجد وشامنا
وأهل الحجاز قد تسامعوا فعله
فكان بوسط الغرب دخر مضرة
وعم العفات نيل فيض عطائه
بها علاصيته الملوك بأسرهم

لما أن صار الأمير بالشعر يقصد
وقد كان مأوى للوفود ومقصد
وقد قالت جاءني الملك محمد
كياقوتة في درة تتوقد
له حلق بيض تحل وتعقد
بوهران ناقوساً ولا الوثن يعبد
وقرائتنا أم كان طرفك أرمد
إذا قال في الخميس المؤذن أشهد
يداً بقيت والحمد لله لي يد
لعلمك أن الدهر يدني ويبعد
وفي كل عورة لها لنا مرصد
علينا بزمجر عتيلة صلد
فيا عجباً لي كيف يجتمع الضد
وتدمر ومنها الفريدة روند
شريس الشريسي وشقة ثم لوكد
إلى أن نفى الأكدار قوم ممجد
بها طال ملكهم قديماً ممدد
ويضربهم بها غريض ومعد
ولا شك للمصريين يعلو ويصعد
وكم درة علياء باليم توجد
وذلك من إحسانه ليس يجحد
فطاب له أصل وفرع وقعد

(ص 231)

ومنها قوله فيه أيضاً:

فقد سد ثلما كان يخشى اتساعه
وأصلح ما قد أفسدته صروفه
وقوم معوجاً من الشجر فاستوى
نفى عنه خبث الشرك والرجز والأذى
وجلا كروبا عم في الأفق وقعها
وأشرق أنوار الهدى بعد حجبتها
واطلع في أفق السعادة أنجما
وعم وفود العالمين بنيله
/ مواس لأهل العلم في كل بلدة
جدير بأن يدعى وحيد زمانه
فكم رسم مجد قبله كان باليا
فجمع خصال الكمال منيفة
ومنها قوله فيه أيضاً من البسيط:

(ص 232)

ورقع خرقاً ما عليه مزيد
وأذاب ما أثنى فخاب حسود
وبلغه ما كان منه يريد
وكم من رميم عاد وهو جديد
وهم له وسط الفؤاد ركود
أنار لها دان وضاء بعيد
لهن ترق في العلا وصعود
بذكر له بين الأنام مشيد
وإن لم يكن منهم إليه ورود
وتفخر أبناء به وجدود
وكم من واه ضعيف عاد جديد
فهو بها عن الملوك فريد

زهت به وعالت (كذا) أقاليم الأمم
مكفولة به لم تيم ولم تتم
كإرث آل شيبة مفتاح الحرم
رشيدها الثاني جاءت به للعلم
كل لليث للهضبات يروى والأكم
وجعفر بن يحيى بها من الخدم
وحاتم وأبودلف مع هرم
أراد قبضها لم تعطه بل تهم
وهب كالريح في الأراضي والأطم
أضاءت الخلق من عرب ومن عجم
شعاع أنواره وأراهم كالظلم
بالكوكب السعد لم يقل ولم يرم

سلطان وهران ما خيب قاصده
شد قواعدها بحزمه فعادت
يرثها بعده أولاده أبداً
فالدينا ألست البها بطلعته
عم بإحسانه بدواً وحاضرها
في قبة من نوى قدشيدت عن حسب
وابن أمانة وابن سعد أتابعه
تعودت كفه بسط الحسام فلو
سار مسير زحل في منازل
شمس بدت في أعلى الأفق ساطعة
ملوك أقطار الأرض هم كواكبها
بشرى فقد أنجاز الإقبال موعدة

ذو المفاسخ أعيتته مآثره من دون أدناها وقفوا على العدم

وبالجملة فإن ما قيل فيه من المدح حال سكناه بالمعسكر وفتحته لوهرا ن وبعد فتحه إياها وسكناها كثير، يقلّ حصره وتضييق به الدفاتير (كذا). وقصة فتحه لوهرا ن مشهورة، مقررة مسطورة، ألف فيها العلماء كالحافظ النقاد، النور الوقاد، العلامة الماهر أبي راس محمد بن الناصر والحافظ البار، العلامة الجامع، السيد مصطفى بن عبدالله الدحاوي وغيرهما عدة تأليف، وصنف فيها ما بين النثر والنظم جملة تصانيف، وقد مرّ لنا بها طرف من ذكرها، حسبما نتجت/ القريحة من بنات فكرها.

(ص 233)

منشآت الباي محمد بن عثمان بوهران ومعسكر والبرج

ثم أن هذا الباي المراد، الحاصل نفعه لجمع العباد، أمر بالهام من الله تعالى في اليوم الحادي والعشرين من فتحه إياها بهدم الأبراج الموالية للبروهي برج مرجاج وبرج رأس العين الكبير والصغير وبرج الويز وبرج فراند وبرج كالوص (كذا) وأشباههم من الأبراج الموالية للبر ومن عادته رحمه الله أنه مهمي (كذا) أشار برأي إلا كان فيه الخير والسداد وغرضه بذلك رفع الضرر عن المسلمين. وحسماً لمادة النصارى فإن الباي أبو الشلاغم لما فتحها أولاً ترك الأبراج بلا هدم ولما رجع لها النصارى كان أول ضرر حصل للمسلمين من تلك الأبراج فلذلك أمر رحمه الله بهدمها. ولما استقل قدمه رحمه الله بها جمع لسكناها الناس من كل فج ومكان، وأمرهم بتعميرها ليتم في الغاية الإيمان، فبعضهم بالإقطاع وبعضهم بالبيع بلا نزاع، إلى غير ذلك من الوجوه الصادرة من أمير المؤمنين، وثمن المبيع عمّر به بيت مال المسلمين. وفي يوم دخوله لها بأهله ومخزنه بغاية نيّله، قدم أمامه العلماء والصلحاء ويدهم صحيح البخاري تبركاً به وتيمناً بفضله، فحقق الله رجاءه، ونشر صيته ودمر أعداءه، وبنا (كذا) بالموضع الذي وقف به فرسه عند الباب للواقف مسجد الصلاة الخمس والجمعة يعرف عند الناس الآن بجامع بالناصف لكونه كان به وكيلاً، وبأموره قائماً كفيلاً. ثم بنا (كذا) في السنة السابعة والمائتين والألف⁽¹⁾ قبة البرج الأحمر

(1) الموافق 1792 - 1793 م. ولا أثر اليوم لمسجد بناصف ولو أن البعض يذكر أنه المسجد

فزادت له رونقة لصعودها للسماء مشرقة، ولما أكمل بناءها كتب على صالة مركز جلوسه بأمامه الأبيات التي أنشدها العالم الجليل، المتضمن الجميل، العدل الماجد، البارع الفارد، الكاتب الفاخر، الناظم النائر، ذو المعاني والإعراب، والفنون والآداب، والكرم والفضائل، والأخلاق والشمائل الجامع بين الحساب والنسب الأصيل والمعارف والتحصيل، الشريف الجميل، الذي هو أنجب من كل من حثوا في طلب العلم ولحوا، السيد مصطفى بن عبدالله بن دحو (كذا)، مؤلف فتح وهران وجامع الجواهر الحسان، وهي من البسيط:

يا غافلاً عن أمور زانها ذهب	ولونها لجين وتمرها رطب
ونورها مضيء وجوها دائم	وصوتها منشد بالحسن مرتقب
/ أقصد إيوان أمير المؤمنين أبي	عثمان تلفى الخيرات كلها كوعب
به تشارك من نوى لمقصده	فهو منافع للورى فما أرهب
به اشتباك الزهر في صفحته حكي	فكيف بالعشائر المقيم صوحب
وحكى كيف الأهالي به يتفنون	وكيف يسلكون بكلهم مذهب
فعند ذا خاطبوني وابتسامي بدا	منه جواب عن سنوى يظل المنحب
كيف انساب الأمور اللواتي ارتبطت	برضى من يسرّ قدراً ويتصب
أهكذا عقال عصري قد التصقوا	بالذي نصر القدير علاه رجب
أظهر به كيف الذي ترونقه	محبة الصديق عند الأهالي ركب
تجدهم باختلاف في الدعاء إلى	من واحد لواحد بالندا رتب
إلى كمال العطا من غير مبتخل	لأحد ولعطائه قد قرب

(ص 234)

وبنا (كذا) المدرسة الجليلة العظيمة بخلق النطاح التي بها ضريحه وتعرف للآن بالمدرسة⁽¹⁾. وبنا (كذا) أيضاً الجامع الأعظم المعروف بها بجامع الباشا

الذي بجوار باب الجيارة والذي حوله الفرنسيون إلى كنيسة وأعيد إلى مسجد بعد استعادة الاستقلال الوطني. وذلك عام 1980 م وأطلق عليه اسم مسجد أبي عبيدة عامر ابن الجراح.

(1) ما تزال هذه المدرسة قائمة وحولت إلى مسجد باسمه، أما القبر فغير موجود وهناك من قال بأن رفاته نقلت إلى مقبرة مول الدومة بحي رأس العين. وكذلك مسجد الباشا ما يزال قائماً.

لأن وهو حسن باشا وكل ما صرف عليه هذا الأمير فمن عند الباشا. يحكى أن الباشا حسن لما بشر بفتح وهران سر سروراً كثيراً ولما رآته زوجته فاطمة وخالتها حل به الطرب العظيم قالتا له كان اللائق بك لإتمام سرورك أن تبني بها جامعاً عظيماً يبقىذكرك به مخلداً في الألسنة فعند ذلك أمر الباى بينائه وبعث له بصندوقين مملوئين (كذا) مالاً واحداً بعد واحد ليصرف ذلك على البناء صحبة أمين البنائين محمد الشرشالي بن بيرت. ولما شرع في بنائه حفر أساسه في بستان تحت البرج الأحمر، فألقى بالأساس قلعة معمرة ذهباً فصرفها في البناء أيضاً وجمع لمنارته حجراً ضخماً أتى به السخارة من برج الصبايحية في أربعة أيام متوالية وكلما صرفه الباى على الجامع مفصلاً ومجماً فهو مذكور في دفاتره وضربنا عنه صفحاً خشية السئامة (كذا) وأبتدا (كذا) بنائه في السابع من الثالث عشر بعد فراغه من القلعة وأتم بنائه في الثامن أو التاسع منه. وتاريخ ذلك مكتوب بالحجارة التي بها جملة الأشياء المحبسة. وبنا (كذا) رحمه الله الجامع الأعظم قليل الوجود بالعين البيضاء (كذا) من بلد المعسكر وأحاط به / المدرسة. وتاريخ (ص 235) بنائه بمدرسته مكتوب بجانب محرابه ونسبته لطول العهد. كما بنا (كذا) جامع الكرط، والجامع الأعظم بمدينة البرج، إلى غير ذلك من شعائر الإسلام والتي عملها. وكتب على بعض حوائط البرج الأحمر تاريخ فتحه لوهران ومن فتحها وأي سلطان وباشا كان الفتح في وقته مع تاريخ دخوله لها ونصه: - الحمد لله وحده فتحت وهران وأعادها الله للمسلمين وخرج الكفار منها أذلة صاغرين، في سعادة المعظم السلطان الأفخم والخابقان الأفخم، الخائف من مولاه الطائع الأواه، السيد سليم نصره الله، ودولة المعظم الأرفع والهمام الأنفع، حسن باشا أيده الله على يد محي الدين كثير الغزو والجهاد، وقامع أهل البغي، والفساد، السيد محمد باي بن عثمان باي وفقه الله، في أوائل محرم الحرام سنة ست ومائتين وألف، لتمام المرام، ودخلها بتاريخ يوم الإثنين الرابع من رجب الأشرف سنة ست ومائتين وألف. هـ - لكن في كثير النقل أنه دخلها في خامس رجب وربك أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمثاب. وكان محباً للطلبة ولذلك بنا (كذا) لهم المدرستين الأولى بالمعسكر والثانية بوهران.

يحكى أنه لما رفعت له الشكاية من أهل وهران بالطلبة وتكررت عليه أمر

بإخراجهم من وهران لينظر في ذلك فخرج الطلبة منها، وانصرفوا بكلهم عنها، وهو ينظر فيهم من محله وقلبه متحير في الأمر بكله، فلم ير من لحقهم وراء (كذا) النساء درجن على الأسطاح وأعينهم شاخصات نحوهم أسفاً عليهم وفي غم من أهل الصلاح، فجاءه ءاغته الأسد الضرغام، البطل الهمام الشهم الكامل، الجواد العاقل، الكمي الباسل، فارس القتال، وصنديد النزال مبدد الأعداء، وفاصل الدعاوي، ءاغته السيد قدور الكبير بن إسماعيل البحتاوي وقال له يا سيدي لا يليق بك ولا بنا طرد الطلبة الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي، ويتلون كتابه العزيز بالإتلاء الحضي وإنما اللائق أن من فعل ذنباً يستحق به العقاب، عقب ومن لا فلا بلا ارتياب. والذين اشتكوا لك بهم بأنهم أهل أفتيات، عليهم بحفظ أنفسهم وأهلهم مما ادعوه عليهم بغير إثبات، فقبل منه هذا الكلام، وفرح به كثيراً بالانتظام، وأمر بردهم لمحلهم فرجعوا، بعد أن خرجوا منه وفرعوا، ولما استقروا بمواضعهم، واشتغلوا بمصانعهم، ذهب / لهم على فرسه بشواشه، متبخراً في سيره ونواشه، وحين وصلهم لمحلهم، دفع لهم مالا كثيراً زيارة بقصد التبرك بهم، وقال لهم أيها الطلبة اشتغلوا بالقراءة وكفوا أنفسكم عن الإذابة فما في المدينة من يحبكم إلا ثلاثة في المحبة سواء، وهم: أنا وءاغته قدور بن إسماعيل البحتاوي والنساء. وفي ءاغته المذكور، الفارس المشهور، قال الحافظ العلامة، القدوة الفهامة إمام المحققين وحافظ الوقت على الإطلاق بالتبيين الشيخ محمد أبو راس الناصري هذه الأبيات:

ألا إن أوصاف الكمال تجمعت	بأسرها في شهم جليل تبرعت
أموره وهو قدور الذي قد فاق	غيره ورتبه إلى السما قد علت
سليل إسماعيل سليل بشيرها	يلقب ببحت تلقياً له دنت
جميع قواصيهـا وحاز كمالها	كما لسطوته الرقاب قد أخضعت
ونال علواً لا يناله غيره	فما للبختاوي من شبه يرى-روت
فإنه حاتم وأخفق قيسها	هرم ومأمون رشيد بلا عنت
فاق ابن مكدّم في كل أموره	ولو كان حاضراً سلّم له ثبت
وكيف وأنه من نسل صعصعة	وهو من المخزومي أصلاً له ثبت

وكانت رئاسة المخزن بين آغا هذا ومحمد الزحاف ولد الشريف الكرطي

التلاوي نوبة ابتدئت (كذا) من هاذين. توفي الباي رحمه الله ببلاد صبيح حال إقباله من الجزائر على الصحيح سنة ثلاثة عشر ومائتين وألف⁽¹⁾ بعد ما ملك عشرين سنة. وما في در الأعيان وأنيس الغريب والمسافر من أنه بقي ثمانية عشر سنة سهو لما قد علمت أنه تولى سنة اثنين وتسعين ومائة وألف وتوفي سنة ثلاثة عشر ومائتين وألف وبينهما عشرون سنة صحيحة. وبالجمله أنه كان خليفة علي خليل سبعة أعوام وبأيا مستقلاً عشرين سنة فذلك سبعة وعشرون سنة خدمة للدولة العثمانية المنصورة. ولما طار خبر موته لأهل الجزائر بعثوا لابنه عثمان خليفته وهو أكبر أولاده بالمملكة فركب فوراً وحث السير إليهم حثيثاً بعد ما بعث أباه لوهرا ن وأوصى على دفنه بالمدرسة التي بالموضع المسمى بخنق النطاح من وهران وحين وصل الجزائر ولي بأيا مكان أبيه تلك السنة. وكان للباي محمد ألقاب وكنى، فالألقاب: يقال له الكبير والمجاهد/ والأكل (ص 237) والمنصور. والكنى: يقال له أبو عثمان وأبو علي وأبو محمد وأبو أحمد وأبو الفتوحات وأبو النصر وأبو المواهب وأبو الربيع وأبو الفتح إلى غير ذلك. قال الشيخ حسن خوجة في در الأعيان، والشيخ مسلم في أنيس الغريب والمسافر. وحدث بأول مملكته بالمعسكر مسغبة عظيمة هلك بها أناس كثيرة إلى أن أكلوا فيها الميتة والدم والخنزير ولحم الأدمي والعياذ بالله من ذلك.

قلت وهو مخالف لما مر من أن ذلك حدث في أيام خليل وهو الصواب ثم حدث بأيامه الطاعون العظيم الذي لم يحدث في هذا الأقليم قبله قط إلى أن مات به جل الناس بدواً وحضراً وآل فيه الأمر إلى أن انتقل أهل الحضر والباي بأهله ومخزنه إلى البدو في خيام الشعر ظاعنين ظعن الأعراب البادية زماناً طويلاً وقد جعل الباي خيمة حمراء من الوبر وسكن بها ببلاد أولاد سليمان أحد بطون بني عامر وأدار بها الزمالة ثم أدار بهم الدوائر فسمي بذلك الزمالة والدوائر لكونها زمالة الباي ودوائره وسمي العام بعام الخيمة الحمراء. ثم حدثت الزلزلة العظيمة التي لم تحدث قبل ذلك واشتدت بوهران أكثر من غيرها إلى أن سقط بها الدور والأبراج على أمم من النصارى فأهلكوا بذلك ودام ذلك إلى أن اتخذ النصارى

(1) الموافق 1798 - 1799 م.

بيوتاً من اللوح لسكناهم. قيل وتلك الزلزلة هي سبب فتحها كما مر. وهذا الباي المنصور هو الذي جعل على المخزن رايسين (كذا) أحدهما كبيراً وهو آغا الدوائر والآخره صغيراً وهو قائد الزمالة وإلا فكانوا قبله تحت رايس (كذا) واحد وهو القائد آغة وكان من الدواير لا غير كما مر. وأول من تولى ذلك من الزمالة مصطفى بن قرادة فإذا تولى قدور بن إسماعيل الكبير فإنه يتولى مصطفى بن قرادة وإذا تولى محمد الزحاف ولد الشريف الكرطي التلاوي فإنه يتولى قدور بن علي وهلم جرا.

الباي عثمان بن محمد

ثم ابنه عثمان بن محمد بن عثمان وهو ثالث بايات وهران، وأبوه ثانيهم، وأبو الشلاغم المسراي أولهم. كما مر. تولى سنة ثلاثة عشر ومائتين وألف⁽¹⁾ بعد موت أبيه بأيام قلائل وبقي في الملك ثلاثة أعوام غير شيء. ولما تولى نقل الحكومة من البرج الأحمر إلى القصبة التي بأعلا البلانصة من ناحية مرجاجو واشتغل ببناء المعالم المرونية، والغرف المعدة المزوقة، والقصور المشيدة، (ص 238) والأساطين الكثيرة المعدة، وغرس / الأشجار ذات الفواكه والروائح الطيبة المختلفة، وجرى المياه في القوارير الموتلفة وأعرض عن المملكة باللّب وأقبل بكله على اللهو والطرب، فأنهمك فيه انهماك بعض ملوك العرب، فصار مجلسه لا يخلوا (كذا) من الأدباء الظرفاء، والسادات الأعيان والشرفاء ولم يلتفت لما كلفه الله به من أمور الرعية، بل جعل ذلك نسياً منسياً بالكلية. وكان من جملة ندمائه حقاً، وأظرفهم خلقاً وخلقاً، الفقيه اللبيب، الكعب الأريب، الأخذ من كل علم وافر نصيب الحائز للآداب بالكمال المرعي، السيد محمد بن الجيلاني الخروبي - القلعي، الذي قال فيه الفقيه الحاذق، البارع السابق، الخريز الماهر السيد مسلم بن عبد القادر، هاتين البيتين بمدحه فيهما بدون مين:

ونديم لأبي محمد عثمان مصدر في كل شيء فقيه

(1) الموافق 1799 م.

عفيف ذو نجابة مهاب ظريف ذو رياسة وجيه

وقد تقدمتا. واتخذ مجلساً للخلوة بأحكام، فصار لا يخرج منه للحكم إلا بعد مرور أيام، وصرف أمر رعيته إلى من شاء من أرباب دولته، فانتفعوا نفعاً كثيراً، ونالوا من الرعية مالا غزيراً، وهو لا يلتفت إليهم في الذكر والسّهو، لما شغف به من أمر اللعب واللهو، حتى أنه جاءه يوماً بعض قواده للمحاسبة على ما بيديه، فأطرده وقال له أن المحاسب هو الله ولا يكون الحساب إلا بين يديه، ارجع إلى سبيلك وأمرك، فإني لست بملتفت لما بيدك أو بيد غيرك ودام على ذلك إلى أن أداه حاله للعزل، ورجع أمره من السمن إلى الهزل. وذلك أنه بعث مع بعض التجار لتونس مالا ليشتري له بعض الجواري المغنيات، ذات الجمال والغناء الفائقات فأتاه بجاريتين مغنيتين بارعتي الجمال والغناء متصدرتين فيه لإنالة المنا، تذهبان عن القلب ما به من النصب والعناء، فتسلّا بهما ليالي وأياماً ولغيرهما تحاشا، إلى أن بلغ خبره للجزائر إلى الباشا، فغضب منه غضباً شديداً، ونهب ماله وسمر داره وكبله قيداً حديداً، ونقله إلى البليدة، على غير الحالة المرضية فنزلها بأهله وولده وحشمه نزلته الكلية.

ثورة أحمد بن الأحرش الدرقاوي

وبقي بها إلى أن تولى بايا بقسنطينة / وحاله لم يتشوش إلى أن قام عليه (ص 239) ثائراً رجل من درقاوة يقال له السيد أحمد بن الأحرش، فتي مغربي مالكي مذهباً، درقاوي طريقة، درعي نسباً، جاء لتلك القبائل وادعى أنه الإمام المهدي المنتظر، وكان صاحب شعوة وخنقطة وحيل وخبر، يبدل بها الأشياء للشيء الذي يريد فوراً، كاستحالة البحر زيباً وتقطير السيف دماً والحجارة درهماً والروث تمراً، فرأت الناس منه العجائب، وأظهر لهم الأمور الغرائب، التي هي قلب العين، لا حقيقة لها دون مين فنصروه وعقدوا له البيعة حزباً حزباً، وجندوا معه وأمره كله كذباً، واتبعوه في المصادر، وامتلأوا له في النواهي والأوامر، فحرك بهم على قسنطينة وحاصروها يوماً كاملاً، وكان الباي عثمان خارجاً عنها لبعض شؤنه (كذا) فلما سمع أنه عاجلاً، فالفاه هزم وأصيب بالرصاص في فخذه فتكسرت، لكن حاله لا زال مجتمعاً غير متشتت، فبات بداره ومن الغد

خرج لطلبه وهو بواد يقال له وادي الزهور فلحقه هناك وأُخِنَ فيهم بالقتل والسبي والأسر والحرَق أَمَنَهُ من شوكتهم الغرور، إلى أن توغل في بلادهم وقد ترك وراءه معقلاً صعباً ومضيقاً وعراً وكان أمره منشوراً. فقرَّ القبائل للمعقل وأجروا فيه الماء وداروا بعسكره من كل جانب دحوراً. واشتدَّ القتال وحمي الوطيس وكبر النهار، فهزم الباي هزيمة شنيعة وولَّى الأدبار، فوجد المعقل على غير ما تركه فحلَّ به المكر بالقتل والأسر والكسر والسبي إلى أن كبَّ به فرسه في الطين ثم فرَّ عنه وتركه، فأخذ الباي وقتل هنالك وفرح ابن الأحرش بذلك، ولم ينج من جيش الباي إلا القليل، وقد أدارت (كذا) بهم القبائل إدارة عظيمة صار العزيز بها كأنه الذليل. قال صاحب در الأعيان، وكذا صاحب أنيس الغريب والمسافر، وحدث في أيامه الطاعون الذي كان قد وقع وذهب فمات به جلُّ الناس وكثير من العلماء، منهم بالراشدية العلامة الإمام، والفهامة الهمام، ذكي الفهم والأحوال ذكاء المسك والعنبر والقرنفل وزهر القرفة السيد عبد القادر بن السنوسي بن دح ابن زرقه، ومنهم صنوه الفقيه ذو الفهم الراشمي، الخريز السيد الهاشمي، ومنهم ابن عمهما الفقيه الأديب الالمعي الذكي الأنجب الشبيه بالأوزعي مؤلف فتح وهران السيد مصطفى بن عبدالله وغيرهم من الأعيان. وظهر الجراد الكثير كثيراً جسيماً/ فأفسد الزرع والثمار فساداً عظيماً. وكان ءاغته بالدوائر الشجاع الطاوي، السيد عثمان بن إسماعيل بن البشير البعثاوي. وبالزمالة قائده قدور بن علي الثابت في الجزء (كذا) والكلي. ثم صار على الدوائر ءاغته بن عودة بن خده أحد أجواد غريس من ذرية الممدود وتوليته على المخزن من وضع الشيء في غير محله وتطوَّر الشخص على غير شكله. وسبب توليته إنه كان شاوشاً على ءاغته قدور بن إسماعيل ثم تزوج ءاغته بابنته ميرة فصيرَه خليفة عليه ولما مات قدور وتولى أخوه عثمان أبقاءه معه خليفة إلى أن مات عثمان تولى ءاغته بموضعه وبقي ءاغته إلى أن مات بغارته انقاده في وقت مصطفى باي في توليته الأولى.

الباي مصطفى المعجمي وثورة درقاوة

ثم الحاج مصطفى بن عبدالله المعجمي وهو رابع بايات وهران التي منها

سبعة سرد، وواحد فرد، تولى سنة خمسة عشر ومائتين وألف⁽¹⁾، وكان رجلاً عاقلاً لكنه جباناً أدته جبانته للشقاوة حتى هاجت في أيامه هيجاناً عظيماً عامة درقاوة. وقد أشار عليه بعض الأولياء بقوله (كذا) سيأتي مصطفى عصي، هو فوق الكرسي والناس تعصي. وفي السنة الثانية من ولايته وهي سنة ستة عشر ومائتين وألف⁽²⁾ غزى (كذا) أهل انقاد غزوته الذميمة فهزموه الهزيمة العظيمة، مات فيها جملة من رؤساء مخزنه الأعيان منهم، اغته بن عودة بن خدة وللعنان ذهبوا، واشتدت الهزيمة حتى أسروا وسلبوا، وهي أول واقعة وقعت بهذا الوجه في المخزن، فدخله بها الرعب والوهن بعد أن كان في أحواله بالقلب هو المطمئن، وكثر طمع الرعية في شبه ذلك وقد مسّ المخزن بعض الجبن والكسل من ذلك، لا سيما إذا كان الأمير جباناً خوالاً، فلم يزداهم ذلك إلا جبناً وكسلاً (كذا) لأن الرعية تابعة للراعي في الصلاح والفساد وأحوال المراعي، والجيش إذا كان رايسه (كذا) أسداً فهو بذلك جدير، وإن كان بعكس ذلك فهو بحسب الأمير، قال الشاعر:

المرء في ميزانه أتباعه فاقدر إذا قدر النبي محمد

أسباب ثورة درقاوة

وسبب قيام درقاوة، أهل الحالة الدالة على ذم وشقاوة، أنهم عامة يتحلون العبادات، ويتلبسون على الناس ببعض الخيالات. - يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف وهم في أحوالهم في غاية التلطف لإنالة مالهم به التوصل، يجتمعون في الأسواق والطرق والفنادق ومراح الدواوير والمقابر والمواسم والزوايا حلقاً حلقاً ويذكرون لا إله إلا الله جهراً مناوبة/ ثم يذكرون الاسم المفرد بالأصوات (ص 241) المتجاوبة، ثم يقومون للشطح والرقص بعد الأكل الكثير، إلى أن يغمرهم العرق والتشريق، ويركبون على القصب والكلخ وما هو كالعهن المنفوش، ويعلقون القرون وقلائد البيوش، ويتسابقون على تلك الحالة، ويعتقدون أنهم على أكمل

(1) الموافق 1800 - 1801 م.

(2) الموافق 1801 - 1802 م.

الحالة، ويلبسون الثياب المرقعة، ويرومون المسائل الموقعة، وربما أخذوا جديد الثياب! فيقطعونها ثم يرقعونها بالاستعاب، ويظهرون الزهد في الدنيا إظهاراً كلياً، ويجلبون الناس للأخذ عنهم والدخول في طريقتهم تحلياً، ويذمون الدنيا وتابعها، ويعظمون طريقتهم وجامعها، ويطالعون كتب التصوف فيأخذون منها الألفاظ الدالة على ذم الدنيا ومدح الآخرة. وفي الحقيقة أنهم ليسوا من أبناء الدنيا ولا من أبناء الآخرة. وإن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً، وأقدم حالة وأكذب مقيلاً، ويكرهون الأولياء والعلماء ويقدمون في أمواتهم سيما شيخ المشايخ الشيخ عبد القادر الجيلاني ذا السر الباهر، وينفون عنه التصوف بالكلية وينسبونه لأنفسهم بالإخفاء والظاهر، وينتسبون إلى رجل مغربي من بني زروال بوادي أبي بريح من فرقة يقال لها درقاوة، يقال له الشيخ مولاي محمد العربي بن أحمد وينسبون له السر والنقاوة. أخذ عنه جملة من أشياخهم وأصولهم وأفراخهم، منهم السيد عبد القادر بن الشريف القائم بالغوغاء والعامية على أهل الملك والتصريف، وهو من أولاد سيدي أبي اليل (كذا) المرابطين بقبيل الكسانة النقد، حي من أحياء العرب البادية المتوطن بواد العبد. وكان هذا القائم في أول حاله عالماً متفنناً في سائر العلوم، محققاً لها بقيودها والمنطوق والمفهوم / ورعا زاهداً، متعبداً راکعاً ساجداً، صائماً قائماً، حنياً راحماً، أستاذاً يقري (كذا) القرآن ويعزأ أهله ويزيل بتعلمه لكل جاهل جهله، والناس يشيرون إليه بالصلاح. والنسك والنجاح، فذهب للمغرب وأخذ عن مولاي العربي تلميذ مولاي علي الجمل. فقدمه على إعطاء الذكر لمن بهذا المحل، ثم رجع من المغرب وترك ما كان عليه من التعليم، واشتغل في زعمه بالتربية والتكليم، ولم يدر أنها انقطعت في القرن التاسع باتفاق من الأئمة وليس في هذا مدافع، ولبس الخرقة المرقعة وعلق البيوش وركب الكلخ وعلق القرون المرقعة، وابتدع أموراً يمجها الطبع، وينكرها الشرع، واقتدى به في ذلك الجل من الناس، وأخذ عنه كل من هو في عقله في غاية الإخساس، خصوصاً أهل الصحراء فأذعنوا له إلى أن قهرهم قهراً، وزاغت به نفسه الأمانة بالسوء وباع آخرته بدنياه، ثم أصبح بلا بهما معايا ويلاه، وصارت عامة درقاوة تجتمع إليه، فيخرج بهم إلى الصحراء فيجتمعون عليه، وتلقاه الأعراب بالفرح والسرور، حتى أخذت عنه جميعها الورد وهو في

سرور، وصارت كل شيعة تهدي إليه الهدايا، ويأتون إليه من كل فج بالعطايا، ويشتكون إليه ضرر المخزن وما هم فيه من أداء المغارم، ولم يعلموا أنهم سيرجعوا إلى انتهاك المحارم، فكان يعدهم بالفرج القريب المشكور، ويجمع تلك الزيارة والهدايا فيذهب بها إلى شيخه المذكور ويدفعها إليه ويقص عليه ما هم فيه خدامه من إهانة المخزن إليهم، فيقول له انصرهم والله ينصرك عليهم، فحصل له بشيخه الطمع الكثير مع ما نظره من اجتماع الغوغاء عليه بالأمير العسير، وهم الأحرار وغيرهم من أهل العناد، الذين يشبهون بصغار الجراد في الفساد، فدعا أهل الصحراء كالأحرار وغيرهم لمبايعته فأجابوه فوراً لذلك ولكل ما يشتهي وأقام بالأحرار/ يأمر وينهي. وفي هؤلاء درقاوة وقع السؤال والجواب (ص 243) من العلماء أولي الألباب ونصه:

أيا أهل تطوان فما الحكم عندكم	في أصحاب درقاوة إلى الجمل ينسب
بنص يزيل المشكلات بأسرها	أيتبع مطلقاً أم التترك أصوب
ومن أين ذاك الأخذ بالسند الجلب	كما قرروا للشاذلي الجاه يحسب
إذا المحدثات شاع في الناس حكمها	يا ذا الأمن بالأوطان بلدنا مغرب
وما أحدثوا من جلد ذيب ونحوه	في لبسهم والحبل والعود يركب
إذا نصبوا للاقتداء فهل لنا	ثواب صلاتنا أم الأمر أصعب
وهل غيبة تجري وينصق عادل	جوابكم نبغي من الحوض نشرب

جوابه

عليك سلام الله يا سائلي فخذ	نقولا من المعيار بالسوط يضرب
وابن هلال شدد جداً محرراً	ومن يتبع ذا الأمر إبليس يصحب
ومن يعتقد الرقص والشطح باليد	عبادة ربّه فزندق يحسب
وقد خالفوا سبل الرسول محمّد	ومن خالف سنّ النبيّ يعذب
إمامتهم مع الشهادة باطلة	لبدعتهم حقاً وصدقاً مركّب
فلا غيبة تجري في سبعة طبقوا	في مثلهم الأخيار للعلم ينسب
فهذا هو المشهور عند جميعهم	فجنب طريق اللّهُو للحقّ تقرب
وأيقن بأن الله أنزل حكمه	في تنزيله القرآن شرعاً مهذب

معركة فرطاسة ونتائجها

قال فبينما الناس على غفلة إذا بابن الشريف أصبح قائماً بأقوالهم، معلناً (ص 244) بجهاد/ الترك والمخزت محلاً لدمائهم وأموالهم فاجتمعت عليه الغوغاء من كل جانب ومكان للحرك، وهبط مع وادي مينا قاصداً نحو المخزن وأذن لأتباعه في النهب لأموال أتباع الترك. وكان الباي في بعض حركاته راجعاً بعد فراغه منها إلى وهران. ولما سمع بالدرقاوي جمع له الجيوش وخرج للقاءه فبلغه الخبر المحقق وهو نازل بالموضع المعروف بالبطحاء الآن، بأن ابن الشريف بمينا بقرب تأقلمت بجيشه حائطاً، فصار الباي صاعداً نحوه، وابن الشريف له هابطاً، إلى أن تلقيا بفرطاسة في غاية الحزم والشدة، وكان ذلك المحل ما بين مينا وواد العبد، فاشتد القتال بينهما على الماء وصارت نار الحرب بينهما دائرة بالحتوف، وتزاحفت لبعضها بعضاً الصفوف وتراكم الأمر وحام الوطيس المعروف، فانهزم الباي وقام مخزنه على ساق واحد وركب العدو بظهره في تزايد، وصار يقتل ويسبي ويأسر إلى قرب أم العساكر، وبقيت محلة الباي بما فيها بيد الدرقاوي المتجاسر، فأمسى الباي بمخزنة في نكد، وأصبح الدرقاوي بأتباعه في رغد، فسبحان المعز المذل الإله بوحداية المنفرد، ودخل الباي للمعسكر على غير الحالة المعهودة، وعساكره خلفه مطرودة، ومات من مخزنه خلق كثير، وعدد حصره عسير، من جملتهم كاتب الباي وهما: العلامة السيد الحاج أحمد ابن هطال التلمساني الراوي، والعلامة الأديب أبو عبدالله السيد محمد الغزلاوي إلى غير ذلك من الأعيان، الذين انتقلوا إلى جنة الرضوان. وفيها قال السيد حسن خوجة في در الأعيان هذه الأبيات:

فرطاسة يومها ترى الجنود به	ما بين قتلى وأسرى غير ناجينا
فالباي جاء بجيش لا نفاذ له	به يريد لقاء العدو باغينا
فلم يحقق له سعي ولا أمل	بل جاء جنده صفر الكف باكينا
/ فالיום لابن الشريف عز فيه على	باي الأعاجم لولا الدين لا دينا

(ص 245)

وقال السيد مسلم الحميري:

فيوم فرطاسة يوم كبير ذل فيه العزيز عز الحقيير

لقد هبّا مصطفى جيشاً كبيراً تركاً ومخزنا الملك الجدير
فلم تك ساعة إلاّ وانهزموا من جيش قليل هبّاه الفقير

قال: ثم خرج من المعسكر عشية يومه وقيل عشية اليوم الثاني، وكان يوم
الأحد ثالث أو ثامن من ربيع الأول بالبياني، سنة تسعة عشر ومائتين وألف⁽¹⁾،
من هجرة من حاز الكمال والشرف والوصف. ورجع لوهران فدخلها في فله،
وهو في وجل بيعضه وكله، فاجتمع عليه أعيان مخزنه وسهّلوا عليه الأمر وهوّنوا
عليه المصيبة، وأزالوا عنه ما بنفسه من الوجل والريبة وقالوا له لا تجزع من
الدرقاوي وأعرابه، وجيوشه وأصحابه فنحن سيوفك الماضية. ورمحك النافذة
القاضية، وشجعانك الداهية وفرسانك الضارية الدامية، والأمر كذلك وفوق
ذلك، ولا يكون إلاّ ما تراه من الدفع عنك بأنفسنا وأكثر من ذلك، فإن كان الأمر
من الله فلا يليق إلاّ التسليم، والرضى؟ بما قدره وقضاه الحكيم العليم وإن كان
غير ذلك فلا ترى إن شاء الله إلاّ ما يسرّنا ويسرّك بغير خلف، ألم تعلم أننا
فحول هذه الأوطان وأبطالها موروث ذلك عندنا خلفاً عن سلف، ومن يناقمتنا
يحلّ به الويل، ويصده النكل والخيل. وقد صدق فينا قول الشاعر الماهر، الذي
قوله ذائع عند البادي والحاضر:

إذا قالت قريش في أمر شيئاً فذاك القول مصداق المرام
/فصدقوها في المقال حقاً ولا يكن تكذيب في الكلام
وقول الآخر:

إذا قالت حذام فصدقوها فإنّ القول ما قالت حذام
وقول آخر:

وننكر إن شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول
وقد نصبنا أنفسنا للموت والتزمنها، بحيث من لم يمت منا بالسيف مات
بغيره فيتمناها فصدق فينا قول الشاعر:
ومن لم يمت بالسيف مات بغيره تعددت الأسباب والداء واحد

(1) الموافق 12 أو 17 جوان 1804 م.

ولا خير في خلف إذا لم يتبع السلف، ولا في الرجل إذا لم يتبع أباه ولخصاله يقتف، والورقة من الشجرة، والنار من الزناد والحجارة. وقال فعند ذلك اتفق رأيهم على تحصين البلاد بكل الأدوار، وإقامة آلة الحرب وما يشول (كذا) إليه الحصار، وأتقنوا أمرهم غاية، واستعدوا للعدو بدءاً ونهاية. ولما استولى الدرقاوي على المحلة وعُزَّ جانبُه في كل قرية وحلّة، واتصف بالمزية، كتب بالبشائر والتهاني لجميع الرعية، قائلاً لهم بقوله الذي بان لهم فيه النصيحة والمعونة، أننا نزعنا عنكم ما كتتم فيه من الحق والذلة والمسكنة، وأداء المغارم والجزية الثقيلة، والمؤن الكثيرة الجلييلة، الذي جميع ذلك هو حرام، على من انتظم بالدخول في سلك الإسلام، وقد قطعنا دابر الترك الظلام، وأتباعهم الشرار اللثام. فالواجب عليكم مبايعتنا والإذعان لنا وطاعتنا، فوافقه على ذلك جم غفير، وعدد كثير / فاجتمع عند ضحى يوم الجمعة، ثالث عشر ربيع الأول (ص 247) تلك السنة⁽¹⁾ ذات القصعة، ما لا يحصى عدده، ولا يستطاع دفعه ورده، من رعايا الباي، من ذوي العقول الفاسدة الرأي، فمرّ بغريس الشرقي والألوية على رأسه في غاية الخفقى، إذا به سمع امرأة تنادي على أخرى تركية، وكان ذلك اسمها في المحكية، فأنف من ذلك وأبدل اسمها فوراً بعربية، وقال ما عدونا إلا الترك بأتباعهم وحشومهم وأشباعهم. ثم دخل المعسكر فأطاعوه، ما بين طوع وإكراه بايعوه وما داعوه فصيرها دار ملكه وسكناء، وجمع بها أهله وأولاده وجعلها مثواه. وقد ألقى بها وقتل الفارس القائد أبا محمد بالحضري بن إسماعيل البحتاوي نسباً، الدايري (كذا) مرتباً، قد كان الباي بعثه لها لبعض شئونه، وقضاء مطالبه ومؤنه، فتقبض عليه كغيره من القواد وسجنه، وكبله ومهنه. وهزم جيشه خليفة الباي مصطفى ببلاد مجاهر في ربيع الثاني من تلك السنة⁽¹⁾ هزيمة شنيعة، وقتلوا العسكر ونهبوا المحلة ذريعة. ثم خرج من المعسكر بجيوش كالجرذ أن تملأ الخراب والعمران، قاصداً بها فتح وهران. ولما حلّ بسيق بأرض الغرابة، فرّ منه أهلها بعضهم للجبال وبعضهم للغيب والأماكن المتوعدة الشعابة، ومن دخل منهم لغابة الجيرة التي هي طريقه أوقع بهم عظيماً ما بين القتل والأسر

(1) 1219 هـ الموافق 22 جوان 1804 م.

والسبي وحلّ بهم تطريقه، حتى عرف بالموضع الذي وقع به ذلك للآن بشعبة النواح، لكثرة نوح الناس بالبكاء على أنفسهم وأهلهم وما بهم من الفراح. وكان الولي أبا عمامة الغربي تلميذ أبي دية قبل الواقعة يقول وهو في خلوته: مزينكم يا حواض السماء لو كان فيكم الماء لأن كل من فرّ لأحواض السماء وهو الجبل المطل على طلفة العلوج وسبق نجا، وكل من / ذهب لغيره حلّ به ما يرتجا (ص 248) (كذا)، وصارت جنوده المفسدة الذميمة الوافرة العدد الجسيمة، ما تمرّ بموضع إلا تركته وحشاً، مهاناً ووجهه وخشاً، وكان قدومه لوهراّن في الصيف في آبان الحصاد، فسارت إليه وأطاعته جميع العباد لا عربي ولا مخزني، ولا شريف القدر ولا دني، خشية منه على زرعهم ومالهم وضرعهم، لكون الجنود مضنة الفساد، والضلال والنكاد، لا سيما عادة الجنود السلطانية المتوّجة بالتيجان الشيطانية، فلم ينفع ذلك من دخل في طاعته، ولا من أتاه للخلاص ببضاعته، بل سلّط من شدة ظلمه أتباعه، على من انتسب للمخزن فأكثر إيقاعه، فأخذوا ماله ونهبوه وسبوا أولاده، وتركوا خيارى زوجه وأفراده، فحرقوا ونهبوا وقتلوا وأسروا وسبوا، وصار المستغيث بهم كالمستغيث في الرمضاء بالنار، أو السفية في القفار. فكانوا أهلاً بقول الشاعر، الحاذق الماهر:

فالمستغيث بالسفيه عند كربته كالمستغيث في الرمضاء بالنار

ولم ينج من وقائعهم الرذيلة إلا من نجاه الله منهم أو لجأ إلى بعض المواضع الممتنعة عنهم. قال: ثم ارتحل ونزل ضواحي وهران بقربها في المشتهر، وصباحها بجنوده كأنها الجراد المنتشر، طامعاً في دخولها وأخذ ذخائرها، وتزوج نساء أكابرها، كطمع جنوده بذلك لضعف أهلها في زعمه عن دفع ذلك، مستحلّين ذلك لضعف مذاهب الأعراب ذات الفعل القبيح الخائضة مع كل ريح، وما ذلك إلا لضعف عقولهم وقساوة قلوبهم، وشدة جهلهم وكثرة لعبهم وزلة أقدامهم ورؤوسهم، واتباعهم هواهم وما سؤلته لهم أنفسهم في قيامهم وجلوسهم، وشدة حسن ظنهم بأميرهم، ولا فرق بين كبيرهم وصغيرهم جازمين أن كلمته لا تردّ، وأن دعاءه مستجاب في كل واحد، فاستعدّ / للقاءه (ص 249) أهل البلد، وتهيّوا (كذا) لقتاله بكل مرصد وخرجوا لمبارزته ومكافحته ومنازته، ومحاربته وقاتله، ومناطحته ونزاله، فقاتلوا شديداً مدداً وهم مع ذلك أقلّ منه

عُدْداً وَعَدْداً، فكان من أمرهم الظهور عليه بحشوده، وحصل النصر لهم فهزموه مع كثرة جنوده ومكر الله بالقوم الظالمين الفاجرين، قال تعالى ﴿وَكَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾⁽¹⁾، واشتد المخزن في القتال مع قَلْتِه، وانهزم العدو من حينه مع كثرتِه وجَلَّتِه، وصار ذلك اليوم هو باكورة سعدهم ونجحهم وعلامة ظفرهم بالعدو وربحهم وظهور قوتهم وبأسهم، ومسرة بشارتهم وأنسهم، فما من يوم بعده حاربوه إلا كان لهم فيه النصر والظفر، والمهابة والنصرة تجري على القضاء والقدر، ولا زالت بينهم وبينه الحروب الشديدة، والمكايد المديدة العديدة، وانسَدَّت السَّبل البرِّيَّة بين وهران والجزائر أياماً. فبينما الناس كذلك وإذا بالسفن في البحر تخفق فيها أعلاماً مشحونة بعساكر الأتراك الشداد، تحت حكم باي آخر وهو محمد بن محمد بن عثمان على حسب المراد. وكان أغته البطل الشجاع الفارس الباسل المطاع، كافل الأراميل (كذا)، البحتاوي عثمان بن إسماعيل، ثم كثير الشدة، بن عودة بن خدة، ثم الطود الشامخ، الإكليل الباذح البحتاوي علي ولد عدة، المزيل لكل غمرة وشدة، ثم الفارس الجواد الباسل، الخريز الكامل الواصل، الضرغام الجميل، البحتاوي قدور الصغير بن إسماعيل. ومن الزمالة مدير الأمور الوهراني السيد محمد ولد قدور.

الباي محمد بن عثمان المقلش وحروبه مع الدرقاوي

ثم محمد بن محمد بن عثمان، الملقب بالمقلش وهو خامس بايات وهران، الذين نار بهم الوقت وطاب الزمان، كان انتقل مع أخيه عثمان إلى مدينة البليدة كما سبق البيان، وأقام بها إلى أن قام ابن الشريف الدرقاوي على مصطفى بن عبد الله المارّ وحاصره بوهران / ولما رءا (كذا) أهل الجزائر عجزه عن دفاع العدو وخانه، عزلوه وخليفته حسن وولّوه في مكانه لرياسته وشجاعته بالميامية، وسعادة الوطن بولاية العثمانية. تولى سنة عشرين ومائتين وألف⁽²⁾ وهو

(1) الآية رقم 249 من سورة البقرة.

(2) الموافق 1805 م.

ابن ثمانية عشر سنة على ما قد قيل، وقيل غير ذلك من الأقاويل وبقي في الملك ثلاثة أعوام غير كسر بالبيان. ولما أمره الباشا بالإتيان مع البر قال له أن ما بين الجزائر ووهران لا يسلكه حتى الذبان، وكيف تأمرني بالذهاب معه أيها الباشا، فالسالك معه لا شك أن أمره يتلاشا (كذا) فأرسله في السفن في البحر، وهو في غاية الحزم والعزم والصبر.

قال: وكان من خبره أنه لما قدم لوهران، وجد الدرقاوي محاصراً لها من كل جهة ومكان، والناس في ضيق شديد من طول الحصار، وانقطاع الأقوات البرية باستلاء العدو على ضواحيها بالاشتهار، فكان طلوعه على أهل البلد طلوع نجم سعيد، يراصده رجل حكيم مفيد، وقدومه عليهم صعداً، وملاقاتهم إياه فوزاً ومجداً، يشمله قول الشاعر الحكيم الحاذق الماهر:

بشرى فقد أنجز الإقبال ما وعدا وكوكب المجد في أفق السما صعدا

وكان للبلد وقت ذلك خمسة أبواب ألفاها كلها مغلقة، لا من يدخلها من أهل الضواحي ولا من يخرج منها من أهل البلد إلا بإذن وخلوقة، فأمر بفتحها وحاله في عزم وشدة ونادى المنادي من قبله أيها الناس من أراد الدخول والخروج فليدخل وليخرج ولا حرج في ذلك على أحد، فتفسح الناس وانفرج المضيق وأمنت من حينه البراري والطريق، وصار المسافر لا يحتاج إلى الرفيق، وهبت رياح النصر وخفقت أعلامه وضاق متسع العدو وأظلمت عليه لياله (كذا) وأيامه، وسثم مكثه بالمحل الذي هو فيه ومقامه، وصار الحرب معه عند أهل البلد عيداً، / وعدوهم بين أيديهم صيداً متعدداً وفريداً، والدرقاوي يعد جنوده (ص 251) كل يوم بفتح وهران، وهو مستحوذ عليه الشيطان، ويمنيهم بالأمان الكاذبة، ويطمعهم بأقواله الجالبة، ويعدهم المواعيد العرقوبية، ويقاولهم بالأقاويل الكذوبية، إلى أن جاءه شيخه من المغرب وحضر لمقاتلة وشدة الحرب، مع جيش تلميذه فراء (كذا) بالعيان، ما لا يقدر عليه بكلمة البهتان، وأزعجه قتال المخزن وما فيه من الأعيان، بعد أن أمرهم بحمل الشواكير والفيسان وأنهم في يومهم يدخلون وهران، ويصيرونها بالهدم والتخريب مغارات للفيران، فباء وشرذمته بغضب من الله، ولحقهم الضرر من المخزن ما لم يلحقهم من أحد

بإذن الله، إلا أن الجاهل كل الجاهل من يريد أن يحدث في الوقت ما لم يحدثه
 الله، عالم الغيب والشهادة ومقدر الشقاوة والسعادة، المعطي المانع، المعز
 المذل، الخافض الرافع. قال، وكان مع الدرقاوي من أعيان المخزن أبو القاسم
 ابن ونان قائد الغرابة مطيعاً له راكباً، فرأاه يوماً ورجله ترتعد في الركاب ارتعاداً
 شديداً قد ارتعد لها جميع جسده والمخزن عليه كالبا، وكان رجلاً جسيماً غليظ
 القوائم طويل القامة بالطول الحايم، متسع الوجه مدوّره شديد البياض كثيف
 اللحية طويلها سريع الانقاص. فقرب منه وقال له ما هذا الخوف والجزع، الذي
 اعتراك حتى حل بك الارتعاد والفرع، وأنت في هم وحيرة، وغم وسكرة، فقال
 له يا خالي أبا القاسم والله لقد ذهب جميع ما كان عندي من السر الذي جثت
 وأنا لمن أزدل الناس كالنايم، فقال له أن شيخك عما قريب يكون عندك،
 فتنتصر على غيرك وحدك، فأجابه بأن الشيء إذا ذهب ليس له رجوع، ولا يفيد
 (ص 252) فيه الشيخ ولا غيره/ في المسموع، فأيقن درقاوة من أنفسهم بالعجز والخذلان،
 وأيسوا بحمد الله تعالى من فتح وهران. قال في در الأعيان أولئك الطائفة حزب
 الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون، وهؤلاء الدافعة هم حزب الله ألا
 إن حزب الله هم المفلحون الناصرون. قال فاتفق رأيهم على الارتحال عنها
 برجف وخفق، لحصنها وشدة مخزنها والذهاب عنها لغيرها من مدن الشرق،
 فأصبحوا ظاعنين وللعود لوهران ليسوا بطاعنين، وكان بالغرابة ولي من أولياء الله
 الكاملين الواصلين الذين للسر حاملين، يقال له السيد عبد القادر أبي عمامة،
 تلميذ الضرير سيدي محمد أبي دية كثير الكرامة، وكان مأذوناً له بالكلام في أمور
 الكشف كشيخه الجليل، وكان يسكن في عبادته بغابة مولاي إسماعيل. ولما
 تحرك الدرقاوي مشرقاً، وأحواله باطلة وقلبه مخفقا، صار يقول هذا الولي بكلامه
 المشجع يا سيدي داوود، غير هذه المرة ولا تعاود، يا سيدي مبارك، نوض
 الجمل المبارك. ولما وصل الدرقاوي لمزارع سيق قرب سيدي داوود قامت عليه
 الغرابة مجتمعة للميدان، ورايسهم (كذا) قايدهم أبو القاسم بن ونان يرومون منه
 أخذ الثار بما فعله بهم من قتل الرجال والنساء والصبيان فتعرضوا له بالضرب
 والنهب، والقتل والسبي والعطب فنالوا منه بعض الإنالة وابتدا (كذا) في النقص
 بثلث الحالة. ثم لما وصل لسيدي مبارك قرب وادي هبرة، لقيته فرسان البرجية

مع ما انضم إليهم من بني شقران وصيروه غبرة، وقد تعرضوا له وهو سائر،
وتكلم المدفع الرباني فيه من سيدي مبارك في الدرقاوي الثائر، سمعه الغائب
وشاهده الحاضر، فبصر الله البرجية على درقاوة، وهزمهم هزيمة شنيعة وأبدلوا
سعادتهم بالشقاوة وأخذوا بظهورهم وأدبارهم / ووضعوا البارود والسيوف في (ص 253)
خيارهم وأشرارهم فكان يوماً عظيماً على درقاوة، وغنم وقتل فيه من قتل وأسر
من أسر وسبي من سبي وجرح، وحلت بهم الشقاوة وغنم منهم الحاضرون لهم
من البرجية وبني شقران، غنائم كثيرة ليس لها حصران، لم يفتقر بعضهم بعدها
قط ولا يرى الخسران، فله در فرسان البرجية ومن انضم إليهم، حيث قاتلوهم
وهزمهم وغنموهم وسلطوا عليهم، لقد أشفوا العليل، وأبردوا الغليل، ولم
يقنعوا منهم بأخذ القليل، بل تركوهم حصيداً لكل لا قط من الكثير والقليل.
قال وفرّ الدرقاوي مفلولاً فلة جليلة في شردمة قليلة، قاصداً لأهله وخاصته
بالمعسكر فمنعه أهلها من الدخول، وتقبضوا بأهله وأولاده وسائر الذين بها من
درقاوة، ومكنوهم من القائد السيد الحاج بالحضري بن إسماعيل البحشاوي
فجعلهم فوراً في الكبول. وذلك أن الدرقاوي كان سجنه كما مرّ مع سائر القواد،
وتركهم في أرذل حالة على رؤوس الأشهاد. ولما حلّ بالدرقاوي من البرجية ما
حل بسيدي مبارك، أخرج المعسكريون الحاج بالحضري من السجن بمن معه
وحكموه عليهم ومكنوه من أهل الدرقاوي وأولاده وسائر طائفته عند ذلك،
وأعطوه السلاح فصار حكيماً أميراً، بعد أن كان مسجوناً أسيراً، وفتك بدرقاوة ما
بين القتل والجرح والسبي والكبل، فتكاً شديداً، لا يكون له مثل، والمرء بما
دان يدان، والأيام متداولة بأحوالها من الخير والشر على كل إنسان. قال تعالى:
﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾. وقال ﷺ: «يوم لك ويوم عليك». وقالت
العرب: يوم سمين ويوم هزيل. وقال الشاعر من بحر الطويل:

/ثمانية تجري على المرء كلها وكل امرء لا بدّ يلقي الثمانية
سرور وحزن واجتماع وفرقة ويسر وعسر ثم سقم وعافية

ثم أن الدرقاوي لما منع من الدخول للمعسكرات على وجهه مع جموع
الأحرار وسلّم في أهله وأولاده وأصحابه وفرّ. قال ولما أتى الخبر للباي بتشتيت
درقاوة قام من ساعته، وجمع أرباب دولته وأمرهم بالخروج لطلب الدرقاوي،

وفتح ما يتيسر له من البلاد بالفتح الحاوي فقال له من معه من الوزراء والسادات والكبراء، أمهل بالخروج المعلوم، واكتب لأهل الضواحي من المخزن بالقدوم، ولا تعاقب أحداً بما فعل ولا تكن منك له لائمة لأنهم لم يروا ذلك فارطاً فظنوا عند الرؤية أن لا تقوم لنا قائمة، فأساء الله ظنهم، وخالفهم الدرقاوي بما منهم فقال لهم رأيكم هو عين الصواب، وهو الذي يقع به الكتاب وأمر كتابه بمكاتبة ما أشار به أعيان المخزن، وقلبه مسرور ليس بمتحزن، ثم بعث للمعسكريين رسله ليأتوه بنساء الدرقاوي وأهله وذخائره، فبمجرد الوصول بعثوهم له صحيفة القائد الحاج بالحضري وأعيانهم ببشائره، فقدموا بهم على الباي بوهران بإظهار السرائر، فأركبهم في الفلك وبعثهم إلى الجزائر وطارت إلى كل مكان صحف البشائر.

ظهور الدرقاوي من جديد

ثم خرج نحو المعسكر فنزل بلد البرجية ومعه أخوه أحمد المغيار، وأقام بها أياماً ينتظر من كل جهة ورود الأخبار، فبينما هو كذلك إذ جاءه الخبر الطائر، بأن الدرقاوي جمع جيشاً جليلاً من الصحرا (كذا) بموافقة مجاهر وبني عامر، وأن مجاهراً عزموا على الغارة عليك وصمموا بالمجيء إليك، فتحير وضاق به (ص 255) المتسع / واشتد به القلق والجزع، والاضطراب والفرع، وخشي أن الخرق على الراقع يتسع، ونادى لنديمه الأديب ورفيقه الحبيب، ومؤنسه وصاحب سره، المطلع في جميع الأحوال على سعده ونحسه وخيره وشره، شبيه الحكيم اليوناني، الليب الخروبي القلعي السيد محمد بن الجيلاني فلما أن حضر مجلسه أخبره بما سمعه واقتبسه، فقال له أيها الأمير المالك، اجمع أعيان مخزنك واستشرهم في ذلك، لأن الرأي هم أهله، والحرب هم صدره وأصله، فأحضرهم وأخبرهم بالخبر وكرر لهم ذلك وحرر، فاختلف أمرهم في الرأي بالجواب، فبعضهم قال بالرجوع لوهران وغلق الأبواب وأهل الجزائر يدفعون عن أوطانهم لعدم الطاقة عن دفع العدو وأقرانهم، وبعضهم قال غير ذلك، إلى أن سمع الباي رأي الجميع بما هنالك. وكان الفارس الهمام، والأسد الضرغام والبطل الشجاع، والصنديد المطاع، الذي للمغيظ كظام، النافع لمن انضم إليه

من الأنام كافل اليتامى والرامل، وقامع الشجعان البواسل من أسعده الله وأسعد به البلاد، وأقامه لنفود مصالح العباد، القائد الأنجد، الفاضل الأمجد، الجواد الأسعد، المخزومي الأوكد سمط عقدة أبو مدين السيد قدور الصغير بن إسماعيل البعثاوي ءاغة، مكن الله من الجنة إن شاء الله وصله وبلاغه، حاضراً ساكناً، وعارفاً بالرأي وصامتاً، فلما رءا (كذا) الاختلاف وعدم ما يحصل به الإلتلاف قال له يا سيدي الذي أشير به عليك لا بدّ لنا من لقاء العدو لا محالة ولا تضرنا كثرتهم فإنهم حثالة الحثالة، بمنزلة الضباب أو النخالة، فلا يهولنك هذا الأمر، ولا تكن منه في قلق وعسر، فما خرجنا إلّا لنلقوا مالاً/ نحبه، وعدونا إن شاء الله على أم (ص 256) رأسه نكبه، والصبر مفتاح الفرج، ومزيل للجزع والهرج ولا يدرك المجد إلّا بالصبر ولا يحصل الظفر بالعدو إلّا بعد أكل الصبر، لقول الشاعر، المفيد بالوعظ الماهر:

لا تحسب المجد تمرّاً أنت ءأكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبر

والحكماء يقولون فاز باللذات الجسور، وبالصبر يتميز الأمر من المأمور، ومن يريد العسل، يصبر لجني النحل، ومن طلب المعالي سهر الليالي. وأنت أيها الملك إنما بعثك أهل الجزائر لتفتح لهم الوطن، فلا تخيب لهم فيك الظن وتمهد لهم البلاد، وتدوخ لهم الأبطال الشداد، فلا تخيب لهم رأياً أصابوه فيك، ولا تكسر لهم قلباً يسرّ حين يوافيك فإنهم على غيرك اختاروك، وأنت أولى بذلك لمّا اختاروك، وإياك أن تكون كمن في أول غزاته (كذا) انكسرت قناته وانفصمت أوثق عراته، حتى تكالبت عليه العدا، وطمعت في أكله الرخام والحداء، وأن هؤلاء الأعراب لا يخفى علينا حالهم وما لديهم كما لا يخفى حالنا عليهم، فلا رجوع لنا عن تدويخهم إلّا إذا متنا عن ءأخرنا، ويكون النصر لنا عليهم بانتصار ءأمرنا (كذا) وقد جمع الله شملنا بعد ما فرقه الدرقاوي، فصار المخزن كحاله المضاي. والرأي المتين الرجيع (كذا) أن تبعث من أعيان المخزن من يكشف لنا عن حال بني عامر وما هم عليه ويأتوك بالخبر الصحيح، كما تبعث لكبراء الحشم والبرجية الجبلية بغير تراوي. يجتمعون بكلهم ويلقون الدرقاوي، ونحن نكونوا (كذا) في مقابلة مجاهر بقوة وشدة ووحدة، ونحاربوا (كذا) بحول الله وقوته لكل واحد وحده، ويكون النصر لنا لا علينا بانتقاد، لأننا

(ص 257) نريدوا (كذا) الصلاح وهم يريدون/ الفساد، فهم فرقة باغية زاحفة في هذا الأمر، فوق الاتفاق على هذا الأمر. قال فظهر أمر بني عامر كذباً، واجتمع الحشم والبرجية كما أمرهم فوراً وقرباً، ولقوا الدرقاوي فهزموه بعد الحروب الكثيرة الصحاحي، واطردوه عن سائر تلك النواحي، وقدم مجاهر إلى بلد البرجية فأنخنوا فيها بالنهاية واشتغلوا بحوص الحب ونقله من المطامير، وهم في حالهم بغير ناه ولا أوامير (كذا). ولما سمع الباي بما لديهم أمر مخزنه بالركوب إليهم، فامثلوا أمره وشنوا الغارة عليهم، فلم يك (كذا) إلا قليل في قتلهم، وإذا بالمخزن قطع نحو التسعين رأساً منهم وفر الباكون لمحلهم.

ثم رحل الباي في صبيحة الغد، ونزل بطرف البرجية بينهم وبين مجاهر في الحد، ثم رحل من الغد بقصد بلد مجاهر فلقوه بالضربوية وحاربوه ساعة، فهزمهم بعد ما مات من الفريقين كثير ونجوا سراحة، ونزل بماسرة، وأقام بها أياماً، يدبر أمورهم جلوساً وقياماً، فبينما هو في تلك الحالة، إذا بمجاهر اجتمعوا وجاؤه رجالة وخيالة، وغاروا على محلته وقت الصباح غفلة ودارت جنودهم بالمحلة وجالت جولة فخرج المخزن إليهم خروج اليقين، وتزاحفت الصفوف لبعضها بعضاً واشتد الطنين، فلم يكن غير ساعة إلا ومجاهر ولوا الأدبار بحالة المنهزمين، ومات من الفريقين خلق كثير، وعدد حصره عسير، وكان من جملة من مات من المخزن القائد المشهور، الفارس الذي عند الناس مذكور، الصنديد المكين، الزمالي السيد عدة بن محي الدين. ثم ارتحل الباي صبيحة غدا ونزل ببلاد مجاهر، أهل الضلالة والمناكر، وزاد في الغد لوادي مينا وبه نزل (ص 258) وراغ، فأتته به جموع مخزن الشرق بالمسيرة ومن الرعايا/ جماعة بني أوراغ، ثم ارتحل وصعد مع وادي مينا إلى أن نزل بالواد المالح وأقام بها أياماً وقلبه مطمئن فارح. فبينما هو هنالك بين اليقظة والنعاس، إذا بالدرقاوي بجمعه قصد المحلة على غفلة من الناس، فنادى المنادي بأفصح الخطاب، عليكم بالركاب إلى كاب، ففرزع الناس لذلك وحكى كل لصاحبه بما هنالك وركبوا خيولهم وخرجوا من المحلة ينظرون غيولهم وخرجت عساكر الأتراك كأنها الليوث العوايس، فهم أسود بني آدم بزماننا، وجالت الفوارس، وحصل الحرب خارج المحلة، وكثر العباط بين الناس بغير القلة وتزاحفت لبعضها بعضاً الصفوف،

والعدو في العدد ألف ألف ألف. قال فلم يكن غير ساعة وإذا بالدرقاوي بجيوشه قائم شارد، وللنجات (كذا) سائل ونائد وأظلم الجو الغبار، وتكاد الأمر وكبر النهار، وغضبت فرسان المخزن وصارت حائمة كأنها الطيور، تخوض بين أسراب الزرزور، فلا ترى في جيش الدرقاوي إلا القتل والمأسور، والمسلوب من الباس، والمقطوع الأعضاء والراس، وزادوا في الحملة إلى قرب قرية الولي الكبير الغوث القطب الشهير، ذي المناقب المعدودة، سيدي محمد بن عودة، فرجع المخزن بعد ذلك عنهم، وقلوبهم شائقة إلى الظفر بهم والغنيمة منهم. ثم رحل الباي في صبيحة غد متوجهاً للقرية المذكورة ذات المسالك في طلب الدرقاوي ونزل بموضع هناك، ثم زحف للقرية بجنود لا قبل لهم في حالة القتال، وكان بالقرية أمم لا تحصي فلم تغن شيئاً حالة النزال، ودخلتها العساكر وجالوا فيها وجاسوا ما لها من الحلال، وأخذوا في السبي والقتل وأخذ الأموال.

قال / صاحب در الأعيان وإني رأيت امرأة مقطوعاً رأسها كسائر الرجال، ولم ينج (ص 259) إلا من فر ولجأ لضريح سيدي محمد المشار إليه بالإجلال، لكون الباي أوصى باحترامه وعدم التعرض لمن لجأ إليه بحال من الأحوال. ثم ركزت الأتراك سناجقها لدى الضريح، وشرعت في القتل والنهب والسبي والجريح، إلى أن فرغت من ذلك في المأثور، فرجعت لزيارة الولي المذكور، قال ولقد أخبرني من أثق به أنهم قدّموا قبل الزيارة صدقة تنيف على المائتي ريال دراهم، وبعد ذلك على الزيارة حصل التداهم، قال وأما المخزن فإنهم لقوا جموع درقاوة خارجاً من القرية وهم في عددهم ألفية، فقاتلوهم قتالاً شديداً إلى أن جرح الأكثر من الكبراء والرؤساء في القول الأشهر، وكان النصر لهم على درقاوة كوقوع الدائرة عليهم، فهزموهم عظيماً واطرحهم من تلك الناحية من غير ملتفت إليهم. ولما افترق الحرب أمر الباي بجمع الرؤوس فجمعت، وبين يديه وضعت. قال في در الأعيان ولقد رأيت الجندي يأتي بالثلاثة والأربعة رؤوس بالعيانة فيضعها بين يدي الباي كما يضع البصل بالإهانة. ومنهم من يأتي بالواحد والاثنين، كل على حسب ما رزق من القطع بدون مين، ولما جمعت الرؤوس بعثها الباي لمدينة المعسكر مع بشائر الظفر والنصر.

ظهور الدرقاوي مرة أخرى

ثم ارتحل في أثر ذلك والوية النصر تلوح عليه التزاماً، قاصداً المعسكر إلى أن دخلها ومكث بها أياماً. ثم أتاه الخبر المتفانين، بأن خليفة الدرقاوي بجموعه نزل بلد بني مريانن، فذهب لطلبه وحصل بينه وبينه القتال الذريع، (ص 260) والحرب المترادف الشنيع، فكان/ ذلك اليوم من مشاهير الأيام، سعد فيه الشجاع وخسر اللثام (كذا) قد أتى فيه للباي المنصور، بسلاح ولباس وفرس الخليفة المذكور، وانجرح فيه من أعيان المخزن وكبرائه وأهل مشورة الملك ووزرائه، قطب رحاه، وشمس ضحاه، وأساس مبناه، وإتمام معناه وأكمل جوائزه، وأشد ركائزه، الفارس الباسل، الصنديد الفاضل، الشجاع الراق الكامل في الخصال الفائق، عاغته وكثير جولته، وقائده، وسيف دولته، العربي من جميع المساوي عاغة السيد قدور الصغير بن إسماعيل البعثاوي، فلم يزد جرحه إلا تقدماً، ولعدوه إلا تعبساً ولصديقه إلا تبسماً، فلقد صال على العدو كالكاسد وفعله كالرايح، ومدحه صاحب درّ الأعيان، وصاحب أنيس الغريب والمسافر بأبيات. فما قاله صاحب درّ الأعيان ذهب عن حفظي. وما في الأنيس خذه، بإثبات:

جزى الله جلّ الناصر بالبواتر	قدور بن إسماعيل رايس الدواير
لحزب الأتراك في جميع المعارك	فإنه ليث الحرب ليس بغادر
تراه إذا حام الوطيس مقدماً	لقتل العدو الوارد ثم الصادر
ولا يولّي الأدبار ولو تراكت	عليه العدا ولا يخاف من ضاير
كمي شجاع شهيم الحرب يوم الوغا	وكم له من حزم على العدا ظاهر
وكم له من كرّ وليس له فرّ	وكم له من طعن وقطع الحناجر
وكم له من وصل على العدا دايم	وكم له من فخر على كل فاخر
وكم له من دفع لكل مزاجف	يرده أعقاباً مولى للأدابر
/ وفي بني مزيانن زادت شجاعته	فكرّ على الأعدا بغيط مواتر
وزاد اندفاعاً لما رأى رأس العدا	خليفة ابن الشريف بالقرب حابر
يحاول قبضه وهو في شهامة	فحلت به الجراح ذا العزّ الباهر
فلم يلتفت لها وزاد في حملة	إلى أن نجا العدو بين الحوافر

(ص 261)

وخَلَّ فرسه سلاحه لبسه
 ودمه مهطل وهو غير جازع
 فقال له الفهد على رؤس الملا
 فسرَّ به الباي وعزَّ جنابه
 فلا غرو أن الله زاده رفعة
 فلا تلد الليوث إلا الضراغم
 ولا تأتي الصقور إلا بمثلها
 فبيت هذا الليث الزعيم بقوة

قال، ثم إن الباي رحل من مكانه للعمائر، ونزل بلد أولاد سليمان أحد
 بطون بني عامر. ورحل من الغد ونزل بالمبطوح ربضاً، ثم ارتحل ونزل بشية
 مأخوخ بلد أولاد علي أحد بطون بني عامر أيضاً. وقد اجتمع بنو عامر بجمعهم
 الغاوي، وجيشوا ببلد أولاد الزاير مع الدرقاوي، يرومون لقاء الباي، وما ذاك إلا
 من تلف الرأي، والباي في قلبه شيء كبير وغم عسير، مما هم فيه القرغلان،
 المستقرون بتلمسان، حيث ضاق عليهم الحال، حتى عدموا القوت والمال،
 وطاش لهم اللَّبَّ والبال، بمنازلة العدو عليهم ولا يفارقهم بالغدو والأصال،
 ورسلم تتعاقب على الباي بأنهم في النكال، ونزل بهم السخط والوبال ولا لهم
 طاقة لما هم فيه على القتال، وافترق التلمسانيون على فرقتين: قرغلية، وحضر،
 بغير مين، وشعلت بينهما نار الحرب في البلد، وطالت واتصلت على الوالد
 والولد، وهم في أشدَّ عذاب ونكول، ولسان حالهم ينشد ويقول، ما هو في
 الأنيس منقول، أبياتاً من المتقارب دالة على الإضاعة والتعاطب:

(ص 262)

/إن لم تدركونا عزماً عاجلاً
 فإلزامنا جميعه قد انقضا
 والحرب تدور في كل يوم
 فلا صديق ومعين لنا
 ولا تحويل وفرار لنا
 إلا فادركونا فوراً عاجلاً
 فالحرب علينا وليس لنا
 فاقطعوا لا ريب منا الإياس
 ومات كثير من جملة الناس
 والجوع قد ضرَّ بأكثر الناس
 سوى الله جلَّ علا ربَّ الناس
 يقيناً عن جانبكم يا أناس
 من قبل دخولنا إلى الأرماس
 ونحن بها في أشدَّ نقاس

والجوع جرى علينا وطغى وجاز بنا حدّاً فوق القياس
وما هو في درّ الأعيان مذكور، ومحرر ومشهور:

ألا فادركونا وإلا فلم تجدوا منا بحياة فتى
فقوتنا قد نفدت ضرراً خزاينسه مذ عدوّ أتى
وحرب عظيم يرى أبداً إلى أين تبدو لنا أو متى

قال ولما بلغه خبر بني عامر والدرقاوي، وأنه يقول لهم أنه هو طبيبهم من علة الترك ولها مداوي، أقام بموضعه أياماً إلى أن جمع آلات حربه وسادات حربه، واعتمد على طعنه للعدو وضربه، بباروده ومدافعه الشعالة، فرحل نحوهم ونزل تأسّالة، ثم رحل من الغد وفرسه ثائر، يريد واد الحد يبلى أولاد الزائر، وعيونه ذاهبة وراجعة بأخبار الدرقاوي الزعلوك، كما هو شأن أولي الحزم والعزم من الملوك، إلى أن تحقق بأن بالوادي المذكور الأعراب، يريدون لقاءه، بزياداتهم أمامهم للانتخاب، وهي هودج توضع على بوازل الجمال، ويدخلها نساء يولولن بين صفوف الحرب حال القتال، تزعم العرب أن ذلك يشجع الجبان، ويزيد في زعامة الشجعان، وذلك دأب العرب مع بعضها بعضاً لا مع المخزن في القتال أيضاً، لأن عادة المخزن المعهودة، والقاعدة المحررة الموجودة أن الزعامة والشجاعة لا تبطل على الرجال مدة الزمان، وأنه بمجرد درايته للعدو ويصدمه كائناً ما كان، فوقف الباي بعد/ الخبر ساعة يحرض عساكره ومخزنه، ويشي عليهم ويشكرهم وما همه ذلك ولا أوهنه، ويقول لهم لم يبق لنا إلا هذا اليوم الكبير الذي نحن متقدمون له، فعليكم بالصبر والثبات ولا يصيب الإنسان إلا ما كتب له. قال ثم زحف للعدو أيضاً وانضمت الناس لبعضها بعضاً، وانحاز كل حزب لحزبه، وتزايدت جيوشه لقتل من بعد عنه ومن بقربه، وأشرف المخزن على العدو من ثنية هناك، فألفى مقدمة بني عامر راجلة معسكرة مشبهة بعساكر الأتراك، بمثابة من شبه البطة بالطير، وساقطة اللبن بذات الضير، ولما تراء الجمعان وانتهت الأمال، وبعدت الحيرة وقربت الموت وحضرت الأجال، أنشد المنشد بلسان الحال، هذه الأبيات، وقالها على التوال:

أيا عسكر الأعراب غركم جمعكم فسوف تروا ماذا بكم قد يصير

فالموت ها هي أنت إليكم بالعجل
فتبّأ لكم أنتم وذل عليكم
وهذا يوم الفراق حان مجيئه (كذا)
ولكن أمر الله ليس له ردّ
من قوم عادت منها الروس تطير
برأي خسيس خاب رأي عسير
والبين غرابه نادى أنت كبير
وحين القضا يأتي فيعمي البصير
هذا قول صاحب الأنيس، وقال صاحب الأعيان بالتأسيس:

أيا عسكر الأعراب تب جميعكم
فلا تعجلوا للموت ها هي دونكم
فتبّأ مروأ أغرّ افتراؤه جمعكم
فيوم الفراق الآن حان مجيئه
ولكن أمر الله لا مردّ له
وسوف تروا ماذا بكم سيصير
غداً اللقا منها الروس تطير
وبس فصبوب الرأي منه عسير
ونادى غراب البين يوم كبير
فيعمى المرء فيه وهو بصير

قال ولما تلاقى المخزن والأعراب صال عليهم صولة جامدة، ومال عليهم
ميلة واحدة وحمل عليهم حملة قوية، وزاد عليهم فيها بقوته الكلية، وصار شعاره
الموت الموت، أدركوهم أدركوهم قبل الفوت، فأول المخزن نال بعض الضرب
وآخره لم يجد محلاً للضرب، وترادفت على الأعراب الأمكار، وأظلم / الجو (ص 264)
بالغبار، وحل بهم العمى وكبر النهار، ودخلوا في شبكة الهلاك، ولم يجدوا
سبيلاً إلى السلاك، فما لبثوا غير ساعة من النهار، إلا وعسكرهم قرّ وولّى
الأدبار، وأخذ عسكر الباي ظهورهم بالقتل والنهب والأسر والغصب، ولم ينج
منهم إلا من نجاه الله، وأطال له العمر وعافاه، وغرّتهم المواعيد العرقوبية،
فتشتوا (كذا) على ولهاصة وغيرها، وفرّ الدرقاوي في شردمة قليلة للبعقوبية،
ولم يطق على حمل خيمته منه إلا الشجاع، ومع ذلك قلبه واجل مفزاع، ونزل
الباي في الوادي المذكور ولاح عليه الفرّج والسرور بتشتيت تلك الأمم، وشدة
ثبات مخزنه الأفخم، وجمعت لديه الرؤس المقطوعة في ذلك اليوم من درقاوة
وبني عامر فكانت ستمائة وبعثها كلها للجزائر. قال ويحكي من حضر لذلك أن
الجندي الواحد يتقبّض على الخمسة والسته رجال، ويأمرهم بقتل بعضهم بعضاً
إلى الآخر منهم فيقتله ويأتي برؤوسهم للباي المفضل وربما قال الجندي لأسيره
أصبر للموت أو ما مت قط وأحوالهم كثيرة.

وقصة ذلك اليوم مشهورة كبيرة، نسل (كذا) الله السلامة والعافية المطاعة، والانقياد بالأتباع إلى ما اتفق عليه أمر الجماعة.

ثم ارتحل الباي في صبيحة الغد متوجهاً لتلمسان، وهو في فرح وسرور بمخزنه وبه صار في أمن وأمان، وجدَّ السير إلى أن نزل بساحتها المتغليلة، فأتاه قائدها مع كبراء القرغلية، وقصوا عليه مكابدة الأهوال، وإساءة الحال، وغلب الرجال، وسطوة الأغوال، والكل على باله، ومطرق بمسمعه وحاله، فأجابهم بكلام السياسة وخاطبهم بخطاب الرياسة، قائلاً لا يضركم الأمر العسير، فإن الله تعالى قال في كتابه العزيز، وهو على جمعهم إذا يشاء قدير، وأن الله تعالى هو الفاعل المختار، وكل شيء يجري على العبد فهو مقدر عليه في سابق علم الله ويبرز بالمقدار، وهذا أمر مقدر لا محيد عنه من عاص أومطيع؛ وسيفرج الله تعالى بمنه على الجميع، وأنشد لسان حاله، أبيات الشعراء التي تغنيهم عن مقاله:

إذا كان عون الله للمرء خادماً تُهَيَّا له من كل صعب مراده
وإن لم يكن عون من الله للفتى فأكثر ما يجني عليه اجتهاده
/ وقول الآخر:

(ص 265)

إذا لم يعنك الله فيما تريده فليس لمخلوق عليه سبيل
وإن هولم يرشدك في كل مسلك ضللت ولو أن السماك دليل
وقول الآخر:

إذا أعانتك الأيام فارقدها واشعل إذا شئت في الماء نارا
وإذا خانتك الأيام فلا تتعب فتعبك في الدنيا إلا خسارا
وقول الآخر:

إذا أعطيت السعادة لم تبلى ولو نظرت شزراً إليك القبائل
لقتك على أكتاف أبطالها القنا وهابتك في أغمادهن المناصل
وإن شدت الأعداء نحوك أسهماً نص على أعقابهن المحافل

ثم أنه أعطى الأمان لكبراء الحضر، وأرسل إليهم ليأتوه ولا يخشوا من

الضرر، فأتاه جماعة الحضرية، وأصلح بينهم وبين القرغلية، وألف بينهما تأليف المودة الدائمة، والصحبة والمحبة اللازمة وأوصاهما أن يكونا إخواناً، وعلى الطاعة والدين أعواناً، ودخل البلد وأقام بها أياماً، والناس في فرح وبطاعته قياماً.

ثم ارتحل راجعاً إلى وهران، ومعه صهره قائد تلمسان، وهو أبو الحسن علي قارة باغلي متنقلاً بأهله انتقل من لا يولي، وصار يجذ السير وأعلام النصر تخفق على رأسه وتحيات البشرى توضع على رأسه رائماً محل أنسه، إلى أن دخل وهران مبروراً، وسالماً مأجوراً وفارحاً مسروراً، ولسان حاله ينشد شعراً ماثوراً:

فتح الفتوح وءاب أوبة ظافر بالله كان رحيله وإيابه
يلقي العداة ولا يمل لقاءها فكأنما أهواؤه أحبّأوه

قال فدخل وهران وأقام بها نحو الشهر إلى أن استراح، واطمئنت (كذا) نفسه وضحك ولعب وارتاح، ثم صار مهمى (كذا) سمع بالدرقاوي بجموعه، إلا قصده وفضّ جمعه وصيره في قموعه، وشتت شمله وأجلّاه، ومن المحل أطرده وأخلّاه فأذلّ الأعراب ودوخهم ومقتهم ووبّخهم، وأخلّا بعض البلدان حتى من المسافرين/ وأجلّا (كذا) عنها أهلها كبني عامر فإنهم ذهبوا وتركوا بلادهم خاوية (ص 266) قفراً، وزهرهم غبراً، وللطيور وكراً، لا يلقي فيها سالكها أنساً ولا أنيساً ولا يجد بها حساً ولا حسيساً، إلا البوم والذئب، تعوي فيها ليلاً ونهاراً. وهي خراب. وأكثر ما يلبي بها في كل حين نعنق الغراب، وغراب البين ينادي في كل حين بكثرة الذهاب، وافترقوا على أماكن المغرب، ما بين فاس وغيره من المبعد والمقرب. ولم يرجعوا إلا في تولية أبي كابوس محمد بن عثمان. وبه حصلت لهم الراحة والأمان. ولما استراح الباي وقلبه قد اطمأن، وفاز بالسعادة فلم يكن من أهل الوهن والعجن، جمع جيشاً عظيماً وجنداً عرمرماً جسيماً، وبادر به لغزو مجاهر، لأنهم في السابق أخذوا محلة الخليفة حسن وقتلوا رؤساءها وأعيانها المشاهير. فضلاً عن غيرهم من الجيش والأتراك، الذين يكون بهم الدفع ويقع الإدراك، وهي واقعة مشهورة، وقصة كبيرة مذكورة، محررة في كتاب درء

الشقاوة، في حروب الترك مع درقاوة، لأديب عصره وفريد وقته ودره، الشبيه في أدبه بالبارع أبي نواس، المؤلف العلامة الحافظ محمد أبي راس، فلا تأتي بها لطولها وشهرتها وتحققها في رسوم جفرتها، ومن أرادها فعليه بالكتاب المذكور، للحافظ القدوة المزبور. فخرج لهم من وهران بالأمم الكثيرة، والجيوش العديدة الغزيرة وقد بلغ لهم الخبر، بأن الباي غازياً عليهم ليقطع الدابر والأثر، فبعثوا للدرقاوي على المدد بأنواع الشدائد، فبعث لهم خليفته الفارس بن المجاهد، وكان بطلاً شجاعاً شديد الرأي والقساوة، قلّ مثله في طائفة درقاوة لكونه تربى في المخزن وأخذ ببعض قوته، وصبره وشجاعته، وشدته، وزاد الباي في سيره إلى أن دخل بلدهم الذي هم فيه، وقد انحاز مجاهر بأسرهم لواد الرمال واجتمعوا فيه، فطلبهم الباقي فيه وحملت عساكره عليهم حملة واحدة ففروا منها ولقيهم البحر وأثخن فيهم المخزن بالقتل إلى أن رجعت دماؤهم سائلة بعد أن كانت جامدة، واشتد بهم القتل من ورائهم وأثخن فيهم إثنائاً شديداً لا طاقة لأحد على إحصائه، ودام عليهم إلى أن وصل دم قتلاهم للبحر فعلا عليه / واختلط بمائه، وأفناهم إفناء عظيماً أذعنوا به للطاعة ولا ملجأ لهم من أمامهم، فكان هذا اليوم من أنحس الأيام عليهم ومن شرور أيامهم، فأفناهم ورجع سالماً ومسروراً بجنوده سروراً دائماً، ولمال عدوه غانماً.

(ص 267)

ظهور بالحرش مع الدرقاوي في غريس

ثم استقر بوهران أياماً قلائل، وقد جمع الله له الأحوال والشمائل وجمع جيشاً عظيماً وخرج به لتدويخ المشرق فأتته الناس طائعة مذعنين له ولأوامره ونواهي سامعة، ولا زال سائراً إلى أن نزل بأبي خرشفة أسفل مليانة فأتاه هنالك الطائع والداوي، فبينما هو كذلك إذا بالخبر بلغه بقدوم الدرقاوي، وأنه حلّ من غريس بأرض عين السدرة، ومعه درقاوة بنجوعها ونسائها وأولادها وجميع مالها ظاعنة معه بالقوة والقدرة، وقد جالوا غريساً وجاسوا خلاله فأفسدوا زرعهم واحتطبوا جثته وبساتينه، وغيروا مرونقه ومواطنه وهم كالجراد المنتشر، ولم يبق لهم إلا القليل لدخول المعسكر، وجاءه أهل غريس بذلك الخبر، وترددوا عليه المرة بعد المرة بعد الأخرى على ما للراوي، محرضين له على القدوم إليهم

ليخلصهم بجيشه المنصور من الظالم الدرقاوي فركب عند ذلك عجلًا وسار
 حثيًا، وسأل من مولاة جل جلاله أن يكون له ناصراً ومغيثاً، إلى أن وصل لذلك
 الموضع الذي به الدرقاوي على التحقيق. وكان السيد أحمد بن الأحرش قدم
 في ذلك اليوم من المشرق على درقاوة فحصل لهم به الفرح والسرور وعلموا أنه
 هو المعين الرفيق. فقسّم الباي جيشه ثلاثاً بلا مين، وجعله قلباً وجناحين،
 فالجناح الأيمن جعل فيه باختراعه أعيان الزمالة وأتباعهم والحشم بأحكام
 الأوامر، وأمرهم أن يكونوا في مقابلة جيش بني عامر، والجناح الأيسر جعل فيه
 الخليفة بجيشه والبرجية الدارثين (كذا) للمساوي وأمرهم أن يكونوا في مقابلة
 الدرقاوي، والقلب استقر فيه هو وأعيان الدوائر وأتباعهم وعساكر الأتراك
 وأصحاب المدافع، فكانوا في مقابلة عامة العامة من غير منازع، ولما تراء
 الجمعان وجاء الوطيس تراحفت لبعضها بعضاً الصفوف وكان الدرقاوي في ألوف
 الألوف، فاشتد القتال وحام الوطيس، وفقد المألوف والأنيس، وكثر الصياح / (ص 268)
 والحسّ والحسيس، وأظلم الجو بالغبار، وعظمت فيه المصيبة وكبر النهار.
 فبينما الناس في تلك الشدائد، وإذا بالجناح الأيسر قام على ساق واحد، وصبر
 رجال البرجية صبر الكرام، واشتدّ ضربهم بالبنادق والحسام، وتذكروا صبر
 أسلافهم وما كانوا عليه من ضرب الحسام، وقالوا: في مثل هذا اليوم تظهر
 الشجاع من اللثام (كذا)، إلى أن ذاق أربعة من كبرائهم كأس الحمام، أحدهم
 الصنديد مصطفى بن المخفي، والد الشجاع، آغة قدور بالمخفي، والثلاثة أبناء
 عمه الأماجد، وداموا على ذلك إلى أن قام درقاوة على ساق واحد، فانهزموا
 هزيمة كبيرة، تقشعوا فيها تقشع الغمام إذا طلعت فيه شمس منيرة، وركب
 المخزن عند ذلك ظهورهم وغنمهم ونال دخورهم، ولا زال يقتل ويأسر (كذا)
 ويسبي إلى وقت الظهر ودرقاوة قَلَّوا، بعد ما كلبت الناس من قتلهم وملوا، فبقيت
 نجوعهم على حالها بيد المخزن فأخذ أموالهم وسبا (كذا) نساءهم وأولادهم
 وقتل رجالهم، فاضمحلوا من ذلك اليوم وفشل ريحهم، وتلاشوا وبطل ريحهم
 وخاب سعيهم ونجيحهم. قال ولولا فرسان البرجية ورجالهم الكرام في تلك
 الواقعة لكانت الدائرة على المخزن بالجمع والتمام، ولَمَّا رءا (كذا) الدوائر
 (كذا) صبر البرجية وموت كبرائهم، وقد ذهبت الناس فارة إلى ورائهم، تقدموا

للقِتال وقالوا للباي لا يحلّ لنا البقاء من ورائهم، إذ لا طاقة لنا بعد موت الإخوان، ولا صبر لنا على مفارقة الأقران، وقاتلوا شديداً، وطعنوا العدو طعناً عتيداً، فسبحان من يجعل الخذلان في العدد الكثير العرمرام والنصر بالأقل فهو المالك العلام. فرجع الباي بجيشه منصوراً، وأعلامه تخفق عزاً وسروراً، ودخل لوهزان وجمعه موقر محترم، وأيامه مقبلة وشمله منتظم، ومكث بها أياماً يسيرة، في راحة ونعمة كثيرة.

عودة الدرقاوي للظهور

ثم سمع بالدرقاوي قد جيش جيوشاً قوية، وأنه نازل بجديوية فجمع عساكره المنصورة، وجيوشه المؤيدة المبرورة وخرج له من إيوانه بالبحور الزواجر، وبالرجال السادات الكرام الزواجر، الذين يقدمون الموت ويؤخرون الحياة، (ص 269) وعند الشدة والضيق / يحصل بهم الفرج والاتساع وتكون النجاة وأسرع لقتاله، طالباً لمحاربتة ونزاله إلى أن وصل للموضع المسمى بأجديوية، وقاتله وحاصره إلى أن أتى المخزن على عامة درقاوة في الأقاويل المروية وقد أفنى مخزنه عامة درقاوة، وصيرهم للضلالة والشقاوة، ونحمت شوكة باقيهم وفاز بالغنيمة لاقِيهم قتل في ذلك اليوم نحو ألف درقاوي، وبقيت المحلة بما فيها في يد الباي ومخزنه وغنم مال أهل المساوي ورجع لوهزان فارحاً بالغنيمة العظيمة، وقتله للعدو المقتلة الجسيمة فاستقر بها واستراح، وحصل له الانطراب والانشراح، وبقي على ذلك أياماً عديدة، وليالي مديدة في سرور ونخو، ولعب ولهو، فبينما هو في إيوانه مع أرباب دولته جالس، ومستيقظ لأمره وليس عنها غافل ولا ناعس، إذ جاءه الخبر بأن الدرقاوي بتافنة في جيش جديد، كأنه البحر المديد والجراد المنتشر، مغطياً السهل والوعر، وهو الرجل المنفش المسمى بأحمد بن الأحرش، ومعه أمة من الطلبة، سالكين معه اقتحام العقبة، لما شاهدوا عنده علوم الخنقطة، والشعوذة المنفطرة، ظناً منهم أن ذلك من الأسرار الإلهية، ولم يعلموا أنها من الأمور السحرية الواهية، فخرج له فوراً بعساكره ومخزنه المبرور، الفائزين بالسعي المشكور، وأسرع في سيره وأردف المراحل، سائلاً من مولاة الإعانة في المقاصد والسوائل، إلى أن بلغه بوادي تافنة، وأطلق

عليه سرعة بجنوده الظاهدة والكامنة وأثخن فيه بالقتل، والنهب والأسر والنكل، إلى أن مات من الطلبة أمة، وذهب الدرقاوي مفلولاً في أشد غمة، مذموراً مدحوضاً، مدحوراً مفضوضاً، وقد أتى المخزن على جل محله الجسيمة، فغنمها ورجع الباي لوهرا ن فارحاً مسروفاً بتلك الغنيمة فجلس بها أياماً للراحة طالباً من مولاه امتداد المساحة. قال فينما هو جالس بإيوانه في المنادمة مع أرياب دولته أهل الفخر والاستقامة، والأخذ من العدو الثار والجلب للسلامة، إذ بادره الخبر بأن الدرقاوي بجيوشه نازلاً بالتوتة من واد العبد، فخرج / له عجباً (ص 270) في جيشه بالأزواج والفرد، واجتمع به في تلك الناحية، وقاتله قتالاً شديداً في تلك الضاحية إلى أن بدد شمله ومزقه، ودمره تدميراً شديداً وفرقه، وقتل منه أمة كثيرة، وغنم له أموالاً عظيمة في عداها عسيرة.

نهاية الباي المقلش المحزنة

ولهذا الباي مع درقاوة أيام أخرى غير مشهورة، وهي مبسطة في الكتب وعلى الألسنة مذكورة، أعرضنا عن ذكرها صفحاً، وطوبنا لها كشحاً. قال ولما دَوَّخ المغرب الأوسط بأسره ومهده وأمن سبله وضواحيه وسدده، ونشر فيه العدل والعافية وآيده، وقطع منه العدو ويده، عزله أهل الجزائر بالقوة والشدة، وأمروا بقتله بوهران فقتل شر قتلة بعد أن ذاق أنواعاً من العذاب خارجة عن الحد، حتى كانوا يحمون سبائك الحديد، ويضعونها على رأسه وهو في العذاب الشديد. وسببه أنه سرح المحلة للجزائر كما هي العادة القديمة فيما حكى من الخبر، ولما عدم الدواب أمر بحمل الأثقال على البقر، فبلغ خبره الباشا فأنف من فعله وأمر فوراً بعزله وقتله، مع ما تقدم له من شكاية المخزن ومرة أحمد التركي بالفعل القبيح، الذي لا ينبغي أن يذكر ولا يكون به التلويح فضلاً عن التصريح. وكانت أيامه كلها حوادث، ولا حادثه أشد من الغلاء المفرط بوقته وفناء الناس وكثرة الفساد والعواث. والأمر لله الواحد القهار العليم، بالظواهر والأسرار. وكان عاغته بالدوائر الفارس النبيل الخارج عن القال والقليل، السيد قدور بن إسماعيل، الصنديد البعثاوي، والحاج قدور بن الشريف الكرطي التلاوي، وبإلزامه السيد محمد الوهراني الحنين وعدة ولد محي الدين.

الباي مصطفى المعجمي وحروبه مع الدرقاوي

ثم مصطفى بن عبدالله المعجمي تولى مرة ثانية، بعد المرة الأولى الماضية، في آخر السنة الثانية والعشرين والمائتين والألف⁽¹⁾، من هجرة من له العز والفخر والشرف وكمال الوصف، وبقي في الملك تسعة أشهر. وارتقى خزنانيا بالجزائر. وجاء بموضعه الباي الفائز بالمزائر. ولما تولى قام وعليه ابن الشريف الدرقاوي، فقال يا عجباً منه كيف سلط عليّ بالثوران الداوي، مهمي توليت إلّا عليّ يقوم، قد عرف اسمي واعتقد أنني جبان وأناي لعكروم، فوالله لأذوقنه (كذا) كأس الردا ولأجعلن شمله مبدداً، وقد قام عليه الدرقاوي في (ص 271) التولية الثانية / مرتين، وكر عليه للمقاتلة كرتين. ولما سمع بالدرقاوي أنه قد جيش الجيوش، وهو بالثعالب من بلاد فليته، قال سأخرج له ورأيه الفشوش، فعند ذلك خرج في جيشه العزيز، الذي هو كاللجين والعسجد الأبريز، وتلاقى معه بالثعالب، فكان الدرقاوي مغلوباً والباي هو الغالب وقدمه عالية بالمغالب، فهزمه هزيمة شنيعة، وعادت جيوشه للباي من وقتها مطيعة، ورجع لوهران في عزّ وسرور، بغنيمة وحبور، فاستراح بها وأقام، فبينما هو بها إذ جاءه الخبر في بعض الأيام، أن الدرقاوي بجيوشه في مدغوسة من بلد خلافة، فخرج له فوراً بجيوشه من غير جزع ولا مخافة، وجدّ السير نحوه وكاده كيداً وترك المسير نحوه رويداً رويداً، إلى أن وصل للمحل المذكور، وحمل عليه حملة منكرة بجيشه المنصور، فلم يك (كذا) غير ساعة إلا والدرقاوي مهزوماً ومخذولاً مفلولاً مذموماً، وقتل المخزن من أتباعه كثيراً وأفنا (كذا) منهم جمّاً (كذا) غفيراً، وغنم الأموال العظيمة فرجع الباي لوهران مسروراً بتلك الغنيمة، فمكث بها أياماً كثيرة، وانقطع عنه خبر الدرقاوي مدة شهيرة.

ثم سمع بأن مجاهراً قد سعوا في الفساد، وحملوا أنفسهم على اتباع الدرقاوي وراموا العناد، فخرج لهم بجيشه الأفخم حاركاً، وللمقام بوهران من ساعته تاركاً، ونزل بوادي الخير أحد أودية شلف، فبينما هو به إذ جاء الخبر بأن

(1) الموافق فيفري 1808 م.

الباشا ولآه خزناتجيا بالجزائر ففرح بعد ما تأسف وبمجرد وصول الخبر له ذهب للجزائر، وترك من حينه وهران بمخزنها المنصور للباي الآخر. وهو الذي بنا (كذا) للعالم العلامة القدوة الدراكة الفهامة، شيخ الراشدية وغيرها على الإطلاق ومجدد القرن الثالث عشر بالاتفاق، من هو بعين العناية ملحوظ ومخلص من الضرائر، والحاصر، الحافظ محمد أبو راس بن الناصر، المصرية ذات العلو الأرفع، وبيت الكتب والمذاهب الأربع، فقال فيه الحافظ المذكور في رحلته التي اسمها: «فتح الإلاه (كذا) ومثته، في التحدث بفضل ربي ونعمته»، وهذه المصرية بناها لنا الملك الأصفى، والخليل الأوفى، والمحب الأصفى، السيد الباي مصطفى، برّد الله ضريحه، وأسكنه من الجنان فسيحه، وأني بعثت إلى ضريحه بالمديّة مع بعض تلامذتنا بما نصه: عليك أتم السلام، أيها المولى الهمام، الذي عرف فضله الإسلام / وخفقت بنصر عزّه الأعلام، وتنافت في (ص 272) إنفاذ أمره السيوف والأقلام، قسّمت زمانك ما بين حكم فصل، وإمضاء نصل، وإحراز خصل وعبادة قامت من اليقين على أصل، السلام عليك يا مقرر الصدقات الجارية، وكاسي الظهور العارية، وقادح زناد العزائم الوارية، ومكتب الكتائب والسرايا السارية، السلام عليك يا حجة الصبر والتسليم، والقلب السليم، وسامع الحديث والذكر الحكيم، كرم الله تربتك وقُدّسها وطيب روحك وأنسها، فلقد كنت للمستجير مجيراً، وللمظلوم ولياً ونصيراً، ولقد كنت في المواكب بدرأ، وللمواهب بحرأ، وعلى البلاد والعباد ظلاً ظليلاً وسترأ، بنا (كذا) الله لك بيتاً في الجنة كما بنيت لنا بيت الكتب بلا أذى ولا مئة، نفّعت الله بصدق اليقين، وأعلا درجتك في عليين وحشرك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. هـ. وكان، اغته حبيبه بالغاية، وصديقه في البداية والأثناء والنهاية، واسع العطا ومفصل الدعاوي السيد قدور الصغير ابن إسماعيل البعثاوي. ومن الزمالة السيد محمد الوهراني ولد قدور، الفقيه الباس المشكور. وكان لهذا الباي ولدان بزماننا من أعيان الناس أحدهما كان كاتباً لدى نواب الدولة، وهو السيد محمد، والآخر السيد مصطفى الصادق في القولة.

الباي محمد بن عثمان الرقيق والمسلوخ أبو كابوس وحروبه مع الدرقاوي

ثم الباي محمد بن عثمان الشديد في الأمر العابوس الملقب بالرقيق، والمسلوخ، والمشتمل، والمكتنى بأبي كابوس، أما لقبه بالرقيق فلأنه كان رقيق الجسم، وأما لقبه بالمسلوخ فإنه لقب به بعد موته الحسم، لكونه اغتال الجزائر عمر سلخ رأسه وهو حي وأحشاه قطناً كما يأتي في صحيح الروايات، وأما لقبه بالمشتمل فلأنه متشبهاً بالعرب في الاشتمال بالكساء كالمخزن ولا يلبس لباس الأتراك في غالب أحواله كغيره من البايات، وأما كنيته بأبي كابوس فلأنه كان يحمل الكابوس وهو البشطول ولا يفارقه أصلاً سفرًا وحضرًا، واشتهر بذلك لما قتل به السايح بن حضرا. وكان يقال له الباي محمد الصغير فرقاً بينه وبين أخيه الباي محمد المجاهد فاتح وهران، فإنه كان يقال له الباي محمد الكبير، تولى في آخر السنة الثانية والعشرين والمائتين والألف⁽¹⁾، وبقي في الملك خمسة أعوام غير شيء بغير الخلق. ولما تولى اشتغل بقطع الدرقاوي وفصم محالمة، (ص 273) وقطع آثاره ومعالمه. وبلغته ومظالمه / مدة أيامه، وطلوع نجمه وأعلامه، حتى أن من حسد أحداً ووشى به عنده وادعى عليه محبة الدرقاوي جوراً ينتقم منه فوراً، وإذا ظفر بدرقاوي انتقم منه مبادرة، بأي نوع شاء من أنواع الانتقام ولا يراعي مشاورة، ولا يقبل فيه شفاعاة شفيع، واخترع قتلاً لم يصدر من البايات قبله وهو فعل شنيع ونوع عذاب من يظفر به إلى أنواع، فمنهم من يأمر بدق أعضائه حياً بالمعاول في السوق إلى أن يموت بانفصاع، ومنهم من يقلع عينيه ويتركه أعمى، ومنهم من يأمر بقطع أعضائه إلى أن يموت أو يجهز عليه وهو أظمى، ومنهم من يأمر بذبحه، ومنهم من يقطع رأسه بعد فضحه، ومنهم من يقتله خنقاً، ومنهم من يبقره ومنهم من يقتله شنقاً، إلى غير ذلك من الأنواع المختلفة المعاطب المؤتلفة وقد نجا الدرقاوي بنفسه، وفشل ريحه. وتراكت عليه الهموم والغموم وضاق به فسيحه، وافترقت عليه أتباعه وتبرأت من عمله، ولم يبق من ينضم إليه لما نالهم من العطب لأجله، فإذا جاء عند أحد فر منه ولم يصل

(1) الموافق فيفري 1808 م.

لمصحبه! وخاصمه وشمته واستخف بجاهه ومنصبه ما عدا مرة واحدة جاء لليعقوبية واستقرّ فاجتمعوا عليه يرومون وقعه، فقصدته الباي فوراً وشتت شمله وبذد جمعه، فانتقل للأحرار فأطردوه، ثم ذهب لعين ماضي، وعنهم أبعده ثم قصد لبني الأغواط فأبعده لما علموا مقصده عندهم، ثم انتقل لبني يزناسن وهو في مذلة ومسكنة فأقروه عندهم، وترك ما سوّلت له نفسه، ودام ذلّه وبخسه، ولم يتحرك لشيء لعدم طاقته، وفقد مساعده وشدة فاقته. وصار لفظ الدرقاوي يقال لكل عاص مخالف، فبرأت الناس من ذلك ولم يبق بينهم إلا اللفظ متعارف. يحكى أن قوماً من درقاوة كانوا بالقلعة يأكلون في الطعام الممتزج بالزبيب، فظفر بهم قائد القلعة فقتلهم على تلك الحالة فالفيت أمرتهم مملوءة بالطعام والزبيب، وأن رجلاً أوتي به إلى قائد المعسكر على أنه درقاوي، فقال للقائد وحق سيدي دح بن زرفة منذ عقلت لم أقل لا إله إلا الله على ما قال الراوي، وغرضه النجاة/ لنفسه خشية حلوله فوراً برمسه، فضحك القائد ومن حضر من (ص 274) قوله وتركه بلا مهلكة وقال له لا تعد لهذه القولة الكفرية فقال له يا سيدي قد جعلها الله لي مسلكة.

ثم غزى هذا الباي في السنة الثانية من توليته الحشم الغرابة بغريس فقتل أجوادهم وكبراءهم وقوادهم، وفتك بهم كثيراً جسيماً، وأوقع بهم موقعاً عظيماً، وسببه أن الحشم بدت من بعض أعيانهم أمور مخالفة للسياسة وقد هرب الفاعل لذلك عند سيدي محي الدين بقصد الاحترام بالصناعة والكياسة، فبعث له الباي من يأتي به فعصى وساعده الحشم، واتفقوا على المعاندة التي كانت لهم هي عين السم، فاستغاظ الباي بذلك، واعتراه الغضب الشديد من ذلك، وأمره اغته رئيس الدوائر وقائده رايس الزمالة بالغزو على سيدي محي الدين، فقالوا له اصبر فإن الله مع الصابرين الحامدين.

ثم إن عاغة السيد قدور الصغير بن إسماعيل انتخب مائة فارس مقاتل من مخزنه الصبار، وبعثهم رفقة الحاج بن داوود بن المختار، كما انتخب قائد الزمالة السيد محمد ولد قدور خمسين فارساً مقاتلاً بالتبيين وبعثهم في رفقة الحاج المرسلي ولد محي الدين، ولما وصل الجميع لقيطنة سيدي محي الدين، وراموا أخذ الهاربين بالتمكين امتنعت الحشم من تسليمهم لليعوث، وبدأتهم

بإرسال البنادق التي نصب كالفراش المبتوث فحصل الضرب من الجانبين، آل فيه الأمر إلى أن قتل الحاج بن داوود وجرح الحاج المرسل بغيرمين، وذهب الحشم بالمظلومين لغريس، وعولوا على القتال الذي حل بهم به كل شيء نحيس، ولما رجعت البعوث لوهران وسمع الباي ما حل بقومه ازداد غضبه ومنه استبان، وجمع جيشه من المخزن والأتراك، وغزى أجواد غريس بطي وإدراك، وقاتلهم إلى أن أئخن فيهم بالقتل الشديد، ومكر بهم بالمكر العتيد، فقتل من أعيانهم أربعة عشر فارساً كل منهم بقتل ذريع راكباً وجالساً، بحيث قتل عشرة في دفعة واحدة، واثنين منفردين في القتل بعناية جاهدة ولم يبق من هؤلاء الأربعة عشر إلا اثنان وهما قدور وعدة ولدا أبا نقاب، فكان منهما من القتال ما لا يحيط به جواب، ولا زالا في جولان الميدان إلى أن قتل معاً بإرسال العنان، وقد مات الصحراوي والحاج، فضلاً عن غير الأعيان من الضعيف والوضيع والمحتاج، ولما قتل كبراءهم نزل عواجة ورهب عليهم ورام صغراءهم / فبعثوا له على عتيد، وجعل عليهم عقوبة بالمال خطية عظيمة، وأذعنوا للطاعة، الإذعان الذي ليس قيمة، وقصنتهم مشهورة، وعلى الألسنة وكلام الفصحاء مذكورة.

حملة الباي على عريب

ثم أنه لما تمهد له الملك غزى بأمر الباشا عريباً⁽¹⁾ فصير رايهم (كذا) ثريباً، وهم قبيل عظيم بادية ولهم شوكة قوية، وهم رعية آغة الجزائر وطنهم ما بين حمزة والدهوص في الحد بين باي قسنطينة وباي المدية. وسبب ذلك أن شيخ عريب خالف برأيه آغة الجزائر لما أراد الله به أن يتلاشا فبلغ خبره، آغة فأعلم بذلك الباشا فلم ير الباشا من ينتقم منهم ويهتكهم هتكاً، ويصيرهم هباء مشوراً ويفتك بهم فتكاً، ويرجعهم كالأرض إذا دكت دكا دكاً، إلا باي الغرب لخبرة جنده بالطعن والضرب فإن مخزنه أشداء على العدو في الحروب، وشدة

(1) عريب قبيلة ومشهورة مواطنها السفوح الجنوبية لجبال جرجرة حول برج حمزة الذي يدعى اليوم البويرة شرق مدينة الجزائر.

باسمهم عند تلاقي الصفوف فلا يعرفون الحيرة وإنما دأبهم الموت وليس من شيمهم الهروب، فالقاضي عندهم قريب والعاصي لهم طائع منيب، والصعب عندهم سهل وكل واحد منهم ظريف لبيب.

أعراس المخزن الوهراني الخمسة

والمخزن مهمى قيل له في دائرة وهران فهو خمسة أعراس جالية: الدوائر، والزماله، والغرابه، والبرجية، والمكاحلية، فهم نجوع شداد في الحرب، ولبعضهم بعضاً متوالية وكلمتهم تحت كلمة واحد بلا مخالفة غير أن النجوع الأربعة هم مخزن الباى، والخامس وما انضم إليه هم مخزن الخليفة سديد التدبير والرأى. وغير هؤلاء كالحشم وبني شقران وبني عامر ومجاهر، فهم أعراب رعية نائبة ليس لهم جرأة في الحروب وظفر الظافر، وإن كان عددهم كثير، فالمخزن أهل جرأة (كذا) ورأى وتدبير، فأمره الباشا بالغزو على عريب، وكان ذلك لا يتعقل لعدم تصرف باى الغرب في غير رعيته بكل وجه بعيد أو قريب، وبعد مكانهم عنه بالأحوال السوية، إذا حال بينه وبينهم باى المدينة، فنهض الباى من ساعته وهو في أحوال خرجت عن إرادته وكان ذام حزم وجزم وعزم وكياسة، ووزرائه ذوي تدبير ورأى وشجاعة وبسالة وسياسة، فجمعهم وعرفهم بالخبر، فأشاروا عليه بأنه لا بد من فعل هذا الأمر، لأنها مزية عظيمة أن بلغوا منها مناهم وفرحة شديدة أن وصلوا لمنتهاهم، فاتفق رأيهم على ذلك وتحققوا بأن الأمر هو ذلك، وتواصوا/ بعدم إفشاء هذا السر بل يجعل ذخراً، (ص 276) وخرج الباى بجيشه من وهران بجر الأمم فتعمر به أرض وتخلا به أخرا، إلى أن وصل وادي دردر وما به من خشفة، أمر برد أثقال المحلة وضعيفها إلى أبى خرشفة، وركب أول نهاره وسار في الفيافي طول نهاره، لا يلقي إلا النعام والغزلان وطائر الجو من الحداء والغربان، وبات يسير سيراً شديداً، ومخزنه بالظفر طامعاً وفارحاً بالواقعة إلى أن طلع النهار وعيونه ما بين الداهية والراجعة، إلى أن بلغ لحيهم ونجمعهم، فأرسل عليهم مخزنه بجمعهم، وأوقع فيهم جيشه أسراً وقتلاً ونهباً، وزادهم طعناً وضرباً ولا عرفت عريب من أين أقبلت تلك الجنود الداهية عليهم ولا من هي لاختلاف ملابسها وأشكالها،

وشجاعة فرسانها وقوة أحوالها، فأخذوهم أخذة رابية، وصارت أموالهم لهم غنيمة مجابية، ثم تحققوا بأنه باي الغرب، لما رأوا في فرسانه من زيادة الطعن والضرب، لا تكل لهم السواعد وليس لهم في الحرب إلا الطعن والضرب للمقاتم والقاعد، فكان من جملة ما سباه الباي بحيشه نساء شيخ عريب وأولاده، وأقام ببلدهم يومه والسرور زاده.

ثم كر راجعاً للمدية في طرب وابتسام، فنزلها بعد مسيره ثلاثة أيام، وقد تعرضت له في طريقه قبائل الطمع، الذي يفضي بصاحبه إلى النجع، وهو سائر بين جبلين لأناس يقال لهم أولاد إعلان، وإذا بهم ابتلوا الجيش بالضرب في السر والإعلان، فلما سمع الباي ضرب البارود. ورأى جيوشه حشوداً بعد الحشود، لا تفعل شيئاً إلا بأمره ليكون ذلك من فخره، سأل عن ذلك تبليغاً لمرادهم، فأخبروه بأنهم يريدون منه الزطاطة لمروره ببلادهم وكانت تلك عادة الأعراب، إذا لم يكونوا تحت القاهر الغلاب، فقال عليكم بهم لاعنهم، وأيتوني بمن ظفرت به منهم، فلم يك غير ساعة إلا والمخزن يجرّ في رؤوسهم ويقتل لمسعودهم ومنحوسهم، وأتوه بعدة رجال فأمر بقطع أيديهم وقال لهم تلك الأجرة التي سألتهمونيها، فأنصرفوا وهو يزيد بمزيدهم. ولما وصل إلى المدية أقام بها أياماً للراحة وبعث السبي والمال للجزائر صاحب الإحسان، فرفعت مكانته عند الباشا رفعة عظيمة وكرّ راجعاً لوهران. قال فلما وصلها مكث بها سائلاً من مولاه الإعانة والسلامة والعافية، وهو في فرح شديد بمخزنه سيما الأعيان السادات (ص 277) الأسود/ الضارية، فصار لا يقدم ناره زناد، وإنما تأججها على الدوام في ازدياد، بجنده العزيز، ومخزنه الأبريز. ثم أنه تحرك لأهل يندر من أهل الساحل، لقطع ما سمعه من جموع الدرقاوي الذي بيني يزناسن نازل، فغزى صهره الشيخ أبا ترفاس، لما سمع بالدرقاوي عنده على غفلة من الناس، ولماسمع الدرقاوي بنهوض الباي إليه فرّ هارباً متذللاً وأخلا الأرض بين يديه وافترقت من حينها جموعه وجاءته عجلة قواطعه وقموعه فزاد الباي للساحل وأخلا منه ما أخلا، وقتل ما قتل وأجلا ما أجلا، وخرب قرية أبي ترفاس واحتطب أجتتها، وسلط عليها أذاها ومنتها، ولما فعل بقرية الشيخ أبي ترفاس أفعال الشرور والإفلاس، قال له أيها الباي لماذا فعلت بنا هذا ونحن من جملة ضعفاء الناس، فقال له

لأن صهرك درقاوي يأوي إليك فأنت مثله وأحوالك ببداية، فقال له إني شيخ
 طلبة لا غير وعائرتني بالتدريقي ولست من أهله وخربت مكاني خرب الله ملكك
 عن قريب وألبس لك التدريقي عباية. وهذا أبو ترفاس ولد الشيخ أبي ترفاس
 الذي غزاه الباي خليل، فأهلكه الله لرجوعه لتلمسان في السيل ثم كر الباي
 لأهله راجعاً وهو في هلاك غير أبي ترفاس من درقاوة طامعاً ولما وصل لوادي
 تافنة، حل به البلاء وانحط، وأصابه الثلج العظيم الذي لم يمطر مثله قط.
 فمات به كثير الخيل وتعيب كثير الجند ودخل الباي اضطراراً تلمسان، وافتقت
 محلته افتراقاً مختلفاً هامت به في البلدان، فمنهم من مات جواده والآخر تمزق
 خباؤه، ومنهم من تلفت سرجه والآخر انكسرت بندقته (كذا) والبعض تورمت
 أعضاؤه، وانهدمت بسببه الديار، وانكسرت منه الأشجار، فسبحان الله الواحد
 الأحد المالك القهار. واشتهرت تلك الواقعة بحركة الثلج، وعرف عند الناس
 بقصة عام الدّالج. وبقي الباي بتلمسان إلى أن صفا الحال، وأمن على نفسه
 فضلاً عن جيشه من الضرر والنكال، رجع لوهران واستقامت له الأحوال واقتدت
 به الناس في الأفعال والأقوال.

نهاية الباي بوكابوس المحزنة

قال فبينما هو بإيوانه في فرح وانبساط، وسرور واغتراب، وإذا بالبasha بعث
 له بالحركة لتونس التي كانت عليه منحوسة، وأصل هلاكه وصارت أموره
 منكوسة، فهي سيئته وخطيئته، وبها كان هلاكه وسخيطته، وعذابه / وزوال (ص 278)
 الملك عنه، وإهائته والانتقام منه. وسبب الحركة أن الجزائريين وقعت بينهم
 وبين التونسيين مقاتلة ومشاجرة ومواقفة ومحاصرة، ودامت زماناً طويلاً سراً
 وجهراً، فتهياً الجزائريون لهم بالحركة براً وبحراً ويعث البasha لباي الغرب أن
 يتهياً للحركة بالمحلة الجليلة من أنجاد مخزنه ذوي الجلالة لاتصافهم في كل
 موطن بالشجاعة والحزم والبسالة ومآثرهم في الحروب مشهورة، وعند الناس في
 كل مكان مذكورة ليس لها خفاء بالشدة والجلدة، وكان يضرب بمخزنه المثل في
 كل بلدة، فالواحد منهم بمنزلة العشرة فاعلاً في الثبات والشدة، والشجاعة
 والفراسة والمعرفة والكياسة والأدب والظرافة والفظانة واللطافة والتقدم لإزالة

الجماجم عند الطيش والوحشة، والثبات للزحف وقمع العدو عند الدهول والدهشة. فهم رجال الوفاء والخجل، وهم السادات الذين لا يعتريهم الطمع والوجل، بل شأنهم التقدم للنزال بين الصفوف، والجلولان في الحرب بالبنادق والسيوف، ولهم معرفة بمكايد الحرب، وتخلقوا بأخلاق الطعن والضرب، فلا يخشون من قتل يوم ترحف الراجفة ولا يفرون من موت حين تتبعها الرادفة، فإن ذهل غيرهم فهم ثابتون، وإن انهزم غيرهم فهم نابتون، فهم الذين صدق في وصفهم قول الشاعر، الواصف لقومه ونفسه بالأمر الصائر:

إذا المرء لم يندس من اللوم عرضه	فكل رداء يرتديه جميل
وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها	فليس إلى حسن الثناء سبيل
تعايرنا أنا قليل عديدنا	فقلت لها أن الكرام قليل
وما قل من كانت بقاياها مثلنا	قدم تسامى للعلا وكهيل
وما ضرنا أنا قليل وجارنا	عزيز وجار الأكثرين ذليل
لنا جبل يحتله من يجوره	منيع يؤدي الطرف وهو كليل
وإننا لقوم لا نرى القتل سبة	إذا ما رامته عامر وسلول
وما مات منا سيد حتف أنفه	ولا ضل منا حيث كان قتيل
تسيل على حدّ الطبات نفوسنا	وليس على غير الطبات تسيل
علونا على غير الظهور وإننا	لوقت إلى خبر البطون نزول
ونحن كماء المزن ما في نصابنا	كهام ولا فينا من يعدّ بخيل
وننكر إن شئنا على الناس قولهم	ولا ينكرون القول حين نقول
إذا مات منا سيد قام سيد	يدل بما يهوى الكمال يقول
ولا أخدمت نار لنا دون طارق	ولا ذمنا في النازلين نزيل
وأيامنا مشهورة في عدونا	لها غرر معلومة وحجول
وأسيافنا في كل شرق ومغرب	لها من قراع الدارعين فلول
معودة إذا تسيل نصالها	فتغمد حين يستباح قتيل
سلي إن جهلت الناس عنا وعنهم	وليس سواء عالم وجهول ⁽¹⁾

(1) هذه القصيدة للشاعر السموأل، وقد أحدث فيها المؤلف عدة تصحيقات.

خروج البايع من وهران في طريقه إلى تونس وعصيانه

قال فامثل البايع لذلك وتزود زاداً كثيراً، وجمع من مخزنه جيشاً عرمرماً غزيراً، وخرج من وهران يروم تونس وفقاً لما أمر به وصاحب الغيب أعلم بما في غيبه، ولما نزل وادي يّلل، الذي بان به فسادُه والخبل، حدثته نفسه برفض الترك والخروج عن طاعتهم في سرّه وعلاه، والدخول في سلك سلطان المغرب مولاي سليمان بن عبد الله⁽¹⁾ فأصبح معلناً بقتل الأتراك يا للعجب، جازماً بالدخول في طاعة سلطان الغرب، فقتل كل من كان بقربه من الأتراك ولو أصهاره، وأمر بني عامر بقتل محلة الترك التي عندهم فقتلوههم خديعة بالترفة على الخيام ولم ينج إلا من نجّاه الله واختاره، وتمادى على ذلك ولا حصل له في رأيه وهن، ولما سمع الباشا غضب وعلى جيشه حزن، ودخل على قارة باغلي صهره خليفة الكرسي بمن معه من الأتراك لمازونة وسكن، وكر البايع راجعاً لوهران، بمشاورة أعيان مخزنه خديعة منهم له حيث فعل ما لا يليق، وغرضهم القبض عليه وصيرورته في الكبل الوثيق، فبينما هم لوهران داخلون، وإذا بالسفن المشحونة بعسكر الأتراك في البحر وهم بالمرسى نازلون أتوا ليتطلعوا على حقيقة الأمر وما سبب ذلك، كما جاء عمر آغا في البر بمحلة عظيمة قاصداً لوهران على ذلك، فدخل البايع محله وقد سمع بذلك، فجزم بإلقاء النار/ في خزنة البارود، لتصير المدينة عاليها سافلها ولم ينج منحوس ولا (ص 280) مسعود، وأنه ميت معهم ما فيها المحالة، فصعب ذلك على المخزن وأهل البلد واشتد بهم القلق والوجالة، فصعد له المخزن للدخول عليه ومعهم كبراء البلد للقبض عليه ونهيه على فعله، فلم يدع أحداً يدخل عليه وزاد في قوله وفعله، فصرخت الناس بالاستغاثة وهرب من يطيق الهروب وأيقنوا بالهلاك بغتة دون الحروب، فعند ذلك صعد له العلماء وبأيديهم المصاحف وصحيفا البخاري ومسلم، وناجوه من بعيد وأروه ذلك ووعظوه بليغاً فأذن لهم في الدخول وأمنهم وقال من شاء تأخر ومن شاء تقدم، فدخلوا عليه وصبروه ووعظوه، وبقضاء الله لزموه وللموت لحظوه، فثبت يقينه وزال ما به من الغضب، وعلم أن ذلك حيلة

(1) حكم السلطان سليمان عبد الله من سنة 1792 م إلى 1822 م.

من مخزنه فعلوها لنجاة أنفسهم من العطب، فاطمأن قلبه ورضي بالموت وزال عنه النصب، وأذن للعلماء في قبضه فأبوا ذلك، وقالوا له هذا شأن المخزن لا شأننا فهم أولى بذلك، ثم أذن للمخزن ورؤوساء البلد فدخلوا عليه وكتبوه وشددوا عليه ووحلوه، حتى أن الوجيه أغاة علي ولد عدة قال له لما اجتمع به بخروف قادماً لوهراَن! أيها الباي فعلت الذميمة مع مخزنك سابقاً وأهلك نفسك لاحقاً فلست من آل عثمان، وقاله ثانياً لما شرعوا في تكبيله، وتوثيقه وتنكيله وأخبروا العساكر التي في السفن وأدخلوهم المدينة، وكتبوا لعمر آغا بذلك، ليدخل كمن كان في السفينة. وقد أتى عمر معه بالقفطان المعد للملوك وبايات لار، فألبسه بمازونة لخليفة الكرسي على قارة باغلي باشتهار، وولاه من حينه بايا للإيالة الغربية، بدلاً من صهره أبي كابوس ذي الأحوال الحربية، فظهرت فيه دعوة الشيخ أبي ترفاس المارة في الرواية عايرتني بالتدرفي ألبسه الله لك عباية. ثم قدم عمر وعلي قاصدين بجنودهما وهران، فدخلوها وألقياه مكبولاً في سجنه نادماً على فعله الذي حسنته له نفسه وشياطين الإنس والجان، وهو صابر لما ساقته له المقادير، فحق فيه ما قاله الشاعر الماهر:

قالت أراك مع الأردال تصحبهم	ومن يصاحبهم في دهره يهن
لا يصحب المرء إلا من يشاكله	ما رأيت الطبا والأسد في قرن
/ أجبتها مظهراً عذري ومنشدها	بيتاً به تضرب الأمثال في الزمن
يغمى على المرء في أيام محنته	حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن

(ص 281)

عمر آغا يقتل الباي بوكابوس وينصب الباي علي قارة باغلي

ولما رآه عمر آغا تركه علي تلك الحالة بالاعتماد، وخرج معه الباي علي بجيوشهما يجوسان البلاد، ويتفقدان أحوال الرعية وما عملت وأخرت وقدمت، فوصلا لجبل تראה وكانت بها دار ابن الأحرش الدرقاوي فأمرأ بهدمها فتهدمت وصعدا مع الجبل إلى تاجرة ثم رجعا لتلمسان بعد خلوها وفرار أهلها عنها، ثم رحلا للاحية الحشم ونزلا بالمعسكر بالخارج منها، وهناك أمر عمر آغا بقتل

العثمانية فقتلوا عن آخرهم ولم ينج إلا من فر بنفس وعصمه الله من مكرهم . قال ثم رجعا لوهران ودخلاها وبها قتل عمرءاغة الباي الرقيق بأشر القتل ، ونكل به بأشد النكل ، فسلخ رأسه وهو حيّ وفعل به فعلاً شديداً وملاًه بعد السلخ بالقطن وبعثه للجزائر فعلقوه على عمود طويل وتركوه به زماناً مديداً ، وقتل أولادهم وهم صغار ولم يتق فيهم رب العالمين ، وقتل بعض خدامه وصار بهم ما صار بالبرامكة مع الملوك العباسيين . وقال فيه كل من السيد حسن خوجة والسيد مسلم بن عبد القادر أبياتاً ، فأما التي قالها السيد حسن ذهبت عن حفظي ، وأما التي قالها السيد مسلم أخذها إثباتاً :

ظننت برأيك أنه صلاح	كلا والله ذلك الفساد
من يستقل بالرأي ليس عاقل	لا خير في رأي يعقبه الفساد
وفعلك ذا يؤدي إلى النكال	وفيه حتف لمن غره الرقاد
/ غررت بنفسك والآل كلا	ما لهم ذنب لا ولا المراد
حتى بقوا نساؤهم يهمن	في كل وطن وأتلفت الأولاد

(ص 282)

أبو راس يرثي الباي بوكابوس

قال وطلع في أيامه نجم غير معهود الطلوع قبل ذلك ، من الشمال ذا ذنب طويل شعاعي وأدام أياماً ثم أفل ولم ير بعد ذلك . ولما مات هذا الباي قال فيه الحافظ أبو راس ما ذكره في رحلته التي اسمها : فتح الإلاه ومنته ، في التحدث بفضل ربّي ونعمته ، من المدح والثناء الجزيل ، والترحم له بالترحم الجميل ، ما نصّه : ولما افتقرت مصريتنا بيت المذاهب الأربع للترفيح وأردت تجديد تبييضها وبعض ترميمها وتقييضها ، ذكرت ذلك للباي الأسعد الأبعد الأمجد ، الأنجد الأوحد ، عزيز النصر ، ونخبة العصر ، وريحانة الدهر السادل على الرعية الأمن والأمان ، الباي السيد محمد بن عثمان ، اتحفه الله بالرضى والرضوان وألحفه مطاريف التكريم والحنان ، فبعث لي مع ساقه مائة ريال بوجهها ، قامت أوفى إقامة بترميمها وتبييضها وذلك قبل أن أحجّ عنه رحمه الله فوفّرني أحسن وفارة ، جعل الله ذلك القتل له كفارة ، ولما أوبت من الحج سنة سبع وعشرين ومائتين

وَأَلْف⁽¹⁾ أَعْطَانِي مِائَةَ مَحْبُوبٍ جَعَلَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَقْرَباً وَمَحْبُوباً، أَنْسَ اللَّهَ غَرِيبَهُ، وَأَزَكَّى ذَرِيَّتَهُ وَتَرَبَّتَهُ، وَجَعَلَ ذَلِكَ الْحَجَّ الْمَبْرُورَ فِي مِيزَانِهِ وَرَاجِحَ أَوْزَانِهِ، وَتَقَبَّلَ اللَّهُ دُعَاءَنَا فِي تِلْكَ الْمَشَاهِدِ، الَّتِي يَنْتَفِعُ بِهَا الْغَائِبُ وَالشَّاهِدُ، وَمَا أَنْفَقْنَا مِنْ نَفَقَةٍ هُنَا كَبِيرَةً أَوْ صَغِيرَةً، إِلَّا عَوَّضَهُ اللَّهُ عَنْهُ، حَسَنَاتٍ كَثِيرَةً أَثِيرَةً. وَلَمَّا قَبِرَ (ص 283) قَمْتُ وَذَهَبْتُ إِلَى ضَرْيَحِهِ وَتَرَحَّمْتُ وَبَكَيْتُ/، وَقُلْتُ السَّلَامَ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْإِمَامُ، الثَّائِي فِي دَارِ السَّلَامِ، كَأَنَّكَ لَمْ تَعْرِضَ الْجَنُودَ، وَلَمْ تَنْتَشِرْ عَلَى رَأْسِكَ الْبَنُودَ، وَلَمْ تَبْسُطِ الْعَدْلَ الْمَمْدُودَ، وَلَمْ تَعَامِلْ بِفَضْلِكَ الرُّكْعَ السَّجُودَ، تَوَسَّدْتَ الثَّرَى وَأَطَلْتَ الْكُرَى، وَشَرِبْتَ الْكَأْسَ الَّذِي يَشْرِبُهَا الْوَرَى، وَأَصْبَحْتَ ضَارِعَ الْخَدِّ، كَلِيلَ الْجَدِّ، سَالِكاً سِنْنَ الْأَبِّ وَالْجَدِّ، وَلَمْ تَجِدْ بَعْدَ انْصِرَامِ الْمَلِكِ إِلَّا صَالِحَ عَمَلِكَ، وَلَا صَحْبَتَ لَقَبِكَ، إِلَّا رَابِعَ تَجْرِكَ فَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يُؤْنِسَ اغْتِرَابَكَ، وَيُصْلِحَ فِي الْآخِرَةِ مَا فِي الدُّنْيَا أَرَابَكَ، أَعْطَاكَ اللَّهُ الْوَسِيلَةَ وَتَمَّمَ مَقَاصِدَكَ الْجَمِيلَةَ، وَمَنْحَكَ الزَّلْفَى الْجَزِيلَةَ، وَلَمْ أَجِدْ مَكَافَاتَ لَكَ إِلَّا التَّقَرُّبَ بِدُعَائِي اللَّهَ بِرَحْمَتِكَ، وَتَعْفِيرِ الْوَجَنَاتِ فِي تَرَبَّتِكَ، وَالْإِشَادَةَ بَعْدَ الْمَمَاتِ بِمَجْدِكَ وَكَرَمِكَ، مَنْحَكَ اللَّهُ الْمَغْفِرَةَ الطَّيْبَةَ، وَالتَّحِيَّاتِ الطَّيْبَةَ، مَدَّ الدَّهْرَ وَأَبَادِيهِ، وَتَرَاوِيحَهُ وَتَغَادِيهِ، وَأَسْكَنْكَ مِنَ الْجَنَانِ بِحُبُوحِهِ، وَأَعْطَاكَ فِيهَا فُسُوحَهُ، آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَلَا أَرْضَى بِوَاحِدَةٍ حَتَّى أَقُولَ أَلْفَ أَلْفِ آمِينَ. وَكَانَ عَاجِزُ الْفَارِسِ الْمَشْهُورِ، الْبَطْلُ الَّذِي فِي الْمَوَارِدِ وَالْمَصَادِرِ مَذْكُورُ أَبُو مَدِينٍ قَدُورِ الصَّغِيرِ ابْنِ إِسْمَاعِيلِ الْبَحْثَاوِيِّ، أَبْلَغَهُ اللَّهُ الْمَرَادَ وَأَنْقَذَهُ مِنَ الْمَسَاوِي وَمِنَ الزَّمَالَةِ الْمَرْسَلِيِّ وَالسَّيِّدِ مُحَمَّدِ الْوَهْرَانِيِّ وَلَدِ قَدُورٍ، السَّالِكِينَ النَّهْجَ الْمَسْرُورَ.

الباي علي قارة باغلي

ثم الباي علي، المعروف بقارة باغلي، نسبة إلى بلدة بيلاد الأتراك، يقال لها باغل بلا اشتراك. كان أتى إلى هذا الوطن بالمقامنة في وقت الباي محمد الكبير بن عثمان ثاني ملوك العثمانيّة. وكان موصوفاً بالعقل والرياسة، والمعرفة (ص 284) والكياسة فزوجه الباي محمد الرقيّ ابنته/ وأدناه منه وصيره يتعمل بالأعمال

(1) الموافق 1812 - 1813 م.

المخزنية، ويتوظف بالرتب السياسية إلى أن ارتقى للمملكة بغير الخلف، فتولى بايا بالإيالة الغربية في نصف السنة الثامنة والعشرين والمائتين (كذا) والألف⁽¹⁾ فهو سابع بايات وهران واستقر بحول الله تعالى على الكرسي في ذلك الإيوان. فألفى بالمخزن تخليطاً كثيراً بسبب أمر الباي محمد أبي كابوس الذي كان قبله اتهم فيه الكثير من الناس بتهمة الناكوس، ولشدة عقله ورياسته ودينه وما كان منه، وميثاقه غفر جميع ذلك لمن اتهم به وعفا عنه، وتلك التهمة والخلاط اختص به الزمالة، دون غيرهم من المخزن فكانوا به حثالة الحثالة. وكان لا يقبل الوشاة ولا يصغي للموهن، فإذا وشى أحد بغيره عنده لا يقبل ولا يسمع منه ما يؤدي به أخاه المؤمن، وهو قليل الخطية للناس، فلا يخطي إلا القليل من الناس، لا سيما المخزن وأهل البلد وذويه، عكس ما كان من قبله عليه. وانقطع في أيامه ذكر الدرقاوي حتى صار لا يذكر إلا على وجه الحكاية كما قال الراوي. قال وحدث في وقته الجراد المنتشر غير المعهود الذي أفسد الزروع والثمار، وعم بالشرق والغرب سائر النواحي والأقطار، ولم يخل منه مكان، إلا مدينة وهران، وكان من لطف الله تعالى الواقع بهذا الباي جيد السيرة شديد الرأي، الذي زاد للناس أمناً متسعاً وهذّن روعة الوطن، وسكّن من الأمر ما تحرك وأحرى ما سكن، فأسعدت به البلاد. واطمأنت به قلوب العباد، أنّ عمر آغا لما فعل بأبي كابوس ما مرأخذ في نهب ما في بيت المال من الأموال، ولما رءا (كذا) إبراهيم خزندار/ الكبير ذلك علم أن الباي الآتي لا بد أن يكون من عدم المال، (ص 285) مع الجيش وغيره في ضرر ونكال، بادر إلى الخزنة وأخذ منها غفلة جملة من المال، وصعد به إلى أعلا (كذا) سطح المحكمة وجعله هنالك، ولم يطلع على فعله إلا الخالق المالك، وحين تولّى الباي علي واستقر بالإيوان نظر لبيت المال فوجدها خاوية على العروش، فتحير من ذلك وتألّم كثيراً وقال كيف أفعل مع هؤلاء الجيوش فدخل عليه إبراهيم خزندار فوجده مع نفسه في هم وحزن، وتأسف صاعد وهابط ومحن، فقال له يا سيدنا ما طرقت حتى صرت في هذا التأسف، والضرر الشديد والتعسف، وأنت البايلارباي وأنت الذي تزيل عن

(1) الموافق 1813 م.

عيرك بفضل الله الأغيار، فقال يا إبراهيم وكيف لا أتأسف وبيت المال خاوية فما أصنع مع هؤلاء، الجيوش الضاوية فإن عمر ذهب فارحاً أميناً بأخذه المال لنفسه وتركني أسيراً مع الجيش حزيناً، فقال له إبراهيم يا سيدنا لا تجزع، ولا تتأسف ولا تفزع فأنفسنا لك وقاية، ومالنا لك حماية، ومخزنك كثير الجود والشجاعة، والزعامة والبراعة لا يدعوك تتألم بسبب ذهاب المال، فلا ريب أنهم يجمعون لك فوراً ما يكون به التطريب للبال، وأني قد دخرت لك شيئاً من الذخائر والأموال، لتستعين بها على ما أنت فيه من الأحوال فقال له أحضرها ويادر، فأحضر ما كان تحت يديه من الذخائر، ففرح الباي وظهر عليه السرور واستبشر ولاح على جبينه النور، ولما سمع المخزن أتوه. بما فيه الكفاية وفوق الكفاية وقالوا له طب نفساً فأنفسنا ومالنا لك هي الوقاية، فشكر فعلهم الجميل، وأثنا (كذا) عليهم (ص 286) الشاء الجزيل. /، قال وفي ثامن جمادى الثانية سنة توليته⁽¹⁾ غزى نرارة ومعه عمر آغا كما مر فقتل منهم أربعة وثلاثين رجلاً من الشجعان، وسبا (كذا) تسعين امرأة بالبيان.

ثم غزى بني مناد لما ظهر منهم الفساد، فأوقع بهم إيقاعاً عظيماً، وهتكهم هتكاً جسيماً، أفنا (كذا) منهم عدداً من الأبطال وسبا (كذا) الأموال والنساء والصبيان وأسّر الرجال. ومات بتلك الواقعة من أعيان مخزنه القائد الأنجد، الفاضل الأمجد الشهم الشجاع الجواد المطاع، الصنديد الباسل، الحلیم الكامل، من هو لليتامى والآرامل كافل. ذو اليد الواسعة والمآثر الساطعة، رئيس الدوائر، محي الدين بالنواهي والأوامر، صاحب المحاسن والمعارف، وجائز المعالي والعوارف جالب الإحسان، ودافع المساوي مفتخر النسب المخزومي البعثاوي، السيد قدور الصغير بن إسماعيل آغا، واصل الله روحه إلى الجنة وأحكم بلاغه، كما مات الطالب الأديب الحاذق اللبيب، كامل الإحسان والأجور، قائد الزمالة السيد محمد الوهراني ولد قدور رحمهما الله بمنه وفضله وكرمه أمين وجعل في الفردوس آخر دعواهما أن الحمد لله رب العالمين. وهما ركائز المخزن في الأمور النفاة، وعمدته رأياً وشجاعة. وقد قال السيد مسلم

(1) 1228 هـ الموافق 8 جوان 1813 م.

خوجة في ءاغة السيد قدور الصغير بن إسماعيل مرثية يخر لها القائم على ركبته
جائية، وهي :

قد اجتمعا وفيك غيرهما تتل ومهمى يضيق الأمر أنت له أهل وءالك جملة فحول وأبطل وأسقطت ثلثة لم يوجد لها مثيل وقد عزّ صبرهم زماناً ولم يسئل ومن قطر ماء المزن جودك أهطل وإن كان رادياً تهذيبه يكمل	حلي السياسة وطلبي الرياسة كريم عفيف توفي فيما تقوله وما من كريمة إلا أنت مفتاحها وثلم من سور مشيد موضع /لموتك قد بكأ جميع الأحبة لأن على يديك فتح الحوائج يسعد من يلجأ لبابك يلجأ وقال أيضاً:
---	--

(ص 287)

حليم منيب وتبر وقاد ومفجي الهموم ومجلي النكاد ومهدي الهدايا ومن هو الزاد ناصر المظلوم وطويل النجاد مغيث الملهوف كثير الرماد حسين التدابير نعم النقاد فإنه صار ضجيع اللحاد وأبكا الصلحا وأبكا الزهاد وأبكا القراء وأهل الرشاد وأبكا الشجاع وأهل المعاد وأبكا الوزراء وأبكا القياد وأبكا الطلحا وكل العباد وأبكى العبيد والصبيان زاد بشق الجيوب ولطم الخداد ونذب طويل بغير نقاد برجف القلوب وحرف الكباد	فحزني على المبلغ للمراد مزيل الكروب منيل المطلوب ومعطي العطايا جزيل الندا وذو النجدة العظمى حال الحروب سريع الغضب قريب الرضا شجاع الهيجاء وضرغامها قدور بن إسماعيل بن البشير فأبكأ الأرامل واليتامى وأبكى الشرفاء والعلماء وأبكأ العساكر نعم الشجاع وأبكأ الجيوش وأبكأ الأمير وأبكأ السادات الكرام الرضا وأبكى النساء وأبكأ الرجال فحق عليه البكأ دائماً /وخذش الوجوه وصوت عويل قد أبكى العيون هذا الباسل
--	--

(ص 288)

فمن للأرامل من بعده
ومن للشعرا إذا وفدوا
فلإن النداء عليه باكياً
فمخزن وهران منه انغدر
تقول بصوتها حال البكا
فبك احترامي وبك التوفير
فويل وويل وويل شديد
هم الذين غيبوك عني
قد أبرد الله لك الضريحا
ولا راحم الله قاتلك
وقال أيضاً:

يحق لنا البكا على أسد الرغا
وقاهر جبار عنيد ومارد
ودامغ أعداء طالت لهم أيد
وحائز أوصاف الكمال بأسرها
ومعطي العطايا دون من ولا أذى
ولكل عالم وصالح طالب
وذلك سيّد الدوائر قدور
فلا رحم الرحمان آل مناديه
بشرى لك بالجنان يا قدور الرضا
وناصر مظلوم وقامع من طغا
وجامع أشتات ومفن لمن بغا
وباذل أموال ومعط لمن صغا
مهذب أخلاق ومضغ لمن لغا
كافل أرامل أيتام بما ابتغا
محب له في الله حبه ما التغا
نجل إسماعيل البحتاوي منصبه آغا
لما قتلوا المرحوم نال لما ابتغا
بشرى لك بالغفران والخير أبلاغاً

(ص 289)

وراجع ما مر من واقعة بني مريانن التي هي من أيام المقلش تستفد ما
للخوجة فيه من الأبيات الدالة على مدحه بالجمع والثبات. حدثني المسن
الطاعن في السن أبو العباس الحاج أحمد بن عت الغربي وكان أصله من عكرمة
قال حدثني والدي عبد الرحمان بن عت عن خصال آغا السيد قدور بن إسماعيل
المذكور، إنه قال أني كنت من البيوت الكبار بعكرمة الشراقة ولنا قايّد يقال له
المجاجي ليس من أهل السعي المشكور، وكان منافساً لي فوشا (كذا) بي كثيراً عند

خليفة الشرق بأفعالنا وأقوالنا، فلم يفده ذلك لاطلاع آغا والخليفة على أحوالنا،
 ثم وشي بي عند الباي علي مراراً عديدة فأثر وشيه في وخطني الباي خطايا
 عديدة، ثم أن الباي كان بمحلته بالنواحي الشرقية، ومعه حليفته صاحب
 الأخلاق المرضية ولما رجع للمعسكر قال قائدنا المجاجي وأنا على فرسي وكان
 من عتاق الخيل، يا سيدنا أنت لست بباي وأنا لست بقائد وإنما الباي والقائد
 هذا الرجل الذي تراه على الفرس الأدهم كاليل (كذا) فأمر الباي فوراً بقتلي،
 ولكنه (كذا) لم يتم أجلي، فأحيل بيني وبين فرسي وأخرجوني للقتل فتكلم
 الخليفة وآغا الشرق على خلاصي فلم يفد ذلك بالرتل، فسمع آغا السيد قدور
 ابن إسماعيل ذلك، وعابن ما هنالك، فتقدم وقال للباي لا يقتل لأنه مظلوم
 والمجاجي قائده مسلط عليه / في الأمر المعلوم، وأن قتلته بسبب هذا القائد (ص 290)
 البوطال بقيت الجهة الشرقية فارغة من الرجال، فترك الباي قتلي وحملني
 مسجوناً على بغلة لوهرا، وقد أخذ فرسي بالإعلان، ولما وصل لوهرا أدخلني
 السجن ثلاثة أشهر متتابعة، ومهمي يسلم المساجين أخبره بأحوالي قوله قاطعة،
 إلى أن قلت له يا سيدي خلصني من السجن أو اقتلني ولا تدعني في السجن
 الدائم، فقال له آغا السيد قدور المطلوب من سيادة الباي أن تسرح هذا الرجل
 من حينه لأنك أطلت سجنه بسبب قول قائده الظالم. قال فسرحني الباي من
 وقتي، وجيت (كذا) لأهلي في الفرح والسرور، ولما وصلت خيمتي جاءني
 القائد المذكور وقال لي أن الباي خطك بمائة سلطاني لا ريال، وخلاصها على
 يدي فلا بد من دفعها فوراً في الحال، فقلت للقائد أن الباي لم يخطني بشيء
 من المال، وإن كان كما قلت فأين بطاقته حوراً فقال لي لا تزد في الكلام أذ ما
 أمرتك به فوراً، وإلا يحل بك الانتقام، وتعود لسجنك على الدوام فقلت له يفتح
 الله وسيحصل بعد العسر اليسر، ثم أني بعثت لصهري المختار العكرمي على
 فرسه بسرجه فبعثه لي وركبت مع رفقائي ليلاً وسرت إلى أن دخلت وهران مع
 الفجر، ولما نبئت الحكومة تقدمت للشكاية بالقصد فناديت جهراً يا سلطان الحق
 السيد إذا حرر عبده ومكّنه من التحرير هل يتعرض له أحد، فقال لي أعد ما قلت
 فكررت قولتي ثانياً وثالثاً، فقال لي ما معنى كلامك فلا تكن ناكثاً، فقلت له يا
 سيدي إني خديمك الفلاني الذي عزلت عني فرسي بالمعسكر بسبب كلام القائد

المجاجي، وأمرت بقتلي بلا نتاجي فخلصني الله منه على يد آغا سيدنا قدور ابن إسماعيل، وسجنتني ثلاثة أشهر متوالية وخلصني الله منه على يد سيدنا آغا المذكور الجميل، وإني لما ذهبت / لأهلي جاءني القائد المذكور، وقال لي أن الباي خطك بمائة سلطاني وخلصها على يدي بالمحضور وأني تركته بخيمتي نازلاً، وجيتك ليلاً نازلاً وقد أخذت فرسي وهذا طلبته على صهري، أطل الله حياتك وخلد ملكك فانظر في أمري، فاستغاث الباي كثيراً، وقال للخوجة انظر خطيته في الدفتر جهيراً، فال الخوجة أني لم أكتب شيئاً ولا هو سجلاً، وقال قائد الطابع أني لم أمكنه من الطابع على هذا الأمر أصلاً، فتقدم آغا السيد قدور ابن إسماعيل، وقال للباي قد اتضح ظلم القائد وجوره على الرعية بالجملة والتفصيل، وهذا القائد لا يليق للتولية وإنما شأنه العزل وبالمائة سلطاني تكون له الخطية، لينتهي هو وغيره عن ظلم الرعية، فأمر الباي بعزله للقصاص، ونخطه بالمائة المذكورة وعين له من مكاحلته الخلاص، ثم قال لي آغا المذكور، يا هذا الرجل مثلك لا يليق له السكن بمخزن الباي المنصور، فقال الباي نعم قولك يا آغا هو المسطور، فرحلت من حينئذ وجيت (كذا) للحامول فسكنته بأهلي، بالزمالة وصرت وكيلاً على السيد محمد بن الحفاف كثير المجالة، ثم انتقلت وسكنت بأهل الخوجة الغرابة، ثم سكنت بدوار أهل العيد فها أنا فيهم من غير استراحة.

قال ولده الحاج أحمد ولا زال بأهل العيد إلى أن مات في أيام الأمير السيد الحاج عبد القادر بن محي الدين بالبيان، ودفن بمقبرة سيدي عبد القادر ابن زيان، ولا زلنا نحن أولاده بأهل العيد للآن. وأنه كان كثير الدعاء والترحم على آغا المذكور، وكان يوصينا الإيصاء التام بالتعرف بذريته وقرابته لنيل الأمور، ثم قال الحاج المذكور قال لي والدي المزبور، وهذا الفعل كله فعله معنا آغا المار له لا لغيره، فوالله لم يأخذ مني شيئاً بل كل ذلك من فضله (ص 292) وخيره، وبعد أمد اجتمعت به وأردت مكافأته فقال لي يا هذا العاقل لا تعد لمثل هذا القول فإنه ضير، وأنا ما فعلت ذلك معك إلا ابتغاء لوجه الله ونصرة للمظلوم لا غير، فقلت له زادك الله الفضل والمنة، وعوضك على فعلك قصوراً في الجنة. ولما مات ببني مناد أعطاهم الله الشرور والكساد، كنت أول من تقدم

لحملة، ولم أزل ملازماً لنعشه في نقله، إلى أن أوصلناه لوهران، فرحمه الله الرحيم الرحمان وأثابه على فعله ثواباً عظيماً، وأعطاه أجراً جسيماً. وإنما أتيت بهذه الحكاية دليلاً على أن عاغة المخزن له التصرف في جميع الرعاية.

ثم أن الباي علياً خرج في أيامه ابن الشريف الدرقاوي من بني يزناسن ونزل بالأحرار، وراودهم على القيام على الباي في الاشتهار، فأنكرهم جلهم، ولَبَّاه قَلَّهم، فسمع به الباي المذكور، فامتلاً بالغیظ وطارت عنه الشرور وخرج حاركاً إليه بأحوال مستقيمة، فألقى محلة الطريق وهي محلة الغرب بمينا فأخذها وصعد بها مع الوادي ومعه عساكر عظيمة، وأمر جميع نواحي القبلة بالظعون معه والتقدم أمامه. بأهاليهم وأموالهم وهو في أثرهم مخففة عليه أعلامه. فامتثلوا أمره وأجابوا دعوته وحواره، وذهبوا معه إلى أن نزلوا ببلاد الأحرار. فأفسد زرعهم وشتت لهم الأقوار، ولم ينازعه أحد، ولم يكن له في ذلك حد، وأنحل عقد الدرقاوي وانتشر وافتقت أتباعه، وتركه من حينه منفرداً وحيداً ذهبت عنه أشياعه وجاءت شيوخ الأحرار بأجمعها لدى الباي تلتمس منه الرضى، فأكرم نزولهم وأعظم مثواهم وزال عنه الغضب وجاءه الرضى وذهب الدرقاوي إلى فقيق وأقام به أياماً وقد ضاق به فسيحه / ثم رجع لبني يزناسن وهو محله الأول فخدمته ناره (ص 293) وسكن ربحه.

ثم رجع الباي لوهران مسروراً في غاية المفاخر، وذهبت محلة الطريق لموضعها ولما وصلت للجزائر، قاموا على عمر باشا فقتلوه بالحمام، باتفاق الأعيان، وقالوا أنه لم تسعد عليه وبه الأيام والبلدان، ولم يكن بوقته راحة ولا أمان. وقد مات. بأيامه الرايس حميدو⁽¹⁾ المجاهد في سبيل الرحمان وغلت الأسعار بوقته وظهر الطاعون، وقام النصارى الإنجليز عليهم بالجزائر ومنع الماعون. وذلك أن الإنجليز جاؤ للجزائر ودخلوا مرسيتها بسفنهم على وجه الخديعة من تعرية رؤوسهم مثل المبايعة بغاية الصنعة، وبأيديهم

(1) قتل الرايس حميدو عام 1815 قرب رأس كاطا جنوب شرق إسبانيا على أيدي بخارة أمريكيين هاجموا مركبه.

سجل عظيم يرقاني ، زعموا أنهم أتوا به من عند السلطان الأعظم صاحب الباب العالي أمير المؤمنين محمود الخاقان ولما جازوا رماية مدافع المسلمين ، ابتدروا بإرسال صواعقهم إلى أن حرقوا سفن المسلمين ، وكان ذلك وقت العصر واستمروا على ذلك الحال بغاية التمكين ، كأن مدافعهم في الإرسال واحد إلى تمام عشر سوايع⁽¹⁾ بعد الحاسبين الموقتين ، فأبطلوا الضرب وملوا لما لحقهم من المجاهدين . قال ثم اصطلحوا مع أهل الجزائر بإعلان ، على المن بأسارى النصارى الذين بالجزائر ووهران ، فأسلموهم كلهم باعتبار المقاصد ، حتى أنه لم يبق بعمالة الجزائر نصرائي واحد . قال الذي تواترت به الأخبار تواتر المصدع ، أنهم أرسلوا على الجزائر أربعين ألف مدفع . ولما قتلوه أقاموا مكانه علياً باشا إقامة الأكابر ، وأجلسوه على كرسي مملكة الجزائر ولما استغل له ذلك / واستقر بالملك قدمه ، غير الصرف تغييراً كان به عدمه . فالريال دور (كذا) كان فيه خمسة عشر وقية ، حطه إلى اثنا عشر وقية ، فقد انقص خمسة ، وأضاع من حينه فلسه ، والريال الجزائري كان فيه ثمانية أواق ، فحطه إلى ستة أواق ، فأنقص منه رבעه ، وغير من ساعته جمعه ، وأحدث أمراً لم تحدثه قبله ملوك الجزائر في الأوامر . فولى خليفة الشرق من الجزائر ، كما ولّى قائد تلمسان وكان قبله لا يولى من الجزائر إلا الباى بالبرهان .

نهاية الباى علي قارة باغلي

ثم عزل الباى علياً من منصبه ، وأزاله عن مقامه ومرتبته ، وسبب العزل له والقتل ، كما هو مقرر في النقل ، أن هذا الباشا المذكور في البيان ، لما تولى الملك نفى بعض الأتراك من أصحاب عمر باشا لوهران وبعث في أثرهم للباى علي بقتلهم قتلة شرّة ، ولما أحسوا بذلك فروا لمحلة الشتاء التي بهيرة ، فبلغ خبرهم للباشا فغاب ليه وطاش واستغاض شديداً على الباى ، واتهمه بأنه هو الذي صدر منه لهم ذلك الرأي ، وبقي في غيظه وغضبه على الباى بلا ناكث ، إلى أن ذهب الباى مدنشاً للجزائر كما هي العادة عندهم في الدنوش بأنه يكون على

(1) يقصد ساعات . والحديث عن غارة اللورد ايكسموث عام 1816 م .

رأس العام الثالث. ولما وصل للمشرق وهو موضع بأبي خرشفة بأسفل مليانة، أرسل الباشا إليه من دويه من عزله قبل الدخول ثم قتله عيانة، ودفن في محل القتل بعد تكفينه في الحصير نكايه له والملك والبقاء والدوام لله تعالى سبحانه السميع البصير.

وولّى من حينه حسناً باياً لكثرة جفائه، وأمر بطبع داره وسجن أولاده وتثقيف نسائه. وتلك عادة الأتراك في الأصل، فإنهم يقولون يوم للطبل ويوم للحبل، وذهب حسن مدنشا بجميع ما دنش به البايع عليّ من الأموال الكثيرة، والذخائر النفيسة الغزيرة، والخيول المسومة، والأمتعة/ المثمّنة المقومة، وزاد متمادياً إلى أن دخل الجزائر، فتلقته الناس بالمبايعة والبشائر، فقضى بها أربه، وأكمل مطلبه وخرج منها قاصداً وهران، وأعلام النصر على رأسه كأنها شقايق النعمان، والجنود به دائرة، والجيش خلفه سائرة، تقف بوقوفه وتذهب بذهابه، وتمثل لأمره ونهيه، وتخشى شدة عقابه، ولا زال سائراً إلى أن دخل مدينة وهران، وقال الحمد والثناء لله سبحانه الملك الديان الغافر الرحيم الرحمان.

قال وكانت واقعة الإنفليز بالجزائر وخروج ابن الشريف الدرقاوي وقضية البايع عليّ في سنة واحدة، ليس بينهما طول ولا تفريق في حصول الفائدة. وكان عاغتته من الدوائر عليّ ولد عدة، وقذور بن إسماعيل، والحاج قدور بالشريف، ومن الزمالة السيد محمد ولد قدور الوهراني، والحاج المرسلي ابن مخلوف، وعدة بن قدور بالتعريف.

البايع حسن بن موسى الباهي

ثم البايع حسن بن موسى المعروف بأهج حسن، وهو ثامن بايات وهران وآخرهم في القول الأحسن، تولى في منتصف ذي الحجة الحرام بغير الخلف، سنة اثنين وثلاثين ومائتين والألف⁽¹⁾ وهو اليوم الذي مات فيه البايع عليّ كما مر في القول الجلي. ومن خبره أنه كان في أول أمره طبائخاً لأربعين جندياً من

(1) الموافق 26 أكتوبر 1817 م.

الأتراك، في غاية ما يكون من التدريب والاشتراك، ثم صار تباعاً يبيع الدخان، ويتعاطى بيعه في السر والإعلان. قال في در الأعيان في أخبار وهران، وكان ذا عقل وافر وسياسة، ورأي ناجح ورئاسة، ولما رآه الباي محمد الرقيق على تلك الحالة شغف بحبه، إلى أن أخذ بمجامع قلبه، وظهر أنه لا يصلح لمصاهرته إلا (ص 296) هو، وأنه هو الذي / يوافقه في الجد والهزل، والذكر والسهو، فقربه منه وأدناه وأولاه سره ومعناه، وزوجه من ابنته وصيره من جملته، وشور ابنته بدره بما لا له قيمة مثل الدرّة اليتيمة والذهب والحرير، والدراهم والدنانير، وغير ذلك من الشورة والأمتعة فصار من حينه متسعاً في غاية السعة، وولاه قائداً بفليته، وانضبطت أموره فليس لها تفلية. قال صاحب در الأعيان، وهو السيد حسن خوجة كثير المعاني والبيان، وكنت كاتباً لأموره الشاملة ولازمته في الخدمة السنة الكاملة، فلم أسمع قط منه جناحاً ولا كلمة فحش ولا منا ولا فخراً ولا تكبراً ولا مزاحاً، وإنما يظهر منه من محاسن الأخلاق، والتعبّد ما يرضي المالك الخلاق. قال وكان قليل الغضب كثير الرضى، يمسح برؤوس اليتامى ويعيد المرضى كثير الترحّم والتودّد للفقراء والمساكين، محباً للعلماء والشرفاء والأولياء والصالحين والمساكين، مواظباً على الطهارة لا يتركها أصلاً محافظاً على الصلوات فرضاً ونفلاً، مجالساً لأهل الفضل والعناية، مجانباً لذوي السفاهة والجنابة.

ثم ولاء خليفة الشرق لكنه لم يبلغ فيها مناه، ولا توصّل إلى مرغوبه ومنتهاه، بل وافق أمره فيها مخالفة صهره الباي محمد الرقيق لأهل الجزائر، كما مرّ فعاقه العيوق عن تلك المراتب والمشاعر. ثم كان من أمر الله تعالى أنه بلغه إلى مكانة أرفع منها وأرقاه بايا والأولى أعرضه عنها. وقد قحط الوري قبل ولايته (ص 297) فلم يمتطروا، ودام عليهم ذلك إلى أن تضرروا، ولما ولي عليهم أمطرهم / الله تعالى بمنه وفضله، وخفّ بعض غلاء الشعر الصادر بعدله. قال السيد حسن خوجة التركي في الكتاب المذكور، وهو ذكر الأعيان المشهور، ولذلك قلت فيه هذه الأبيات، الدالة على كماله بالثبات، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وهو حسبي ونعم الوكيل، وهي من بحر الطويل:

أيا معشر الإسلام دام سروركم بدولته من في الناس دولته ترضوا
أمير أئانا بعد ما قحط الوري فأمطرنا رب العباد به أرضا

تراها وقد أبدت من الغيث أبحرا	فمن هائم طولاً ومن هائم عرضاً
كما حسنا كان اسمه حسنت به	ليال وأيام وطبت به مرضاً
إذا ذكر البايات كان أعفهم	وأكثرهم جوداً وأوضبهم فرضاً
وإن ذكر الفرسان كان أكرهم	وأفرسهم خيلاً وأرماهم غرضاً
وإن ذكر الأبرار كان أبرهم	وأوسعهم صدرأً وأكظمهم غيظاً

سياسة الباي حسن وسلوكه

قال شيخنا العلامة الرباني، والقُدوة الصمداني، الشريف الحسني ذو البَيَّاني السيد محمد بن يوسف الزباني، في كتابه: دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، ولما استوسق له الملك وأذعنت له الرعية، رفض ماكان عليه من الوصف السابق وكثر ظلمه وغضبه وغيظه وغصبه وعبثه بالرعية، وحدث بوقته الوباء العظيم العسير وتكرّر رجوعه بعد ذهابه إلى أن مات به الخلق الكثير.

وفاة أبي راس الناصر بمعسكر

ومات بوقته مجدد القرن الثالث عشر ذو التآليف العديدة، والتصانيف الكثيرة المديدة، الشريف الأمجد، العلامة/ الأفرد، الضابط الجامع الحافظ (ص 298) الدراكة المانع المحقق اللافظ، أبو راس محمد بن أحمد بن عبد القادر، ابن محمد بن أحمد بن الناصر بن علي بن عبد العظيم بن معروف بن عبد الجليل الراشدي المعسكري الناصري الذي ليس له نظير بالراشدة، ولا مثيل، يوم الأربعاء خامس عشر شعبان سنة ثمان وثلاثين ومائتين وألف⁽¹⁾، من هجرة من له كمال العز والشرف، وصلى عليه العلامة الأسد الهائج فريد وقته المعبر عنه بالراشدية بالخرشي الكبير السيد أحمد الدايج، ودفن بعقبة بابا علي من المعسكر، فنسبت له تلك العقبة إلى أن بها اشتهر وعلى ضريحه قبة نفعا الله به وأورثنا منه محبة وقربة. وفي تلك السنة رفع المطر عن العباد بعد ما فرغوا من

(1) الموافق 27 أبريل 1823 م.

الحراثة إلى أن بقي للصيف شهر واحد في القول الذي ليس من أقوال الرثاء، فأرسل الله مطره النافع للعباد، وأزال ما بهم من التخمين والكساد، ونبت الحب وتمت الصابة وحصدوا، وبلغوا مناهم فشكروا الله على ما أولاهم وحمدوا، فسميت تلك السنة بصابة الشهر، وتعاطى اسمها في البدو والحضر. قال واجترأ على العلماء والأولياء والشرفاء والرعية فبان منه الجور والظلم والتعدي، وكثر منه الضلال وهتك المحارم والتردي، وطغا وتجبر وتكبر وكثر منه الفساد والسفك بغير موجب لدماء العباد، ولم يراقب في ذلك خالقه ولم ينظر ليوم المعاد، فقتل في سنة تسع وثلاثين ومائتين وألف⁽¹⁾، قتلة ذميمة، ولي الله الفقيه السيد محمد ابن أحمد الصدقي من أولاد سيدي بن حليمة، لما سعى به خاله أبو ذريع عنده (ص 299) بأنه يريد أن يقوم عليه بغتة بالعقبة، فبعث له ما أتاه به وعلى رأسه ساجل من الحلفاء ظليلة على عمود نكاية له إلى أن وصل بتلك الحالة لوهران فعلقه بها مع الخشبة. وفيها في شهر شعبان أمر بقطع رأسي الفقيهين العالمين الجليلين، الوليين الكاملين الجميلين، السيد بن عبدالله بن حواء التجيني الدرقاوي والسيد فرقان الفلتي بغير الكلام وأكثر من الخطية وهي العقوبة بالمال للرعية، ولم يراقب فيها قط الأحوال المرعية، حتى صار يقول لعماله من اصطاد لنا حجلة فله جناحها، وربحها ونجاحها، يريد بذلك أن من سعى عنده بأحد للعقوبة بالمال والساعي من الخواص، فإنه يأخذ حظه من الخطية وهو القدر الذي يأخذه من الأجرة لما يذهب للخلاص، ولشدة ظلمه أمر كاتبه أن يكتب لمن يريد أن يخطيه على الفورية، إنما استوجبت هذه العقوبة لخدمتك الردية. وأنه في بعض الأيام نظر لضعف الرعية وحصول الغنا للقواد والأغات والعمال، استعمل حيلة ليأخذ بها منهم ما شاءه من الأموال، فقال لهم وهم بمجلسه حجيتكم أيها السادات الكرام الدائرين بي في هذا المقام، إني هزلت من اليدين والرجلين وسمنت من الأذنين والعينين، فتحير عماله في فهم حجايته، وأمعنوا النظر في فكها كل بحسب عنايته إلى أن قال لهم عاغة المعظم الوجيه النبيه المحترم من خاض البحور في فهم المعاني إلى أن أظهرها لكل قاص منهم والداني، المعنصم في

(1) الموافق 1823 - 1824 م.

أموره كلها بالباري، الشجاع الأفضل السيد الحاج محمد المزارى، أيها الأعيان إنَّ باينا يريد بيديه ورجليه الرعية لما رءا (كذا) ضعفهم ببصره، ويريد بأذنيه وعينه أغواته وقياده لما كثر مالهم في نظره، فعليكم بإعطاء الأموال ليلا يصير كل واحد منكم في أردل الأحوال، وبادر لذلك فأعطاه من العدد ما أرضاه في الصك، وقال له هذا الجواب حجابتك فإني واحد من أذنك وعينيك فقال له أنك الخبير بالفك، ثم شرع كل واحد من الأعيان في دفع ما قدر عليه، فسرَّ بذلك الباى وعلا قدر المزارى لديه، وقال لوزرائه وأهل مجلسه أن المزارى لفهم، وأنه على التحقيق لأغا جسيم، وعاتب الباى يوماً بعض أصدقائه على كثرة الخطية، التي ضعفت بها الرعية، فقال له / أن أهل الجزائر قد أكلوني (ص 300) بالكلية، ولذلك تراني قد أكلت للرعية. ثم صار مهمى مات أحد من رعيته وهو ذو مال وفلوس، إلّا صيّر نفسه واحد من الورثة ويأخذ حظه معهم على عدد الرؤوس. وفي سنة أربعين من القرن الثالث عشر⁽¹⁾ أمر ببناء الرحبة لبيع الحب بمدينة المعسكر، وكتب على رخامتها ما نصه: بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أفضل رسله محمد الكريم، وعلى آله وأصحابه المرشدين للضراط المستقيم، أما بعد فقد أمر ببناء هذه الرحبة الماسوسي، صاحب الخيرات والحسنات السيد حسن باي بن موسى زاد الله تعالى خيراته، وعفا عنه سيئاته ولوالديه آمين ثم كتب هذه الأبيات:

بناها حسبة لله حسن باي	بوجسصة إيلدي بُنيا داي
صحفه خطر أيله أجنلف	جهانك عافيته أولسون
أول تارنى غدا أيكان	جهانك أيلسون شادان
وهم أيلسون رحمت بوان	وأجداد له رب غفران

صوره أحمد بن محمد سنة أربعين ومائتين وألف، ثم أمر بجعل قبرة لضريح سيدي علي أبي الوفا، بعد ما بنا عليه القبة، وذلك سنة ثلاثة وأربعين من الثالث عشر⁽²⁾ بالحسبة وكتب بأحد جانبيها ما نصه: الحمد لله أمر بصنعة هذه

(1) الموافق 1824 - 1825 م.

(2) الموافق مارس 1828 م.

القبرية وتزويقها المعظم سيدنا حسن باي العمالة التلمسانية، والشغور الوهرانية، وقد أدى جميع ما أصرف عليها وأهداها للولي الصالح سيدي علي أبي الوفا وبتاريخ أواسط رمضان المبارك من عام ثلاثة وأربعين ومائتين وألف⁽¹⁾ والمتولي لحلية تزويقها الطالب صالح بن سالم وصيف الشيخ سيدنا محمد بن أبي زيان القندوسي سامحه الله آمين. وبالأخر هذه الأبيات:

يا رجال الإلاه إني مريض	وأن الدّوا لديكم والشفاء
أنتم الباي والإلاه كريم	من أتاكم له المنا والهناء
فكم أنني حماكم من سقيم	وزال عنه سقمه والعماء
كم أغنتم على الدوام مريض	في الفراش وقد كفاه النداء
فانظروا بفضلكم في علاجي	وامنحوني جودكم ما أشاء

وأكثر من الربطة حتى أنه دفع له المزارى سبعة آلاف وخمسمائة ريال في عام توليته، وكتب له رسماً لتبريته، ونصّه: الحمد لله تذكرتنا بيد القائد (ص 301) المزارى بن إسماعيل، آغا على أنه دفع لنا سبعة / آلاف ريال وخمسمائة ريال بودهيا؟ من قبل الربطة يوم توليته أواسط ربيع الأول الأنور من عام 1241⁽²⁾ وكتب بأمر المعظم الأرفع السيد حسن باي وفقه الله وبمقلوب الرسم خاتم الباي المنقوش فيه ما نصه: الواصل بالرحمان، عبده حسان باي بن موسى 1232⁽³⁾.

ثورة أحمد التيجاني

ثم قام عليه في عام اثنين وأربعين ومائتين وألف⁽⁴⁾ السيد محمد الكبير ابن القطب العلامة المعبر عنه بالقطب المكتوم السيد أحمد بن سالم التيجاني بغير الخلف، وجاءه حاركاً في ستمائة رجل من التيجانية أهل عين ماضي،

(1) الموافق مارس 1828.

(2) الموافق أواخر أكتوبر 1825 م.

(3) هذا التاريخ يمثل سنة تولي الباي السلطة بالبايليك 1817 م.

(4) الموافق 1826 - 1827 م.

الزاوية المحفوظة بحفظ الله في الزمان الآتي كالماضي وعدد كثير من العرب الصحراوية التي لا تمتثل للمعروف ولا تنتهي عن المنكر، مع قوم الحشم إلى أن وصل للمعسكر ودخل منها حومة بابا علي ثم خرج منها ورجع لغريس فمات بعواجة مع أصحابه كلهم بلا تحريس، ومن خبره أن الباي حسن كان قد دخله التخمين بأن التجيني سيقوم عليه بالأصفي، كقيام ابن الشريف الدرقاوي على الباي مصطفى، لإقبال الناس عليه في كل ناحية وانتشار صيته في كل ضاحية، فرام كسر شوكته قبل تزايدها، وهدم قوته قبل تعاهاها فجمع له جيشاً عظيماً، وعدداً كثيراً جسيماً، وغزى به عليه بعين ماض، وحاصره بها شهراً كاملاً يماض، إلى أن حصل الصلح بينهما على يد كاتبه السيد الحاج محمد ابن الخروبي القلعي على أن يعطي التجيني للباي لزمة سنوية في المرعى، قدرها خمسمائة ريال منجمة، ويعطيه ألفي ريال حالة مقدمة (كذا)، وكان ذلك عام إحدى وأربعين ومائتين وألف⁽¹⁾، فأخذ الباي تلك الغرامة الحاضرة وارتحل لوهران بالشصف، وقد انكسر في قتال تلك الواقعة بلا تماري، عدة ولد عثمان البحتاوي خليفة آغا الحاج محمد المزارى. ثم أن التجيني لما رأى ما حل به بغير سبب ظهر له مقاتلة الترك والغزو على الباي حسن في محله للعطب ودس ذلك في سويداء قلبه، وصار يحشد الجنود ويجمع الحشود لشيء لم يكن من كتبه، ويكتب من يظن به الإذعان للمهالك ومن جملتهم الحشم فأخبرهم بمراده ووافقوه على ذلك. ولما دخلت سنة اثنين وأربعين ومائتين وألف⁽²⁾ ظهر للباي السفر للجهة الغربية لإزالة الغلف، ويتفقد أحوالها في السر والإعلان، فذهب بجيوشه/ الكثيرة التي رأسها المخزن سيما أعيانهم قاصداً تلمسان. ولما نزل (ص 302) بالحناية كأنه الأسد الحاقد جاءته ثلاثة مكاتب في وقت واحد، أحدهما من عند الهواري الحشمي، صاحب الصدق للباي في القول الجزمي، وثانيها من عند قدور بن سفير قائد المعسكر وثالثتهما من عند مرة أحمد التركي الذي نفاه الباشا حسين من الجزائر للمعسكر، وصيره بها بمنزلة ناظر الأحباس، يخبرونه فيها

(1) الموافق 1825 م.

(2) الموافق 1826 م.

باتفاق الحشم على القيام مع التجيني وإظهار الأرجاس ولما قرأ الباي تلك المكاتب، أعلم أعيان جيشه ومخزنه بما فيها من الأمر العاطب، وقال لقواده لا بد تأتوني بجيوشكم الباقية والجمع بيننا بوادي ماكرة، وارتحل من الحناية فنزل بيسر وبعده بماكرة، وأقام بها أياماً والجيوش تجتمع عليه إلى أن صار خميسه في غاية الخميس، ثم رحل ونزل بالزفيزف ثم بعواجة من أرض غريس، فأتاه الحشم بأجمعهم للضيافة، ولم يعلموا ما سيحل بهم من المكافة، فضيفوه وبعد الأمل قالت له نفسه لا يستقيم لك الأمر وتحصل لك الراحة إلا بقتل قواد الحشم الإثنا عشر، وهم محمد ولد عبدالله وابن أخته الحبيب ومحمد بن زكموط ومحمد ابن نكروف وغيرهم في صحيح الخبر، وكان الكبير في هؤلاء القواد سناً ورأياً وتديراً وشجاعة محمد ولد عبدالله فالصادر منه هم له طاعة، فأمر الباي بقبضهم فقبضوا، ما عدا القائد الحبيب فإنه لا زال على فرسه وقد سمع ما لفظوا وصار واقفاً من بعيد ينتظر ما يحل بهم من الانتقام، فلما رأهم ذهبوا بهم لبشوضة وهي محل القتل ذهب فاراً بعد طول القيام، ثم أن القواد الإحدى عشر لما عاينوا القتل وتحققوا به وهم في الجزع والدهش، نطق كبيرهم ملتفتاً وراءه للاحية الباي وقال يا هذا الوفاق ظلمتنا من غشك سلط الله عليه الغش، فقال له محمد ابن زكموط يا مختل العقل حلفك لا ينفع، وصاحب الوفاق لا ينظر فيك ولا لكلامك يسمع، فالشاه فيك على القساوة، حيث كنت في نجاة ومن السعداء وصرت في هلاك ومن أهل الشقاوة ولما وصلوا لبشوضة وقد صارت جموعهم مفضوضة، قال ابن زكموط لظربير، وهو المأمور بقطع الرأس، بأمر الأمير، ناشدتك الله أن تبدأ بمحمد ولد عبدالله لتحصل به الراحة، لقلته رأيه الفاسد (ص 303) وعدم إصغائه / لقولنا حيث كان من أهل السمع فصار أصماً كما صار أبكماً بعد أن كان في الفصاحة، ثم اقطع رأس الباين واحداً بعد واحد. ففعل ظربير ما قاله ابن زكموط الماجد، قال ولما قتل الباي في ساعة واحدة إحدى عشر قائداً، وبعث برؤوسهم للمعسكر بعثاً متوارداً، أنكر عليه ذلك كافة الترك الذين كانوا بالمحلة والغائبين، كما أنكر عليه ذلك أغواته الذين هم من الراكبين، وقالوا له سترى ما ينتج لك ولنا معك من الضرر العظيم، حيث لم تستشر أحداً، واستقليت برأيك الصميم، وأظنك استشرت المازري وابن وارد، فقالوا نحن

على براءة من هذا الكلام الوارد، فإنه لم يستشرنا ونحن من جملتكم، وإنما ذلك رأيه هو أدري بأحواله منا ومنكم.

ثم أنه لما قتلهم وحاله استبشر، رحل من عواجه وهو في نخوة ودخل المعسكر وكان في قلبه وجل من القائد عبدي وأبي الأقدار لعلو كلمتهما عند العرب والترك في السر والإجهار وميل أصحاب الجزائر لهما لما فيه الغاية، وربما تتولد له منهما النكاية، وقد ضرب على الحشم الخطية الكبيرة، والعقوبة المالية العسيرة، رأى أنه لا تكمل له الأيام، ولا تتم له الفائدة إلا بقتل هذين، التركيين القيام، بعثهما لقبض تلك الخطية، ومراده قتلهما لتكون لهما الرزية ويتهن من أمرهما ويستريح، وينفرد في مملكته من المليح والقيح، فذهبا لقبض تلك الخطية، ولما وصلا للحشم قالوا لهما جئنا لإتمام الرزية، بالأمس قتلتم قوادنا، والآن جئنا لأخذ مالنا وقد جرحتم أكبادنا، وغرضكم إتمام النكاية فستريا ما لكما فيه من النكاية، وبأدروا لقبضهما، لأخذ الثأر في نفلهما وفرضهما، ففر عبدي هارباً وأتبعه الحشم إلى أن دخل لخيمة سيدي الأعرج من أولاد سيدي محمد بن يحيى وجلس عند النساء للحرم فدخلوا عليه وأخرجوه منها جبراً على السيد المذكور بالاشتهار، وقطعوا رأسه كما قطعوا رأس أبا الأقدار، وقالوا هذا ثأر القواد، الذين ذهبوا لجنة الخلود فاذهباً لجهنم وبيس المهاد، وبعثوا بالرأسين للتجيني وقالوا له على عبدي هذا رأس الباي حسن، وعلى أبي الأقدار هذا رأس خليفته كثير المحن فاستراح الباي بفعله بالتركين والحشم، ولم يبال بما سيأتيه من الغم والهم.

تأمر الحشم مع التيجاني ضد الباي حسن

ثم أن الحشم حثوا على التيجاني حيث الاحتباك / في القدوم معهم لقتال (ص 304) الأتراك، ولما رجع الباي لوهرا ن ومكث بها مدة في أمن وأمان، قام عليه التيجاني في جيش عظيم يريد المجاجنة من أهل الصحراء، واليعقوبية وستمائة رجل من التجاجنة، ووصل لغريس في خريفة اثنين وأربعين ومائتين وألف⁽¹⁾

(1) الموافق أواخر عام 1826 م.

فتزل بفروحة في يوم الأحد بغير الشك والخلف، فبعث الهواري للباي بذلك، وأخبره بتحقيق ما هنالك، فلذلك جعله قائداً على الحشم في الرواية الفريدة، وقد أطاع الحشم للتجيني لما أحلّ بلادهم بجيوشه العديدة، ثم كاتب التجيني بني عامر وبني شقران والبرجية والغرابية والزمالية والدوائر وسائر النواحي الشرقية والغربية له بالإذعان، فأما البرجية والغرابية والزمالية والدوائر هؤلاء الأعراس الأربعة المتواليين الذين هم مخزن الباي فقد أبوا من الإذعان، وأما بنو عامر وبني شقران وغيرهم فقد توقفوا، وصاروا ينتظرون الغالب يتبعونه وبذلك اتصفوا.

محمد التيجاني يهاجم مدينة معسكر

ثم رحل التجيني في يوم الإثنين لمدينة المعسكر وهي على سبعة أقسام، حومة العرقوب بسورها، وحومة سيدي علي محمد، وحومة عين البيضاء، وحومة الباب الشرقي، وحومة بابا علي، وحومة سيدي محمد أبي جلال، وحومة المدينة الداخلة، وهو الوسطى بسورها ذي أدهام، ونزل على الحومة الغربية وسط النهار وهي حومة العرقوب، يريد الدخول إليها ويظفر بالمطلوب، فتلقاه أهلها بأسرهم بالقتال، وصار الحرب بينه وبينهم في السجال، وأعانهم بنو شقران على ذلك القتال، وقد مات من الفريقين خلق كثير وقد بات في تلك الليلة (كذا) بأعلا الحومة البحرية وهي بابا علي في تحرير، وفي يوم الثلاثاء بعث لهم ليدخلوا في طاعته، فأبوا وبدءوه (كذا) بالحرب من غير مراعاته، فكان من أمرهم أنه قتل منهم خلقاً كثيراً ودخل تلك الحومة فجاس خلالها ودمرها تدميراً، ولما رأوا ذلك قادوا له فرساً أشهب ودخلوا تحت حكمه بانتخاب وأتوه ليلتهم لمؤنته (كذا) جيشه من المأكول والمشروب وعلف الدواب واندرج في ذلك أهل الحومة الشرقية بلا محال، وهي حومة الباب الشرقي، كما اندرج في ذلك أيضاً حومة سيدي محمد أبي جلال.

(ص 305) ثم في الغد وهو/ يوم الأربعاء ارتحل من موضعه ونزل بخصيبة علي الحومة القبلية، وهي سيدي علي محمد وعين البيضاء، وسألهم الإذعان أو يحلّ بهم ما حلّ بالحومة البحرية فقادوا له فرساً ودخلوا في الطاعة، دفعاً عن أنفسهم

وعلموا أن ذلك من الخروج عن الجماعة. وفي يوم الخميس تمها بجيشه لقتال الحومتين المحيط بهما السور وهما العرقوب والمدينة الداخلة، وكان في السابق دخل أهل سيدي محمد أبي جلال، وأهل سيدي علي محمد، للمدينة الداخلة، ثم ظهر لهما في الخروج فخرجوا وشدت أبواب المدينتين وكل في مخزنه.

الباي حسن يذهب لمعسكر لمحاربة التيجاني

فبينما هو يحاول القتال مع هاتين الحومتين وإذا بالباي حسن بلغه الخبر فخرج من وهران بجيشه ومخزنه، وحث السير فبات بالكرمة، وتليلات، وسيق، ووادي الحمام، فنزل بمشرع حسين، وهو كالأسد الضرعام، سمي المشرع بذلك سرّاً وجهراً لكون حسين التركي تعدى على بعض العرب بالمنكر بذلك المشرع فقتل به وذهب دمه هدراً. وكان من عادة الباي لا يدخل للمعسكر إلاّ مع عقبة الملاحه، سميت بذلك للنكبة الكثيرة الواقعة بها الدواب الملاحه، فنكّب عن تلك الطريق وذهب مع تيفرورة، ومعناها ذات الخير الكثير فهي بالبربرية مشهورة وأخذ طريق سيدي علي بن أحمد الولي المشهور. ولما قرّبه طوى ألويته وترك ضرب الطبول بتوابعها توقيراً للولي المذكور، وبعث لضريحه زيارة تدفع بيد المقدم ليحصل له الفوز على التجيني والحشم وسأل من الله الإعانة على عدوه في الحفي مقدماً في دعائه، التوسل إلى الله تعالى بذلك الولي ولما جاوزة قال له ليث الضراعهم، ومن كثر للأعداء منه التقاصم، أغته المتقاعد النبيل المحترم السيد مصطفى بن إسماعيل وسائر الأغوات الباقين، أيها الباي لا نخش أحداً إلا رب العالمين فانشر سناجقك ونقطر طبولك كالعادة، حيث جاوزت الولي، فالنصر لك ولنا معك في الزيادة، والعدو لا ريب يحل به النكال لأنه ما معك إلا ليوث الرجال.

قال ولما وصل الباي لخروية الصيادة المطلة على غريس، هبط على قرية الكرط، ومرّ على سيدي علي القطني كأنه أسد التغليس، ولما بلغ الخبر بأن التجيني لا زال محاصراً للمعسكر، رجع نحوه / متوجهاً له وهو بخصيية من غير (ص 306)

المفر، ولما طلّ عليه ورأى عنده الجراد المنتشر، وسمع به التجيني فتأخر عن المعسكر، وهبط دالجا ناحية أولاد رحو يروم المقاتلة وعنه يلحّ دخل الباي الخوف والجزع، ولحقه الرعب والفرع وظن أن الدائرة كائنة عليه فثبته أعيان مخزنه وواعده بأن النصر مقبل عليه، وقال ءاغته المتقاعد الشبيه بالجوطي الحاج عبدالله بن الشريف الكرطي أيها الباي رأيك الذي استقلت به حيث تركت المشورة لكل أحد في ابتداء الأمر، هو الذي وصلك وأوصلنا معك لهذا الأثر فضحك ءاغته المتولي وقت ذلك، وهو السيد الحاج محمد المزارى البحتاوي من ذلك، وقال للباي يا من أنت في ستر الحليم الغفار، وحفظ العزيز القهار، لا تدخلك الجزع ولا تصغي للقول المعسار، سترى ما يصدر من مخزنك الأبرار، فإن لهم حق عليك في المشورة، وأنت تركت ذلك لجميعنا إلى أن صارت الحضاجر هي القسورة، فأحسن ظنك بالله ولا تهن، ولا تجزع ولا تحزن، فعند حلول الكفاح في الميدان يتبين لك الشجاع من الجبان، ومن كان صغيراً في السن يصير كبيراً في الضرب والطعن وليس الكلام بالأفواه وقت تقابل الصفوف، وإنما الكلام للبنادق والسيوف، ويظهر الكر من الفر فالشجاع يتقدم والجبان يتأخر، ولا يخفى سيدنا طعن مخزنه للعدو إذا تراءا (كذا) الجمعان وغلت الجماجم وتأججت النيران سيما الأعيان الدارئين (كذا) عن سيدنا ما يلحقه من ألم الدعاوى، سيما ما ولده البشير البحتاوي فهم فداؤك في الهموم والكروب، ووقايتك في القتال والحروب، فسرّ الباي وجميع الجيش بقوله، وعلا شأن عمّه مصطفى وطلع رأسه إلى أن قال أهلاً بقوله. وقد كان بن يحيى ابن محمد الغلالي ثم الشقرائي فيما الراوي قد رواه، كتب لأغا السيد مصطفى ابن إسماعيل بطاقة يخبره فيها بقدوم التجيني لأم العساكر ومقاتلتهم إياه، لكون هذا ابن يحيى كان خليفة قائد المعسكر في الوارد، وخليفة القائد عند الأتراك يقال له ءاغة القائد، وبعث بطاقة مع ابنه فجاء بها ليلاً لغنيمة الفيء، ولما وصل المحلة قبضه أهلها ومنعوه من الدخول لها وسلبوه من كل شيء، وهو يقول جهراً يا قوم أوصلوني عند السيد مصطفى بن إسماعيل، فإني ولد ابن يحيى بن محمود (ص 307) الغلالي قاصداً للنبل، وجثته بالمكاتب/ من عند أبي فلم يلتفتوا لقوله وصفاً ولا زال ينادي إلى أن سمعه ءاغة مصطفىا (كذا) فأمرهم بالإتيان به ومطلبه، ولما

وصله سألته عن نفسه ونسبه، وعرف بذلك دون شبهة وناولته مكتوب أبيه، فأمرهم فوراً برّد ما أخذ له بأسره لما ظهرت العلامة، فردوه فوراً ولم تضع له حتى الغلامه وذهب عاغة مصطفى بمكتوب خليفة القائد للباي حسن، وعرفه بالواقع وزال ما به من الوهن، وقال له أنّ ما تراه من الجراد فضباب على رؤوس الجبال، وستطلع عليه الشمس الحارة فيصرف عن آخره وهو في النكال، وأن العرب ستأكل بعضها بعضاً ويقتل بعضها بعضاً والنصر مآله إليك، فانشر ألويتك ونقر طبولك واضرب غوائطك بناغراتها ولا حرج عليك، فنشرت السناجيق في الحين ونقرت الطبول والغوائط والناغرات بصوتها الحنين، والتقى الجمعان بعواجة بلاد أولاد رحو فكان ثم أعظم الوقوف، ونشأ الحرب بين الفريقين وتزاحفت لبعضها بعضاً الصفوف وحام الوطيس وترادفت الردوف، واشتبكت الناس ببعضها بعضاً وهاج الريح العصفوف.

المعركة الفاصلة ومقتل التيجاني

قال فلم يكن غير ساعة إلّا والحشم وسائر الأعراب قامت على ساق واحد، وبقي وحده في تجاجته وأطلع على رايه الفاسد. ويقال أن الباي فرق أموالاً كثيرة على أعيان الحشم وكافة العرب فأوقعوا الهزيمة، وفرّوا وتركوه بجيشه الخاص به منفرداً في الحالة الذميمة، فصار جيشه يذبّ عن نفسه عن نفسه ويسارع في مشيه نحو بستان أولاد رحو (كذا) وهو بستان عظيم من الهندية ليتخلصوا به ويتفسحوا فحال بينهم وبينه جيش الباي وأوقفهم بموضع يقال له السّمار، وأداروا بهم دور مقياس بسواعد الأبقار، واشتد القتال إلى أن قتل التيجاني بجميع جيشه ولم يفلت منهم واحد، ومات خليفة التيجاني وهو السيد إبراهيم بن يحيى من أولاد سيدي محمد بن يحيى ذي الفضل الماجد، ومن جيش الباي عدد كثير بالأمكن منهم محمد ولد قدور البحاوي وقائد غمرة وغيرهما وتكسر عاغة المزارعي من ساقه الأيمن، وكان عدة بن قدور عاغة الزمالة المتقاعد عن الخدمة في نوبته وقتاً، حلف أنه / إذا ظفر بالتيجاني ليضربته بسيفه (ص 308) حياً كان أو ميتاً، ولما ألفاه ميتاً ضربه بسكينه للصّدر إزالة للكربة إلى أن هضمه من صدره تهضيماً كبيراً بتلك الضربة، فعابته الأعيان على ذلك كثيراً، وقالوا له

لو ضربته حياً لنلت المراد، ولكنك فعلت بنا عسيراً. ولما تم القتال أمر البايع بقطع الرؤوس رأس التيجني ويده ورؤوس التجاجنة أهل الضرر فقطعت الرؤوس وبعث بها البايع أمامه للمعسكر، ورحل ودخلها فارحاً مسروراً، ومؤيداً مغتبطاً منصوراً، وبمخزنه العظيم نال عزاً وشكوراً، ثم رجع لوهران في عزه وإكرامه، وفضله وإنعامه، وألوية النصر تخفي على رأسه وهو في أنيسه، واشتد أمره وجرصه، وكتب لقائد مليانة يخبره بما نصه: الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله المكرم ولدنا علي قائد مليانة وفقه الله آمين السلام عليكم غاية ورحمت (كذا) الله والبركة وبعد فالذي نبشركم به خيراً إن شاء الله تعالى هو أننا طحنا على محلة الظالم ابن التيجني وأحزابه فقتلناه هو بنفسه وقتلنا خليفته وقطعنا رأسيهما معاً وقتلنا جميع من كان معه بمحلته ولم يفلت أحد منهم ما يزيد على ألف رأس وسبينا جميع ما عندهم من خيول وأبل حتى الأخبياء جميعاً والحمد لله على هذه البشارة المباركة لقد هبت العباد من ظلمه وفساده وها نحن بشرناك والسلام بأمر المعظم السيد حسن باي آمين الله آمين.

حصول القحط وغلاء الأسعار

وفي فصل الربيع سنة اثنين وأربعين ومائتين وألف⁽¹⁾ باقتباس وقع غلاء عظيم وقحط فيه الناس إلى أن صار الباشا يفرق الرغيف بالمدن على الناس، فسمي العام بعام خبز الباشا، وتواتر على الألسنة للآن وفاشا. وكانت الأولياء في المستتبين تقول آخر الترك من يسمى حسن، ومنهم من يقول سيأتي البايع حسن يأكل الرتعة ويزيد الرسن، ومعنى هذه الإشارة بالكمال أنه يأكل الرتعة وهي الرعية ويزيد الرسن وهو العمال، فكان الأمر كما قالت الأولياء، نعم السادات الأصفياء الكرام.

(1) الموافق 1827 م.

سجن الشيخ محي الدين بوهران

وقتل هذا الباي ولي الله سيدي الحاج محمد البوشيخي المقيم بقيزة، بإغراء عدة بن ونزار رايس الونازرة الزمالي له عليّة في الوجيزة، بحيث علّقه مع خشبة بوهران، وقال هذا جزاء من يريد الظهور والإعلان. ومنع شيخ الجماعة من الحج وهو السيد الحاج محي الدين بن سيدي مصطفى بن المختار والد الأمير السيد الحاج عبد القادر، وأسكنه بوهران بمنزلة المثقف ولم يخلّ سبيله إلا بعد/ أمد طويل متكاثراً، ولما سامه بالسجن عفانا الله منه، قال فيه العلامة السيد (ص 309) السنوسي ابن السيد الحاج عبد القادر بن السنوسي الدحاوي قصيدة نونية لتسلية وإبعاد الهمّ عنه نصّها بتمامها:

عول على الصبر لا تفزعك أشجان	ولا ترعك بما فاجتك وهران
أما هي الدار لم تؤمن غوائلها	بلى هي الدار أغيار وأحزان
تحفي الدسائس لم تظهر لها حيل	ولم تعاقداها والله أيّمان
شبت على الغدر لم تعطف على أحد	إلا ومن غدرها صد وهجران
ما أنت أول من دعت ولا آخر	ولا بأوسط من خائته إخوان
انظر إلى يوسف الصديق كم لبثت	في السجن نفسه لم تزره خلّان
وانظر إلى ابن رسول الله ثم إلى	هلمّ جرّاً وما لاقاه عثمان
تلك العوائد أجراها على قدر	مدبر الأمر كيف شاء ديّان
لم يشتوك أمحي الدين عن زلة	رأوا ولكن أشقى القوم شيطان
صبراً فلا غرو أن تنحل عقدة من	من أجله قد عاد عليك سلطان
ويكظم الغيظ من خصم ومن حكم	ويكشف الغم أن صدّوا وأن خانوا
بل لا عليك وإن ساءت ظنونهم	سيهزم الجمع أو يشتت ديوان
إن العواقب في القرآن ثابتة	للمتقين وصدق القول قرآن
وأنت والله لم تزل على سنن	يهدي إلى الحق لم يملك طغيان
تقرى الضيوف وتسعى في حوائجهم	وتحمل الكل لا غش ولا ران
تبث بين الدجا تتلوا المفصل عن	قلب وتصبح مثل البدر تزدان
تدرس العلم مرة وثانية	تلقن الذكر والفؤاد يقظان
فالله أسأل أن أراك منطلقاً	وما حواليك حراس وأعوان

ومنه أرغب أن ألقاك معتدلاً كالحال قبل وقد أمتك ركباً
ثم الصلاة بمحمود الصلاة على محمد المصطفى ما تم إيمان

حملته على الشيخ بلقندوز التيجاني وقتله

(ص 310) ثم جمع جيشاً عظيماً يقيناً، وذهب به لزاوية الشيخ بالقندوز/ القداري
التيجاني يميناً، وليس عند هذا الشيخ الصريح سوى الطلبة لقراءة القرآن ورام
قتله في الصحيح ولما رآه على تلك الحالة التي بها خبره انصدع، قال مثل هذا
لا يثور علينا ورجع.

ثم غزاه في عام خمسة وأربعين ومائتين وألف⁽¹⁾ في جيش عظيم لا يطيق
له أحد على الوصف، ولما وصله قال لمن بعثه يأتي به شهيراً، إذا امتنع من
الإتيان معك وأراد الطلبة الحرب فارجع لي بذلك وكان عددهم كثيراً، وأوصى
جيشه الأتراك أيضاً رصداً، بأنه إذا ضرب البارود بالكابوس فعليكم بنوايل الطلبة
فاقتلوهم ولا تحاشوا أحداً. وكان من عادته إذا أراد المكر بأحد والناكوس،
يعض لحيته فصار يعضها ويده الكابوس، ولما رآه (كذا) ذلك جهراً، اغته السيد
مصطفى بن إسماعيل البحاثوي آتاه فوراً، وقال له ماذا تريد أن تفعله وحدك،
ولم تنس بواقعة التيجاني ما بقصدك، أردت أن يتكلم فيك البارود من جيشك
الذي معك فعند ذلك تندم على رأيك، فقال له وأي سبب، حتى يحل بنا هذا
العطب، فقال له أن هؤلاء الطلبة كلهم من الجيش الذي معك بعضهم من
البرجية والزمالة، والدوائر بالقول المتراجع، وبعضهم من بني عامر والحشم وبين
شقران ومجاهر وفليته إلى غير ذلك من النواجع فمنهم من هنا ولده وقريبه،
ومنهم من هنا أخوه وحبيبه، وإذا رأوا ذلك القتل فيهم وأجهدهم لا جرم أنهم
يقاتلونك على قرابتهم والحق عندهم والرأي الذي فيه المصلحة اترك ما نويته
وأبعث من يأتك (كذا) به لأنك جئت له لا لكلهم، حيث لم يهدك الله في شأنه
واترك الطلبة يذهبون لأهلهم. قال فقال له رأيك صواباً، وأحسن تدبيراً وجواباً،
فترك ما أمر به بجده وأدخل كابوسه في غمده، وبعث له السيد قدور بن المخفي

(1) الموافق 1829 م.

فذهب ولم يأت له بعد إعطائه الزيارة ثم بعث له من حلّ به المكر والخسارة، وهو ابن دهما العامري الخالفي شرير الفعل بكل جوارحه حتى فيه، فدخل عليه بنوالته ولطم خدّه وأخذ به بشدة وأسجبه على الأرض إلى أن أوصله للباي وهو يسحب فيه، فأمر الباي بوضع الكبل عليه لقلّه، وافتترقت الطلبة من حينهم فذهب كل واحد لأهله. وكان بالقندوز يقول قبل وقوع الأمر به للطلبة، نعم السادات ما تقولون هل الأفضل الذبح أو الخنق بالغلبة، ثم قال الذبح يؤدي لاختلاط الدماء فالخنق أفضل، فمن أراد الذهاب فليذهب ومن أراد البقاء، فليقعد حتى يشاهد القول الأكمل.

/ثم ارتحل من موضعه وذهب مشرقاً، إلى أن نزل برهيو فقتله به خنقاً مع (ص 311) داوود المزايي قولاً محققاً. ولما مات الشيخ بالقندوز دون علم أحد من الناس بغير اشتباه، صار وليّ الله السيد الحاج محمد أبو قراب يقول أتى أمر الله يا عباد الله، فأرسل الله على المحلة ريحاً عاصفاً بصعصعته، إلى أن تكسرت ركيزة وتاق الباي وأزيل الوتاق من موضعه، وضجت الدواب بالصهيل، وماجت الناس وهم خائفون من التبديل، ثم سكن ذلك بعد ساعة، فعلموا بموت السيد فواروه في رمسه باستطاعة. وكان أبو قراب من أولياء الله الكاملين، والرجال السادات الواصلين، وكان قرابه بيده على الأبد ويمشي على رجله مع المحلة حيث ذهبت، ولا تسبقه للمنهل ولو في مشيها أسرع وغصبت، بل هو الذي يسبقها في سائر الأحوال، ويبقى في الصدود من ورائها حتى يذهب ضعفاء الرجال، فلذلك اشتهر بهذه الكنية، وامتاز بها في المروية. وقد أمارت الله ابن دهما أشر موة، ومقته أشر مقته. ولما قتل بالقندوز صار الشيخ الكامل القطب الواصل، السالك المجذوب المقرب المحبوب، صاحب الملجأ والمناصي، السيد مولاي محمد الولهاصي يقول للعجب كل العجب بالتوفيه، الترك يقتلون بالقندوز ومولاي محمد يموت فيه، وبموته يحصل الفرج للإسلام، ويحل بالترك الانتقام ثم يراقب البحر، ويقول بالجهر بالمركيش أرواح اتعيش، في لحم البقر والدشيش، ويكرر ذلك في سائر الأوقات، إلى أن تم أجله ومات، وبموته انقطع الأتراك، وانفصم جبل الاعتراك. ومن الأولياء من كان يقول في أيام الصمائم، ماذا يقع بأهل العمائم، ولم ينج وليّ من الباي حسن إلا السيد محمد بن عبدالله

المشتهر بابن سحنون ويقال له مولا عين الحوت، فإنه لم يتصرف فيه بشيء في المشبوت وكان ساكناً بضواحي تلمسان، والوشاة ساعون به لدى الباي بوهران، فبعث له أناساً يأتوه به، وكل من يصله لا يخبره بشيء من مطلبه، ويرجع للباي فيقول له قد أبى وبان منه العصيان، ولا يأتيك إلا إذا غزوته بجيشك فيحل به ما كان، ثم أن الباي قال كيف أغزوا (كذا) رجلاً واحداً بجيشي، وربما يكون به إزالة ريشي، فبعث له الفارس الأمجد الشجاع الأوكد، الوثاق بالباري، السيد (ص 312) الحاج محمد المزاري / وقال له اذهب للإتيان به مكبلاً واستعن بالباري، وكان المزاري وقت ذلك لم يكن آغا أصلاً، فامتثل الأمر وقال لا قوة إلا بالله ولا حولاً، ما هذه المصيبة التي ابتليت بها عن غيري وما هذه الرزية التي جاءتني تجري، ولما وصله نزل عنده ونظره في أحواله، وتدبر في أفعاله وأقواله، فالفاه بريئاً وأنه من أولياء الله المتعبدين بجحرمهم، المعززين للفقراء والمساكين والضعفاء وغيرهم وللوافدين عليهم في محبة الله أهلاً، ومرحباً بكم وسهلاً، وأنه ليس من أهل الثوران، ولا خوف منه على باي وهران، فبات عنده ونفسه تدبر في كيفية الخلاص من الأمر الذي ابتلي به المفضي للأخذ بالنواص، ولما أصبح الله بخير الصباح وارتفع النهار وضوؤه بان، أراد أن يقول له على القدام معه لوهران، فسبقه ذلك الولي بالقول مسرعة وقال له يالمزاري أنك مأمور بأخذي معك لوهران مكبلاً على بردعة فخذ الكبل وافعل ما أمرت به لا خوف عليك، وكل من جاءني قبلك لم يقل لي شيئاً بما لديك فقال لي يا سيدي لا أطيق على حملك معي مقيداً على البردعة ولكن اركب فرسك مسرجاً واذهب معي ونيل (كذا) إن شاء الله للمنفعة إلى أن نصلا (كذا) لوهران دون تشديد، ويفعل الله سبحانه في ملك ما يريد. فقال له الولي لا تعص الأمر لأنه أمر أمير المؤمنين. وطاعته واجبة على الذين بقلوبهم مؤمنين، فقال له لا يليق إلا ما نطقت به إليك، ولا شيء إن شاء علينا ولا عليك، فقال له الولي خذ القيد من بيتي لنذهب (كذا) راكبين على السروج، وحيث نقربا (كذا) وهران نركب البغلة المبردة مكبلاً ولا فيها خروج، ثم أتاه بالقيد، وأمر صاحبه أن يردع البغلة بغير رويد ويسرج فرس المزاري وفرسه، ويذهبون لوهران بلا نفسه ففعل الخديم كل ما قاله الولي وركبوا وأتوا وهران، ولما قربوا منها أقسم على المزاري أن يكبله

ويركب على البغلة ليكون الاطمئنان (كذا) ففعل المزارى ما رضى به السيد الحليم ودخلا وهران على تلك الحالة التي مثالها (كذا) الفوز العميم ثم ذهب به المزارى لبيته وبها بات، ومن الغد تركه بالبيت وذهب عند الباي وقت اجتماع الأغوات، وقال يا سيدنا أن الذي أمرتني به جئتك به على تلك الحالة، وأنه بييتي وأريد منك الأمن عليه ولا تلتفت لقول القوالة، وأخبره بأمر السيد من أوله إلى آخره وما احتوى عليه من باطنه وظاهره، فظهرت البشرية على وجه الباي وقال ما تريد يا المزارى فقال/ له إذا أردت ديتة أو الخطية نوديها لك من مالي (ص 313) لما قلت لي واستعن بالبارى، كما لا تتقم منه بالسجن فإنه في ضمانتي في دارى، فقال له عليه الأمان التام أن لا يخشى من شيء والله شاهد على في ذلك، غير أنى أحب أن اختبره ببعض الأمور السياسية ليطمئن قلبي بذلك فأحضره المزارى لديه، ولما مثل بين يديه حصلت للباي منه هيبة ورهبة ومحبة ورغبة، وقال له يا هذا الرجل ما هذا يسمع عنك من اجتماع الناس في كل وقت عليك، ووفودهم في كل آن إليك، فقال له إذا أخبروك بأنى جاعل خيمة للطلبة وضياف الله، والمخزن إذا جاء فذلك حق ليس به اشتباه، وإذا أخبروك بغير هذا فذلك عنا بعيد، ونحن في طاعة أمير المؤمنين كما أمرنا الرسول والمولى الكريم المجيد، فقال له الباي إنى نخايل فيك بعض الأسرار، وأردت اختبارك بأمور تنشأ لك منها الأضرار، فإن كنت من ذوي الأسرار الربانية خلصت منها بسرك، وإن كنت من الأحزاب الشيطانية كانت آخراً لعمرى فقال له افعل ما تريد ينفذ، غير أنى أقول لك قولاً إن هلكتنى تهلك وإن أنقذتنى تنقذ وأن بعثتنى برأ تبعث برأ، وإن أرسلتنى بحرأ ترسل بحرأ، فبادر بالاختيار وانظر لما يكون لك له النجاة من الأسار، فألقاه أولاً على مخاطيف الحديد، فصار يلعب عليها والباي ينظر ويزيد، ثم ألقاه ثانياً ببيت السباع، فبصبصت له وهي ذات إيطاع، وصار يركبها واحداً بعد واحد وهم به فارحون وله صابرون، والباي بمن معه من أرباب دولته ينظرون، ثم ألقاه ثالثاً في الكوشة، فطفيت نارها كأن الماء بها في العروشة، فاتكأ فيها طويلاً وعرضاً والناس ينظرون له ثم لبعضهم بعضاً ويتعجبون من أمر الله الواحد البارى، ثم أخرجه وبعثه لبيت المزارى، وقال له غداً نبعثك لبني يزناسن مع البحر فى اطمئنان (كذا) ويلحقك أهلك فقال للمزارى اعلم أنى

ضمّنت لك من الآن الرياسة والرفعة والسياسة، ولأولادك من بعدك مؤبدة ودائمة مسرّمة لا يقطعها منكم قاطع، ولا يزيلها قانع ولا طامع ولا يتصرف فيكم أحد (ص 314) بسوء في السر والعلن، وأنتم/ على الأبد في أمن وأمان من ضرر المخزن ثم من الغد بعثه البايع حسن لبني يزناسن في السفينة، وأمر أن يلحق به أهله في أمن وأمان من كل خوف وغيبنة، فكانت دعوته بالخير على المزارعي هي سبب توليته عاغة فإنه في تلك الأيام صار عاغة وهي توليته الأولى لذلك المنصب، واطمأن قلبه وزال ما به من النصب. هذا ما حدثني به الفقيه الأديب، الحاذق اللبيب، الشريف العدل السيد محمد بن الحبيب الغربي ثم البوعمراني أحد أولاد سيدي عمارة أهل السر الرباني. وكذلك خلص من ضرره الشيخ الضرير، السيد إبراهيم الخروطي الخريز، فإنه بعث له مكاحله محمد بن المختار الزمالي ليأت (كذا) به لأمر ظهر عليه غير الموالي، ولما أتاه به نظر في حاله وأصله، فألفاه من الذين لا يثورون عليه فسرّحه لأهله. ويقال أنه دعا بالشر على محمد ابن المختار، ومقامه كما مرّ خارج سور وهران، من ناحية الحمري لاشتهار. وفي أيامه سنة أربعة وأربعين ومائتين وألف⁽¹⁾ قتل العالم العلامة الحجة الفهامة السيد محمد بن قريد الغربي شهيداً بيته، بخنق النطاح بوهران في المعترف، قتله بعض من تسلط على زوجته من اللصوص عمداً لا جهلاً، ولما قام ليدافع قتل ليلاً، ومن الغد أخذت زوجته وذهبها للبايع فأمر بتشكيرهما، ورميها في البحر من غير تحويرهما، فليل للبايع أن أحدهما حامل، فقال ليست تأتي بابن قريد في القابل، فنفذ فيهما الأمر تنفيذاً، واستحوذ بهما تحويذاً، وأمر بحرق نوازل تلك الحومة، وصيرها تنوح بها البومة، وحضر لدفن العلامة، وشاهد منه عجائب الكرامة، ونجا الظالمان إلى أن قبض أحدهما في ولاية الأمير ناصر الدين، السيد الحاج عبد القادر بن محي الدين، ورفع به فبحث عن أمره بحثاً مشدداً. ولما ثبت القتل عليه مكّنه من قرابة الشيخ ابن قريد فقتلوه قصاصاً لا رحم الله قاتل الشيخ أبداً.

(1) الموافق 1828 - 1829 م.

الهجوم على قبائل الأحرار وعقابهم

ثم غزى أدقايات قرية من قرى القبائل بالظहर، من رعية المغرب الأقصى وقصدهم جهرا، فلم يصلهم لبعدهم عن رعيته، بل وصل إلى عيون بني مطهر ورجع بفوريته، وقد عتقهم الله تعالى من ظلمه وغصبه وسبيه ونهبه. وفي عام أربعة وأربعين من القرن الثالث عشر⁽¹⁾ بالاشتجار، غزى من رعيته، قبيل الأحرار، وهم بأرض اليعقوبية، ركب لهم بمحلته من بلاد بني عامر فأخذهم الأخذة الكروبية بحيث شفا فيهم لنفسه / العليل، وأبرد فيهم الغليل وكتب بذلك (ص 315) لحسين باشة الجزائر، يخبره بما نصه بالبشائر: الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم أبقي الله سعادة من أنام الأنام في مهد الأمان وأفاض عليهم سحاب العدل والإحسان الفاضل الكامل المجاهد الحافل، سيف الدولة ولسانها وعين أولئك الأعيان بل هو إنسانها، مولانا السلطان المعظم، الملك المفخم، ذو الأيادي الجسام، والفتوحات العظام، ناصر الدنيا والدين، قامع أعداء الله الكافرين الجاحدين مولانا الدولاتلي سيدنا حسين باشا، لا زالت الأعداء من خوفه بحول الله برأ وبجرأ تضمحل وتتلأشا، سلام على سيادتكم يعلأ البسيطة أرجأ وطيبأ، ويقوم على منابر السنا بنشر محاسنكم خطيبأ، ورحمت (كذا) الله تعالى وبركاته، تغشاكم ما دام الفلك وحركاته، أما بعد أبعد الله عنا وعنكم ما تكرهون، وقرب لنا ولكم ما تحبون وتشتهون، فإننا غزونا على قبيل الأحرار الغرابة بعد المراسدة وتخلف العيون، لما هم عليه من عدم الغفلة وكثرة الظنون وقد ركبنا إليهم في المحلة المنصورة من بلاد بني عامر وسرنا نحوهم سيرا عنيفا، نحث المطايا علنا (كذا) نظفر بتأييدهم والطريقا، فأصبحنا عليهم وهم في غفلة فأحطنا بهم إحاطة الهالة بالقمر، والمخاتم بالخنصر فجمعنا مالهم جمعا، وحزنه وترأ وشفعا، فشفا منهم العليل، وبرد الغليل لكوننا طال ما رمنا أخذهم فلم يأمنوا والآن قد ظفرنا الله بهم فأخذناهم أخذة رابية، بغزوة شافية كافية، وذلك ببلاد اليعقوبية ورجعنا نحن والعسكر بالسعية، والمخزن بخير وعلى خير فالحمد لله على الغنيمة والسلامة والكل من فضل الله وبركاتكم أدام

(1) الموافق 1828 - 1829 م.

الله لنا وجودكم وأفاض علينا بركاتكم وجودكم، وقد وقع ذلك يوم الخميس الرابع من المحرم الحرام فاتح أشهر سنة أربع وأربعين ومائتين وألف⁽¹⁾ ويصلكم صحة الحامل الطالب الذي أمرتمونا ببعثه ليرقى إنساناً مريضاً جعل الله دواءه على يده وكشف عن ضره كما كشفه عن أيوب عبده، وقد اخترناه لمعرفة بتلك الأمور وديانته فإن البركة تلازم لأهل الدين والتقوى، فلذلك تقضى بهم الحوائج دعاء ورقى والمولى جلّ جلاله يسر الأمور وإنه على ذلك قدير، وبالإجابة حقيق وجدير، وثم السلام التام في البدء والختام، وكتب عن إذن ابنكم المعظم السيد حسين باي الإيالة / الغربية آمنه الله آمين.

ولا زال حسن بايا بوهران إلى أن دخلها الفرنسيين بالبيان سنة ست وأربعين ومائتين وألف⁽²⁾، بالثبات فحملوه للمشرق وبقي به إلى أن مات.

رأي محمد بن يوسف الزباني في الأتراك

قال شيخنا الشريف الحسيني الصمداني، والقُدوة الرباني، العلامة السيد محمد بن يوسف الزباني، في دليل الحيران وأنيس السهران، في أخبار مدينة وهران: واعلم: أن الأتراك لما تمهد لهم الملك بالجزائر كثر ظلمهم وفسادهم، وعتوهم في الخلق وعنادهم بحيث لا يليق أن يذكر ما كانوا فيه من الظلم والمناكر، وتواتر ذلك على الألسنة بغاية المتواتر فاشتغل العلماء في ذكر ذلك في نثرهم ونظمهم، وسألت الناس الله أن يزيل بهم ما حلّ من ظلمهم، فمن ذلك قول العلامة الأديب الشاعر الدراكة اللبيب الماهر أبي عثمان سعيد بن عبد الله المنداسي التلمساني الحاذق النبيل، في قصيدته التونية التي هي من بحر الطويل:

بنا السدّ ذو القرنين للناس رحمة فيأليته من شوكة الترك هنّا

إلى آخرها. ومنها قول العلامة الكاتب البارع الشاعر، في رجزه السيد مسلم بن عبد القادر:

(1) الموافق 17 جويلية 1828 م.

(2) الموافق 4 جانفي 1831 م.

أَدَّبَهُمْ رَبُّهُمْ لِمَا طَغَوْا عَرَّفَهُمْ بِقُدْرِهِمْ لِمَا بَغَوْا
فَاسْتَغْلَوْا بِالظُّلْمِ لَيْسَ مِنْ عَدْلِ فَاتَّخَذُوا (كُذَّاءً) أَخِذًا وَبِيلاً بِالْمَهْلِ
لِمَا نَسُوا مَا ذَكَرُوا بِهِ خَتَمَ عَلَى قُلُوبِهِمُ اللَّهُ وَانْتَقَمَ
إِلَى أَنْ قَالَ:

صَنَادِيدُ لَوْلَا الْفُسَادُ فِي الْوَرَى لَقَلْنَا قُلَّ مِثْلَهُمْ فَوْقَ الثَّرَى
عَتَوْا عَتَوْاً عَلَى الْخَلْقِ وَجَارُوا فَكَانُوا أَكْثَرَ الْعِبَادِ وَيَارُوا
فَرَفَعَ الْكُلَّ الْأَكْفَ وَدَعَا بِمَا بِهِ أَجَابَ اللَّهُ وَرَجَا
أَمَّهُمْ لَنْ بَلِّغَ الْوَقْتَ الْأَجَلَ أَبْدَلَهُمْ بِغَيْرِهِمْ تَمَّ الْعَمَلُ

أغوات الباي حسن

وكان ما غتته من الدوائر بالنوبة الصناديد الثلاثة الذين لا يرون في فللهم
النكاته وهم الحاج عبدالله بالشريف الكرطي التلاوي، ومصطفى بن إسماعيل،
وابن أخيه الحاج محمد المزاري البحتاوي، ومن الزمالة ثلاثة أيضاً بلا زايد،
وهم الحاج المرسل بن محي الدين، وعدة بن قدور، وقدور بن وارد، بقوا على
ذلك/ إلى انقطاع الأتراك، فزال التداول والاشتراك والدوام للواحد القهار (ص 317)
الملاك.

انتهى الجزء الأول من طلوع سعد السعود
ويليه الجزء الثاني ومبدؤه الدولة التاسعة.

الفهارس العامة

- فهرس الأعلام.
- فهرس القبائل والجماعات.
- فهرس الأماكن الجغرافية.
- فهرس الكتب.
- فهرس الخرائط.
- فهرس الموضوعات.

فهرس الأعلام

- أحمد الشماع: 156.
 أحمد بن مرزوق: 157.
 أحمد بابا: 150، 196، 250.
 أحمد بن الناصر: 156.
 أحمد بن زيان: 216.
 أحمد بن محمد الشقراني: 214.
 أحمد خان الثالث: 246.
 أحمد إعراب الجزائري: 274.
 أحمد بن الأحرش: 300، 324، 336.
 أحمد التركي: 324، 353.
 أحمد التيجاني: 352.
 أحمد زروق: 76، 79.
 أحمد بن الشماع: 156.
 إدريس بن عبد الله: 117، 130، 143.
 إبراهيم بن الوليد: 129.
 إبراهيم بن أدهم: 151، 156.
- أ-
 أحمد بسطانجي: 252.
 أحمد العاقل: 70، 71، 80، 193.
 أحمد بن يوسف: 70، 76، 99.
 أحمد بن إدريس: 68.
 أحمد الهايج: 73.
 أحمد بن غانم: 74.
 أحمد الفيلاي: 91.
 أحمد بن الخوجة: 98.
 أحمد بن التهامي: 99، 101، 102.
 أحمد بن علي: 99، 104.
 أحمد بن أفغول: 106.
 أحمد بن الهاشمي: 99، 104.
 أحمد بن هطال: 106، 304.
 أحمد بن الطاهر الرزيوي: 108.
 أحمد العبد: 214.
 أحمد بن أبي جمعة الوهراني: 97.
 أحمد الكلاعي: 108.

(*) أهملنا المقدمة والمدخل فلم نحص أعلامها، واكتفينا بنص المؤلف فقط. كما أهملنا الهوامش.

- ب -

- باديس بن المنصور: 126، 138، 139.
 بابا حسن: 255.
 بابا محمد: 256.
 بابا عبيد: 256.
 بابا علي: 353.
 بختي بن عياد: 82، 97.
 بدر الدين: 89، 106.
 البشير بن يحيى: 88.
 البخاري: 196.
 البشير بن أحمد: 276.
 بلقندوز القراري: 362.
 بوقلموس (ن): 211، 216.
 ابن بطوطة: 149.
 بولكين: 122، 123، 128، 259.
 البكري: 56، 117، 121.
 أبو بكر الصديق: 119.
 أبو بكر بن عمر اللمتوني: 131، 140.
 بكار بن إبراهيم: 132.
 أبو بكر بن يحيى: 157.
 أبو بكر الحسين: 176.
 أبو بكر بن غازي: 186.
 بلاحة المهاجي: 231.
 أبو البهار بن زيري: 124، 128، 129.
 بكير الحاج: 223.
 البيهقي: 207.
 الباي بوكابوس: 323، 336.
 بن يقي محمد: 82، 47.

- إبراهيم الوهراني: 95.
 إبراهيم باشا: 228، 237.
 إبراهيم خزناجي: 252.
 إبراهيم أفندي: 256.
 إبراهيم الملياني: 282.
 إبراهيم بن يحيى: 362.
 إبراهيم التازي: 69، 74، 78، 79، 97.
 إبراهيم خزندار: 339.
 بن آمنة: 111.
 الأخطل: 152.
 أبو إسحاق إبراهيم: 157، 285.
 أبو إسحاق الشيخ: 163.
 أبو إسحاق الشاطبي: 137.
 أرطغل: 242.
 إسحاق عروج: 252.
 إسحاق الإسكندر: 216.
 إسماعيل سلطان: 230.
 إسماعيل بن علي العلوي: 227.
 إسماعيل بن البشير البعثاوي: 285، 342.
 إسماعيل أو علام المدني: 279.
 الأشعري: 241.
 أمية الأموي: 129.
 الإسكندر إسحاق: 249.
 أندري دوريا: 224، 225.
 أوزون حسن: 235، 252، 275.
 أورخان: 242.
 أوغسطس: 268.
 إيزابيلا الكاثوليكية: 267.

- ت -

- تاشفين : 136 ، 137 ، 140 .
أبو تاشفين : 176 ، 188 .
ابن تافراكين : 176 .
ابن ترقياس : 336 .
ترك بن كומר : 230 .
التغريزي : 211 .
تميم بن معنصر : 132 ، 138 ، 139 .
ابن تومرت : 135 .

- ث -

- الثعالبي : 75 .
أبو ثابت : 177 ، 178 ، 180 ، 189 .

- ج -

- جابر بن يوسف : 162 .
جبور بن حسنة : 215 .
جعفر ريس : 254 .
جعفر البرمكي : 160 .
جعفر بن علي : 123 .
أبو جعفر بن عطية : 144 ، 146 .
ابن جرار : 178 .
ابن الجوزي : 204 .
جنكيزخان : 242 .
جوهر : 122 .
ابن جلول : 177 .

- ح -

- الحبيب البخاري : 110 .
الحبيب بن بروكش : 104 .

الحبيب بن الهاشمي : 104 .

- ابن حمدون : 123 .
ابن حميد داوس : 117 .
حماد بن بلكين : 138 .
حذيفة بن اليمان : 241 .
الحسن ابركان : 83 .
حسن آغا : 220 ، 222 .
حسن بن خير الدين : 226 ، 252 ، 254 ، 270 .

حسن خوجة : 255 ، 337 ، 348 .
أبو الحسن المريني : 231 .

- حسن بن قبطان : 252 .
حسن بابي : 285 .
حسن التركي : 337 .
حسن التيجاني : 353 .
حسن بن موسى (مكي) : 345 .
حسين الشيخ : 255 .
أبو حفص : 156 .
حمد المعاشي : 279 .
أبو حمد موسى : 175 ، 179 ، 196 .
حفص بن حولات : 115 .
الرايس حميدو : 345 .
ابن حزم الظاهري : 377 .

- خ -

- خالد بن المتخب : 157 .
أبو خديجة (باي) : 271 .
خروقة : 280 .
خديجة : 290 .

ابن الخطيب: 142، 176، 179.
 ابن خلدون: 117، 179، 199.
 ابن خلكان: 56، 58، 206.
 خزر بن حفص: 55، 57، 115.
 ابن خميس: 59.
 خليفة الهواري: 79.
 خليل بكداش: 253.
 خوجة بكداش: 253.
 الخير بن محمد: 119، 123.
 خير الدين: 220، 252، 256.

- د -

دالي إبراهيم: 253.
 دادة أيوب: 67، 137.
 بن داود بن المختار: 230.
 داود الميزابي: 363.
 داود بن حولات: 117.
 أبو دبوس: 172.
 الحاج داود بن المختار: 324.
 أبو ديلم بن خطاب: 128.
 دنونة: 173.
 أبو دية: 261، 310.
 أبو دهما العامري: 363.
 الدرقاوي بن الشريط: 306، 309، 310،
 311، 312، 324، 325، 339، 347.
 دموش: 279، 280، 286.

- ر -

راشد بن منديل: 165.

راشد بن يحيى: 186.
 رابع بن حائلة: 218.
 ابن رشد: 135.
 ابن رشيق: 142.
 الرشاطي: 56.
 الرشيد المؤمني: 162.
 الرشيد عبد الواحد: 135.
 أبو راس الناصر: 55، 57، 58، 63،
 74، 78، 81، 88، 89، 108، 117،
 121، 137، 147، 158، 175، 177،
 179، 197، 199، 201، 226، 230،
 231، 236، 250، 264.

- ز -

زاوي بن بلكين: 139.
 زاوي بن كييسة: 211.
 الزرقاني: 267.
 ابن زرقون: 146.
 زكريا اللحياني: 157.
 زيان بن ثابت: 158.
 أبو زكرياء يحيى: 158.
 أبو زيان بن سعيد: 165.
 أبو زيان الرشيد: 183.
 أبو زيان: 180، 189.
 أبو زيان محمد: 194.
 أبو زيد الهزميري: 166.
 أبو زيد ابن الإمام: 176.
 الزهار محمد الشريف: 216.
 ابن زهر الطبيب: 152.

زيري بن عطية : 125.

زيري بن مناد : 123 ، 124 ، 125 ، 127 ، 138.

- س -

سارة بنت المنذر : 200.

أبو سالم إبراهيم : 175 ، 180.

السايع بن خضرا : 328.

السطي أبو عبد الله : 177.

سعيد المنداسي : 368.

سعيد المغربي : 199.

السعيد بن أبي عنان : 180.

أبو سعيد عبد الرحمن : 178 ، 179.

أبو سعيد عثمان : 165.

السعيد المؤمني : 162.

سليمان بن عبد الملك : 129.

سليمان بن التزاري : 108.

سليمان باشا التركي : 226.

سليمان شاه : 242 ، 244.

سليمان الثاني : 246.

سليم الأول : 244.

سليم الثاني : 244.

سليم الثالث : 247 ، 249.

سليمان بن سابق : 62.

سليمان أبو الربيع : 175.

سليمان بن موسى : 194.

ابن السويكت : 283.

السملالي : 240.

سويد بن عمارة : 215.

السموأل : 324.

- ش -

شارل الأول : 216.

شارل الثاني : 229.

شارل كان : 220.

شانجة : 174.

الشريف الوادفلي : 106 ، 111.

ابن الشريف الدرقاوي : 106 ، 303.

309 ، 326 ، 345.

الشحط والد دموش : 231.

شراعة : 92.

الشقراني أحمد بن محمد : 214.

الشريف الكرطي : 280 ، 282 ، 283.

الباي شعبان : 229 ، 230 ، 231 ، 252.

شعبان آغا : 253.

شعبان خوجة : 253.

أبو الشلاغم : 235 ، 258 ، 276 ، 282.

289.

الحاج شعبان : 254.

شهاب الدين الخفاجي : 207.

- ص -

صالح الزواوي : 78.

صالح القلعي : 74.

الصباغ القلعي : 74.

الصفدي : 56.

صلاح الدين : 150.

صواف الباي : 271.

عبد الرحمن الجامعي : 63 ، 174 ، 226 ،
230 ، 247 .

عبد الرحمن الجوزي : 88 .
عبد الرحمن بن الطيب : 110 .
عبد الرحمن الناصر : 119 ، 129 .
عبد الرحمن الداخل : 128 ، 129 ، 139 .
عبد الرحمن بحشو : 342 .
عبد الرحمن بن هشام : 129 .
عبد الرحمن المعافري : 136 .
عبد الحق : 189 .
عبد الرحمان العماش : 214 .
عبد القادر بن داود : 215 .
عبد القادر (الأمير) : 247 ، 344 .
عبد القادر بن السنوسي : 300 .
عبد القادر الشريف : 302 .
عبد القادر الجيلالي : 284 ، 285 ، 302 .
عبد القادر المشرفي : 288 .
عبد القادر بن مصطفى : 99 .
عبد القادر الحسني : 102 .
عبد القادر بن بروكش : 104 .
عبد الحق بن محيو : 171 .
عبد المالك : 129 .
ابن عبد الكريم العجيسي : 128 .
عبد الرحمن مقلش : 96 .
عبد الحلیم المستغانمي : 286 .
عبد الرزاق التلاوي : 282 .
عبدی آغا : 253 .
عبد الرزاق الجزائري : 250 ، 252 .
عبد العزيز خان : 248 .

ابن الصغير : 152 .

- ط -

الطاهر المشرفي : 99 .
طارق بن زياد : 200 .
طيباربوس : 268 .
الطيب المشرفي : 111 .

- ع -

عبد الله بن خطاب : 86 .
عبد الله بن عمارة : 108 .
عبد الله بن سعد : 115 .
عبيد الله المهدي : 119 .
عبد الله بن ياسين : 131 ، 139 ، 140 ،
142 .
عبد الله بن وجلید : 142 .
عبد الله بن بلكين : 139 .
أبو عبد الله محمد : 142 ، 156 .
عبد الله بن عبد الواحد : 156 .
عبد الله المستنصر : 158 .
عبد الله اليعقوبي : 226 ، 227 .
عبد الله الغالب : 226 .
عبد الله بلكباش : 256 .
عبد الله العباسي : 135 .
عبد الله بن الشريف : 360 .
عابد بن الزرقاء : 277 ، 279 ، 282 .
بن عبد الله بن حواء : 294 .
عبد الرحمن الحكم : 55 ، 56 .
عبد المؤمن بن علي : 60 ، 136 ، 137 ،
138 ، 140 ، 144 ، 145 ، 146 ، 169 .

- عبد الحميد خان الثاني : 248 ، 249 .
عبد الحميد الأول : 247 ، 248 .
عبد الواد : 193 .
عبد الواحد : 192 .
عبد المؤمن بن عبد الرحمن : 214 .
العبدوسي : 68 .
العباس بن بختي : 128 ، 133 .
ابن عبد القوي : 165 .
أبو عباس البجائي : 167 .
عثمان الغازي : 241 ، 242 ، 245 .
عبد السلام التونسي : 144 .
عثمان بن إسماعيل : 300 .
عثمان بن محمد : 298 .
عثمان الكردي : 290 .
عثمان باي : 284 .
عثمان الثالث : 247 .
عثمان بن يوسف : 162 .
عثمان بن يعمراسن : 165 ، 175 .
عثمان السعيد : 175 .
عثمان بن وزمار : 181 .
عثمان بن مسلم : 184 .
ابن العالية : 110 .
عثمان بن عفان : 115 ، 211 ، 260 .
ابن عرفة : 70 ، 158 .
عروج التركي : 76 ، 249 ، 252 .
أبو عصيد : 157 .
عقبة بن نافع : 141 .
عدة بن محي الدين : 314 ، 324 .
عدة بن المشير : 283 ، 286 .
- عدة بن داود : 278 .
عدة ولد الصحراري : 228 .
عدة ولد قدور : 359 .
عدة بن ونزار : 361 .
علي التدرومي : 75 .
علي بن أحمد الكثيري : 75 .
علي بن يوسف الدايري : 108 ، 175 .
علي بن أبي طالب : 119 ، 238 .
علي بن ثور : 123 .
علي بن يحيى المسوفي : 140 .
علي بن محمد : 140 .
أبو علي الملياني : 166 .
علي بن راشد : 179 .
أبو عزة بن حميدة : 231 .
علاء الدين : 242 .
علي آغا : 253 .
العلج علي : 254 .
علي بو صبع : 255 .
علي بن عبد الرحمن : 109 .
علي بن أحمد : 357 .
علي أبو الوفاء : 351 .
الباي علي : 346 ، 347 .
علي بن مصطفى : 281 .
عصمان بن إبراهيم : 280 ، 281 .
أبو علام : 277 ، 286 .
أبو عباس العاقل : 194 .
عمر آغا : 256 ، 326 .
عمر الزحاف : 198 .
عمر بن يحيى الهنتاني : 137 .

عمر بن عبد العزيز : 70 ، 129 ، 158 ، 216 .
 عمر بن الخطاب : 119 ، 176 ، 260 .
 عمر بن العاص : 260 .
 أبو العلاء : 156 .
 عمر بن أبي زكرياء : 157 .
 ابن أبي عمارة : 158 .
 أبو عثمان : 178 ، 179 .
 بن عودة : 276 ، 278 ، 280 .
 عيسى بن مريم : 198 .
 عيسى بن غريب العربي : 211 .
 العزيز بن المنصور : 139 .
 عطية بن موسى : 186 .

- غ -

غانية : 140 .
 ابن غانية : 196 .
 غانيوس ويوليوس : 268 .
 الشيخ غانم بن يوسف : 84 ، 85 ، 86 .
 الغزالي : 135 .
 الغازي بن قيس : 142 .

- ف -

فاطمة : 295 .
 فاطمة الزهراء : 119 .
 أبو فارس عزوز : 70 ، 157 ، 158 ، 168 ، 169 ، 174 ، 176 ، 180 ، 186 ، 192 .
 أبو الفداء : 56 ، 57 ، 151 ، 197 .
 فرقان القليتي : 106 ، 350 .

ألفونسو 12 : 268 .
 ألفونسو 13 : 268 .
 فيرديناند : 215 .
 فيرديناند 6 : 258 .
 فيرديناند 7 : 260 ، 267 .
 فيليب : 215 ، 257 .
 فيليب 2 : 227 .
 فيليب 3 : 227 .
 فيليب 4 : 227 .
 فيليب 5 : 235 ، 256 .

- ق -

القاسم بن محمد : 159 .
 قارة باغلي : 338 .
 قارة الجزائر : 108 .
 القائم العبيدي : 120 .
 القباب : 68 .
 قدور الكبير بن إسماعيل : 296 ، 298 ، 300 ، 324 ، 353 ، 344 ، 347 .
 قدور بن علي : 298 ، 300 .
 قدور بن الشريف : 364 .
 قدور الصغير : 324 .
 قدور بن سفير : 353 .
 قدور بن المخفي : 362 .
 الفلجاوي : 79 .
 القائم أبو ديوس : 156 .
 قسطنطين بن هرقل : 260 .
 قلودينوس : 268 .

- ك -

كارلوس : 216 .

كارلوس II : 229 .

كارلوس III : 258 .

كارلوس I : 260 .

كُجُكُ علي : 220 .

كوسه محمد : 253 .

كعب بن زهير : 97 .

كريستوف كولومب : 199 .

- ك -

لذريق : 200 .

لسان الدين ابن الخطيب : 174 ، 176 .

الوليد بن عبد الملك : 200 .

الوليد بن يزيد : 125 .

لويس IV : 235 .

- م -

المأمون العباسي : 162 ، 205 .

مامي الحاج : 222 ، 223 ، 253 .

محمد بن قريد : 366 .

محمد بن المولود : 262 .

محمد الصغير الغبريني : 269 .

محمد بن عيسى : 270 .

محمد الزناقي : 271 .

محمد المزاري : 272 ، 351 ، 358 ، 359 .

364 ، 365 .

محمد المسراتي : 276 ، 277 .

محمد أبو طالب : 277 ، 278 ، 279 .

282 .

محمد بن زرفة : 277 .

محمد بن عودة : 284 ، 315 .

محمد بن يوسف الزياتي : 368 .

محمد بن علي الشريط : 286 .

محمد الصغير : 290 ، 295 .

محمد بن الجيلالي القلعي : 298 .

محمد بن عثمان : 308 .

محمد ولد قدور : 308 .

محمد الوهراني : 95 ، 324 ، 338 .

محمد المجاهد : 324 .

محمد ابن عبد الله : 350 .

محمد بن الخروبي : 353 .

محمد الصادق : 324 .

محمد بن يوسف القيرواني : 56 .

محمد بن أبي عون : 56 ، 117 ، 120 ، 128 .

محمد بن عبدون : 56 .

محمد بن عثمان : 64 ، 181 .

محمد بن عبد المؤمن : 81 .

محمد بن الهواري : 75 .

محمد بن عمر الهواري : 78 ، 83 ، 96 ، 158 .

محمد الفاسي : 84 .

محمد بن حواء : 86 ، 90 ، 106 ، 284 .

محمد بن يحيى : 88 .

محمد بن أبي يعزي : 89 .

محمد بن خميس : 97 .

محمد بن عثمان الكبير : 97 ، 231 ، 261 .

- 264، 269، 289، 290، 324، 338، 388
- محمد بن أبي تاشفين : 192 .
- محمد المستعين : 196 .
- محمد بن غانية : 196 .
- محمد بن موسى : 205 .
- محمد أقدار : 214 .
- محمد بن داود : 215 .
- محمد الشريف الزهار : 216 .
- محمد علي الشريف : 216 .
- محمد بن يحيى : 218 .
- محمد الشيخ السعدي : 227 .
- محمد خوجة : 235 .
- محمد خان : 243 .
- محمد بكداش : 246، 275 .
- محمد خان الأول : 227 .
- محمود الثاني : 247 .
- محمد بو شناق : 255 .
- محمد بن صالح : 254 .
- محمد الرابع : 246 .
- محرز بن خلف : 226 .
- محمد بن الحسين : 285 .
- محمد البوشيخي : 361 .
- محمد بن جلال : 356 .
- محمد بن يحيى : 355 .
- محمد بن كروف : 354 .
- محمد بن زكموط : 364 .
- محمد ولد عبد الله : 354 .
- محمد بن عبد الله سقاط : 99 .
- مصطفى بن التهامي : 102 .
- محمد بن البشير الحريري : 99 .
- المشرفي الطاهر : 99 .
- محمد بن الخير : 122 .
- بن محمد صالح : 120، 121 .
- محمد بن خزر : 122، 128 .
- محمد بن عبد الرحمن : 129 .
- محمد المهدي : 129 .
- محمد بن تنعيم المسوفي : 133 .
- محمد صالح : 136 .
- محمد بن وفاق : 139 .
- محمد بن علي : 141، 189 .
- محمد بن عبد الله : 141 .
- محمد بن سليمان : 141 .
- محمد النفس الزكية : 141 .
- محمد اللحياني : 156 .
- محمد بن أبي بكر : 158 .
- محمد بن يوسف : 166 .
- محمد بن قريد : 108 .
- محمد الصادق الحميسي : 106 .
- محمد بن أقوجيل : 106 .
- محمد بن الجيلالي : 104 .
- محمد بن جلول : 104 .
- ماخوخ الزناتي : 168 .
- محمد بن ورزيشي : 168 .
- أبو محمد بن تافراكيش : 177 .
- محمد أبي ظريف : 189، 192 .
- محمد بن خولة : 191 .

- محي الدين المختاري : 102 ، 295 ، 325 ، 340 .
مراد بك خان : 243 .
مراد الثاني : 243 .
مراد الرابع : 245 .
مراد الخامس : 248 .
مروان بن محمد : 129 .
ابن مرزوق الحفيد : 78 ، 179 .
مزدلي : 132 .
المزوار بن غانم : 218 .
المسعودي : 75 .
أبو مدين شعيب : 78 ، 87 ، 144 ، 216 ، 227 .
مسلم بن عبد القادر : 105 ، 106 ، 145 ، 251 ، 258 ، 304 ، 388 .
مسعود الزياتي : 166 .
ابن مسعود : 191 .
مصطفى بن إسماعيل : 357 ، 358 ، 362 .
الباي مصطفى : 99 ، 275 .
مصطفى قايد : 277 .
مصطفى زرق العين : 277 ، 280 ، 282 .
مصطفى بن عودة : 278 .
مصطفى الأحمر : 278 ، 279 ، 280 ، 282 .
مصطفى الدحاوي : 99 ، 273 ، 308 .
مصطفى بن قرادة : 298 .
مصطفى باي : 300 ، 306 ، 324 .
مصطفى بن عبد الله : 30 ، 324 .
مصطفى بن الهاشمي : 104 .
- مصطفى بو الشلاغم : 246 ، 256 ، 257 ، 274 ، 277 .
مصطفى الثاني : 246 .
مصطفى خان : 247 .
مصطفى باشا : 253 .
مصطفى كوسة : 254 .
أبو موسى المشدالي : 167 .
موسى بن عيسى : 179 .
موسى بن صالح : 179 .
موسى بن برغوث : 181 .
موسى بن خالد : 186 .
موسى بن أحمد : 194 .
موسى بن نصير : 199 .
موسى آغا : 253 .
موسى بن أبي العافية : 119 ، 120 .
أبو منصور الماثوريدي : 241 .
ابن مكّي : 176 .
ابن ميمون : 136 .
ابن مطروح : 141 ، 149 .
موسى بن علي العربي : 166 .
مفتاح البخاري : 106 .
المعتز : 117 .
معاشو بن أحمد : 85 .
المعز العبيدي : 120 ، 121 ، 123 ، 138 .
المنصور بن أبي عامر : 121 ، 123 ، 124 .
منشد بن سعيد : 119 .
المنذر بن محمد : 129 .
معاوية بن أبي سفيان : 129 .
معاوية بن يزيد : 129 .

الهوراري (الشيخ محمد بن عيسى): 68،
73، 78، 83، 96.

- و -

واضح بن عثمان: 126، 164.
وادفل بن عبو: 186.
وزمار بن عريف: 115، 178، 179.
الوازعي أبو إسحاق: 77.
بن ونان: 310.

- ي -

أبو يحيى زكرياء: 81، 194.
يحيى بن تومرت: 136.
يحيى بن محمد: 140، 157.
يحيى بن إبراهيم: 157.
يحيى السائح: 157.
يحيى الحمى: 157.
يحيى بن داود: 179.
بن يفي سبيدي محمد: 82.
يزيد بن معاوية: 129.
يعلی بن محمد: 121، 122، 123، 124.
يعقوب المنصور: 150.
يعقوب بن علي: 117.
أبو يعزى العربي: 89، 145.
يوسف بن تاشفين: 120، 121.
يوسف بن قريون: 62.
يوسف الشريف: 85.
يوسف بن تاشفين: 121، 128، 131.
135، 139، 140.
يوسف بن زيري: 132.

منصور بن بلكين: 125.

مناد الصنهاجي: 138.

منديل المغراوي: 140.

المعز بن الناصر: 138.

أبو مهدي الزنداوي: 218.

أبو مهدي عيسى: 226.

المهدي بن تومرت: 135، 140، 144،
147.

الحاج المرسل: 325.

مولاي علي الجمل: 300.

- ن -

الناصر العبدوسي: 134.

الناصر عياض: 135.

الناصر بن علناس: 138.

نابوليون بوناپرت: 267.

نارون: 268.

نزار العبدلاوي: 228.

ابن النصرانية: 228.

ابن نصابة: 230.

- ه -

ابن هارون: 177.

هشام المؤيد: 121، 124، 129.

هشام الراضي: 128.

هشام بن عبد الملك: 129.

هيدور (الشيخ): 67.

هوراري إسحاق: 77.

هوراري أبو إسحاق: 76.

يوسف الناصر : 175 .	يوسف بولكين : 138 .
يوسف بن منصور : 177 .	يوسف بن عبد المؤمن : 147 ، 149 .
يوسف المسراتي : 171 ، 282 .	يوسف الغفاري : 162 .
يغمراسن الزباني : 154 ، 162 ، 175 .	يوسف بن خزرون : 163 .
اليفريني : 152 ، 211 .	يوسف المريني : 165 .
يونان بن يافث : 198 .	يوسف بن يعقوب : 166 ، 176 .

فهرس القبائل والجماعات

أ -	
الأوس والخزرج : 241 .	آل عثمان : 243 ، 336 .
بنو أمية : 124 .	آل زيان : 175 .
بنو إسرائيل : 199 .	الأتراك : 115 ، 158 ، 195 ، 223 ، 226 .
بنو الأحمر : 62 .	228 ، 231 ، 232 ، 289 ، 308 ، 348 .
أولاد حمدان : 212 .	368 .
أولاد حمزة : 176 .	الأثيج : 127 .
أولاد بلبل : 194 ، 302 .	أزديجة : 128 .
أولاد عريف : 181 .	الأحرار : 272 .
أولاد سيدي أحمد : 110 .	الأغزاز : 148 .
أولاد علي : 212 ، 229 ، 231 .	الالبيريون : 198 .
أولاد عبد الله : 212 ، 229 ، 230 .	الإغريقيون : 207 .
أولاد عابد : 272 .	الإسبانيون : 217 ، 228 ، 246 ، 247 .
أولاد عياد : 272 .	257 ، 258 ، 266 ، 276 ، 280 .
أولاد عربي : 274 .	الأكراد : 241 .
أولاد الأكراد : 272 .	الأدارسة : 117 ، 130 ، 160 .
أولاد نصيف : 272 .	الأمويون : 115 ، 123 ، 128 .
أولاد بالغ : 272 .	الإنجليز : 197 .
أولاد الشريف : 272 .	الأندلسيون : 198 .
أولاد الميمون : 272 .	أوربة : 148 .
أولاد سليمان : 229 ، 231 ، 297 .	

أولاد سيدي محمد بن يحيى : 359.

أولاد رحو: 358، 359.

أولاد علان : 322.

أولاد بلشير : 111.

- ب -

البرامكة : 337.

البربر : 148، 188.

البرجية : 228، 232، 272، 273، 321،

356.

البلكانية : 310، 311، 332، 362.

- ت -

التاشفينيون : 139.

التار : 241، 242.

الترك : 227، 235، 240، 251، 269،

304، 306، 354، 355، 363.

التركمان : 241.

التوارق : 131.

توجين : 177، 178، 179، 284، 355.

- ث -

الثعالبية : 194.

- ج -

الجركس : 241.

الجعافرة : 272.

- ح -

الحشم : 146، 228، 354، 355، 356،

362، 357.

حصين : 194.

حميان : 229، 232، 272.

بو حفص : 156، 176، 181.

بنو حمامة : 115.

- خ -

بنو خزر : 117، 133، 221، 241.

خزريون : 128، 240.

- د -

الدواير والزماله : 108، 274، 321، 356،

362، 359.

- ذ -

الذواودة : 177، 215.

- ر -

الراشدية : 63، 162، 165، 218.

الروس : 241.

الروح : 174، 198، 267.

- ز -

بنو زيان : 74.

بنو زروال : 87، 302.

زواوة : 160، 166.

بنو زطاط : 132.

- س -

السلاجقة : 242.

سويد : 74، 231.

السبنيول : 197.

- ش -

شافع : 212 ، 229 .
بنو شقران : 229 ، 272 ، 311 ، 321 ،
356 ، 362 .

- ص -

الصقالبة : 240 .
صنهاجة : 131 ، 138 ، 139 ، 140 ، 141 ،
148 .

- ع -

بنو عامر : 84 ، 179 ، 181 ، 190 ، 211 ،
212 ، 229 ، 272 ، 321 ، 324 ، 325 ،
362 ، 367 .
بنو عطية : 123 .
بنو عيس : 144 .
بنو العيش : 160 .
بنو عبد المؤمن : 162 .
بنو وعزان : 272 .

عبد الواد وبنو عبد الواد : 115 ، 162 ،
169 ، 173 ، 177 ، 178 ، 179 ، 189 .
عريب : 307 ، 321 ، 322 .
العبيديون : 272 .

- غ -

غمارة : 150 .
غمرة : 212 ، 229 .
بني غدو : 74 .

- ف -

الفاطميون : 119 ، 130 .
الفرانسييس : 115 ، 140 ، 156 ، 200 .
الفرنج : 134 ، 208 ، 240 ، 245 ، 268 .
الفندال : 198 .
الفينيسيون : 198 .
فليقة : 274 ، 283 ، 362 .

- ق -

القرطاجنيون : 198 .
القطلان : 200 .
القوط : 199 .
قيزة : 212 ، 229 .
قيس بن عيلان : ، 244 .

- ك -

كتامة : 121 ، 156 .
كريشتل : 229 ، 231 .
كومية : 147 .

- ل -

اللاتينيون : 206 .
لمتونة : 139 ، 141 .
بني لومي : 168 .

- م -

الموحدون : 115 ، 136 ، 137 ، 140 ،
141 ، 147 ، 148 ، 150 ، 156 ، 166 ،
177 ، 231 .

المرابطون: 115، 136، 139، 140، 141، 239.	النفار: 200.
المروانيون: 117، 120، 122، 123، 128.	نفزة: 56.
الملثمون: 115، 139.	- ه -
المصامدة: 141، 148، 150.	الهلاليون: 128.
بنو مريـن والمرينيون: 156، 163، 174، 188، 189.	هبرة: 228، 232.
بنو مطهر: 162، 272.	هواره: 195.
بنو مزغنة: 134، 259.	- و -
بنو مناد: 340، 342، 344.	الونازرة: 228.
بنو مريـانن: 342.	بني واثيل: 201.
بنو مسفن ومسرفين: 76، 117.	بني وراغ: 85.
مغراوة: 55، 56، 110، 115، 123، 133، 148، 166، 177، 178، 179، 181، 201.	بني وامانو: 169.
مضر: 166.	بني مطاط: 181.
مديونة: 168.	- ي -
- ن -	ياجوج وماجوج: 240.
بنو النظير: 266.	بني يزناسن: 133، 175، 193، 345، 365.
	بني يفرن: 117، 121، 133.
	يغمراسن: 192.
	اليهود: 62.

فهرس الأماكن الجغرافية

- أ -

إيفيكان : ، 120 ، 121 .

أقادير : 164 ، 179 .

أوروبا : 199 ، 204 .

أمريكا : 199 ، 204 .

أمريكا الجنوبية : 199 .

الإيالة الغربية : 64 ، 265 ، 277 ، 336 .

أوقيانيا : 204 .

الأندلس : 56 ، 115 ، 117 ، 120 ، 121 ،

122 ، 125 ، 134 ، 135 ، 138 ، 139 ،

140 ، 148 ، 151 .

- ب -

بحر النيل : 139 ، 140 .

بحر البلطيك : 199 .

بابل : 204 .

البحر المحيط : 135 ، 202 .

باب الواد : 221 ، 222 .

باب الجزيرة : 222 .

باب عزون : 222 .

بجاية : 135 ، 138 ، 139 ، 140 ، 153 ،

الأغواط : 230 .

أرزيو : 108 ، 232 ، 235 .

أشبونة : 135 ، 150 ، 197 .

أشير : 138 .

إشبيلية : 147 ، 148 ، 149 ، 151 ، 199 .

أزمور : 156 ، 201 .

أرض الروح : 242 .

أرقون : 200 .

أرض النوبة : 203 .

إسبانيا : 177 ، 204 ، 256 ، 219 ، 223 ،

267 .

الإسكندرية : 158 ، 188 ، 260 .

أسوان : 203 .

آسيا : 204 .

إستوريا : 200 .

اسطنبول : 285 .

أدرنة : 243 .

إفريقيا : 115 ، 138 ، 146 ، 147 ، 148 ،

150 ، 156 ، 162 ، 175 ، 176 .

156، 165، 184، 188، 194، 221،
250
البحر المتوسط: 134، 201.
البحر الرومي: 201.
بخارى: 241.
برج اليهودي: 211.
برج المرمى: 62، 221، 226، 232.
برج مرجاج: 59، 293.
برج الحمامات: 62، 232.
برج رأس العين: 62، 229، 293.
برج الفنار: 221.
برج الترك: 276.
برج الأمحال: 276.
برج لويس: 293.
برج فيرناندو: 293.
برج كارلوس: 293.
برج الأحمر: 295، 298.
برقة: 146، 147.
برشك: 165، 193.
برشلونة: 197، 201.
بسكرة: 119.
البصرة: 123.
البطحاء: 21، 122.
بغداد: 134، 244، 245.
البرتغال: 205.
بروسيا: 243.
بلاد العدو: 175.
بلد النامسة (النمسا): 199.
بلنسيا: 200.

بلاد درعة: 201.
بلغ: 242.
البليدة: 298، 308.
بلاد الترك: 338.
بلاد اليعقوبية: 367.
بنزرت: 202.

ت -

تاهرت: 117، 121، 122، 140.
تادلش: 186.
تاغية: 179.
تافنة: 324.
تاويريرت: 186.
تافيلايت: 169.
تازة: 189.
تاجرة: 138.
تازة: 170، 175.
تاكدمت: 304.
التبت: 184.
تركيا: 279.
تمانتفوس: 225.

تلمسان: 70، 78، 117، 123، 124،
125، 132، 133، 136، 144، 156،
172، 173، 175، 176، 179، 180،
186، 192، 219، 271، 272، 281،
282، 283، 284، 285، 287، 323،
365.

تنس: 134، 160، 165، 179، 193،
194.

جبل طارق: 198.	توزر: 177.
جبل راشد: 201.	تونس: 70، 78، 119، 156، 165،
جبل خياشة: 201.	176، 177، 178، 192، 202، 205،
جبل الثلج: 202.	226، 246، 261، 267، 270، 282،
جبل درن: 201.	323.
جبل زيان: 188.	تيطري: 188، 269.
جبل المايرة: 282.	تينملل: 149.
جبل سيراط: 212.	
جبل تازة: 201، 336.	- ث -
جديوية: 324.	ثنية ماخوخ: 85.
جزيرة كورسيكا: 119.	ثنية تيزي: 186.
الجزيرة الخضراء: 148، 149، 174،	ثنية المد: 272.
189.	ثنية بلوزير: 186.
جزيرة كوبا: 199.	
جزيرة العرب: 205.	- ج -
الجريد: 156.	جامع الباشا: 295.
الجيزة: 306.	جبل تاجرة: 143.
جرجرة: 160.	جبل هيدور: 59، 87، 137، 212، 227،
جون تامانفوست: 222، 223.	231.
- ح -	جبل غمرة: 59.
الحراش: 258.	جبل تيطري: 138.
حجر باديس: 226.	جبل عجيسة: 138.
الحجاز: 144.	جبل مرجاجو: 59، 62.
حلب: 242، 244.	جبل ماخوخ: 84.
حماة: 56، 57.	جبل قيزة: 120، 212.
الحامة: 223.	جبل الفتاح: 146.
حمام بو عزارة: 288.	جبل البيريني: 198.
الحناية: 353.	جبل بني ورنيد: 163، 186، 196.

- خ -

خراسان : 150

خصيبة : 294

خنق النطاح : 294

- د -

دانمارك : 204

دلس : 189

دمشق : 69 ، 129 ، 149 ، 150 ، 200

- ر -

رأس تافورة : 224

رباط الفتح : 147

رباط وهران : 137

الراشدية : 104

رشقون : 117

ريغة : 182

رأس العين : 266

- ز -

الزاب : 119 ، 156 ، 177 ، 182

زبوج مولاي إسماعيل : 228

زفيزف : 354

- س -

سبنة : 61 ، 123 ، 140 ، 163 ، 148 ، 199

السرسو : 214

سعيدة : 215

السودان : 131 ، 200

السند : 204

السمار : 359

السوس الأقصى : 135 ، 146 ، 147 ، 201

سيدي البشير : 90

سيجيلماسة : 123 ، 124 ، 135 ، 167

174 ، 175

سيف : 184 ، 228 ، 306 ، 310

سيراط : 134

سويسرا : 205

سد أرمينيا : 214

سيدي لخضر : 212

سيدي مبارك : 212 ، 310 ، 311

سيدي داود : 310

سلا : 147 ، 148

- ش -

شاطبة : 201

الشاح : 69 ، 134 ، 151 ، 203 ، 204 ، 244

شريس : 148 ، 201

شلف : 134 ، 140 ، 166 ، 186 ، 201 ، 230 ، 277

- ص -

صفلية : 201 ، 258

الصين : 241 ، 266

- ط -

طرابلس : 153 ، 159 ، 177 ، 205 ، 244

270 ، 249

طرطوشة : 136 ، 201 .

طليطلة : 199 ، 209 .

طنجة : 132 .

- ع -

العراق : 134 .

العباد : 195 .

عوينت الزيتون : 212 .

عين الربط : 273 .

العرايش : 227 .

عين ماضي : 290 ، 328 .

العرقوب : 286 .

- غ -

غابة مولاي إسماعيل : 310 .

غاليسيا : 200 .

الغزوات : 284 .

غرناطة : 136 ، 139 ، 145 ، 200 .

غريس : 63 ، 247 ، 277 ، 300 ، 306 .

328 ، 354 ، 355 ، 357 .

غمرة : 82 ، 86 ، 148 .

غيليزان ، 184 .

- ف -

فاس : 68 ، 120 ، 123 ، 148 ، 166 .

177 ، 189 ، 192 ، 209 ، 254 .

فرطاسة : 303 .

فروحة : 356 .

فرنسا : 198 ، 205 .

فليتة : 356 .

- ق -

قابس : 140 ، 177 .

قادس : 201 .

قرطبة : 119 ، 121 ، 122 ، 123 ، 124 ،

135 ، 136 .

قسطنطينة : 166 ، 193 ، 258 ، 268 ، 270 ،

277 .

قشتالة : 174 .

قفصة : 148 ، 177 .

قعر الصخرة : 174 .

القدس : 65 ، 123 .

القاهرة : 60 .

القلعة : 138 ، 271 ، 274 ، 277 ، 279 ،

282 ، 298 .

قلعة خولان : 148 .

قلعة جابر : 147 .

قصبية القلعة : 276 .

قلعة مرجاجو : 228 .

قصبية طانجة : 175 .

قصبية وهران : 187 .

قسطنطينة : 166 ، 193 ، 258 ، 268 ، 270 ،

277 .

القسطنطينية : 241 ، 243 ، 251 .

قرمان : 242 .

قرطاجنة : 198 .

قدييل : 232 .

قونية : 242 .

القيطنة : 328 .

ك -

- كاتالونيا : 200 .
 الكرط : 357 .
 كدية الخيار : 229 .
 كدية الصابون : 223 .
 كريشتل : 212 .
 مالقة : 201 .
 مازونة : 125 ، 134 ، 165 ، 229 ، 246 ، 270 ، 271 ، 335 ، 336 .
 المدينة : 138 ، 165 ، 179 ، 181 ، 186 .
 194 ، 270 ، 336 .
 مدريد : 197 ، 200 .
 المدينة الجديدة : 90 .
 مرسى وهران : 56 ، 281 .
 المرسى الكبير : 67 ، 137 .
 المدينة المنورة : 78 ، 115 ، 266 .
 مراكش : 131 ، 135 ، 136 ، 139 ، 140 ، 147 ، 148 ، 149 ، 150 ، 156 ، 163 ، 176 ، 205 .
 مرسية : 200 .
 مرجاجو : 298 .
 مدغوسه : 336 .
 مزاب : 290 .
 مزغران : 181 ، 212 .
 مرسى الجزائر : 249 .
 مسرائه ، 75 .
 مستغانم : 85 ، 98 ، 125 ، 181 ، 195 ، 257 ، 258 ، 271 ، 276 ، 277 ، 278 .
 المسيلة : 119 ، 124 ، 184 .
- مسرفين : 228 .
 مشرع حسين : 357 .
 مصر : 60 ، 67 ، 95 ، 99 ، 134 ، 157 ، 202 ، 204 ، 244 ، 270 .
 المحيط الغربي (الأطلسي) : 201 .
 المطمر : 85 .
 معسكر : 102 ، 110 ، 256 ، 261 ، 271 ، 274 ، 280 ، 285 ، 286 ، 294 ، 304 ، 337 ، 349 ، 355 ، 356 ، 357 ، 358 ، 360 .
 المقطع : 228 .
 مقبرة سيدي الغريب : 91 .
 متيجه : 194 .
 المغرب : 78 ، 120 ، 121 ، 131 ، 132 ، 133 ، 135 ، 142 ، 143 ، 146 ، 147 ، 150 ، 169 ، 175 ، 176 ، 180 ، 192 ، 230 ، 251 ، 254 ، 302 .
 المغرب الأوسط : 117 ، 120 ، 122 ، 124 ، 131 ، 138 ، 139 ، 140 ، 156 ، 229 ، 247 ، 270 ، 336 .
 المغرب الأقصى : 117 ، 130 ، 139 ، 156 ، 227 ، 267 ، 270 .
 المشرق : 128 ، 180 ، 241 ، 368 .
 مكناسة : 148 ، 181 .
 مكورة : 181 .
 مليانة : 74 ، 125 ، 138 ، 140 ، 166 ، 179 ، 181 ، 189 ، 194 ، 347 ، 360 .
 مملكة إسبانيا : 235 .
 مليلية : 209 .

مكة : 78 .
 مملكة المغرب الأقصى : 192 .
 مملكة غمارة : 196 .
 المنصورة : 165 ، 176 ، 262 .
 المهديّة : 153 ، 158 .
 ميورقة : 140 ، 201 .
 مينورقة : 201 .
 - ن -
 ندرومة : 162 ، 176 ، 178 ، 226 .
 الناظور : 222 .
 النرويج : 204 .
 نفوسة : 139 .
 نهر برو : 202 .
 نهر ملوية : 201 .
 نهر النيل : 202 .
 نهر دجلة والفرات : 202 ، 242 .
 نهر سيحون وجيحون : 202 .
 - ه -
 الهند : 134 ، 200 ، 204 .
 هنين : 143 .
 هولاندا : 205 .
 - و -
 وانشريس : 134 ، 158 ، 165 ، 182 ، 194 .
 وجدة : 133 ، 163 ، 175 ، 176 ، 186 ، 196 ، 272 .
 واد مكرة : 354 .
 واد الحمام : 357 .
 والد الخير : 336 .
 واد تافنة : 322 .
 واد يلل : 325 .
 الواد المالح : 314 .
 واد مينا : 304 ، 314 .
 واد العبد : 301 ، 304 .
 واد زهور : 300 .
 واد تليلات : 261 ، 262 .
 واد الهايج : 73 .
 واد فروحة : 88 .
 الواد المبطوح : 106 .
 واد نون : 146 .
 واد رهيو : 163 .
 واد تلاغ : 169 ، 170 .
 واد الشلف : 179 .
 واد سلي : 163 ، 179 .
 واد ملال : 180 .
 واد زرقون : 182 .
 الواد الكبير : 201 .
 واد هبرة : 214 .
 واد الحمام : 214 ، 215 .
 واد سيف : 214 .
 واد فرقوق : 215 .
 واد الحراش : 225 .
 واد تخمارت : 215 .
 ورفلة : 182 .
 وهران : 55 ، 60 ، 67 ، 69 ، 78 ، 86 ، 87 ، 89 ، 90 ، 91 ، 104 ، 108 ، 109 .

،342 ،326 ،325 ،324 ،323 ،322	،125 ،124 ،123 ،121 ،120 ،115
،357 ،355 ،347 ،346 ،345 ،343	،156 ،143 ،142 ،136 ،135 ،133
،366 ،364 ،367 ،360	،189 ،178 ،177 ،176 ،168 ،162
- ي -	،264 ،262 ،227 ،226 ،211 ،209
يابسة (جزيرة) : 204 .	،383 ،281 ،280 ،274 ،271 ،270
يسر : 354 .	،306 ،305 ،304 ،300 ،295 ،285
اليونان : 205 .	،321 ،312 ،310 ،309 ،308 ،307

فهرس الكتب

- أ -

أحمد الأبصار: 69، 76، 88، 84، 88.
الأخبار الجالية في أخبار السدولة
المرباطية: 140.
أخبار إفريقية وتونس: 158.
أنيس الغريب والمسافر: 105، 145،
289، 296، 300.
الأنيس المطرب: 142، 137، 136، 144،
174.

- ت -

تحفة الناظر: 149.
ترجمان البحر: 173.

- ج -

جواهر الأسرار: 69، 76، 83، 88.
جواهر الاختصار والبيان: 86.

- ح -

الحلل السندسية: 57.
حسن المحاضرة: 60.

- خ -

الخبر المغرب: 57، 58، 143، 152،
175، 241، 270.
الخريدة: 202.

- د -

در الأعيان: 296، 297.
دليل الحيران: 57، 58، 64، 67، 95،
115، 136، 137، 200، 206، 248،
266، 300، 304، 349، 368.
الدرر المكنونة: 58.
دوحة الناشر: 249.

- ر -

روض السلون: 58.
رجز الحلفاوي: 56، 63، 221، 239،
246.
رقم الحلل: 142، 172، 176.
روض القرطاس: 143.

- ز -

زهرة الشماريخ: 181، 199، 250.

- ق -

قلادة الجواهر : 248 .

القول الأوسط : 251 .

- ك -

كتاب الحاوي : 156 ، 162 .

كتاب الإشارة : 190 .

كتاب الشفاء : 190 .

كتاب اللباب : 61 .

كشف النقاب : 111 .

- ل -

اللامية : 74 .

- م -

المختصر : 56 ، 57 .

مختصر الشيخ خليل : 78 .

المدونة : 146 .

- ن -

نظم الدر والعقيان : 161 ، 190 .

نظم السلوك : 187 .

- و -

وفيات الأعيان : 58 .

زهر البستان : 187 .

- س -

السهو والتنبه : 69 .

السينية : 256 ، 257 ، 293 .

سبائك الذهب : 248 .

- ص -

صحيح البخاري : 190 .

- ع -

عجائب الأخبار : 57 ، 58 ، 136 ، 137 ،

143 ، 151 ، 158 ، 250 ، 251 .

عجائب الأسفار : 56 ، 58 ، 71 ، 88 ،

119 ، 165 ، 175 ، 180 ، 187 ، 192 ،

206 ، 229 ، 250 .

العجالة : 161 .

عقد الجمان النفيس : 88 .

عقد الأجياد : 95 .

- غ -

غرائب الأخبار : 229 .

- ف -

فتح وهران : 63 ، 99 ، 295 ، 300 .

فتح الاله ومته : 338 .

فهرس الخرائط

- خريطة وهران والمرسى الكبير والمنطقة الغربية الوهرانية 210
- خريطة الأنفاق الأرضية لمدينة وهران خلال الاحتلال الإسباني 234

فهرس الموضوعات

5	تقديم وتوضيح
13	تمهيد في التعريف بمخطوط طلوع سعد السعود
15	أقسام المخطوط وتاريخه
17	محتويات المقاصد الخمسة
33	بعض الملاحظات حول محتوى المخطوط
38	هل مخطوط طلوع سعد السعود من تأليف المزارى
49	طلوع سعد السعود في أخبار وهران ومخزنها الأسود
53	المقصد الأول فيمن بنى وهران
65	المقصد الثاني في ذكر بعض أوليائها
93	المقصد الثالث في ذكر بعض علمائها
113	المقصد الرابع في ذكر دولها
115	الدولة الأولى مغراوة
119	الدولة الثانية الشيعة الفاطميون
128	قائمة حكام وهران
129	قائمة الخلفاء الأمويين
130	قائمة خلفاء الشيعة الفاطميين
130	قائمة ملوك الأدارسة بالغرب الأقصى
131	قائمة ملوك السليمانيين بالمغرب الأوسط
132	الدولة الثالثة المرابطون

138	قائمة ملوك صنهاجة
138	الفرقة الأولى البلكانية
139	الفرقة الثانية المرابطون
140	الفرقة الثالثة الغانية (بنو غانية)
142	الدولة الرابعة الموحدون
153	قائمة ملوك الموحدين
159	الدولة الخامسة الزيانيون
168	الدولة السادسة المرينيون
178	عودة وهران لدولة بني زيان
180	عودة وهران للدولة المرينية
181	عودة وهران للدولة الخامسة الزيانية
189	عودة وهران للدولة السادسة
189	عودة وهران للدولة الخامسة
197	الدولة السابعة الأسبان
201	أنهار الشمال الإفريقي والعالم
203	جبال العالم
204	موقع إسبانيا والأقاليم الأرضية
205	محيط الدائرة الأرضية
206	أصل الإسبان
208	قائمة ملوك الإسبان
211	غزو المرسى الكبير ووهران
212	غارات الإسبان على أحواز وهران
217	غارات الإسبان على تلمسان ومعسكر
220	غارات الإسبان على مدينة الجزائر
220	حملة شارلكان الكبرى على مدينة الجزائر عام 1154
226	حملة الإسبان على تونس عام 1535
229	معركة كدية الأخيار واستشهاد الداى شعبان

231	 حملة السلطان إسماعيل على وهران
232	 قائمة الملوك الوطاسيين والسعديين والعلويين
233	 منشآت الإسبان بوهران
235	 التحرير الأول لوهران عام 1718
240	 الدولة الثامنة الترك
241	 نسل الأتراك وسلطيتهم
249	 أسباب قدوم الأتراك إلى الجزائر
251	 قائمة المحكام الأتراك بالجزائر
256	 عودة وهران لحكم الدولة السابعة الإسبانية
260	 التحرير الثاني والنهائي لوهران والمرسى الكبير
266	 من اخترع البارود
267	 تنميم لملوك الإسمانيين
268	 قائمة أباطرة الرومان
269	 عودة وهران لحكم الدولة الثامنة التركية والألقاب والرتب التركية
270	 بايلىكات الجزائر وأقسامها
270	 بايلىك الغرب الوهراني
271	 طبيعة حكم البايات وموظفهم ونوابهم
274	 أقسام بايلىك وهران الستة
274	 الباى مصطفى بوشلاغم المسراتي
278	 الباى يوسف المسراتي
278	 الباى مصطفى الأحمر المسراتي
279	 الباى محمد أبو طالب المجاحي المسراتي
280	 الباب مصطفى قائد الذهب المسراتي
282	 فضل البايات المسراتية
282	 الباى الحاج عثمان
285	 الباى حسن
285	 الباى إبراهيم الملياني

287	 الباى الحاج خليل
289	 الباى محمد بن عثمان الكبير
293	 منشآت الباى محمد بن عثمان بوهران ومعسكر والبرج
298	 الباب عثمان بن محمد
299	 ثورة أحمد بن الأحرش الدرقاوى
300	 الباى مصطفى العجمى وثورة درقاوة
301	 أسباب ثورة درقاوة
304	 معركة فرطائة ونتائجها
308	 الباى محمد بن عثمان المقلش وحروبه مع الدرقاوى
312	 ظهور الدرقاوى من جديد واختفاؤه
316	 ظهور الدرقاوى مرة أخرى واختفاؤه
324	 عودة الدرقاوى للظهور
325	 نهاية الباى المقلش المحزنة
326	 الباى مصطفى العجمى وحروبه مع الدرقاوى
328	 الباى محمد بن عثمان الرقيق والمسلوخ أبو كابوس وحروبه مع الدرقاوى
331	 أعراش المخزن الوهرانى الخمسة
333	 نهاية الباى بوكابوس المحزنة
335	 خروج الباى من وهران فى طريقه إلى تونس وعصيانه
336	 عمر آغا يقتل الباى بوكابوس وينصب الباى على قارة باغلي
337	 أبو راس يرثى الباى بوكابوس
338	 الباى على قارة باغلي
346	 نهاية الباى على قارة باغلي
347	 الباى حسن بن موسى الباهي
349	 سياسة الباى حسن وسلوكه
349	 وفاة أبى راس الناصر بمعسكر
352	 ثورة أحمد التيجانى
355	 تأمر الحشم مع التيجانى ضد الباى حسن

356		محمد التيجاني يهاجم مدينة معسكر
357		الباي حسن يذهب لمعسكر لمحاربة التيجاني
359		المعركة الفاصلة ومقتل التيجاني
360		حصول القحط وغلاء الأسعار
361		سجن الشيخ محيي الدين بوهران
362		حملته على الشيخ بلقندوز التيجاني وقتله
367		الهجوم على قبائل الأحرار وعقابهم
368		رأي محمد بن يوسف الزياني في الأتراك
369		أغوات الباي حسن
371		الفهارس العامة
373		فهرس الأعلام
386		فهرس القبائل والجماعات
390		فهرس الأماكن الجغرافية
398		فهرس الكتب
400		فهرس الخرائط
401		فهرس الموضوعات